

obeykandi.com

**المسك والعنبر  
في  
خطب المنبر**

الناشر  
**مكتبة العيكن**

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

جمهورية مصر العربية - القاهرة

٢١ ش الشيخ محمد النادى - مكرم عبيد - مدينة نصر

ت : ٢٧١٨١٣٣

د. عائض بن عبد الله القرني

المسك والعنبر

في

خطب المنبر

مكتبة العبيكان





o b e i k a d . c o m

obeikandi.com

# الفهرس

صفحة

الخطبة

٧	.....	الفهرس
١١	.....	مقدمة
٢١	.....	أول ليلة في القبر
٣٠	.....	الفريضة المهمة
٣٧	.....	شهيد المحراب
٥٣	.....	مدرسة الاستهزاء
٦٥	.....	المؤذن الأول
٧٨	.....	ما هي السعادة؟
٨٧	.....	هكذا فلتكن العدالة
١٠٧	.....	ظالم من الدرجة الأولى
١١٩	.....	رسول المساكين
١٣١	.....	ذنب يتكلم
١٤٤	.....	سلعة الله غالية
١٥٥	.....	الداعية المطارد
١٧٠	.....	شباب أمس واليوم
١٨١	.....	سنزيرهم آياتنا في الآفاق

١٩٢	.....	مناظرة بين فرعون وموسى
٢٠٨	.....	من طرائف حج الرسول ﷺ
٢٢٠	.....	الله الله في الصلاة
٢٣٣	.....	عبادة الرسول ﷺ
٢٤٣	.....	عوامل القوة في حياة المسلمين
٢٥٧	.....	حقيقة البعث والنشور
٢٦٧	.....	المعصوم يضحك
٢٧٩	.....	جيل لن يتكرر
٢٩٤	.....	خطر على الأمة
٣١٠	.....	بطل المواجهة
٣٢٦	.....	خطبة عيد الأضحى
٣٤٤	.....	تعظيم شعائر الله
٣٥٧	.....	ضوابط محبة الرسول ﷺ
٣٧٣	.....	الباحثون عن الحقيقة
٣٨٩	.....	لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٤٠١	.....	الأمير العباسي الفقير
٤١٤	.....	الذين يستحقون اللعنة
٤٢٩	.....	الرحلة في طلب العلم
٤٤٢	.....	حق المعلم على المعلم
٤٥٧	.....	قصة عائذ إلى الله
٤٧٠	.....	مراتب الإحسان
٤٨٤	.....	شهيد القسطنطينية
٤٩٧	.....	شطر الإيمان
٥٠٨	.....	الوقت والحياة
٥٢٣	.....	الراحمون يرحمهم الله
٥٣٨	.....	يوسف في الجب

٥٥٣	..... يوسف في بيت العزيز
٥٦٥	..... كيف نعلم الناس؟
٥٧٩	..... إمام أهل السنة والجماعة
٥٩٥	..... الإنسان المُبْتَلَى
٦٠٩	..... عقدة البقرة
٦٢٧	..... الرحمن على العرش استوى
٦٤٢	..... الظلم ظلمات
٦٥٥	..... أيها العاق
٦٦٩	..... فهرس المراجع

\* \* \*

obeikandi.com

## مقدمة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على أجلّ خطيب وأنبل إمام، وعلى آله وصحبه ما شداً حمام وهطل غمام، واكتمل بدر التمام.

• أما بعد:

فمثل ﴿كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٤].

والكلمة الطيبة، تُقيم مبادئ، وتُنعش أرواحاً، وتُحرّك أجيالاً، وتبني شعوباً.

الكلمة الطيبة، تُصلح خطأً، وتنصب عدلاً، وترخص باطلاً، وتحقّ زيفاً.

والكلمة الطيبة، طريق العمل، واستفادة من الماضي، ونشيد حماسي لليوم، وأمل وإعد للمستقبل.

وأقوى ما تكون الكلمة على منبر الوعظ، يوم تطرق الرؤوس، وتكثت النفوس، وتشرّبت الأعين، ويسود الصمت فلا تسمع إلا همساً.

حينها ينتصب الخطيب، ويتدفق لسانه بالحبّج، وتُنساب نغماته في الأرواح انسياب الماء في العود، والحبّ في المُهَج، والنور في التيار.

وينسج الخطيب الخطير بكلامه من الأُمَّة العاطلة المُتَكِينة أُمَّة عامِلة مُتَجِّة فاعِلة، تبني وتغرس، وتكتب وتقرأ، وتعطي وتدافع.

أول ما فعله ﷺ بأمة الصحراء أنه خطبهم ووعظهم، وبشّرهم وأنذرهم، وأمرهم ونهاهم، فتحول عبّاد الأوثان إلى أئمة طهّر، ونجوم هدى. وسُراق الحجيج إلى مُرابطين في الثغور. وشعراء الخمر والمجون إلى أدباء للحكمة، وشُدادة للحق. والأعراب الحُفاة إلى عبّاد ترجف أعضاؤهم في السّحر بالخشية.

الرسول ﷺ، أعظم الخطباء كما قيل:

ما بنى جملة من اللفظ إلا ابتنى اللفظ أمة من عفاء

إنّ اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعل الجيوش الجرّارة، والكتائب الهادّرة، والجنود المُغامرين.

واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة، ويناجي النفوس بلا حجاب، ويُشاجي البصائر بما أراد.

وبالخطبة المؤثّرة الواصلة يدركُ حُدأة الحقّ ورؤاد الفضيلة مطالبهم، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان، ويسخو البخيل، وينبل الخامل، ويجاهد القاعد، ويشوب المحطّم. وعند سماع الخطبة يُطعمُ الفقير، ويكسى العاري، ويُعان المنكوب، ويُمسح دمعُ المصاب.

الخُطب الهادّرة الطنّانة تُشعل الحماس في رؤوس المُقاتلين، والغيرة في نفوس المُدافعين، والحميّة في أفئدة أبطال الكفاح.

وبُلغاء الخطباء يدعون إذا ادلّهم خُطب، ووقعت واقعة، وحلت داهية، ليقولوا كلمتهم في الحشود، ويلقوا عصا الحجّة في الجُموع، فإذا هي تلقف كل باطل، وتلتهم كل حدث.

بُلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً، وينظمون في لحظة قصيرة أمالاً كبيرة.

إن انتصرت الأمة مجدوها، حتى تصل هامتها الثريّاً، وإن غلبت رفعوها، ولو كان رأسها على الثرى.

إن خطبوا في فنّ الشجاعة هَوّنوا الموت على الجنود، حتى كأنه حضور مهرجان، ومُشاهدة حدائق ذات أفنان، ورغّبوا الجيوش في البَسالة، حتى كأن الحياة بلا موت لا شيء، والبقاء بلا دفاع فناء، والعيش بلا نضال عار. يهوّنون شأن العدو، حتى كأن سيوفهم أقلام كاتيبين ورماحهم أغصان لاعبين:

فَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ

وإن خطبوا في الأغنياء مُلتمِسين البَذل والسَّخاء جعلوا العطاء حياة، والإمساك موتاً، والإنفاق سعادة، فعلى زجل كلامهم تنهل الدراهم والدنانير، ومع وَقَع عباراتهم يسقط الذهب والفضة، ويخطبهم تفرغ القناطير المقنطرة من أكياسها، وتخرج الكنوز من أكاداسها.

يخطبون في الفقراء فيُجِيلون مرارة العدم إلى سعادة، وبذاذة البؤس إلى مكرمة، فإذا الفقير محسود بفقره مغبوط بِعُدْمِهِ، يرى أن فقره سبيل إلى قلة الثَّبعَة، وخفة السير، وضحالة الخطايا، وارتياح الروح.

ويخطبون في المنكوبين فإذا تيجان المدائح على رؤوسهم وألوية الفضل تخفق فوق هاماتهم، فكلّ منكوب يُرى أنه مُجْتَبَى بنكبته، مُصْطَفَى بمصيبته.

والخُطباء الّلامعون يُجِيلون بجلال العبارة وقدسِيّة الكلمة صدمة الهزيمة إلى انتصار، وهزة الفاجعة إلى استعلاء.

وهل الأحداث والتوقّعات والمثّلات إلّا نتائج للكلمات الملتهبة والخُطْبِ المجتّحة الهادِرة.

خطب ﷺ خطبة ضافية في بدر قرّبت الجنة لِعُشاق السعادة، وبغضت البقاء عند مجيء الدنيا، وسهّلت الموت على طالبيهِه، والقَتْل على راغِبِيهِه، فتسابق المؤمنون على وقع كلامه ﷺ، وكأنهم في صراع الأعداء، يَلِجُون أبواب الجنة الثمانية، وفي نِزال الكُفّار يطوفون بالكوثر، وفي حَزّ هامات الوثنيين يخسُون الكأس الذّهاق في جنة عدن.

وخطب ﷺ قبل أحد بيوم فأبى الأبطال البقاء في المدينة وحثوا السير إلى أحد، ورنين الخطبة في الأذان كأنها طلائع الجيوش، ورايات الكتائب، وأعلام الجنود.

ولما مات ﷺ وقع الخطب الجلل والحادث الفادح فقام أبو بكر الصديق فعزى في المصاب، وسلى الخطب، ودمل الجراح، ومسح الدمع، وأعاد للهيمم توقدها، وللنفوس إشراقها، وللضماير حياتها.

فكان الكلام الذي ارتجله كلام جديد، هبط من الغيب على أجنحة القبول، وهبط من الفلك على أوسمة المحبة.

عبر طارق بن زياد البحر، ولقي العالم الكافر، واحتدم الهول، وقامت قيامة الأبطال، فهتف بخطبة طنت لها أذان الشجعان، ورنت لها رماح الأقران، وتقدم على صليلها الجبان، فهو يزيد ويرعد، والصفوف تتقدم، والمنايا تقع على الرؤوس، والموت يداعب النفوس، فإذا جيوش المسلمين على هدير خطبة طارق تطرق باب الفتح، ترفع علم الانتصار، وتعفر أنوف الطغام برغام المعركة.

كان علي بن أبي طالب ﷺ إذا خطب فجر ينابيع البيان، يأخذ الأرواح طواعية، ويأسر النفوس أسراً ويكسر جماجم الفصاحة على رؤوس الشهود كسراً.

يرتجل الخطبة فكان كل جملة لوحة هائمة في الجمال، روعة في الحُسن، غاية في التفاسة.

فعلئ أبو الحسن هو الفصاحة وهي هو.

وكان ابن الجوزي يعظ الناس فتقع في مجلس وعظه صور غير عادية في حياة الناس، انخلاع في النفوس، تدفق في الدموع، ذُهور في الجمهور، وُجول في قلوب الحُضور، فذاك يصرخ تائباً، وهذا ينتحب نادماً، وهذا يُغمى عليه، وذاك ينسحق تحت سياط الوُعظ.

بعض الخُطباء يخطب في الجُلوس، فيجتئون على الرُّكَب، ويزحفون إليه، وتنقطع أبصارهم فيه.

وبعض الخُطباء يخطب في الجُمُوع فلا تنبس شفة، ولا تتحرك أُنملة، ولا يرمش طَرْف.

وبعض الخُطباء إذا خطب قعقع منبره بهدير صوته، وصار جمهوره في قبضته، وأصبح مُسْتَمِعُوهُ طَوَّع يمينه، وآخرون إذا خطبوا انسابوا كالماء هدوءاً وسكينة، وهبوا كالنسيم لطافة ورقّة، يُصاحبون الأرواح قبل الأجسام، والأنفس دون الأبدان.

الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة، فلا يترك الأرواح تفلتت من قبضته، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ، يتخيّر ما يشاء ويهجر ما يشاء، رابط الجأش، قوي القلب، واثق النفس، ثابت القدم، هادئ الأعصاب.

ترتجف القلوب من صولته وقلبه في أمان، وتضطرب الأرواح من نبراته وروحه في جززٍ مكين.

والخطيب القدير كالسَّيل الزاحف، إذا صادفته هضبة طمها وارتقى عليها، وإذا قابلته حُفرة ملأها وعدى عنها. وإذا واجه صخرة مالَ عنها ذات اليمين وذات الشمال.

والخطيب القدير يهدأ يهدأ، فتكن الأسماع، وتخفت الأرواح، ويثور يثور، فيغلي الجوّ ويضطرب الشهود.

يستفهم وإجمالاً كالأسد المتأمل، ويتعجب مُنْذَهلاً كالشاعر الوالِه، ويستعطف في العبارة كالفقير اللُّحُوح، ويأمر كالسلطان المُطاع، ويرثي في مقام الرثاء، فينسى الناس الخنساء، ويُعزِّي فيذهب حرّ المصّاب مع برد العزاء.

والخطيب القدير يتظهر الآيات البيّنات فيرُصّع بيتيجانها هامات خُطبه، ويرُصّع بدُرّها حُلل وعظه.

ويحفظ الحديث الصحيح فيطرز كلامه بجوامع كلمه ﷺ، ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم.

عنده الأدب مادته وعصاه وبُردَه، فالأبيات على طرف لسانه، يطرب ويحمس ويتفتن.

وعنده القصص ينثرها بمزود عجيب وطرح غريب، فكان السامع عاشها، والغائب حضرها.

والخطيب القدير يُحيي العبارات، فكان الكلمات طير بأجنحة، وحمائم بريش، وعصافير على سنابل.

تقرأ الأحدوثة فلا تحركك، ولا تعجبك، ولا تهويك، وتسمع الخطيب المصقع يتلوها على الأسماع، فتصل شغاف قلبك المدنف، فتشعل فيه جذوة من الحرارة والحماس والجاذبية.

الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظهيرة فتحس أنك تحت أسمال الدجى، وتحت أجنحة الدياجير. ويصف النهر فتلمس ثيابك أن تبل وأنت ناء عن النهر. ويصف جيش الأعداء البعيد، فتنظر إلى مطالع الجبال، كأن الطلائع أقبلت، والكتائب دنت.

يدعوك للجائعين باذلاً، فترمي الخبزة من يدك طائعا ويُشاجيك للمرأة مُنجداً، فتخلع ثوبك مُسِعفاً راضياً. هل الخطابة إلا جَذب النفوس، وامتلاك الأرواح، والتصرف في المشاعر. هل الخطابة إلا الاستيلاء على مستعمرات الأفكار، وفتح قلاع التصورات، والانتصار على الآراء المخالفة.

والخطابة هي الإقناع، ونقل السامع من الغي إلى الرشد، ومن الانحراف إلى الاستقامة، ومن الظلم إلى العدل.

يريد المنطبيب أن يبكي الناس فيتوجع من قلبه، ويتأسف من خلده، ويتهدج صوته، وتنساب عبارات الفجيعة، وكلمات الشجن من بين شفثيه،

وتتساقط الآهات مع الدمعات، والزفرات مع العبرات، فإذا جُمع مناحة والكلُّ ماتم.

ويريد الخطيب أن يُلهب الحماس، ويشجّع السامع، فيهتف بطوة ويمور بقوة وينفعل بباء، فإذا الحضور في بسالة وإقدام، وإذا الأعين تترقب متى هي ساعة التضحية ولحظة الفداء؟!.

الخطابة أن تأتي إلى الغضوب الحقود، الممتلىء الثائر الجريح فتعالج قلبه، وتُدخل نفسه، وتسلّ سخيمته، وتزيل ضراوته، حتى تبرد حرارته، وينطفئ لهبه، ويموت غضبه، فيعود حليماً صَفوحاً مُسامحاً.

والخطابة أن تأتي إلى المُعانِد الجموح، المُشاكِس، فتُلين عريكته، وتخاطب فطرته، وتدغدغ مشاعره، حتى يثوب ويسلم ويدعن.

ليست الخطابة لفظاً بلا معنى، وقالباً بلا قلب وعبارات بلا عِبَر فكَلِّها صوت وصورة، ماء وظلّ، ندى وظلّ، شبع وريّ، عواطف ومعانٍ، مُثل وقِيم.

إن من البيان لِسِحْرٌ يخلب الألباب، ويلوّن الأمزجة، ويُغيّر الصور والأحداث والأشياء والمواقف.

وإن من الخطابة لِسِحْرٌ يشجّع الجبان، ويردّ الجامح، ويُعزيّ المُصاب، ويُسخّي البخيل، ويُقدّم الهَيّاب. وسِخْرُ الخطابة في سُمُوها، في عمقها، في تأثيرها، في معانيها، في عواطفها.

وسِخْرُ الخطابة في إلقائها، وجاذبيتها، وحلاوتها، وطلاوتها. واللّسان الدلّيق يصنع الأعاجيب، وينتج الأحداث، ويرسم الوقائع.

كان الأحنف بن قيس هزيبلاً، نحيفاً، أحنفاً، ضعيفاً، تقحّمه العين، وينبو عنه الطّرف، فإذا تكلم خطف الأضواء، وجلب الأبصار، واستنصت الأسماع، ومَلَّك القلوب، وهذه هي البلاغة.

كان بعض الخطباء كالعاصفة الهوجاء، إذا اندفع في الحديث يغضب ويثور وينفعل ويمور، ولسان حاله يقول: لا مَسَاس، فتراه يفلق هامَ البيان بسيف الفصاحة البتار، ويقطع جبال الشكوك بمهتد الحجة الصارم، فهو وحده رجل الموقف، وأستاذ الحدّث، وسلطان المقام.

الخطابة هي جراءة صادقة، وإقدام فظيع، لا يعرف النكوص والالتواء. وإقدام في مواجهة الجماهير، من غير هيبة، ولا وُجُوم، ولا خجل.

والخطابة تحضير مسبق لما يُراد أن يُقال، وامتلأء الذهن بأطراف الموضوع، ورصد تامّ لحديث المقام، حينها يدلف الخطيب وهو واثق من نفسه تمام الثقة، متماسك القوى، قوي الإرادة، لأنه قد أحرز مادته، وخرم أفكاره، واستعدّ للمواجهة، ولبس للخطابة لامة التزال.

إن أول فشل الخطيب أن لا يعدّ كلاماً في صدره، ولا يهييء أفكاراً في خاطره، وربما ظنّ أن وقوفه أمام الناس كفيل بإثراء ذهنه بالمعلومات، وملء عقله بالأفكار، وهذا ليس بصحيح: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: الآية ٤٦].

والخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه، فهو يتكلم للناس لكن بعروق دمه وشرايينه وحشاياه، يتحدث عن الألم وهو أوّل المتألمين، يتوجّع لما حدث لا بلسانه؛ بل بجناناه فيظهر ذلك في خلجات صدره، وقسمات وجهه، ونبرات صوته، ولقناته وإشاراته.

ويتكلم عن البشري فإذا هو سعيد بما حدث، جذلان بما صار، يُسعد الناس بما يحمله هو في نفسه وخفاياه.

والخطيب المصقع موسوعة علمية، لا يضايقه الحديث عن أيّ جانب، بل هو كالسيل كلما وجد فراغاً ملاءه، وكلما صادف مكاناً منخفضاً أفرغ فيه جموحه.

يُطالِعُ كَثِيرًا، وَيَحْفَظُ كَثِيرًا، وَيَتَدَبَّرُ كَثِيرًا، يَسْبِكُ الْعِبَارَاتِ، فَيَجْعَلُ الْخُطْبَةَ كَهَيْكَلِ الذَّهَبِ، مَتَنَاسِقَةً، مَتَقَارِبَةً، لَا نَشَازَ فِيهَا وَلَا التَّوَاءَ.

وَالْخُطْبِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْرِيْبٍ سَابِقٍ، وَمِرَانٍ كَثِيرٍ، وَلَا يَكْفِيهِ أَنْ يُطالِعَ صِفَاتِ الْخُطْبِيِّ، أَوْ أَنْ يَقْرَأَ سِمَاتِ الْخُطْبَاءِ، بَلْ يَعِشُهَا هُوَ بِنَفْسِهِ، مُزَاوِلَةً وَدَرِبَةً وَمِرَانًا، كَالسَّبَاحَةِ تَمَامًا، فَإِنْ مَجَلَّدًا ضَخْمًا فِي طَرِيقَةِ السَّبَاحَةِ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا، مَا لَمْ يَتَوَجَّهَ الْإِنْسَانُ إِلَى النَّهْرِ لِيَغْمَسَ نَفْسَهُ فِيهِ مِمْتَثَلًا مَا قَرَأَ وَمَا عَلِمَ.

إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى بَذْلِ الْمَالِ وَالْجُودِ وَالْإِنْفَاقِ، فَهَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ فِي الْبَابِ، وَعَرَضْتَهَا عَلَى النَّاسِ أَنَّكَ تَحْصُلُ عَلَى مَا تَرِيدُ، كَلَّا بَلْ تَجْمَعُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ وَالْعِبَرَ وَالْأَفْكَارَ، ثُمَّ تَصْبِغُهَا بِعَوَاطِفِكَ وَجَاذِبِيَّتِكَ وَأَنْفَاسِكَ، ثُمَّ تَرَوِّضُ نَفْسَكَ عَلَى الْقَوْلِ، وَتَضَعُ نَفْسَكَ فِي مَكَانِ السَّمَاعِينَ، وَتَرَى هَلْ هَذَا الْكَرَمُ مُؤَثِّرٌ مُقْنِعٌ.

إِنَّ الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ لَيْسَ خُطْبَاءً؛ بَلْ حَدِيثٌ عَادِيٌّ وَلَيْسَ كُلُّ مُتَحَدِّثٍ خُطْبِيًّا، لِأَنَّ الْخُطْبَاءَ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرَ الْحَدِيثِ وَمَطْلُوقِ الْكَلَامِ.

وَالْأُمَّةُ تَحْتَاجُ إِلَى خُطْبَاءِ جِهَابِذَةٍ، يَمْلِكُونَ الْمَشَاعِرَ، وَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْعَوَاطِفِ، خُطْبَاءِ هَمَّهُمْ عَرْضُ الرِّسَالَةِ الْحَقَّةِ عَرْضًا قَوِيًّا مُؤَثِّرًا وَاصِلًا، خُطْبَاءِ يَشْرَحُونَ الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ بِحَرَارَةٍ وَجَاذِبِيَّةٍ وَانْدِفَاعٍ، خُطْبَاءِ يَجْلِجُلُونَ فِي الْمَجَامِعِ الْعَامَّةِ بِنَبْرَةِ الْحَقِّ وَنِعْمَةِ الصِّدْقِ وَكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ.

وَإِنْ قَطَاعًا هَائِلًا مِنَ النَّاسِ لَا يُقْنِعُهُ الدَّرْسُ الْهَادِيءُ الْوَدِيعُ، وَلَا يُبْهِجُهُ الْحَدِيثُ الْمُنْسَابُ الْخَافِئُ، وَإِنَّمَا يَهْزُهُ وَيَحْرِّكُهُ مِنْ أَعْمَاقِهِ ثَوَائِرُ خُطْبَاءِ صَقَعٍ، وَإِيقَاعَاتُ فُصْحَاءِ ذَلِقٍ، تَصِلُ أَصْوَاتُهُمْ إِلَى سُؤْيِدَاءِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَاقِ الْأَعْمَاقِ، وَإِنَّ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ دَوْرَ الْخُطْبَاءِ ضَخْلٌ، وَأَنَّ الصُّبْحَانَ وَالصُّجُوجَ لَا دَاعِيَ لَهُ أَخْطَؤُوا خَطَأً بَيْنًا وَغَلَطُوا غَلَطًا فَاحْشًا، لِأَنَّ أَحْطَبَ النَّاسِ هُوَ رَسُولُنَا ﷺ،

والذي أصلح بخطبه أمماً، وهدى بوعظه شعوباً، كان إذا خطب علماً صوته واحمرّ وجهه كأنه منذرُ جيش.

والناس مستويات ودرجات، فهذا يكفيه وضوح الفكرة وصفاء العرض، وذاك لا يفتت ذرات الالتواء والصدوف في نفسه، إلا لكّامات هائلة من الوغظ، وهدير متتابع من الخطب، ليتجيب لهذا النداء الصامد، ويدعن لهذا الخطاب الجارف الدامغ.

إن الحُشود تحتاج إلى خُطباء أقوياء مُؤهلين، يؤدّون واجب النصح ووظيفة الإقناع، لهم من سرعة البديهة ما يُنقذهم من ورطات المفاجأة، ولهم من رصيد التجارب ما يُسعفهم في الأحداث، ولهم من روعة الهِمَم ما يدعوهم إلى معالي الأمور.

والأمة اليوم تحتاج إلى دُور ومعاهد لتعليم الخُطباء وتخريج الفُصحاء، لتزرعهم في العالم، وتوزّعهم في المعمورة، يلهجون بذكر الله والدعوة إليه، وتحيب الناس في شرعه، وهذا مطلب سامٍ وهدف نبيل.

ويا ليت أن هناك دوراتٍ للخُطباء، واجتماعات سنوية لهم، ليتدارسوا أوضاعهم، ويتلافوا أخطاءهم، ويحسّوا من أحوالهم، والله المُستعان وهو الهادي إلى سواء المييل.

عائض بن عبد الله القرني

الرياض: ١٤١٣ هـ

\* \* \*

## أول ليلة في القبر

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾<sup>(١)</sup> [الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه أن يجعلوها بين يدي كلامهم؛ في أمور دينهم، سواء كان خطبة نكاح أو جمعة، أو غير ذلك.  
أخرجها أبو داود (٢٣٩/٢) رقم (٢١١٨)، والترمذي (٤١٣/٣) رقم (١١٠٥)، والنسائي (١٠٥/٣) رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه (٦٠٩/١) رقم (١٨٩٢)، والدارمي (١٩١/٢) رقم (٢٢٠٢)، وأحمد (٣٩٢/١)، (٣٩٣، ٤٣٢).

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار<sup>(١)</sup>.

• عباد الله :

فارقت موضع مرقي يوماً ففارقتني الكون  
القبرُ أولُ ليلةٍ بالله قل لي ما يكون

ليلتان اثنتان، يجعلهما كل ملحم في مخيلته؛ ليلة في بيته، مع أطفاله وأهله، مُنعماً سعيداً، في عيش رغيد، وفي عافية وصحة، يُضحك أولاده ويُضحكونه، والليلة التي تليها مباشرة، أتاه فيها ملك الموت، فوضع في القبر وحيداً منفرداً.

يقول: لما انتقلت من المكان الذي اعتدتُ عليه، إلى مكان آخر فارقتني النوم، فما بالك كيف تكون الليلة الأولى التي أوضع فيها في القبر!! حيث لا أنيس، ولا جليس، ولا زوجة، ولا أطفال ولا أموال.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾

[الأنعام: الآية ٦٢].

(١) هو من حديث لجابر - رضي الله عنه - قال فيه: إن النبي ﷺ كان يقول ذلك إذا خطب. رواه مسلم (٥٩٢/٢)، رقم (٨٦٧)، والنسائي (١٨٨/٣) رقم (١٥٧٨).

أول ليلة في القبر... بكى منها العلماء... وشكى منها الحكماء وصُنفت فيها المصنفات.

أول ليلة في القبر... أتيت بأحد الشعراء وهو في سكرات الموت، لدغته حية، وكان في سفر، فنسي أن يودع أمه، وأباه، وأطفاله، وإخوانه، فقال قصيدة يلفظها مع أنفاسه، تُعدُّ من أهم المراثي العربية، يقول وهو يزحف إلى القبر:

فَللَّهِ دَرِيٌّ يَوْمَ أَتَرَكَ طَائِعاً      بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّحْمَتِينَ وَدَارِيَا  
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهَمَّ يَدْفِنُونِي      وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

يقول: كيف أفارق أولادي في هذه اللحظة؟ لماذا لا أستاذن أبوي؟ أهكذا تُخَلِّس الحياة؟ أهكذا تذهب؟ أهكذا أفقد كل شيء في لحظة؟... ويقول أصحابي والذين يتولون دفني: لا تبعد، أي لا أبعدك الله، وهل هناك أبعد من هذا المكان، وهل هناك أوحش من هذا المكان، وهل هناك أظلم من هذا المكان؟!.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠].

كلا... الآن تُراجع حسابك... الآن تتوب... الآن تكف عن المعاصي. يا مُدبراً عن المساجد ما عرفت الصلاة، يا مُعرضاً عن القرآن، يا مُنتهكاً لحدود الله، يا ناشئاً في معاصي الله، يا مُقتحماً لأسوار حرمها الله... الآن تتوب؟. أين أنت قبل ذلك؟!.

أتى أبو العتاهية، يقول لسلطان من السلاطين، غرته قُصوره، وما تذكّر أول ليلة ينزل فيها القبر، ونحن نقول لكل عظيم، وكل متكبر، وكل متجبر، أما تذكّرت أول ليلة؟!.

هذا السلطان بنى قصوراً عظيمة في بغداد، فدخل عليه أبو العتاهية يهنته على تلك القصور فقال له:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ، أَلْفِينَ، ثَلَاثَةَ، سَالِماً مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْآفَاتِ، يَتَحَقَّقُ لَكَ مَا تَرِيدُهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلَذَّةٍ.

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

يَجْرِي عَلَيْكَ بِمَا أَرَدْتَ مَعَ الْغَدَقِ مَعَ الْبُكُورِ  
وَلَكِنْ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ:

فَإِذَا النَّفْسُ تَفَرَّغَتْ بِزَفِيرِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِناً مَا كُنْتَ إِلا فِي غُرُورِ

فبكى هذا السلطان.

### • أول ليلة في القبر:

وأنا أطلب نفسي وإياكم معاشر المسلمين، أن نهتيء لنا نوراً في قبورنا أول ليلة، ولا يُنير القبور، إلا العمل الصالح، بعد الإيمان بالله.

خرج النبي ﷺ إلى تبوك في غزوة... وفي ليلة من الليالي، نام هو وأصحابه. قال ابن معود رحمته الله: قمت في الليل، فنظرت إلى فراش الرسول ﷺ، فلم أجده في فراشه، فوضعت كفي على فراشه فإذا هو بارد، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم أجده، فالتفت إلى فراش عمر فما وجدته.

قال: فإذا بنور آخر المخيم في طرف المعسكر، فذهبت إلى ذاك النور، فإذا قبر محفور، والرسول ﷺ قد نزل في القبر، وإذا جنازة معروضة وإذا ميت قد سُجِّي في الأكفان، وأبو بكر وعمر حول الجنازة، والرسول ﷺ يقول لهما: «دُلِّيَا لِي صَاحِبِكُمَا»، فلما أنزلاه، وضعه ﷺ في القبر، ثم دمعت عيناه ﷺ، ثم التفت إلى القبلة، ورفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُمِيتُ عَنْهُ رَاضٍ فَارِضٌ عَنْهُ».

قال ابن مسعود رضي الله عنه : قلت مَنْ هذا؟ قالوا: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين؛ مات في أول الليل. قال ابن مسعود: فوددت والله أني أنا الميت<sup>(١)</sup>.

كان عمر بن عبد العزيز، أميراً من أمراء الدولة الأموية، يُغَيِّرُ الثوب في اليوم أكثر من مرة، الذهب والفضة عنده، الخَدَم والقصور، المطاعم والمشارب، كل ما اشتهى وطلب وتمنى تحت يده، وعندما تولّى الخلافة وأصبح مسؤولاً عن المسلمين، انسلخ من ذلك كله؛ لأنه تذكّر أول ليلة في القبر.

وقف على المنبر، فبكى يوم الجمعة، وقد بايعته الأمة، وحوله الأمراء والوزراء، والعلماء، والشعراء، وقواد الجيش، فقال: خذوا بيعتكم، قالوا: ما نريد إلا أنت، فتولّاها، وهو كاره، فما مرّ عليه أسبوع، إلا وقد هزل وضعف وتغيّر لونه، ما عنده إلا ثوب واحد، قالوا لزوجته: ما لعمر؟ قالت: والله ما ينام الليل، والله إنه يأوي إلى فراشه، فيتقلب كأنه ينام على الجمر، يقول: آه آه، تولّيت أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله، يسألني يوم القيامة الفقير والمكين، الطفل والأرملة.

قال له أحد العلماء: يا أمير المؤمنين، رأيناك وأنت في مكة، قبل أن تتولى المُلْك، في نعمة وفي صحة وفي عافية، فما لك تغيّرت؟ فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف، ثم قال هذا العالم وهو ابن زياد: كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام، يوم أُجَرَّد عن الثياب، وأتوسد التراب، وأفارق الأحباب، وأترك الأصحاب؟ كيف لو رأيتني بعد ثلاث... والله لرأيت منظراً يسوؤك.

فنسأل الله حُسن العمل...

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٢/٩): رواه البزار، عن شيخه عباد بن أحمد وهو متروك.

والله لو عاش الفتى في عمره  
متنعماً فيها بكل لذيذة  
لا يعتريه الهمُّ طول حياته  
ما كان ذلك كله في أن يفي  
ألفاً من الأعوام مالِك أمره  
متلذذاً فيها بِكُنَى قصره  
كلا ولا ترد الهمومُ بصدريه  
فيها بأول ليلةٍ في قبره

• فيا عباد الله :

ماذا أعدنا لتلك الليلة، والنبي ﷺ يقول: «القبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حُفرة من حُفر النار»<sup>(١)</sup>.

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا شيع جنازة بكى، حتى يُغمى عليه، فيحملونه كالجنازة إلى بيته. فقالوا له ذات مرة: ما لك؟ قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «القبر أول منازل الآخرة»<sup>(٢)</sup>، فإذا نجا العبد منه، فقد أفلح وسعد، وإذا عُدب فيه - والعياذ بالله - فقد خسر آخرته كلها.

والقبر روضة من الجنان  
أو حُفرة من حُفر النيران  
إن يكُ خيراً فالذي من بعده  
أفضل عند ربنا لعبده  
وإن يكن شراً فبعده أشد  
ويل لعبد عن سبيل الله صد

• عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم...

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذي (٥٥١/٤) رقم (٢٤٦٠). وقال: غريب. قال الهيثمي في المجمع (٣/٤٩): وأخرجه الطبراني، وفيه محمد بن أيوب بن سويد وهو ضعيف.  
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦٣/١).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

• أما بعد :

أتيت القبور فناديتها  
تفانوا جميعاً فما مُخْبِرٌ  
فأين المعظم والمحتقر  
فيا سائلي عن أناسٍ مَضُوا  
وماتوا جميعاً ومات الخبز  
تروخُ وتغدو بناتُ الشرى  
أما لك فيما مضى مُغْتَبِز  
فتمحو محاسنَ تلك الصُور

أتيت القبور... قبور الرؤساء والمرؤوسين، الملوك والمملوكين، الأغنياء والفقراء، استوت جميعاً عند الله - تبارك وتعالى - أرايت قبراً مُيِّزَ عن قبر؟ أُنزِلَ الملك في قبر من ذهب أو من فضة؟ والله لقد ترك مُلْكَه، وقصوره، وجيشه، وكل ما يملك، ولبس قطعة من القماش، كما نلبس، ولجَد له في التراب.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكباً والناسُ حولك يضحكون سروراً  
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

من الناس مَنْ عمل لهذا اليوم، فهم دائماً مُتَهَيِّئون للقاء الله، مُتَرَقِّبون للموت في كل لحظة. خرج رجل من الصالحين أعرفه، خرج بزوجه من الرِّياض يريد العُمره، وكانت زوجته صائمة قائمة وليَّة الله تعالى، وقبل السفر،

حدث شيء غريب، وهو أن هذه المرأة أخذت تودع أطفالها وتقبلهم، ثم كتبت وصيتها وهي تبكي، كأنه ألقى في خلدتها أنها ستموت.

ذهب الرجل بأهله واعتمر، وفي طريق العودة أتى الأجل المحتوم، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الرُّوم: الآياتان ٦، ٧].

انفجر إطار السيارة فانقلبت، ووقعت المرأة على رأسها، ولكنها شهيدة - إن شاء الله - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَبِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: الآية ١٦].

خرج زوجها من السيارة، ووقف عليها وهي في سكرات الموت تقول: لا إله إلا الله... محمد رسول الله... الله... الله... الله... الله ثم قالت لزوجها: عفا الله عنك، اللقاء في الجنة، بلغ أهلي السلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: الآية ٢١].

نسأل الله تعالى أن يجمع تلك الأسرة في الجنة إنه على كل شيء قدير.

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا  
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا  
إن كان قد عزز في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

عاد الرجل وحده إلى الرياض، فدخل بيته واستقبله أطفاله، وكان الموقف الرهيب... قالت له طفلة من بناته: أين أمي؟ فيجيب الرجل: سوف تأتي، فتقول الطفلة: لا والله لا بد أن أرى أمي، وعندئذ انهار الرجل ولم يتمالك نفسه، ولم يجد جواباً لابنته، فنقول لتلك الطفلة: سوف ترين أمك بإذن الله، سوف ترينها في جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين.

فاعمل لدارِ غداً رضوانُ خازِنِها  
 قصورُها دَهَبٌ والمِمْكُ طِبِئِها  
 الجارُ أحمدُ والرحمَنُ بائِها  
 والزعفرانُ حَبِثٌ نابِتٌ فيها

فيا إخوتي في الله... هل أعددتُم لأول ليلة في القبر؟ ويا شيخاً كبيراً احدودب ظهره، ودنا أجله، هل أعددت لأول ليلة؟ ويا شاباً غره شبابه وطول أمله، هل أعددت لأول ليلة؟ أيقظني الله وإياكم من رقدة الغافلين، وحشرنني الله وإياكم في زُمرَةِ الْمُتَّقِينَ.

### • عباد الله :

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥١)  
 [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاغْرُضْ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَمَنِّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (١/٢٨٨)، رقم (٣٨٤).

## الفريضة المهمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

• أيها المسلمون:

جاء إلى الرسول ﷺ، رجل أعمى فاقد البصر، لكنه نير البصيرة.

وهناك عمى لا طِبَ له ولا دواء!!... وهو عمى القلب، ﴿وَإِن مِّن مَّعْرِضٍ مَّا نُنزِّلُ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولَآئِكَ أَلَّا يَتَذَكَّرُوا﴾ [الرعد: الآية ١٩]. والعمى هنا عمى القلب.

أما الذي وَفَدَ على الرسول ﷺ، فرجل عميت عيناه، فأبصر بقلبه.

إِن يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيْ نَوْرَهُمَا      فِي فِؤَادِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نَوْرٌ  
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي عَوَجٍ      وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَسْلُورٌ

هذا الرجل الذي وفد على رسول الله ﷺ كان منارة من منارات التوحيد، قتل في المعركة، وقد استثنى الله العُمَيان من حضور المعارك، أما هو فقد باشر القتال، وقتل شهيداً في سبيل الله.

ذهب إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أنا رجل أعمى، وبينني وبين المسجد وإِدْمَسِيلَ، وأنا نائي الدار، وليس لي قائد يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي.

فرأى ﷺ المشقة، ورأى العذر واضحاً، فقال: «نعم»، ثم ولى الرجل، فانتبه ﷺ، كالذي نسي أمراً ثم تذكره، فقال: «عليّ به»، ماذا تذكر ﷺ؟! ما الأمر الذي طرق أحاسيسه، وأعاد الأعمى من أجله؟ إنها فريضة الجماعة، فقال للرجل: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم. قال: «فأجب»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «لا أجد لك رخصة»<sup>(٢)</sup>.

إنني لا أستطيع أن أرخص لك في ترك الجماعة، ولو كنت أعمى ولو كان بينك وبين المسجد وإِدْمَسِيلَ، ولو لم يكن لك قائد يقودك، ولو كان ما كان، ما دمت تسمع النداء، ويصل إلى قلبك هذا الوعي الربّاني، أجب فإني لا أجد لك رخصة.

(١) أخرجه مسلم (٤٥٢/١)، رقم (٦٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦٠/١)، رقم (٧٩٢). وأحمد (٤٢٣/٣) عن عبد الله بن أم مكتوم.

هذه ذكري للمتخلفين عن صلاة الجماعة، الذين ألتهم أموالهم وأهلوهـم عن ذكر الله، يجاور أحدهم المسجد ولا يزوره، ولو مرة واحدة في اليوم، ثم بعد ذلك يتشدق بإسلامه وبعقيدته الصحيحة، وربما ردّ على الدعاة وطبّبة العلم!!.

روى أحمد وابن ماجه والحاكم، وصحّحه عبد الحق الإشبيلي، أن الرسول ﷺ قال: «مَن سمع النداء فلم يأتِه فلا صلاة له إلا من عذر»<sup>(١)</sup>. أخذ المحدثون بهذه الأدلة فأوجبوا صلاة الجماعة، وأخبروا أنها لا تسقط إلا بعذر شرعي؛ من مرض ونحوه.

صفّ الرسول ﷺ أصحابه لصلاة العشاء، فوجد الصفوف قليلة فقام مُغضَباً وهو يقول:

«والذي نفسي بيده، لقد هممت بالصلاة فتقام، ثم أمر بحطب فيحتطب، ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم»<sup>(٢)</sup>. وزاد أحمد: «لولا ما في البيوت من النساء والذرية»<sup>(٣)</sup>.

فقد همّ ﷺ أن يحرق على المتخلفين عن الجماعة بيوتهم، وهذا من أعظم الزجر على ترك هذه الشعيرة العظيمة.

ورأيت في ترجمة رجل صالح أن صلاة الجماعة فاتته وما فاتته منذ أربعين سنة، فندم ندماً عظيماً، وتأسف أسفاً بالغاً، ثم قام يصلي وحده، فصلّى سبعاً وعشرين صلاة؛ لأنه سمع حديث النبي ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تفضل عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٦٠/١)، رقم (٧٩٣) وصحّحه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (٦٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٨/١). ومسلم (٥٤١/١) رقم (٢٥١ - ٢٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) وفيه نجيح أبو معشر السندي، ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (١٥٨/١). ومسلم (٤٥٠/١) رقم (٦٥٠).

فصلّى الصلاة التي فاتته سبعاً وعشرين مرة، ثم نام، فرأى في المنام خيالة يركبون على خيول عليهم ثياب بيض، ثم رأى نفسه على فرس وحده، يحاول أن يلحق بهم فلا يستطيع، فيضرب فرسه ليُدركهم فلا يقدر، ثم التفتوا إليه وقالوا: لا تحاول، نحن صلينا في جماعة، وأنت صليت وحدك!! .

وكان ﷺ يحث الأمة على صلاة الجماعة، وكان الصحابة يعتقدون أنه لا يتخلف عنها إلا مناقق معلوم التفاق.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «ولقد كان يُؤتى بالرجل يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

لما حضرت سعيد بن المسيّب - عالم التابعين - الوفاة، بكت ابنته عليه، فقال لها: لا تبكي عليّ يا بُنَيَّة، والله ما أذن المؤذن من أربعين سنة إلا وأنا في المسجد.

من أربعين سنة، لا يؤذن المؤذن إلا وسعيد بن المسيّب في المسجد ينتظر الصلاة، ينتظر النداء ليصلي مع المسلمين.

وكان الأعمش يقول: والله ما فاتني تكبيرة الإحرام مع الجماعة خمسين سنة.

فكيف لو علم هؤلاء الأخيار بالذين يختلسون الصلاة وينقرونها نقراً ولا يَتَمَوَّنون ركوعها ولا سجودها، كيف لو رأوا الأحياء وقد امتلأت بالسكان، ومع ذلك لا يصلي الفريضة في المسجد إلا الصفّ والصفان؟ .

(١) أخرجه مسلم (٤٥٣/١) رقم (٦٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠/١) رقم (٥٤٧)، والنسائي (١٠٦/٢) رقم (٨٤٧) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٧٠١).

أين هؤلاء الأبناء الثمانية أو السبعة في كل بيت؟ أين الشباب الذين نراهم وقد طفحت بهم المسك والأرصفة؟ أين الأجيال الذين نشاهدهم في النوادي والمُدَرَّجات والمُتَنَدِّيَّات؟

وجلجلة الأذان بكل حي  
ولكن أين صوت من بلال  
منائرکم علت في كل ساح  
ومسجدكم من العباد خال  
هذا إقبال شاعر الإسلام، يفتخر بالصحابة الذين فتحوا الدنيا بـ لا إله إلا الله فيقول:

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم  
والحربُ تسقي الأرض جاماً أحمر  
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا  
في مسمع الروح الأمين فكبروا  
يُرَوَى عنه رضي الله عنه عند الترمذي أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»<sup>(١)</sup>.

نحن شهود الله في الأرض، ولا نشهد بالإيمان إلا لمن يصلي معنا في المسجد كل يوم خمس مرات، أما رجل قريب من المسجد ثم نفوته الصلاة مع المسلمين فلا نشهد له عند الله يوم القيامة.

ما معنى لافتة الإيمان التي يدعيها أقوام، ثم هم لا يحضرون الصلاة في الجماعة؟ ما معنى الإيمان؟ وما قيمة الصلاة في حياتهم ثم إذا أمرت أحداً من هؤلاء أو نهيته زعم أنك تتهمه بالنفاق!!

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتهمون المتخلف عن الجماعة بالنفاق، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٥/٥) رقم (٣٠٩٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجه، (٢٦٣/١) رقم (٨٠٢). والدارمي (٣٠٢/١) رقم (١٢٢٣)، وأحمد (٦٨/٣، ٧٦) وضعفه الألباني، كما في ضعيف الجامع رقم (٥٠٩)... قلت: لأن في إسناده: دراج أبو السمح، ضعيف.

فأتى دين لهؤلاء الذين لا يعمرّون المساجد؟ وأتى إسلام لمن يسمعون النداء ثم لا يُجيبون؟

أحد المفسرين قال في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفّات: الآية ٣٥].

قال: هي في الذين لا يحضرون الصلاة في الجماعة!!.

فأين الأجيال؟ وأين شباب الأمة؟ والمساجد خاوية تشكو إلى الله - تبارك وتعالى.

كان عمر الفاروق رضي الله عنه إذا سمع النداء أخذ درّته فضرب بها الأبواب وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الشّصص: الآية ١٧].

كيف ترقى أمة لا تُحسِن المعاملة مع الله عزّ وجلّ؟ كيف تفلح أمة لا تقدّس شعائر الله؟ كيف تكون صادقة في الحرب، أو في التعليم، أو في التصنيع، أو في الحضارة، وهي لا تتصل بربّها في صلاة فرضها الله عليها؟ لقد اتهم أهل العلم من تخلف عن الجماعة بالتفاق والبُعد عن الله - تعالى - وأوجب المحدثون الجماعة، وجعلها بعضهم شرطاً في صحة الصلاة.

#### • فيا عباد الله:

كم تأخذ صلاة الجماعة من أوقاتنا؟! تِلْكُمْ الأوقات التي أضغناها في الأكل والشرب، والنوم، والمرح، إنها دقائق معدودة، يرتفع فيها المؤمنون، ويسقط الفجّرة والمنافقون، بها يُعرّف أولياء الرحمن من أولياء الشيطان، بها يتميّز المؤمن من المنافق.

فحافظوا - رحمكم الله - على هذه الصلوات حيث يُنادى بهنّ، عمروا المساجد، وتسبقوا إلى الصفوف الأول، واعلموا أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين  
فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

Obeliskandl.com

## شهيد المحراب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

• أيها الناس :

نتكلم اليوم عن «شهيد المحراب»، مَنْ هو شهيد المحراب؟ ولماذا قُتل؟

وكيف قُتل؟ وأين قُتل؟ ومن قتله؟

الزمن: صلاة الفجر.

المكان: مسجد الرسول ﷺ.

المقتول: عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

القاتل: أبو لؤلؤة المجوسي لعنه الله .

﴿وَلَا تَحْزَبَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ (١٦٩)  
 فَرِحِينَ يَمَّا آتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ [آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١].

### • أيها المسلمون:

من منكم لا يعرف عمر؟ من من الناس لم يسمع بعمر؟

السلام على عمر بن الخطاب في يوم الجمعة .

السلام عليه في هذه الساعة المباركة .

السلام عليه يوم أسلم .

السلام عليه يوم تولى .

السلام عليه يوم قُتِلَ شهيداً في سبيل الله .

السلام على عمر يوم يُعْتَضُّ حياً .

تردى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندسٍ خُضِرُ

ثوى طاهر الأزدان لم تبق بقعة ثوى غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

فتى كلما فاضت عيونُ قبيلة دماً ضحكت عنه الأحاديثُ والذُكُرُ

الرسول ﷺ يفرّ ثلاث رُؤى رآها في المنام، كلها لأبي حفص رضى الله عنه

وكلها صحيحة كالشمس .

الأولى: قال ﷺ: «بينا أنا نائم رأيت الناس يُعرَضون عليّ وعليهم

قُمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليّ عمر بن

الخطاب وعليه قميص يجزه». قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدين»<sup>(١)</sup>.

دينه يغطيه، دينه يستره، فلا يظهر منه إلا كل جميل، ولا يخرج من فيه إلا كل حق.

الثانية: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائم، أتيت بقدر لبن، فشربت، حتى أني لأرى الرّي يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»<sup>(٢)</sup>.

سبحان الله! رجل اجتمع له العلم والدين، فأني رجل هو؟!.

الثالثة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بيننا أنا نائم، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مديراً». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله<sup>(٣)</sup>؟

كيف يغار عمر من النبي ﷺ، وهو تلميذ من تلاميذه، وهو حنة من حسناته ﷺ؟

قُتِلَ هذا العظيم وهو يصلي في المحراب، والعُظَمَاءُ يُقْتَلُونَ دائماً؛ لتعلم الأمة أنهم عُظَمَاءُ، فتعيش على نهجهم، وتنظم من دمائهم نظماً زكياً تحيا به، وتبني من جماجمهم مَكْرُمَاتٍ ما كان لها أن تُبْنَى، وتجعل من أشلائهم قوّة تدفع بها المظالم.

(١) أخرجه البخاري (١١/١)، وأخرجه مسلم (٤/١٨٥٩)، رقم (٢٣٩٠). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١/٢٩)، وأخرجه مسلم (٤/١٨٥٩، ١٨٦٠)، رقم (٢٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٤/٨٥، ٨٦).

يقول أحد المسلمين من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام من الذين خاضوا المعارك، وتكثرت سيوفهم على رؤوس المارقين، وسالت دماؤهم نصرة لهذا الدين.

وهو ليس من الشباب الذين تكثرت أيديهم وأرجلهم يوم تزلجوا على الثلج في العطلات الصيفية، أو الذين قتلوا في ساعات السهر الحمراء، أو الذين تدرجت بهم مسارج الفن فوقوا على رؤوسهم: لا. إنما هو من شباب الجهاد وطلّاع الصّحوة.

يقول هذا الشاب:

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد      لنفسي حياةً مثل أن أتقدماً  
وليس على الأعقاب تدمي كلومنا      ولكن على أقدامنا تقطر الدما

هذا جيل محمد ﷺ، يؤازره، ويُعينه، أسلم ب ﴿طه﴾ [طه: الآية ١] وكان أجمل من الشمس في ضحاها، وأوضح من القمر إذا تلاها، تولّى الأمة فرعاه، وقادّ المسيرة وحبّاه. فمرحباً بعمر.

أسلم لما سمع: ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا نَذِيرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٢﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٤﴾ [طه: الآيات ١ - ٥].

وهل هناك إنسان يسمع إلى هذا الخطاب ثم لا يُسلم؟ هل هناك إنسان يفهم كلام رب البشر، ثم لا يسري هذا الكلام في ذرات دمه؟ فهم عمر هذا الخطاب؛ لأنه العربي القحّ، فسرى في دمه، وانتشر تيار الإسلام في كل جزئية من كيانه.

أسلم، ووضع يده في يد محمد ﷺ وعاهده، على ماذا؟ على الاستيلاء على أموال الناس بالباطل؟ على توسيع القصور والدور؟ على بناء الحدائق الغناء

والبساتين الفَيْحاء؟ على استغلال البشر وتخخيرهم؟ لا، إنما بايعه على الحق، والعدل، والميزان، بايعه على لا إله إلا الله.

(فكان عمر في كَفِّ الرسول ﷺ سيفاً مصلتاً يهزه للحادثات والمعضلات).

يقول العقَّاد: الفرق بين أبي بكر وعمر؛ أن أبا بكر عرف محمداً النبي أما عمر فقد عرف النبي محمداً.

أبو بكر عرف الرسول ﷺ، في جاهلية أبي بكر وبعد إسلامه، لكن عمر لم يعرف الرسول ﷺ إلا ساعة ميلاده يوم أسلم، فكان كلما رأى حدثاً، كلما رأى زنديقاً، كلما رأى مُعْتَرِضاً على الرسول ﷺ قال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه، ولو أذِنَ له الرسول ﷺ لقتل العشرات!! فهو لا يتأخر لحظة واحدة عن أمر رسول الله ﷺ.

ويموت الرسول ﷺ كما يموت البشر، لكن عمر رضي الله عنه لم يعترف بذلك، فقام رافعاً سيفه يقول: مَنْ قال إن محمداً عليه الصلاة والسلام، قد مات ضربت عنقه بهذا السيف!!.

ولكن يتأكد الخبر، ويتحقق النبأ، فيطيح عمر على وجهه مُغْمَى عليه، وكان قوي الجثة، صلب البنيان، متين الهيكل، ولكن أين قوته؟ أين عضلاته؟ أين بُنيانه؟ خَارَ في لحظة واحدة:

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها      بفضل ربك حصناً من أعاديها  
قل للملوك تنحوا عن مناصبكم      فقد أتى آخذ الدنيا ومُعطيها

كان عمر بن الخطاب يأخذ الدنيا في يوم، ويسلمها للفقراء في يوم.

تأتيه الموائد من الذهب والفضة على الجمال، وتدخل المدينة، وهو يصلي وفي بُزْدته أربع عشرة رقعة من الفقر والعوز.

هذا الرجل؛ يقضي على إمبراطورية هرقل، ويجعل عاليها سافلها، ولا يجد خبز الشعير ليأكله مع فقراء المسلمين.

يتولى أبو بكر الخلافة بعد الرسول، عليه الصلاة والسلام، فيقف عمر بجانبه كما وقف بجانب رسول الله ﷺ ويكون مستشاره ووزيره.

ويحين أجلُّ أبي بكر ﷺ فيكتب ولاية العهد لعمر ﷺ، يقول أبو بكر في كتابه لعمر ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر إلى عمر بن الخطاب، وأنا في أول أيام الآخرة، وآخر أيام الدنيا، فقيراً لِمَا قَدِمْتُ، غنياً عَمَّا تَرَكْتُ.

#### • أمّا بعد:

فيا عمر بن الخطاب، قد وليتكَ أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فإن أصلحتَ وعدلتَ، فهذا ظني فيك، وإن اتبعت هواك، فالله المُطَّلِعُ على السرائر، وما أنا على صُحبة الناس بحريص.

يا عمر... اتق الله لا يصرعَكَ اللهُ مَصْرَعاً كَمَصْرَعِي، والسلام.

وتولى عمر خلافة المسلمين، وبحث عن ميراث أبي بكر، فإذا هو ثوبان وبغلة، فبكى وقال: لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر!!

تولى عمر، وألقى خطبة عظيمة، بين فيها سياسته، وأوضح فيها واجباته تجاه الأمة، وسار في الناس سيرة عُمريّة ما سمع الناس بمثلها.

كتب عنه الفضلاء، وتكلم عنه العلماء، وتدارس سيرته الأذكياء؛ عمر يطوف المدينة، عمر رجل العمّة الأول، ينام الناس في عاصمة الخلافة ولا ينام، يشبع الناس ولا يشبع، يرتاح الناس ولا يرتاح.

كان ﷺ إذا هدأت العيون، وتلألأت النجوم، يأخذ درّته ويجوب سبك المدينة، علّه يجد ضعيفاً يساعده، أو فقيراً يعطيه، أو مذنباً يؤدّبه.

وبينا هو يمشي في ليلة من الليالي، إذا بامرأة في جوف دارٍ لها، وحولها صبيّة يبكون، وإذا قَدِر على النار قد ملأته ماء، فدنا عمر من الباب فقال: يا أُمَّة الله، ما بكاء هؤلاء الصبيان؟ قالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذا القَدِر الذي على النار؟ قالت: قد جعلت فيه ماء، هو ذا، أُعَلِّهم<sup>(١)</sup> به حتى يناموا، وأوهمهم أن فيه شيئاً.

فبكى عمر، ثم جاء إلى دار الصدقة، وأخذ غرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيق، وشحم، وسمن، وتمر، وثياب، ودرهم، حتى ملأ الغرارة، ثم قال لمولاه: يا أسلم، احمل عليّ. قال: يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك، فقال: لا أمّ لك يا أسلم، أنا أحمله، لأنني أنا المسؤول عنهم في الآخرة، فحمله حتى أتى به منزل المرأة فأخذ القَدِر، فجعل فيه دقيقاً و شيئاً من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده، وينفخ تحت القدر، قال أسلم: فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده، ويُطعمهم حتى شبعوا<sup>(٢)</sup>.

كان عمرو بن العاص والياً على مصر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائد بك من الظلم، فقال عمر: عذت معاذاً<sup>(٣)</sup>. قال: سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبقت، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين!!

لماذا يضربك؟ أهذا هو نهج الإسلام؟ أهذه هي العدالة المنشودة التي نزلت من فوق سبع سموات؟ أهذا ميشاق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سورة البقرة آية ٢١٥ [الفَاتِيحَة: الآية ٥].

(١) أُعَلِّهم: أشغلهم وأطعمهم.

(٢) قال الكاندهلوي: أخرجه الدينوري، وابن شاذان، وابن عساكر، عن أسلم، كذا في متخب الكنز (٤/٤١٥)، وهو في البداية (٧/١٣٦)، وأخرجه الطبري مع زيادات (٥/٢٠). انظر: حياة الصحابة (٢/٣٦٨).

(٣) عذت معاذاً: أي لجأت إلى ملجأ يحميك.

فكتب عمر رضي الله عنه إلى عمرو رضي الله عنه يأمره بالقدوم، ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟

ثم قال: خذ السوط فاضرب، فجعل المصري يضرب ابن عمرو بالسوط. ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين.

قال أنس: فضرب والله، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه. ثم قال عمر لعمر رضي الله عنه: مُدَّ كمْ تَعَبْتُمْ النَّاسَ، وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتِهِمْ أَحْرَارًا؟! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم، ولم يأتيني<sup>(١)</sup>.

تلك هي عدالة عمر رضي الله عنه وتلك مقولته الخالدة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

متى كانوا عبيدًا؟ متى كان هذا الإرهاب والاضطهاد؟

إذا كان هذا هو الميزان فما فائدة الإسلام؟ وماذا نفعل بالكتاب والسنة؟

وتستمر مسيرة عمر رضي الله عنه ويدخل عام الرمادة، سنة ثمانى عشرة للهجرة، فيقضى على الأخضر واليابس، يموت الناس جوعاً، فحلف عمر لا يأكل سمياً حتى يرفع الله الضائقة عن المسلمين، وضرب لنفسه خيمة مع المسلمين حتى يباشر بنفسه توزيع الطعام على الناس، وكان رضي الله عنه يبكي ويقول: الله يا عمر، كم قتلت من نفس؟! .

وهل قتل عمر أحداً؟ لا والله ما قتل، وإنما أحيأ الله به النفوس.

وقف على المنبر يوم الجمعة يبُزده المرقع، والله لو أراد أن يبني بيته من الذهب الخالص لاستطاع، ولو أراد أن يمشي من بيته إلى المسجد على الحرير والإستبرق لاستطاع، ولو أراد أن يجعل أسوار المدينة من الزبرجد لاستطاع،

(١) قال الكاندهلوي في حياة الصحابة (٢/٢٦): أخرجه ابن عبد الحكم عن أنس، كما في منتخب الكثر (٤/٤٢٠).

ولكنه يقف أثناء الخطبة، فيقرقر بطنه، أعاؤه تلتهب من الجوع، فيقول لبطنه: قرقر، أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

### • أيتها الناس:

هذا تاريخنا، فهل لنا تاريخ غير تاريخ عمر؟ بماذا نتكلم مع الأمم؟ بماذا نفتخر؟ بماذا نتصدى للهجوم البشع على الإسلام؟

يصلّي بالناس صلاة الاستسقاء، فلا يدرون ماذا يقول من البكاء، ويسأل الله أن لا يجعل هلاك الأمة في عهده، فينهلُ الغيث كالجبال، وتعود الحياة إلى المدينة.

يأتي الهرمزان - مستشار كسرى - لابساً تاجاً من ذهب وزبرجد، وعليه الحرير، يدخل المدينة، فيقول: أين قصر الخليفة؟ قالوا: ليس له قصر.

قال: أين بيته؟ فذهبوا فأروه بيتاً من طين، وقالوا له: هذا بيت الخليفة!! قال: أين حرسه؟ قالوا: ليس له حرس!!

يقول شوقي:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمَ فالحوادثُ كلهنَّ أمانُ

فطرق الهرمزان الباب، فخرج ابنه، فقال له: أين الخليفة؟ فقال: التموه في المسجد، أو في ضاحية من ضواحي المدينة، فذهبوا إلى المسجد، فما وجدوه، فبحثوا عنه، فوجدوه نائماً تحت شجرة، وقد وضع درّته بجانبه، وعليه ثوبه المرقع، وقد توسد ذراعه، في أنعم نومة عرفها زعيم.

وكانني بالهرمزان يتساءل في نفسه، أهذا عمر؟

أهذا الذي فتح الدنيا؟ هذا الذي دوّخ الملوك؟ هذا الذي داسَ جماجم الخونة؟ ينام تحت الشجرة؟ فانهدّ الهرمزان من الدهشة.

وقال: حَكَمْتَ فعدَلْتَ فِنَمْتَ يا عمر.

قال حافظ إبراهيم:

وراعٍ صاحبٍ كسرى أن رأى عمراً  
فوق الثرى تحت ظلِّ الدَّوحِ مشتملاً  
فقال قَوْلُهُ حقٌّ أصبحت مثلاً  
أمنتَ لَمَّا أقمتَ العدلَ بينهمو  
بين الرّعيّةِ عطلاً وهو راعيها  
ببُرْدَةٍ كاد طولُ العهدِ يبليها  
وأصبح الجيلُ بعد الجيلِ يزويها  
فإنمتَ نومَ قريرِ العينِ هانيها

ولمّا كان آخر ولايته ﷺ قدّم نفسه للمحاكمة، وجسمه للقصاص، وماله للمصادرة، وأعلن في الناس؛ إن كان خدع أحداً، أو ظلم أحداً، أو سفك دم أحد، فهذا جسمه، فليقتص كل واحد منه، فلما فعل ذلك ارتجّ المجد بالبكاء، وأحسّ المسلمون أنه يودّعهم، ثم نزل من على المنبر، واستودع الله الأُمّة، وكانت هذه هي آخر جمعة يلتقي فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﷺ بأمة محمد ﷺ؛ لأن مواعده كان مع المجرم أبي لؤلؤة المجوسي - لعنه الله -، وهذا ما سوف نستعرض له في الخطبة الثانية إن شاء الله تعالى.

أقول ما تمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليّ الصالحين، ولا عُدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقُدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
وسلم تسليمًا كثيرًا.

### • أيتها الناس:

يقول نبيكم ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لو ددت أن أغزو في سبيل الله  
فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»<sup>(١)</sup>.

هذا كلام القائد ﷺ فكيف يكون الجنود، هذا الأستاذ، فكيف يكون  
الطلاب، ينبغي أن يكونوا قِمَمًا من العِزّة والتضحية، وقذائف من البذل  
والعطاء.

وكان عمر رضي الله عنه دائماً ما يسأل الله الشهادة في سبيل الله - تبارك وتعالى.

حج عمر رضي الله عنه بالمسلمين آخر حجة له، ووقف يوم عَرَفَةَ، فخطب الناس  
خطبة عظيمة ثم استدعى أمراء الأقاليم وحاسبهم جميعاً أمام الناس، واقتض  
للناس منهم وبعد أن انتهى ذهب ليرمي الجمرات، فرماه أحد الحجّاج بحصاة  
في رأسه، فسأل دمه، فقال عمر: هذا قتلي، يعني أنني سوف أقتل.

(١) أخرجه البخاري (١٤/١)، وأخرجه مسلم واللفظ له (١٤٩٦/٣)، رقم (١٨٧٦) عن أبي

هريرة رضي الله عنه .

نعم سوف يُقتل، لا يموت كما يموت الذين أصابتهم التَّخمة، فكان موتهم بسبب كثرة ما أكلوا وشربوا، ولم يقدموا شيئاً.

قال سعيد بن المسيب - رضي الله عنه -: لَمَّا صَدَرَ عمر بن الخطاب من مِنى، أَنَاخَ بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ كَوَّم كَوْمَةَ بَطْحَاءَ، ثُمَّ طَرَحَ عَلَيْهَا رِداءَهُ، وَاسْتَلْقَى، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ كَبِّرْتَ سِنِّي، وَضَعَفْتَ قَوْتِي، وَانْتَشَرْتَ رِعْيَتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضِيعٍ وَلَا مَفْرَظٍ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمْ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكَتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، إِلَّا أَنْ تَضَلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا، وَضُرِبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْآخَرَى <sup>(١)</sup>!!.

قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتِلَ عمر - رضي الله عنه ..

علوٌ في الحياة وفي المَماتِ      بحقٌ أنتِ إحدَى المعجزاتِ  
وما لك تربةٌ فأقولُ تُسقى      لأنك مثل هطلِ الهاطلاتِ  
ولمَّا ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أن      يُواروا فيه تلك المَكْرُماتِ  
أساروا الجوَّ حولك واستعاضوا      عليك اليوم صوت النائحاتِ

رجع إلى المدينة، وهو يتمنى الشهادة، قالت له حفصة ابنته: يا أبتاه: موت في سبيل الله، وقتل في مدينة رسول الله ﷺ!! إن من أراد أن يُقتل، فليذهب إلى الثغور، فيُجيب عمر: سألت ربي، وأرجو أن يلبي لي ربي ما سألت.

أكفانهم بدماء البذل قد صبغت  
الله أكبر من سلسالها رَشَفُوا  
في كَفِّكَ الفهم من حبل الهدى طرف  
على الصُّراط وفي أرواحنا طرف

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٢٤)، رقم (١٠).

وصل عمر إلى المدينة، ورأى في المنام؛ أن ديكاً ينقره نقرتين أو ثلاث، فعبّروا له الرؤيا، فقالوا: يقتلك رجل من العجم، فقام وخطب الناس، وأخبرهم أنه سوف يغادر هذه الدنيا، وأن أجله قد اقترب.

تَأخَّرْتَ عَنْ وَعْدِ الْهَوَىٰ يَا حَبِيبِنَا      وَمَا كُنْتَ عَنْ وَعْدِ الْهَوَىٰ تَتَأَخَّرُ  
سَهْرِنَا وَفَكَّرْنَا وَشَابَتْ دَمُوعُنَا      وَشَابَتْ لِيَالِينَا وَمَا كُنْتَ تَحْضُرُ  
أَيُّهَا عَمْرُ الْفَارُوقِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ      فَإِنَّ جِيوشَ الرُّومِ تَنْهَىٰ وَتَأْمُرُ  
رِفَاقُكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ      وَجِيشُكَ فِي حَطِّينَ صَلَّوْا فَكَبَّرُوا  
نِسَاءُ فَلَسْطِينِ تَكْحَلْنَ بِالْأَسَىٰ      وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ قَاصِرَاتٍ وَقَصَّرُ  
وَلِيْمُونِ يَا فَا يَا بَسَّ فِي حَقُولِهِ      وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظُّلْمِ يُنْمِرُ

ودّع عمر الدنيا، ليس عنده شيء يورثه، عنده بيت من طين، وبغلته، وثوبه المرقع، ودوّزته هذه دنيا عمر.

فأين الأموال؟ وأين القصور؟ وأين الصولة والصلولجان؟ ولكن هناك عقيدة خالدة، ومبادئ رشيدة، تتعدى حدود الزمان والمكان، لأنها تنزيل من الحكيم الحميد.

صلّى عمر الفجر، وفي أثناء الصلاة، أتاه الفاجر أبو لؤلؤة المجوسي الذي ما سجد لله سجدة، فكانت نهاية هذا الطود الشامخ على يديه.

مولى المغيرة لا جادتك غادية      من رحمة الله ما جادت غواديها  
مرّقت خبير أديم حشوه همم      في ذمة الله عاليها ودانيها

انتهى عمر من قراءة الفاتحة، وبدأ يقرأ في سورة يوسف، وكان يحب أن يقرأ بها، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٨٤] بكى، وبكى الناس جميعاً، حتى سمع الشيخ من آخر الصفوف، ثم كبر راکعاً، فتقدّم الشقيّ إليه بخنجر مسموم، فطعنه بستّ طعنات، فوقع وهو يقول: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو ربّ العرش العظيم.

والغريب أن أكثر الناس ما شعروا، إلا بعد أن تقدّم عبد الرحمن بن عوف، فأكمل بهم الصلاة، لأن هذه الأمة كانت تصليّ والسيوف على رؤوسها في المعركة، كانت تصليّ والجيش ملتحمة في ساحة القتال.

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم والحربُ تسقي الأرضَ جاماً أحمرًا  
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مسمع الروح الأمين فكبروا

تقدّم ابن عوف فأكمل الصلاة بالمسلمين، وفزح الناس على عمر، أين صوت عمر؟ أين صوت الخليفة؟ أين الحبيب؟ أين العادل؟ أصبح في سكرات الموت، يسأل وهو في سكرات الموت: مَنْ قتلني؟ قالوا: قتلك أبو لؤلؤة المجوسي. قال: الحمد لله الذي جعل قتلني على يد رجل ما سجد لله سجدة. كان يسأل وهو في سكرات الموت: هل صليت؟ هل أكملت الصلاة؟ قال: لا. قال: الله المُستعان.

كلّ أمنياته أن يكمل الصلاة: ليلقى الله - تعالى - وقد صلى صلاة الفجر، لم يسأل عن ولاية ولا عن ولد، ولا عن بلد، ولا عن زوجة، ولا عن ميراث، وإنما سأل عن الصلاة، ولم يهدأ له بال حتى أتمها.

قال أحد الصحابة: ظننا أن القيامة قد قامت يوم قتل عمر...

مَنْ لجسم شفه طول النوى ولعين شفها طول الشهر  
جسد لف في أكفائه رحمة الله على ذاك الجسد

وضعوه في البيت، وأحضروا له وسادة، فنزعها وقال: ضعوا رأسي على التراب لعلّ الله أن يرحمني، وأخذ يبكي ويقول: يا مَنْ لا يزول مُلكه، ارحم من زال مُلكه.

وسلاطينهم سلوا الطين عنهم والرؤوس العظام صارت عظاما

ودعا عمر أطفال المسلمين، فدخلوا ليكون، فقبلهم واحداً واحداً، ومسح على رؤوسهم.

قدّموا له لبناً، فلما شربه، خرج من كبده، فقال: الله المُسْتَعَانُ.

ثم دخل الشباب، فحيّاهم، ورأى شاباً في ثوبه طول، فقال له: يا ابن أخي تعال، فدنا منه الشاب، فقال له عمر: ارفع إزارك!!.

يقول أحد الفضلاء:

أمير المؤمنين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو في سَكَرات الموت، دمه يخرج من دمه ومن بين أضلاعه، ويقول لهذا الشاب قصّر ثوبك!!.

فديتُنا كله لُبَاب، ليس فيه قشور، قال: ارفع إزارك فإنه أتقى لربك، وأتقى لثوبك، فذهب الشاب وهو يبكي لموت عمر رضي الله عنه.

دخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلقي كلمات الوداع، التي ما رأيت أصدق منها، إذا ودّع الحبيب حبيبه.

اتكأ علي بن عباس رضي الله عنه والدموع تفيض من عينيه، وأخذ يقول لعمر: يا أبا حفص، والله لطلالما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فأسال الله أن يحشرك مع صاحبيك».

قال عمر: يا ليتني أنجو كفافاً، لا لي، ولا علي، ثم أخذ يقول: الله الله في الصلاة. وسألهم وهو في الموت أيضاً: أين أُدْفَن؟ قالوا: ندفنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لا أُرْكِي نفسي، فما أنا إلا رجل من المسلمين استأذنوا عائشة في ذلك. فلما مات - رضي الله عنه - ذهبوا إلى عائشة رضي الله عنها واستأذنها في أن يُدْفَن مع صاحبيه، فقالت: قد هيأت هذا المكان لنفسي، لكن والله لأوثِرَنَ عمر به، ادفنه مع صاحبيه.

فجزى الله عمر عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، إنّا لله وإنّا إليه

راجعون.

## • أيها الناس:

هذه شخصية من شخصيات العالم الإسلامي، التي قدمها محمد ﷺ، إلى البشرية.

هذا خليفة راشد، هذا إمام عادل.

يقول علي، وعمر يُكفّن، قبل أن يُصَلَّى عليه: والله ما أريد أن ألقى الله بعمل رجل إلا بعمل رجل مثلك.

فألهم أربنا وجه عمر في الجنة، واحشرنا مع نبينا محمد ﷺ في مقعد صدق عند مليك مقتدر، واجمع بيننا وبينه كما آمنّا به ولم نره، ولا تفرّق بيننا وبينه حتى تُدخلنا مُدْخله.

## • أيها الناس:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على نبيك وحبيبك محمد ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## مدرسة الاستهزاء

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، بِحَمْدِهِ وَسَمْعِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَكُمْ رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

• أيتها المؤمنون:

خطبتنا هذا اليوم بعنوان: «مدرسة الاستهزاء»، وهي مدرسة قديمة، أنشأها الأفاكون المارقون لمحاربة الصالحين، عبر حقب التاريخ.

وقد عاش مرارتها وبأسها وقسوتها رسولنا ﷺ، لقد شوّه الأفاكون مسيرته، وتكلموا في عرضه، وأرادوا التَّيْل من مبادئه، وإحراق جهاده ودعوته.

فكان ﷺ يقوم في الليل مجروحاً، متأثراً، شاكياً إلى الله تعالى.

يخرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على أقدامه، يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، فلم يُجيبوه، فينصرف حزينا، فيأتي ظلّ شجرة، فيجلس، ثم يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقَلَّةَ جِلَّتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ؟ إِلَى عَدُوِّ يَنْتَجِهَنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضَبَانَ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعَ لِي. أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَّحَ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبِكَ، أَوْ يَحِلَّ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى<sup>(١)</sup> حَتَّى تَرْضَى وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

أذوه ﷺ وأبكوه وطردهوه وأخرجوه من أرضه وجرّدهوه من كل شيء وهو يُدافع عن دينه، ويذبّ عن مبادئه حتى إذا تعب أو كَلَّ، أتى الوحي من السماء يدمغ أنوف المارقين، ويفضح قلوب المُتَهَزِّئين.

جلس ﷺ مع أصحابه في المسجد يعلمهم ويُربّيهم ويُزكّيهم وانطلق شابٌ صغير مليءً بحكمة وإيماناً، اسمه عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، ودخل على عمّه، وهو شيخ كبير في الستين من عمره ولكن التفاق في قلبه كالجبال يصلّي مع الناس في المسجد ويصوم ويعتَمِر؛ ولكنه مُكذِّبٌ بالرسالة والرسول.

فقال عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ: يَا عَمَّاهُ، سَمِعْتُ الرَّسُولَ ﷺ يَخْبِرُنَا عَنِ السَّاعَةِ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهَا رَأْيِي الْعَيْنِ، فَقَالَ الْجَلَّاسُ بْنُ سُؤَيْدٍ وَهُوَ عَمُّهُ: يَا عُمَيْرُ، وَاللَّهِ إِنْ

(١) العُتْبَى: الرضى.

(٢) قال الهشيمي في مجمع الزوائد (٣/٣٨): رواه الطبراني وفيه ابن إسحق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

كان محمد صادقاً فنحن شرٌّ من الحمير فانتقع وجه عمير بن سعد واهتز جسمه وانتفض كيانه وقال: يا عم، والله إنك كنت من أحب الناس إلى قلبي، ووالله لقد أصبحت الآن أبغضهم إلى قلبي جميعاً.

يا عم، أنا بين اثنتين؛ إما أن أخون الله ورسوله، فلا أخبر الرسول ﷺ بما قلت، وإما أن أخبر الرسول ﷺ، وليكن ما يكون.

ولكن ما معنى كلمة الجلاس هذه؟ معناها: الكفر بـ: لا إله إلا الله، وعدم تصديق الرسول ﷺ والاعتراض عليه.

قال الجلاس بن سويد: أنت طفل غرّ لا يصدقك الناس، فقل ما شئت، فذهب عمير، وجلس أمام الرسول ﷺ، وقال: يا رسول الله، الجلاس بن سويد، خان الله ورسوله، وهو عمي، وقد تبرأت إلى الله ثم إليك منه. قال الرسول ﷺ: «وماذا قال؟» قال عمير: قال: لو كان محمد صادقاً، لنحن شرٌّ من الحمير!!.

فجمع الرسول ﷺ الصحابة واستشارهم في هذا الأمر، فقالوا: يا رسول الله هذا طفل صغير لا تصدقه فهو لا يعي ما يقول، والجلاس بن سويد يصلي معنا، وهو شيخ كبير وعافل، فسكت ﷺ ولم يصدق هذا الغلام.

وسالت دموع هذا الغلام، وانتفض جسمه والتفت إلى السماء؛ توجه إلى الذي يعلم السرّ وأخفى؛ ثم قال: اللهم إن كنت صادقاً فصدقني، وإن كنت يا رب كاذباً فكذبني، فوالله ما غادر مجلسه، ولا قام من المسجد إلا وجبريل ينزل بتصديقه من فوق سبع سموات ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: الآية 74].

واستدعى الرسول ﷺ الجلاس فسأله عن الكلمة فحلف بالله ما قالها، فقال ﷺ يقول الله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أما أنت يا جلاس، فقد كفرت بالله، فاستأنف توبتك، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [التوبة: الآية 74].

واستدعى الرسول ﷺ عُمير بن سعد وقال له: «مرحباً بالذي صدقه ربه من فوق سبع سموات»<sup>(١)</sup>.

ماذا يُستفاد من هذه القصة؟ ومن هذا السُّزد؟ يُستفاد أن هناك معكراً يسير مع الصالحين، ويصلي مع الصالحين، ويصوم مع الصالحين، وهو في الحقيقة مُكذِّب بالله ورسوله.

وظيفة هذا المعكر الوُلُوغ في أعراض الصالحين من العلماء والدعاة، كما تلغ الكلاب في الماء. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣١].

يقول المتنبى:

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
ما أبعد العيب والنقصان عن ملا هم الثريا وذان الشيب والهرم

إن المستقيمين على أمر الله، والطائعين والخائفين من الله تعالى من شباب الصَّحوة المباركة ومن دُعاتها، ومن علماء الأمة، وصالحِها ومن الذين يحملون سنَّته ﷺ كلَّ هؤلاء يُواجهون بحرب دعائية مُتعلَّلة لا هُوادة فيها، فهم يُوصفون بالتطرّف والتزمّت تارة، وبقلّة العقل والتشدّد والتنفير تارة، وتكليف الناس بما لا يطبقون تارة أخرى، وغير ذلك من عبارات الذمّ والتنقّص والاستهزاء. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية ٥].

إن أتباع محمد ﷺ لم يسرقوا أموال الناس ولا أراضيهم بالغصب والقوة.

إن أتباع محمد ﷺ لم يضايقوا الناس في أرزاقهم.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٦٣، ٤٦٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وابن المنذر.

إن أتباع محمد ﷺ لم يعطلوا مصالح الناس، ولم يستهينوا بالفقراء والمساكين، ولم يقفوا حجر عثرة في طريق المُستضعفين.

إنهم هم الذين يبينون الظلم، ويكشفون أوراقه ويقولون للظالم: اتق الله يا ظالم ويقفون مع الفقراء والمستضعفين والمستذلين حتى يأخذوا حقوقهم.

ومع هذا كله فإن صنفاً من الناس لا يعجبه هذا فيأخذ في إلحاق الوشايات بحملة الشريعة، وأساتذة الجيل، من القضاة، وأهل التمييز، والعلماء والقائمين على دواوين المظالم، وكتاب العدل، ونجوم الدعوة، وحملة السنة، وأساتذة الجامعات والمربين وأهل الفضل.

تريد هذه الطائفة من البشر أن تُسقط عدالة هؤلاء جميعاً؛ لأنهم صراحة يحملون دين الرسول ﷺ ويحمونه من كيد الكائدين وتحريف المبطلين ويؤلفونه غضباً طرئاً للأمة. فحذار أيها الناس من هؤلاء، حذار من الإنصات إليهم أو الحضور لهم أو مخالطتهم.

والحمد لله فإن أوراقتهم مكشوفة، فما رأيانهم إلا لاغين لاهين عابثين مُسرفين.

أسرفوا في الأموال وضيّعوها ولعبوا في الأوقات وبددوها وخاضوا في الأعراض وهتكوها، وكلما نصحت أحداً منهم، وصفك بالرجعية والغلظة والتزمت!!

حملة الشريعة يقومون الثلث الأخير من الليل ويحفظون كتاب الله ويعلمون الناس سنة النبي ﷺ.

أما هؤلاء فنجدهم يسهرون على اللعبِ المُحرمة، وعلى الأفلام الهابطة، وعلى الأغنية الخليعة.

يأكلون أموال الناس بالباطل، ويتفكّهون بالخوض في أعراض المسلمين.

فدخلهم حرام، وكلامهم حرام، وصمتهم حرام، وليلهم حرام، ونهارهم حرام، ولا يحرض أحدهم على تعلم آية من القرآن، أو من سنة من سنة سيد الأنام ﷺ، فهم في وادٍ والسنة في وادٍ آخر.

قام نفر في عهده ﷺ واتهموا الرسول ﷺ وأصحابه بأنهم جبناء لا يثبتون عند اللقاء وأنهم يأكلون كثيراً، قالوا ذلك وهم قافلون من غزوة تبوك، فاستدعاهم ﷺ، وسألهم وأعاد عليهم كلمتهم فقالوا: معذرة يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله - عز وجل - فيهم قرآناً يتلى إلى قيام الساعة:

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦].

لقد خرج هؤلاء النفر من الملة بسبب كلمة قالوها في حق محمد ﷺ وأصحابه.

ولست أدري ماذا يُعجب هؤلاء؟ وماذا يريدون لهذه الأمة؟ هل يريدون أن تتحول الأمة إلى أمة لاهية؟ لا تحمل رسالة، ولا تعرف هدفاً لها في الحياة!!

ماذا يريدون صراحة؟ وما الحل الذي يُرضيهم؟

إن تمسك الشباب بالسنة، بغضوهم إلى المجتمع، وحثروا منهم، ورموهم بالتهم والشائعات.

وشبابنا وشباب العالم الإسلامي الذي تمسك بالسنة، ورأى فيها مصدر عزته وكرامته، تاج على جبين هذه الأمة، لا تطرف، لا عنف، لا تشدد، لا غلو، لا تفریط.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٥٥، ٤٥٦)، وعزه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

أهؤلاء الشباب أفضل أم أولئك الذين خرجوا عن معالم الإسلام؟ فتراهم يملؤون الشوارع ويتمكعون في الطرقات، ويسافرون إلى المدن التي تُعرَف بالفساد، لينفقوا فيها أموال الأمة.

أهؤلاء الشباب أفضل أم أولئك الذين إذا حضروا ما أقاموا الصلاة؟ وإذا قرؤوا ففي غير المصحف، وإن شهدوا فبغير الحق، وإن استمعوا فإلى الحرام، وإن ذهبوا فإلى غير المساجد، وإن غضبوا فلغير الله؟

فأي الفريقين أحسن وأسعد وأقوم وأنفع؟ ﴿أَفَجَعَلَ الْمُتَّبِعِينَ كَالْمُبْتَدِئِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: الآيتان ٣٥، ٣٦].

لقد وجدنا الملتزمين أكثر الناس دفاعاً عن المبادئ، وعن البلاد الإسلامية فتراهم هناك في فلسطين، وفي أفغانستان وقد اختلطت دماؤهم بدماء الشعب الأفغاني المسلم، فهل هذا جزاؤهم؟ وهل هذه جريمتهم؟!.

لشأن ما بين البيزيدين في النداء  
يزيد بن عمرو والأغر بن حاتم  
فهمُ الفتى الأزدي إتلافُ ماله  
وهُمُ الفتى القيسي جمعُ الدراهمِ  
ولا يحسبُ التثمتامُ أنني هَجَوْتُهُ  
ولكنني فضلتُ أهل المكارمِ

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٦) [التوبة: الآية ٧٦].

ويقول أيضاً: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَيَّ شَيْطَانِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ وَيُؤْتِكُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ [البقرة: الآيات ١٤ - ١٦].

## • أيتها المسلمون :

قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته»<sup>(١)</sup>.

أقول ما تمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٠/٤) رقم (٤٨٨٠). والترمذي (٣٣١/٤)، رقم (٢٠٣٢) وقال: حسن غريب. وأخرجه أحمد (٤٢١/٤، ٤٢٤). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٩٨٤، ٧٩٨٥).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقُدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

• أما بعد... أيها الناس:

إن عادة ضعاف النفوس أنهم يتلقون الشائعات، ثم يفشونها في الناس،  
وينشرونها في المجالس، ولا يعرضون هذه الشائعات على ميزان الكتاب والسنة.

وقبل أيام انتشرت شائعة، أن مولوداً وُلِد، فلما وضعت أمه على الأرض  
تكلّم، وأخبر أن في هذا الشهر، سوف تقع حوادث ووقائع وكائنات، وأخذ  
يحذّر الناس من هذا الشهر، ثم ما لبث أن مات.

فماذا كان ردّ الفعل بعد سريان تلك الشائعة؟

رأينا أناساً من الذين نقص حظهم من العلم الشرعي، والفقهاء في الدين،  
خائفين وجليين من هذه الشائعة؛ فمنهم من جدّد توبته مع الله، تصديقاً لهذه  
الشائعة، ومنهم من أعلن أنه سوف يترك المعاصي، ومنهم من سهرت عينه فلم  
يتمّ خوفاً مما سوف يحدث من الوقائع والكوارث.

وهذه عجائب - والله - بعضها أدهى من بعض، قال تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ  
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ  
الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: الآية ٥٥].

وفي هذه القصة أمور:

أولاً: لا يعلم الغيب إلا الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [النمل: الآية ٥٦]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٩].

فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وحده، ولا يعلم بوقوع الكوارث ولا نزول العذاب إلا الله تبارك وتعالى وحده.

فليس لأحد أن يدعي أنه يعلم شيئاً من الغيب، إلا من أطلعه الله على ذلك من أنبيائه ورسوله، عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: ينبغي على أهل الإسلام، إذا حدث مثل هذه الشائعات، أن يعودوا إلى أهل العلم والدعوة، فيسألوهم عن هذه الأمور حتى لا يقعوا فيما حذر منه الشرع.

وقد قال تعالى عن المرجفين والمرؤجين للإشاعات، وأهل الإثارة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: الآية ٨٣].

فالواجب على المسلم أن يعود إلى أهل العلم فيما أشكل عليه، يسألهم مباشرة هذه الواقعة أو الشائعة.

ثالثاً: عجباً لهذه الأمة، لا تتوب إلا إذا سمعت بشائعة، ولا تعود إلى الله إلا إذا هُدِّدَت ببركان أو زلزال!!

كم أصابتنا من كوارث، وكم لدغتنا من عقارب، ومع ذلك فنحن في مكاننا لم نتعده ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَاصٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ [التوبة: الآية ١٢٦].

تجد الناس في الرخاء لاهين، لاعبين، يضحكون على أنفسهم، فإذا اشتدت بهم الخطوب، وظهرت الكوارث والمحن، أعلنوا عهداً جديداً مع الله،

ثم يعودون مرة أخرى بعد انتهاء المحنة إلى ما كانوا عليه من الغفلة والمعصية!!.

فها هم الآن قد صدقوا تلك الشائعة التي أذاعها مُرَوِّج كَذَابٍ، على لسان طفل رضيع، لم يتكلم، ولم ينطق، فأعلنوا أنهم سوف يحضرون الصلاة مع الجماعة، وسوف يحافظون على قراءة القرآن والذكر، وسوف ينتهون عن الكبائر والصغائر، حتى إذا بردت الشائعة وظهر كذبها، رُدُّوا لما كانوا، وعادوا إلى حالهم الأول.

### • أَيُّهَا النَّاسُ :

إن الواجب علينا جميعاً أن نتوب إلى الله عزَّ وجلَّ توبة نصوحاً، وأن نستعد للقائه سبحانه وتعالى، وأن نعبد الله عزَّ وجلَّ في السَّراءِ والضَّراءِ، وأن نُكثِرَ دائماً من ذِكرِ الموتِ، لأنه يمكن أن تكون وفاة الواحد منا قبل ذلك الوقت الذي حدَّته تلك الشائعة. فتجهَّزوا عباد الله للقاء ربكم، وتهيَّئوا ليوم العرض على خالقكم، ولا تغرَّركم الحياة الدنيا، ولا يغرَّركم بالله الغرور.

وبادرن بالتوبة النصوح      قبل احتضار وانتزاع الروح  
لا تحتقر شيئاً من المآثم      وإنما الأعمال بالخواتم  
ومن لقاء الله قد أحبَّ      كان له الله أشدَّ حبِّاً  
وعكه الكاره فإله أسأل      رحمته فضلاً ولا تشكّل

فالتوبة التوبة أيها الناس، والعودة العودة إلى الله، تصديقاً بالوحي، والتزاماً بالأمر، ومحبة لله تبارك وتعالى تفقَّهوا في الدين، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، جعلني الله وإياكم ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

### • عباد الله :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## المؤذن الأول

إنَّ الحمد لله، نحمده ونتبعه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها المؤمنون:

مَنْ هو المؤذن الأول؟ مَنْ هو أول مَنْ صدع بصوت الحق، على منارة الحق، في دنيا الحق؟

إنه المولى الضعيف المكين، الذي رفعه هذا الدين، فأصبح من ورثة جنة النعيم.

بلال بن رباح، اسم يحبه المؤمنون، وصوت تتعشقه آذان الموحدین.

ولا بد للمسلم أن يولد ميلادين، وأن يعيش حياتين؛ الأول: يوم ولدته أمه، والميلاد الثاني: يوم وُلد في هذا الدين.

وبلال رضي الله عنه وأرضاه، وُلد ميلادين، وعاش حياتين، وُلد مولى، أسره الجبارة، وسلطوا عليه سياط العنف والكبر والعنجهية، فكان لا حساب له، ولا رأي له، ولا تأثير في الحياة، وأخذ إلى مكة مفصولاً معزولاً عن أهله وأمّه، وعاش في مكة، عبداً ذليلاً.

وفجأة، صدح الرسول ﷺ بالحق هناك من على الصفا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وذهب ﷺ إلى سادات مكة، يدعوهم إلى الحق، فكفروا به، وكذبوه وآذوه وشتموه، فأنزل الله عليه ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْوَةِ وَالْعُتَيْبِ وَيُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية ٢٨] لا عليك من هؤلاء الكبار، إنهم ضغار عند الله، لا تعبأ بهم، ولا تعطهم شيئاً من وقتك، ما دام هذا صنعهم، ولا تظن أن الإسلام سوف ينتصر على أكتاف هؤلاء المتكبرين، ولكن كن مع الذين يريدون وجه الله والدار الآخرة، كن مع المساكين الفقراء، كن مع الضعفاء والمتضعفين، ابحث عنهم، وقربهم من مجلسك.

وبدأ الرسول ﷺ يبحث عن هؤلاء فوجدهم في عالم الضعف، وعالم الدل، وعالم المسكنة، وكان بلال رضي الله عنه أحد هؤلاء.

رأى بلال محمداً ﷺ فأحبه، والسر الذي زرعه الرسول ﷺ في القلوب هو الحب، لقد فجر محمد ﷺ أنهار الحب في قلوب أصحابه، حتى كان

الواحد منهم في المعركة، يقدم صدره أمام صدر الرسول ﷺ، ويتمنى أن ينشر جسمه بالمناشير، ويقطع إرباً إرباً، ولا يُشاك رسول الله ﷺ بشوكة ويقول: نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله .

إنه الحب الذي جعله الله في القلوب لهذا النبي العظيم، أحب بلال محمداً ﷺ، حباً استولى على سمعه وبصره وقلبه، فأصبح يتحرك بحب رسول الله ﷺ، يأكل وشخص الرسول ﷺ أمام عينيه، ويشرب والرسول ﷺ مائل أمامه، ولسان حاله يقول:

أحبك لا تسأل لماذا لأنني أحبك هذا الحب رأبي ومذهبي  
ويقول أيضاً:

أحبك لا تفسر عندي لصنوتي أفسر ماذا والهوى لا يُفسر

فلما أحبه شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأحب الدين؛ لأنه دين يكره الرق والعبودية لغير الواحد الأحد، ويكره الظلم ويحارب الظلمة.

فلما أسلم بلال رضي الله عنه، اجتمع عليه الجبابرة، وأذاقوه أليم العذاب؛ لتركه لا إله إلا الله فآبى، سجنوه، ضربوه، قيدوه بالجبال، جزّوه من قدميه، يأكل الحصى من لحمه وعظمه، ألقوه في الصحراء في حرّ الظهيرة والشمس ملتهبة؛ ليعود إلى الكفر فأبى، وقالها كلمة خالدة أبدية: أحد أحد.

من هو الواحد الأحد؟ هو الذي أرسل هذا الرسول، وأوجد هذا الإنسان وفرض هذا الدين.

لطموه على وجهه، فارتفع صوته متأثراً متأثراً مجروحاً: أحد أحد، ضربوه بالسياط حتى أكلت من لحمه ودمه وهو يُنشد أحد أحد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup> ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(٣)</sup>

إنها إرادة ينشئ لها الحديد، إنها المعجزة الكبرى التي أتى بها رسولنا ﷺ كيف حوّل هؤلاء الأعراب والموالي والرقيق من أناس فقراء مُستضعفين إلى كتائب تنزل الدنيا بلا إله إلا الله!؟.

يقول إقبال شاعر الإسلام:

وأصبح عابِدو الأصنام قِدمًا حُماةَ البيتِ والرّكنِ اليماني

ومرّ أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أمام بلال وهو يُعذّب، فقال لمولاه أمية بن خلف المجرم: أشتريه منك يا أمية، فقال أمية: خذه ولو بعشرة دنانير. قال أبو بكر: والله لو جعلت ثمنه مائة ألف دينار لا اشتريته منك، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، فأنزل الله: ﴿وَسَيَجْنِبُهَا آلُكَ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: الآيات ١٧ - ٢١]. أعتقه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو لا يريد منه جزاء ولا شكوراً، ثم ذهب به إلى الرسول ﷺ مُمزّق الثياب يتساقط دمه ولحمه من شدة التعذيب، فأخذه ﷺ واحتضنه، كما تحضن الأم طفلها، ودعا له وعينه مؤذنه الأول، أول مؤذن في التاريخ.

فكان كلما حان وقت الصلاة قام بلال يهتف: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... فتنتفض أجساد المؤمنين من صوته، كما ينتفض الجسد إذا صدمه تيار الكهرباء!!.

وكان كلما أهتم الرسول ﷺ أمر أو أصابه كَرْب، نادى بلالاً: «أرحنا بها يا بلال»<sup>(١)</sup>، فيؤذن بلال للصلاة.

كان يأتي للرسول ﷺ بماء الوضوء والعنزة، وكان يأخذ حذاءه في يده، ويرى أن ذلك شرف لا يعدله شرف.

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٦/٤) رقم (٤٩٨٥، ٤٩٨٦)، وأحمد (٣٧١، ٣٦٤/٥)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢).

وكان ﷺ يحبه ويؤذنيه منه، وسرى هذا الحب في قلب بلال فعوضه عن كل شيء عن أهله في الحبشة، وعن أقربائه وجيرانه وتاريخه هناك، ولكن كفى بحب محمد ﷺ.

وفي ذات يوم قال ﷺ لبلال: «حدّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دفّ نعليك بين يدي في الجنة».

الله أكبر، أي جائزة أعظم من أن يعرف إنسان أنه من أهل الجنة وهو لا زال يعيش في هذه الدنيا.

فُجِبَ بلال رسول الله ﷺ قال: «ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار، إلا صلّيت بذلك الطهور ما كتبت لي أن أصلي»<sup>(١)</sup>.

بلال من أهل الجنة، شهد أهل السنّة بذلك، لأن الرسول ﷺ شهد له بذلك.

كان ﷺ خفيف الجسم، ممشوق القامة، لونه أسود، وهذه قضية لا قيمة لها ولا وجود لها في الإسلام.

وكله ﷺ في غزوة من الغزوات بحراسة الجيش، وقال: «من يُوقظنا للصلاة؟ قال بلال: أنا يا رسول الله، فنام الجيش وقام بلال يصلي طيلة الليل، فلما كان قبيل الفجر، حدّث بلال نفسه أن يضطجع قليلاً ليستريح، فاضطجع فنام، وأتت الصلاة والرسول ﷺ نائم، والجيش نائم، وبلال نائم، حتى طلعت الشمس، وكان أول من استيقظ بعد طلوع الشمس أبو بكر ﷺ ثم عمر بن الخطاب ﷺ فرأى هذه المأساة، التي حدثت لأول مرة، وفي ذلك حكمة وهي عُذْر مَنْ غلبته عيناه فلم يستيقظ حتى طلعت عليه الشمس.

(١) أخرجه البخاري (٤٨/٢)، ومسلم (١٩١٠/٤) رقم (٢٤٥٨).

يستيقظ عمر، ويقترّب من الرسول ﷺ، ويستحيي أن يقول للمعلم العظيم: قم للصلاة، فالتلميذ لا ينبغي أن يقول ذلك لأستاذه، والطالب لا يقول ذلك لمعلمه، فأخذ عمر يقول - والرواية في البخاري: الله أكبر... الله أكبر، ويُعيد التكبير، حتى استيقظ الرسول ﷺ، فدعًا حبيبه ومؤذنه بلالًا وأجلسه أمامه، وقال له: «ما أيقظتنا؟» قال يا رسول الله: أخذ بعيني الذي أخذ بعينك، فتبسم الرسول ﷺ، ثم أذن بلال بعد طلوع الشمس، وصلى الرسول ﷺ، وصلى أصحابه معه<sup>(١)</sup>.

بينما كان الصحابة رضوان الله عليهم يجلسون في مجلس، فإذا أبو ذر رضي الله عنه يُعير بلالًا بأمه، قال له: يا ابن السوداء!! وهل في دستور الإسلام حمراء وسوداء وبيضاء، من هو الكريم عندنا؟ من هو المعظم في هذه الملة؟ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣]. إننا لا نعرف بالألوان، ولا بالأجناس، ولا باللغات، ولا بالبلدان، إنما نعرف ب: لا إله إلا الله، وبمقدار عبوديتنا لله عز وجل.

فغضب بلال رضي الله عنه من أبي ذر وقال له: والله لأرفعنك إلى خليبي رضي الله عنه ورفع أمره إلى رسول الله ﷺ، فغضب غضباً شديداً وقال له: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

إن رسول الله ﷺ يؤسس منذ أن بدأ دعوته هذا المبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ لا مال، ولا جاه، ولا نسب، ولا لون، ثم تأتي يا أبا ذر فتهدم ذلك كله: «إنك امرؤ فيك جاهلية» هكذا قال له رسول الله ﷺ.

(١) انظر صحيح البخاري (٤/١٦٨، ١٦٩)، وصحيح مسلم (١/٤٧٤، ٤٧٥) رقم (٦٨٢)، وسنن أبي داود (١/١١٨، ١١٩) رقم (٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٣)، ومسلم (٣/١٢٨٢، ١٢٨٣) رقم (١٦٦١) وليس فيهما ذكر بلال رضي الله عنه ولفظهما: «أن أبا ذر عير رجلاً بأمه».

فلماذا نُعَيِّرُ الناسَ بأجناسهم، أو ألوانهم، أو قبائلهم، إن هذه خطيئة كبرى في الإسلام، بل هي هَذَمٌ للقواعد التي بُنِيَ عليها هذا الدين.

ومضى بلال ولم يزد مع الأيام إلا رِفْعَةً، لأن الرسول ﷺ يحبه.

يُصَلِّي الرسول ﷺ العيد، ثم يتكئ على بلال، ويذهب فيخطب في النساء وهو متكئ على بلال؛ لأنه يحبه<sup>(١)</sup>.

وفي اليوم المشهود، يفتح الرسول ﷺ مكة في عشرة آلاف من أصحابه، يدخل فاتحاً منتصراً، فيرى الأصنام التي كانت تُعْبَدُ من دون الله، فيشير إليها بعصاه فتتناثر، وتتساقط، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: الآية ٨١].

وتحين صلاة الظهر ويجلس الناس جميعاً في صَرْحِ الكعبة المشرفة، ويقول ﷺ: «أين بلال؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «اصعد الكعبة وأذن من فوقها!! سبحان الله، أليس هذا انتصاراً للضعفاء؟ أليس هذا عدلاً بالمساكين؟ أليس هذا رفعاً لرؤوس المستضعفين؟ أليس هذا هو العدل بعينه؟ أن يقوم المولى الأسود يعتلي بيت الله بأقدامه، ليهتف بنداء الحق.

أين أبو جهل؟ في النار! أين أبو لهب؟ في النار! أين أبو طالب؟ في النار!.

وصعد بلال واستوى على الكعبة ليخاطب الدنيا، بشهادة الحق إلى يوم الدين، فلما أذن بكى الناس، ومَن الذي يرى هذا المشهد، ويرى هذه الصورة، ويسمع هذا الصوت، ويعيش هذه التفاصيل، ثم لا يبكي، شيء عجيب يوم الفتح الأكبر، الفاتح رسول الله ﷺ، الدين الإسلام، المؤذن بلال، ومَن بلال؟

(١) حديث أتكاه الرسول ﷺ على بلال في خطبة العيد، أخرجه مسلم (٦٠٣/٢)، حديث رقم (٨٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٢، ٩٣) ومسلم (١٤٠٨/٣) رقم (١٧٨١).

المولى الأسود، وأين يؤذُن؟ على سطح الكعبة المشرفة، وكان صوته جميلاً ندياً، يشجي القلوب، وتطرب له الآذان.

وبكى رسول الله ﷺ، سألت دموعه، لأنه تذكّر المعاناة، تذكّر الأيام العصبية التي عاشتها هذه الطائفة المؤمنة، وتذكّر فضل الله عليه وإنعامه بهذا النصر المُبين، لقد انتصر محمد ﷺ وها هو مولاه وحبّيه الذي كان مُطارِداً معذباً مُهاناً، أصبح المؤذُن الأول في التاريخ، وها هو صوت بلال ؓ يجلجل في هضبات مكة وأوديتها، يزلزل الدنيا ب: لا إله إلا الله.

ولكن بعض الذين انتكست عقولهم، ممّن لا يزال على الشّرك يقول في كِبَرٍ وَعُتُوٍّ: لا أظن الحياة تطول بي حتى أرى ذلك العبد الأسود ينعق كالغراب على الكعبة!!.

تبّاً لك أيّها المجرم الأثيم، أتشبه هذا السيّد بَغْرَابٍ ينعق؟ إنها عنجهية الكفر، وحبّ العلوّ الذي يسيطر على كثير من العقول إلى يومنا هذا.

وفجأة يموت الإمام، ولك أن تتصوّر رجلين متحابين، معلّم وتلميذ، إمام ومؤذُن، عاشا الحياة معاً، حلّوها ومرّها، سهلها وصعبها، ليلها ونهارها، وفجأة يموت الإمام، مات ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزّمر: الآية ٣٠].

لقد أظلمت الدنيا في عين بلال ؓ أمات النبي ﷺ؟ نعم، إلا أن دينه لم يمت، وعلى المؤذُن أن يستكمل الطريق.

ومع بزوغ الفجر، قام بلال ؓ ليؤذُن، قام ليؤذي مهمته التي كلّفه بها رسول الله ﷺ وبدأ بلال يؤذُن الله أكبر... الله أكبر.

ثم ينظر إلى المحراب فيجده خالياً من الإمام، فيلتفت إلى بيت الرسول ﷺ ولكنه ليس فيه، أصبح وحيداً، لا شيخ، ولا إمام، ولا رسول، فكيف يستطيع أن يُكْمِل، بأيّ عبارة يؤذي، أين صدره، أين قلبه، أين كيانه؟ ثم تحامل على نفسه وقال:

أشهد أن لا إله إلا الله . . . أشهد أن لا إله إلا الله؛ ولكن أتت قاصمة الظهر، أتت المعضلة التي لا يستطيع بعدها أن يتكلم ولو بكلمة واحدة، قال:

أشهد أن محمداً . . . ولم يستطع أن يكمل، بكى بكاءً شديداً، وبكى الناس جميعاً في بيوتهم في المدينة، النساء، والأطفال، والشيوخ، بكى المؤذن، اختنق صوته، لم يستطع أن يكمل، فنزل ورمى بجسمه على الأرض.

أين الإمام؟ مات الإمام، وبقي المؤذن.

أين الحب؟ ذهب الحب والعطف والرحمة.

إنها قاصمة الظهر . . .

وحضر الصحابة ليشهدوا ذلك المنظر، منظر المؤذن وهو ملقى على الأرض، يبكي بكاءً الكلى.

ما لك يا بلال؟ قال: لا أؤذن.

أتاه أبو بكر الخليفة، قال: ما لك؟ قال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ. قالوا: سبحان الله، من يؤذن لنا؟

قال: اختاروا لكم مؤذناً، وحمل إلى بيته ﷺ.

بنتم وبنًا فما ابتلت جوانحننا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

تكاد حين تُناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأسينا

إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي موافق الحشر نلتاكم ويكفينا

امتنع بلال عن الأذان، وذهب إلى بيته، وتبقى بقية أكملها في الخطبة الثانية إن شاء الله تعالى.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

• أما بعد:

فلا زال الحديث مع بلال رضي الله عنه ولا زال الحب لبلال رضي الله عنه ولا زال الذكر  
لبلال.

انتهى الفصل الأول، وقد أعفى خليفة المسلمين أبو بكر الصديق رضي الله عنه  
بلاّلاً من الأذان، تركه الصديق ليرتاح، لأن الإمام قد مات.

وتمرّ الأيام، ويفتح الله على المسلمين الفُتوح، ويذهب بلال رضي الله عنه يشارك  
بروحه وجمه ونفسه في إعلاء كلمة لا إله إلا الله، يصل إلى الشام فاتحاً  
مُقاتلاً، يجاهد المشركين، ويعلم الناس دينهم، و ينتظر المنيّة حتى يلحق بحبيه  
في الجنة.

وهنا مواقف مؤثرة، يتجلها التاريخ، ووقف أمامها، وأنصت لها.

جاء عمر من المدينة بدابته ومعه مولاه، ليدخل بيت المقدس، يذهب إلى  
هناك، بثوبه الممزق المرقّع، ولكنه يحمل الدنيا في يديه.

قل للملوك تنحوا عن مناصبكم فقد أتى آخذ الدنيا ومُعطيها

يأتي بهذا الثوب، ليصف العدل، ويمثّل حقوق الإنسان، ويُظهر الرحمة والقوّة في آنٍ واحد.

ويجتمع المؤمنون لهذا الفتح العظيم، الصحابة، وكبار الصحابة، وأهل العهد المكي، وأهل بدر، وأهل بيعة العقبة، أساتذة الدنيا كلها، جاؤوا لحضور هذا اليوم المشهود وتحين صلاة الظهر، فيتذكر عمر رضي الله عنه تلك الأيام الخوالي، التي عاشوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول عمر لبلال رضي الله عنه: أسألك بالله يا بلال أن تؤدّن لنا.

فقال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: أسألك أن تذكّرنا أيامنا الأولى.

فقال الصحابة: يا بلال اتقِ الله، سألك أمير المؤمنين.

فقام بلال، يتحامل على جمه، فقد أصبح شيخاً كبيراً، وارتفع صوته بالأذان، فإذا بصوت عمر رضي الله عنه يُسابقه بالبكاء، ثم بكى كبار الصحابة، وبكى الجيش كله، وارتج المسجد الأقصى بالبكاء.

إن بلالاً رضي الله عنه ذكرهم شيئاً، ذكرهم تاريخاً، ذكرهم معلماً وقائداً أحبهم وأحبّوه، فلا إله إلا الله ما أعظم الذكريات، ولا إله إلا الله ما أجمل تلك الأيام التي عاشها أولئك المؤمنون، يتمتّعون برؤية نبيهم صلى الله عليه وآله، ويتلقّون عنه الوحي من السماء.

وعاد بلال إلى الشام، وانقطع عن المدينة، بعد أن خلّت من نبيها صلى الله عليه وآله، وأصبح بلال شيخاً كبيراً وهناك أته الميّتة فأخذ يُنشد وهو في سكرات الموت:

' غداً نلقى الأحبة

محمدًا وحزبه

ومن الذي لا يفرح، وهو يعلم أنه بعد لحظات، سوف يلقى محمدًا صلى الله عليه وآله، وأبا بكر وعمر، والأخيار من الناس. نعم...

## غداً نلقى الأحبَّ مهدداً وحزباً

ومات بلال . . .

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْتَبَةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٧٩﴾  
وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٨٠﴾﴾ [الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠].

• وفي قصة المؤذن الأول دروس:

أولاً: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَوْنَ﴾ [الحجرات: الآية ١٣].

فالقرشي الذي عارض الرسالة في النار، والحبشي الذي آمن بالرسالة في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ.

ثانياً: إن هذا الدِّين لا ينتصر بكثرة العدد، ولا يعتمد على أصحاب المناصب والهيئات والأموال، ولكنه يبقى مكانه، ويأتي إليه من يحبه، يقول أبو جهل: كيف يهتدي بلال وأنا سيد بني مخزوم، وهو عبد قرشي؟ ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: الآية ١١]، والجواب ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٣]؟ بلى.

ثالثاً: تظهر من قصة بلال رضي الله عنه وغيرها من قصص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حنكة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعرفته بالفروق الذاتية لكل إنسان، واختلاف المواهب الشخصية والاستعدادات النفسية بين صحابي وآخر.

فقد أعطى الأذان لبلال لأنه الأصحح لذلك، وأعطى الراية لخالد في المعركة؛ لأنه سيف الله المحلول، والخلافة لأبي بكر، والقافية والأدب لحسان، ومدرسة الفرائض وتوزيع الموارث لزيد بن ثابت، والقضاء وهيئة الاستشارة لعلبي بن أبي طالب ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَتَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ٦٠]. وهذا الأمر يُفوتُ على كثير من المرَبِّين والدعاة والمعلمين.

رابعاً: إن مبادئنا تبدأ من بلال رضي الله عنه وإنها تعلن صريحة قوية من على المنابر، فليس عندنا أسرار، ولا شيء نُخفيه ونتكتم عليه، بل نحن واضعون وُضوح الشمس في النهار، قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: الآية ٩٤].

خامساً: مَنْ أراد أن يهدي الناس، فليزرع في قلوبهم الحب أولاً، فإذا استطاع ذلك، مَلَكَ زمام القلوب، فليفعل بها ما يشاء.

وإن مَنْ يتصور أنه سوف يهدي الناس بالعصا، وسوف يسوقهم بالضرب والشتم، فقد أخطأ سَواء السبيل، وقد أفلت الناس من يديه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

إن سر نجاح دعوته صلى الله عليه وسلم، أنه جعل الناس يحبونه حباً، تتقطع له القلوب، وتنقاد له الأجساد، فقد كان صلى الله عليه وسلم أباً لليتامى، ومُعِيناً للأرامل والمساكين، فأحبتهم القلوب، وعشقتهم الأفتدة، وانقادت له الأبدان.

#### • عباد الله:

صلوا على الإمام، وترحموا على المؤذن، اللهم صلِّ وسلِّم على نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا أرحم الراحمين.

## ما هي السعادة؟

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعيثُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الاحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيتها المسلمون:

عنوان هذه الخطبة «ما هي السعادة؟».

يبحث كل إنسان بكل ما أوتي من قوة عن السعادة فما هي السعادة؟ وأين توجد؟

هل السعادة مال وفير وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحراث؟

هل السعادة منصب يرفع العبد على الناس، فيصحبون له خدماً وخولاً؟

هل السعادة صحة الجسم، فلا يمرض، ولا يجوع، ولا ييأس؟

هل السعادة السلامة من الناس، والنجاة من غوائلهم ودواهيهم؟

لقد طلب السعادة أقوام من طرق منحرفة، فكانت هذه الطرق، سبباً لدمارهم وهلاكهم، وللعنة الله التي وقعت عليهم.

طلبها فرعون وتلاميذه في الملْك، ولكنه ملْك بلا إيمان، وتسلطن بلا طاعة، فتشذق في الجماهير ﴿وَوَادَّيْ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: الآية ٥١]. ونسي أن الذي ملَّكه هو الله، والذي أعطاه مصر هو الله، والذي جمع له الناس هو الله، والذي أطعمه وسقاه هو الله، ومع ذلك يجحد هذا المبدأ ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: الآية ٣٨]. فكان جزاء هذا العتو والتكبر والتمرد على الله، أنه لم يتحصل على السعادة التي طلبها، بل كان نصيبه الشقاء والهلاك واللعنة بعينها ﴿فَلَمَنَّهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: الآية ٢٥]. ويقول الله عنه وعن ملئه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: الآية ٤٦].

ويمنح الله قارون كنوزاً كالثلال ما جمعها بجهد، ولا بذكائه، ولا بعرقه، ولا بعبقريته، وظن أنه هو السعيد وحده، وكفر نعمة الله، وقد حذره ربه، وأنذره مولاه مغبة تصرفاته الوقحة، فأبى وأصر على تجريد المال من الشكر، والسعي في الأرض فساداً، فكان الجزاء المر ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿٨١﴾﴾ [الفصص: الآية ٨١].

وطلب السعادة الوليد بن المغيرة، فاتاه الله عشرة من الأبناء، كان يحضر بهم المحافل، خمسة عن يمينه، وخمسة عن يساره، ونسي أن الله خلقه فرداً بلا ولد ﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ﴿١٦﴾ [المذثر: الآيات ١١ - ١٦]. فماذا فعل، كيف تصرف؟ أخذ عطاء الله من الأبناء، فجعلهم جنوداً يحاربون الله، إلا من رحم ربك، فقال الله فيه: ﴿سَأُصَلِّيهُ سَقَرًا ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا يَقِي وَلَا نَذْرٌ ﴿١٨﴾ لَوَاعِمٌ لِلْبَشَرِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٢٠﴾﴾ [المذثر: الآيات ٢٦ - ٣٠].

وهذا يلتمس السعادة في الشهرة فيقضي ساعاته في توجيه الناس إليه، ليصبح مَحَطَّ الأنظار بزعمه الفاسد، وحديث الركب، وشاغل الدنيا، فيقتلعه ربك من جذوره، ويمحق سعيه ﴿فَأَمَّا الزُّبَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزعد: الآية ١٧].

وذاك يظن أن السعادة في الفَنِّ، الفَنِّ المتهتك الخليع الماجن، فيدغدغ الغرائز، ويلعب بالمشاعر، ويفتن القلوب، ويسكب الغرام في النفوس، فيحمله الله ذنوب من أغواهم، دون أن ينقص من ذنوبهم شيئاً، ويحجب الله السعادة عن كل من لم يعترف بألوهيته، ويدين بربوبيته، فيقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَلْبَسْنَا فَيَسِينًا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِّي ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: الآيات ١٢٤ - ١٢٦].

فأين السعادة؟ أين توجد لمن يبحث عنها؟ أين مكانها؟ من الذي أتى بالسعادة وأدخلها القلوب؟ إنه محمد ﷺ.

السعادة: الإيمان والعمل الصالح، وجدها يونس بن متى، وهو في ظلمات ثلاث، في بطن الحوت، في ظلمة اليم، في ظلمة الليل، حين انقطعت به الحبال، إلا حبل الله، وتمزقت كل الأسباب، إلا سبب الله، فهتف من بطن

الحوث، بلسان ضارع حزين: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الأنبياء: الآية ٨٧]، فوجد السعادة.

ووجدها موسى عليه السلام وهو بين زُكام الأمواج في البحر، وهو يمتعذب العذاب في سبيل الواحد الأحد: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَّدِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٦٢].  
ووجدها محمد، عليه الصلاة والسلام، وهو يُطَوَّق في الغار بسُيوف الكفر، ويرى الموت رأي العين، ثم يلتفت إلى أبي بكر ويقول مطمئناً: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠].

سهدت أعينٌ ونامت عيونٌ      في شؤونٍ تكونُ أو لا تكونُ  
فاطرح الهمَّ ما استطعت      فحملتُك الهموم جنونُ  
إن ربًّا كفاك ما كان بالأمس      سيكفيك في غدٍ ما يكون

ووجد السعادة يوسف عليه السلام، وهو يُسَجِّن سبع سنوات فيسألونه عن تفسير الرؤى، فيتركها، ثم يبدأ بالدعوة فيقول: ﴿يَصْحَجِي السِّجْنِ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَوْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: الآية ٣٩]، فيعلن الوجدانية، فيجد السعادة.

ووجدها أحمد بن حنبل في الزنزانه، وهو يُجَلِّد جُلْدًا، لو جُلِّدَه الجَمَل لَمَات، كما قال جلَّاده، ومع ذلك يصرَّ على مبدأ أهل السنَّة والجماعة، فيجد السعادة.

أما الذي جلده، وهو المعتصم، فلما حضرته سَكَرات الموت، رفع بساطه، ومرغ وجهه في التراب، وبكى وقال: يا مَنْ لا يزول مُلكه، ارحم مَنْ زال مُلكه. ثم يقول: لو علمت أنني أموت شابًا ما فعلت الذي فعلت من الذنوب.

(١) أخرجه البخاري (٤/١٩٠) ومسلم (٤/٢٣٠٩) رقم (٢٠٠٩).

ووجدها ابن تيمية، وهو يُكَبَّل بالحديد، ويغلق عليه السجان الباب، داخل غرفة ضيقة مظلمة، فيقول ابن تيمية: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣]. ويلتفت ابن تيمية إلى الذين هم خارج السجن، فيرسل لهم رسالة، وينشد لهم نشيداً، وينقل لهم نبأ وخبراً من السجن فيقول: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتني وبستاني في صدري، إن سرت فهي معي... أنا قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة!!.

ووجدها إبراهيم بن أدهم، وهو ينام في طرف السكك في بغداد، لا يجد كسرة خبز ويقول: والذي لا إله إلا هو، إننا في عَيْشٍ، لو علم به الملوك لجالدونا عليه بالسيف!.

هذه هي السعادة، وهذه أحوال السعداء، ولا يكون ذلك إلا في الإيمان والعمل الصالح، الذي بُعِثَ به الرسول، عليه الصلاة والسلام، فمن سكن القصر بلا إيمان، كتب الله عليه ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤]، ومن جمع المال بلا إيمان، ختم الله على قلبه ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، ومن جمع الدنيا، وتقلد المنصب بلا إيمان، جعل الله خاتمته ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

فيا طلاب السعادة، ويا عشاق السعادة، ويا أيها الباحثون عن الخلود في الآخرة، في جنات ونهر، لا يكون ذلك إلا من طريق محمد عليه الصلاة والسلام.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على  
البشير النذير، والسراج المنير، والهادي إلى رضوان ربّه، وعلى آله وصحبه،  
ومَن والاه ومَن تَبِعَهُ إلى يوم الدين.

• أما بعد:

فيقول المتنبي الشاعر:

أبني أبينا نحنُ أهل منازل      أبداً غرابُ البينِ فيها ينمقُ  
نُبقِي على الدنيا وما من معشرٍ      جمعَتْهُم الدنيا فلم يتفرّقوا  
أين الأكاسرةُ الجابرةُ الأولى      كَنَزوا الكنوزَ فلا بقين ولا بقوا  
من كلِّ مَنْ ضاقَ الفضاءُ بجيشه      حتى ثوى فحواه لَحْدُ ضَيْقُ  
خرسٌ إذا نُودوا كأن لم يعلموا      أن الكلامَ لهم حلالٌ مُطلقُ

قال أهل السَّيَر وأهل التاريخ: لَمَّا استقرَّ هارون الرشيد في الخلافة،  
وتولَّاهَا بعد أبيه، أنفق الكنوز والقناطير المقنطرة، في عمارة قصر على نهر  
دجلة؛ يدخل النهر من شمال القصر ويخرج من جنوبه، وَعَمَّر الحدائق التي  
تطل وتتمايل على النهر، ثم رفع الستور، وجلس للناس، فدخل الناس يهتئون  
بقصره وبحدائقه، وكان فيمن دخل أبو العتاهية، فوقف أمام هارون الرشيد وقال  
له:

عِش ما بدا لك سالماً      في ظلِّ شاهقةِ القصور

يقول: ليهنك العيش والسعادة، ودوام الصحة والعافية، في ظلّ هذا القصر، فارتاح هارون لهذا الكلام وقال: هيه، يعني زد، وقال:

بجري عليك بما أردت من الغدوّ مع البكور

يقول: يأتيك الخدم والجواري بالأطعمة والأشربة، وكلّ ما أردت صباحاً ومساءً قال: هيه. قال:

فإذا النفوسُ تفرَّغرتْ بزفير حَشْرَجَةِ الصُّدور  
فهنالك تعلمُ موقناً ما كنتَ إلا في غرور!!

قال: أعد. أعد. قال: فإذا النفوس تفرغرت، يعني إذا حضرت سَكَرات الموت، وحنَّ الأجل، وساعة الصفر، وبلغت الروح التراقي ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: الآية 27]، والثَّمَسَ الطيب، وذلك الذي يحيد منه العبد.

فإذا النفوسُ تفرَّغرتْ بزفير حَشْرَجَةِ الصُّدور  
فهنالك تعلمُ موقناً ما كنتَ إلا في غرور!!

يقول: إذا أتتك سَكَرات الموت، وأشرفت على الهلاك، سوف تعلم أنك كنت تضحك على نفسك، وأنت كنت تعبت كما يعبت الصبيان، قال: أعد، ثلاثاً، فردّ أبو العتاهية:

فإذا النفوسُ تفرَّغرتْ بزفير حَشْرَجَةِ الصُّدور  
فهنالك تعلمُ موقناً ما كنتَ إلا في غرور!!

فبكى هارون حتى وقع على الأرض، ثم أمر بالستور فهتكت، والأبواب فأغلقت، ونزل في قصره القديم، فلم يمض عليه شهر واحد، حتى أصبح في عداد الموتى.

هذا هو هارون الذي كان يصلي في اليوم مائة ركعة نافلة، ويغزو سنة، ويحجّ سنة.

وقصص الذين كانوا يبحثون عن السعادة، ولكنهم لم يُوفِّقوا لها كثير، فهذا عبد الملك بن مروان حَكَمَ العالم الإسلامي، طوله وعرضه، شرقه وغربه، ولكنه لما أتته سَكَرات الموت، نزل من على سرير الملك، لأن سرير الملك لرجل آخر غيره، لأنه لا يمكن أن يستمر عليه، فالله - تبارك وتعالى - وحده، هو صاحب المُلْكِ والمَلَكُوتِ، وهو وحده يعزل ويولِّي، ويملك ويخلع، ويُغني ويُفقر، ويُعطي ويمنع، ويُحيي ويميت.

نزل وسمع غَسَّالًا بجانب القصر في سعادة، وفي هناء، ما عنده مُلْك، ولا مشاغل، ولا مشاكل، وكان هذا الغَسَّال يُنْشِدُ نشيداً، وهو يغسل الثياب، فقال عبد الملك: يا ليتني كنت غَسَّالاً، يا ليتني ما عرفت الخلافة، يا ليتني ما تولَّيت المُلْك، ثم مات. قال سعيد بن المسيَّب، مُعلِّقاً على هذه الكلمات: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا في سَكَرات الموت، ولا نفرَ إليهم.

#### • أيها الناس:

مَنْ أراد السعادة فليلتمسها في المسجد، في المصحف، في السُّنَّة، في الذِّكْر، في التَّلاوة، في الهداية، في الاستقامة، في الالتزام، في أتباع محمد ﷺ.

#### • عباد الله:

صلُّوا على المعصوم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وأكثرُوا من الصلاة والسلام عليه فإنه يقول: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصِّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعَرِّضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أُرْمَتْ<sup>(١)</sup>؟ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هَزَّ وَجَلَ حَزْمٍ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أُرْمَتْ: أَي بَلَّيَتْ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٧٥/١) رَقْمَ (١٠٤٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٤٥/١) رَقْمَ (١٠٨٥)، وَالنَّسَائِيُّ (٩١/٣) رَقْمَ (١٣٧٤)، وَأَحْمَدُ (٨/٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمَ (٢٢١٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى هَذِهِ،  
وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

\* \* \*

obeyikandani.com

## هكذا فلتكن العدالة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٥، ٧٦].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها المؤمنون :

عنوان هذه الخطبة: «هكذا فلتكن العدالة».

أقدم اليوم رمزاً من رموز العدالة على مر تاريخ الإنسان، أقدمه لكم غضاً طرياً، وأنا أشعر بالحرَج، لأنني مهما قلت، فسوف أقصُر في سيرته وترجمته، إنه حياة لضمير الأجيال، إنه رمز لعدالة الإسلام.

كان والياً تحبه الرعية كأجل ما تحب الرعية الولاة، لأنه لم يفعل ما يدعو إلى السخط والبُغض، لأنه كان يتقي الله في أمة محمد ﷺ؛ لأنه جعل القرآن قائده، والتقوى رائده؛ لأنه كان يُعظّم سنة النبي ﷺ ويحب الفقراء والمساكين.

كان يحب أن يسمع الرأي الآخر والنصيحة، فسرى حبه في قلوب الأطفال، وفي قلوب العجائز، وفي قلوب الفقراء، وفي قلوب المساكين؛ ولكن لماذا اخترت هذا العنوان في هذا اليوم «هكذا فلتكن العدالة»، سمعت قبل أسبوعين، أخا القردة والخنازير - شامير - وهو يتهجم على العالم الإسلامي، ويصفه بأنه عالم ظالم، ليس فيه حوار ولا حرية، فأردت أن أظهر لذاك المجرم، صورة بزاوية وضيئة، لإمام عادل نفخر به على مر التاريخ.

من هو هذا العادل؟ أظن أنني لا أضيف جديداً هذا اليوم إذ حدثتكم عنه، وهل يخفى القمر؟ إنه مجدّد القرن الأول، إنه الرجل الذي لما مات، أمّت مدن الإسلام في مناحة وفي مصيبة وعزاء.

والمسلمون مصابهم متفرق في كل بيت رثة وزفير

إنه الرجل الذي قال فيه الإمام أحمد: ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز.

السلام عليك يا عمر بن عبد العزيز، وبيننا وبينك أكثر من ثلاثة عشر قرناً، السلام عليك اليوم وغداً وفي المستقبل، وحتى نلقى الله بك، وأنت رمز من رموز العدالة.

• أَيُّهَا النَّاسُ :

أنا لن أسرد حياته الشخصية، ولن أقدم ترجمة عن تفصيلات وجزئيات ما مرَّ به لكنني أصل بكم إلى سُدَّة الْحُكْم يوم أن تولَّى عمر كان شاباً مُتَرَفَّافاً من بني مروان، يُغَيِّرُ في اليوم الواحد ثيابه أكثر من ثلاث مرات، كان إذا مرَّ بسكَّة شَمَّ الناس طيِّبه، كان يسكن قصرأ في المدينة وعند والده قصر في الشام، وقصر في مصر، وقصر في العراق، وقصر في اليمن، وأراد الله لأمة محمد عليه الصلاة والسلام، خيراً فتولَّى الخلافة.

حضر وفاة الخليفة، فرأى كيف يصرَع الموت الوُلاة، وكيف يعقر الموت الملوك، وكيف يشدخ الموت رؤوس العُظماء.

رأى سليمان بن عبد الملك وهو مُنطَرِح على سرير الملك كالطفل ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤]. كان سليمان يعصره الموت عَصراً، وكان منطرحاً بين يدي ربه يقول: يا مَنْ لا يزول مُلكه ارحم مَنْ زال مُلكه، وكان يصرخ قائلاً:

أفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ      إِنْ بَنِيَّ فِتْيَةٌ صِغَارُ

يقول: يا ليت أبنائي كباراً، يتولون المُلكَ بعدي. فقد أفْلَحَ مَنْ كَانَ أَبْنَاؤُهُ كِبَاراً. قال عمر بن عبد العزيز أمامه: لا والله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٥﴾ وَذَكَرَ أَنَّهُ رَآهُ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى: الآيتان ١٤، ١٥]. ومات سليمان، وكتب الخلافة لرجل في كتاب سَرِي، لم يعلم بعد.

ولمَّا وازَى الناس جُثمان سليمان، قام رجاء بن حيوة أحد علماء المسلمين، فأعلن على المنبر أن خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين للعالم الإسلامي، عمر بن عبد العزيز.

فلما تلقَّى عمر بن عبد العزيز خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام

الناس، فأتى ليتحدّث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدّث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من المسجد.

يقول رجاء بن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية ونحن تبكي، هل تبكي معنا!!! ثم نزل، فقرّبوا له المراكب والموكب كما كان يفعل بسلفه، قال: لا، إنما أنا رجل من المسلمين، غير أنني أكثر المسلمين حملاً وعبثاً ومسؤولية أمام الله، قرّبوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدّق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين.

نزل عمر بن عبد العزيز في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وُلّيت أمر أمة محمد ﷺ وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً، ومن تركستان شمالاً، إلى جنوب إفريقيا جنوباً - قال: فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسلمي حليّك ودّهّبك إلى بيت المال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالى أمتّعك متاعاً حسناً، واذهبي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، والحياة حياتك، والموت موتك، وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفعه إلى ميزانية المسلمين.

ونام القيلولة في اليوم الأول، فأتاه ابنه الصالح عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أبتاه، تنام وقد وُلّيت أمر أمة محمد، فيهم الفقير والجائع والمكين والأرملة، كلهم يسألونك يوم القيامة، فبكى عمر واستيقظ - وتوفي ابنه هذا قبل أن يكمل العشرين -

عاش عمر رضي الله عنه عيشة الفقراء، كان يأتدّم خبز الشعير في الزيت، وربما أظفر في الصباح بحفنة من الزبيب، ويقول لأطفاله: هذا خير من نار جهنم.

يذهب فيصلّي بالمسلمين، فكان أول مرسوم اتخذه، عزل الوزراء الخَوَنة الظَّلْمَةَ العَشْمَةَ، الذين كانوا في عهد سليمان، استدعاهم أمامه وقال لشريك بن عرضاء: اغرُب عني يا ظالم رأيتك تُجْلِسُ الناس في الشمس، وتجلد أبقارهم بالسيّاط، وتجوّعهم وأنت في الخِيام والإستبرق.

واستدعى الآخر وقال: اغرُب عني والله لا تلي لي ولاية، رأيتك تقدّم دماء المسلمين لسليمان بن عبد الملك. ثم عيّن وزراءه وأمرأه من علماء وُصْلحاء المسلمين.

وكتب إلى علماء العالم الإسلامي رسالة، إلى مَنْ؟ إلى الحسن البصري، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وسالم بن عبد الله بن عمر؛ أن اكتبوا لي كتاباً انصحوني وعظّوني، قبل أن ألقى الله ظالماً، فكتبوا له رسائل، تتقطّع منها القلوب، وتشيب لها الرؤوس.

كتب له الحسن: يا أمير المؤمنين صُمّ يومك، لتفطر غداً. وقال سالم: يا أمير المؤمنين، إنك آخر خليفة تُؤلّى، وسوف تموت كما مات مَنْ قبلك. وخوّفوه ووعدوه.

وجعل سُمّاره سبعة من العلماء، يسمرون معه بعد صلاة العشاء، واشترط عليهم ثلاثة شروط:

الشرط الأول: ألا يُغتَاب مسلم.

الشرط الثاني: ألا يقدّموا له شكاية في مسلم، أي التقارير المُخزّية في أعراض المسلمين، وفي كلمات المسلمين، ومجالس المسلمين، أبي أن تُعرَض عليه أو تُرْفَع إليه.

الشرط الثالث: ألا يُمزَح في مجلسه، إنما يذكرون الآخرة وما قرّب منها، فكان يقوم معهم، وهم يبكون، كأنهم قاموا عن جنازة.

ثم صعد عمر رضي الله عنه المنبر وأعلن سياسة حكومته الجديدة، وأتّى بمزاحم مولاه، وهو مولى أسود، قويّ البنية، يخاف الله. قال: يا مُزاحم، والله إني

أحبك في الله، أنت وزيري. قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتك يوماً من الأيام تصلي وحدك في الصحراء صلاة الضحى، لا يراك إلا الله. ورأيتك يا مزاحم تحب القرآن فكن معي، قال: أنا معك. فاعتلى عمر بن عبد العزيز المنبر، وكان بيده دفتر، كتب فيه معلومات ضرورية، عن خطوط عريضة لدولته وخلافته، ووقف مزاحم بالسيف، والأمرء الظلمة من بني أمية، الذين أخذوا أراضي الناس، وبيوت الناس، وقصور الناس، وضربوا وجوه الناس، وأذوا الناس، جعلهم في الصف الأول. قال عمر: أولاً: هذا كتاب عبد الملك بن مروان، بإقطاعية الأراضي لكم يا بني مروان، وقد صدق الله، وكذب عبد الملك بن مروان، ثم قطع الضك، ثم قال: اثنتي بصكوك بني أمية، فسلم له صكاً للعباس بن الوليد بن عبد الملك، أخذ أرضاً شاسعة، يمكن أن تكون أرض مدينة، فأخذه بالمقصر فقضه كله وأتلفه، وقال: لا حق لك في ديار المسلمين، قال: يا أمير المؤمنين أعبد لي أرضي وإلا لي ولك شعري - يتهدده - قال: والله إن لم تسكت ليأتيني مزاحم برأسك الآن، فسكت، ثم أتى إلى الصكوك طيلة صلاة الجمعة، يشققها طولاً وعرضاً؛ لأنها صكوك بُنيت على الظلم.

واستمر به الحال على هذا المستوى، واستدعى مهاجراً أحد الوزراء، وقال: كن بجانبني، فإذا رأيتني ظلمت مسلماً أو انتهكت عرضاً، أو شتمت مؤمناً، فخذ بتلابيب ثوبي وقل: اتق الله يا عمر. فكان وزيره مهاجراً يهزه دائماً، ويقول: اتق الله يا عمر.

أما حياته الشخصية فحدث ولا حرج، كان إذا صلى العشاء دخل مصلاه، فيستقبل القبلة، ويجلس على البطحاء، يمرغ وجهه في التراب ويبكي حتى الصباح.

قالوا لامرأته فاطمة بعد أن توفي: نسألك بالله، أن تصفي عمر؟ قالت: والله ما كان ينام الليل، والله لقد اقتربت منه ليلة فوجدته يبكي وينتفض كما

ينتفض العصفور بلله القطر، قلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما لي!!  
تولّيت أمر أمة محمد، فيهم الضعيف المُجهد، والفقير المنكوب، والمسكين  
الجائع، والأرملة، ثم لا أبكي، سوف يسألني الله يوم القيامة عنهم جميعاً،  
فكيف أجيب؟!.

عليك سلامُ الله وقفاً فإنني رأيت الكريم الحرّ ليس له عمرُ  
ثوى طاهر الأردن لم تبقى بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبرُ

### • أيها الناس:

إذا لم نخرج بعمر بن عبد العزيز أمام العالم، فبِمَن نخرج؟ ما النموذج  
الذي نقدّمه إذا لم نقدّم هؤلاء؟

أتى إلى بيت المال يزوره، فشم رائحة طيب، فسدّ أنفه، قالوا: ما  
لك؟ قال: أخشى أن يسألني الله - عزّ وجلّ - يوم القيامة لمّ شمنت طيب  
المسلمين في بيت المال. إلى هذه الدرجة، إلى هذا المستوى، إلى هذا  
العمق.

دخل عليه أضياف في الليل، فانطفأ السراج في غرفته، فقام يُصلّحه،  
فقالوا: يا أمير المؤمنين: اجلس، قال: لا، فأصلح السراج، وعاد مكانه،  
وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز.

كان عالماً مجتهداً يفتي للمسلمين فتح الله عليه من فتوحاته؛ لأنه يتقي  
ربه، ويعدل في رعيته.

خرج في نزهة يوماً، فمروا به على حديقة من حدائق دمشق العاصمة،  
فوقف يبكي على سور الحديقة، قالوا: ما لك؟ قال: هذا نعيم منقطع، فكيف  
بجنة عرضها السموات والأرض؟ أواه، لا حرمنّا الجنة.

ومرّ يوم العيد، بعد أن صلّى بالمسلمين، وهو على بغلته، مرّ بالمقابر،  
فقال: انتظروني قليلاً - ذكر ذلك ابن كثير - انتظروني قليلاً، فوقف الوزراء،

والصلحاء، والأمرء، والناس، ونزل عن بغلته، فوقف على المقبرة التي فيها الخلفاء من بني أمية، والتي فيها الأغنياء، وقال:

أتيت القبورَ فناديْتُها      أين المعظم والمحتقر  
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ      وماتوا جميعاً ومات الخبر  
فيا سائلي عن أناس مضوا      أما لك فيما مضى مُعتَبَر

ثم وقف على طرف المقبرة وقال: يا موت، ماذا فعلت بالأحبة؟ يا موت، ماذا فعلت بالأحبة؟ ثم بكى وجلس ينتحب، حتى كادت أضلعه أن تختلف، ثم عاد إلى الناس، وقال: أتدرون ماذا قال الموت؟ قالوا: ما ندري؟ قال: يقول: بدأت بالحدقتين، وأكلت العينين، وفصلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، والركبتين من الفخذين.

باتوا على قُللِ الأمالِ تحرسهم      غلبُ الرجالِ فما أغتتهم القُللُ  
واستنزِلوا بعد عزٍّ من مساكنهم      إلى مقابرهم يا بشس ما نزلوا

وقف يوماً من الأيام وقال: والله لا أعلم ظالماً إلا أنصفتكم منه، ولا يحول بيني وبين الظالم أحد، حتى آخذ الحق منه، ولو كان ابني. قال الناس: صدقت.

كان يدور في ظلام الليل يسأل: هل من مريض فأعوده، هل من أرملة فأقوم عليها، هل من جائع فأطعمه؟ يقول أحد ولاته: ذهبت إلى إفريقيا، أوزع الزكاة، فوالله ما وجدت فقيراً في طريقي، لقد أغنى عمر بن عبد العزيز الفقراء، فما بقي فقير، ولا جائع، ولا مدين، ولا شاب أعزب!!.

كان يصلي الجمعة، فيقوم نوابه، معهم دفاتر بأسماء الناس، فيوزع الأعطيات على طلبة العلم، واليتامى، والمساكين، والمرضى، والأرامل، والمحتاجين، والمعوزين، فيهتفون بعد الصلاة: اللهم اسقِ عمر بن عبد العزيز

من سلسيل الجنة، ونحن نقول: اللهم اسقِ عمر بن عبد العزيز من سلسيل الجنة.

ضمِر جسمه بعد الخلافة، أصبح وجهه أصفر شاحباً، يقول أحد العلماء: والله لقد رأيت عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة المنورة، فرأيتَه بضاً، أبيض سميناً، فلما وُلِّيَ الخلافة، رأيتَه يطوف وقد رفع الإحرام عن جنبه، والله لقد كنت أعدّ عظام ساعديه من الضعف والضمور.

دخل عليه زياد المولى أحد العلماء، فرأى وجهه شاحباً باكياً، أثر الدموع في أجفانه، أثر الجوع والفقْر على خديه، ثوبه مرقع، قال: يا أمير المؤمنين: أين القصور التي كنت تكنها، والملابس التي كنت تلبسها، والنعيم الذي كنت تعيشه؟ قال: هيهات يا زياد، ذهب ذلك، لعلِّي تغيّرت عليك. قال: أي والله، قال: كيف بي لو رأيتني بعد ثلاث ليالٍ، إذا طُرِحْتُ في القبر، وقُطِعَتْ أكفاني، وسار الدود على خدي، وأكل عيني، ووقع التراب في أنفي، والله لقد كنت أشدّ تغيّراً مما تراه!!

وقف في يوم عيد الفطر يستقبل المسلمين، ويرحب بالمؤمنين، وإذا بكوكبة من الشعراء عند باب الغرفة، يريدون الدخول، قال له البوّاب: شعراء يريدون الدخول عليك على عادتهم السابقة عند الخلفاء - يدخل أحدهم بقصيدة خاطئة كاذبة، يمدح نفاقاً، يُثني بكلام مُجاملة، فيصف الخليفة بأنه محرّر الشعب، وبأنه كافل الأيتام، وبأنه أستاذ المشاريع، وبأنه دزة الأفق - فقال للبوّاب: مَنْ بالباب؟ قال: الفرزدق. قال: والله لا يدخل عليّ عدوّ الله وقد سمعته يتغزّل في بنات المسلمين. ومن الآخر؟ قال: الآخر نصيب. قال: ليس له عندي نصيب ولا يدخل عليّ؛ سمعته يفترى في شعره. ثم قال: ومن الثالث؟ قال: الأخطل. قال: حرامّ عايّ ابن النصرانية، أن يظأ بساطي. والرابع؟ قال: الرابع عمر بن أبي ربيعة. قال: أما أنّ له أن يتوب إلى الله؟ والله لا ترى عيني وجهه. ومن الخامس؟ قال: جرير. قال: إن كان ولا بد، فأدخل

جزيراً، فلما دخل قال له:

فما كعبُ بن مامةُ وابن سعدى بأفضلَ منك يا عمر الجوادا  
تعودُ صالحَ الأخلاقِ إنني رأيتَ المرءَ يلزم ما استمادا

قال عمر: اتق الله يا جرير، لا تكذب في شعرك، فإن الله سوف يسألك عن هذا. قال يا أمير المؤمنين: أعطني. قال: ما وجدت للشعراء في كتاب الله عطاء، إن كنت فقيراً أو مسكيناً أو ابن سبيل أعطيناك.

إنها مدرسة الجدّية، والنصح، والعمق، وعدم الضحك على الدّقون؛ أعرابي يدخل يمدح، ويأخذ الدنيا بما فيها، ويبقى الفقراء، يموتون جوعاً وعرياً على الأرصفة!!.

شاعر كذاب متملق، يمدح بشيء من الهراء يأخذ من المال ما يغطّي رأسه، والأطفال في حُجور أمهاتهم يتضوّرون جوعاً، لا يفعل ذلك عمر، إنه عاقل، إنه جهيد، إنه عبقرى.

قال جرير: أنا فقير، قال: خذ مائتي درهم من مالي، ليس من بيت مال المسلمين. قال جرير: فوالله لقد كان هذا المال أبرك مال رأيت في الحياة.

وأنت سَكَرَات الموت، أتدرون كم تولى الخلافة؟ ستين، لكنها عند الله - عزّ وجلّ - أفضل من قرنين، إنني أعرف أناساً في التاريخ، تولى الواحد منهم خمسين سنة، فلما مات لعنه المسلمون، وإن بعضهم تولى أربعين سنة، فلما مات بشر بعض المسلمين بعضهم بموته، فليس العمر بالكثرة، العمر بالبركة، تولى ستين، فأزال الظلم، فتح باب، فتح صدره، فتح عينه، فتح قلبه، ففتح الله عليه.

حضرتة سَكَرَات الموت، فجمع أبناءه السبعة أو الثمانية، فلما رآهم بكى واستعبر، ودمعت عيناه، ثم قال لأبنائه: والله ما خلفت لكم من الدنيا شيئاً، عنده غرفة واحدة، إن كنتم صالحين فالله يتولى الصالحين وإن كنتم فَجْرَة فلن

أعينكم بمالي على الفُجُور، تعالوا فاقتربوا فقبلهم واحداً واحداً، ودعا لهم، وكان قلبه يُسَلُّ من بين جوارحه، وخرج أبناؤه.

قال أهل التاريخ: أغفى التاريخ إغفاءة عن أبناء عمر بن عبد العزيز السبعة أو الثمانية، وقد خلف لكل واحد منهم اثني عشر درهماً فقط، وأما هشام بن عبد الملك الخليفة، فخلف لكل ابن من أبنائه مائة ألف دينار، وبعد عشرين سنة، أصبح أبناء عمر بن عبد العزيز، يسرجون الخيول في سبيل الله، مُنْفِقِينَ مُتَّصِدِّقِينَ من كثرة أموالهم، وأبناء هشام بن عبد الملك في عهد أبي جعفر المنصور، يقفون في مسجد دار السلام، يقولون: من مال الله يا عباد الله!.

إِنْ مَنْ حَفِظَ اللَّهَ حَفِظَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ضَيَّعَ اللَّهَ ضَيَّعَهُ اللَّهُ، هَذِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَمَرَ عُمَرَ أَبْنَاءَهُ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ أَطْفَالَهُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَمَعَ كُلِّ طِفْلِ يَخْرُجُ قَطْرَاتٌ مِنَ الدَّمْعِ تَسْقُطُ، وَقَالَ: ادْخُلُوا أَمْكَمَ عَلَيَّ، فَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ، فَوَدَّعَهَا، وَسَأَلَهَا أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ، وَأَنْ تَبْقَى عَلَى الزَّهْدِ وَعَلَى الْفَقْرِ، لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، إِنِّي أَرَى نَفْرَأَ، لَيْسُوا بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ، أَظَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، فَاخْرَجِي عَنِّي، فَخَرَجَتْ زَوْجَتَهُ، وَأَغْلَقَتْ الْبَابَ، وَدَخَلَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُبَاشِرَةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ عَفْوَهِ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ [فُضِّلَتْ: الْآيَاتُ ٣٠ - ٣٢]، مَاتَ عُمَرُ وَفَتَحَتْ زَوْجَتُهُ الْبَابَ فَوَجَدَتْهُ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ﴿١٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢١﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠].

«هكذا فل تكن العدالة». إنني مُقَصِّرٌ في سيرته وترجمته، عودوا إلى عمر، فَبُطُونُ التَّارِيخِ مَلِيئَةٌ بِذِكْرِهِ، قَدْ غَمَرَتْ فُضَائِلُهُ الْكُتُبَ وَالْمَوْسُوعَاتِ، رَحِمَ اللَّهُ

عمر بن عبد العزيز، رضي الله عن عمر بن عبد العزيز، جمعنا الله بعمر بن عبد العزيز في الجنة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العزيز الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله وليّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

• أما بعد... عباد الله:

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَحْمَدِ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرَّ مَنْ عَزَّوَا وَمَنْ هَانُوا  
مَنْ اسْتَجَارَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي فِزَعٍ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخُذْلَانٌ  
فَالزَّمْ يَدِيكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مَعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

صَحَّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَأَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامَ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup>.

هذه وصية رسول الله ﷺ لأتباعه وأنصاره، أن يتقوا الله تعالى، وأن يحفظوه في السر والعلانية.

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٩٣/١)، (٣٠٣، ٣٠٧). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

قال بعض الصالحين: إذا أردت أن توصي صاحبك، أو أخاك، أو ابنك، فقل له: «احفظ الله يحفظك» فالله - عز وجل - يحفظ أوليائه في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي أموالهم، وفي جوارحهم، وفي أعراضهم.

يحفظهم من مكر الأعداء، وكيد الحاقدين، وتدبير المارقين ﴿وَيُخَيِّئُ اللَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَعَاقِبَهُمْ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: الآية ٦١].

حفظ الله خليفه إبراهيم عليه السلام لما ألقاه قومه في النار، فأوحى الله إليها ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٩].

وحفظ الله نبيه وحببيه محمداً صلى الله عليه وسلم من كيد المشركين، الذين أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم فقد اجتمعوا في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل، قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا، فأجمعوا فيه رأياً. فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً حتى يموت!، فقال إبليس، وقد تنكر في زي شيخ نجدى: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يئبوا عليكم، فينزعه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأي، فانظروا إلى غيره، فتشاوروا. ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عتاً، فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عتاً وفرغنا منه. فقال إبليس: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك، ما أمئتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، وحلاوة منطقه، حتى يتابعوه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد. دبروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً، ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً، جامداً، نسيباً، وسيطاً

فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك، تفرق دمه في القبائل جميعاً. فقال إبليس: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا أرى غيره، فأجمع القوم على ذلك!!

فهل ترك الله نبيه ﷺ يفتك به هؤلاء المشركون؟ هل خذله أمامهم؟ هل أسلمه إليهم؟ كلا والله، لم يخذله، ولم يسلمه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٠].

أرسل الله جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ بخطة هؤلاء، بمكر هؤلاء، بتدبير هؤلاء، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبيت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كان الليل، اجتمع الفتيان الأشداء على بابه ﷺ يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه وثبة رجل واحد، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «نم على فراشي، وتسج<sup>(١)</sup> ببردِي؛ فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه».

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْعَكْبِيرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُمَّةً فَهِيَ إِلَى الْآدَامِ فَهُمْ مَقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: الآيات ١ - ٩]، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل، إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف<sup>(٢)</sup>.

(١) تسجى بالشوب: أي غطى به جسده ووجهه.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٣٧ - ١٤٠).

عناية الله أغنت عن مضاعفة من الدرّوع وعن عالٍ من الأطم  
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

لما فتح عبد الله بن عليّ العباسي دمشق، قتل في ساعة واحدة، ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الكبير!! ثم جلس للناس، وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحداً سوف يعترض عليّ؟ قالوا: لا، إن كان فالأوزاعي - والأوزاعي مُحدّث فُخل، إمام الدنيا، أمير المؤمنين في الحديث، كان زاهداً عابداً من رُواة البخاري ومسلم - قال: تعالوا به. فذهب الجنود للأوزاعي، فما تحرك من مكانه، قالوا: يريدك عبد الله بن علي. قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]. انتظروني قليلاً، فذهب، وَاغتسل، ولبس أكفانه، وتجهّز للموت، ثم قال في نفسه: قد آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق، لا تخشى في الله لومة لائم، قال الأوزاعي وهو يصف القصة:

فدخلت فإذا أساطين من الجنود، قد جعلوا على صَفّين، وقد سلّوا سيوفهم، فدخلت من تحت السيوف، حتى بلغت إلى عبد الله بن علي العباس، وقد جلس على سريره، وبیده خيزران، وقد انعقد على جبينه عقدة من الغضب. قال: فلما رأيته، كان أمامي كأنه ذُبابة. قال: فما تذكّرت أحداً؛ لا أهلاً، ولا مالاً، ولا ولداً، إنما تذكّرت عرش الرحمن، إذا برز للناس يوم الحساب!.

قال: فرجع بصره وقد ظهر عليه الغضب، ثم قال: يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية التي أرقتناها؟ قال الأوزاعي: حدّثنا فلان عن فلان... عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث؛ الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المُفارق للجماعة»<sup>(١)</sup>. فإن

(١) أخرجه البخاري (٣٨/٨)، ومسلم (١٣٠٢/٣، ١٣٠٣) رقم (١٦٧٦).

كان من قتلهم من هؤلاء، فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم، فدمائهم في عنقك.

قال الأوزاعي: فنكت بالخيزران، ورفعت عمامتي أنتظر السيف!! ورأيت الوزراء يتجمعون ثيابهم ويرفعونها حتى لا يصيبها الدم. قال: وما رأيك في الأموال؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب. قال: خذ هذه البدرية - كيس مملوء ذهباً - قال الأوزاعي: لا أريد المال. قال: فغمزني أحد الوزراء، يعني خذها. فأخذ الأوزاعي الكيس، ووزعه على الجنود، حتى لم يبق فيه شيء، ثم رمى به وخرج، فلما خرج قال: ﴿حَبَبْنَا اللَّهُ وَيَقَمُّ التَّوَكِيلَ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣] قلناها يوم دخلنا، وقلناها يوم خرجنا!! ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٤].

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا  
فأعاضنا ثمناً الذُّ من المنى  
أعظم بقوم بايعوا النِّفَارا  
جنات عدنٍ تتحفُّ الأبرارا  
يروي القريضُ وينظمُ الأشعارا  
فلمثل هذا قم خطيباً مُنشدّاً

• أيتها الناس:

احفظوا الله - عزَّ وجلَّ - بالرجوع إليه، والتوبة من الذنوب والمخالفات.

احفظوا الله - عزَّ وجلَّ - بالمحافظة على الصلوات حيث يُنادى بهنَّ في أوقاتها، بخشوعها، وخضوعها، بأركانها، وواجباتها، وسُنَّها.

احفظوا الله - عزَّ وجلَّ - بحفظ قلوبكم من النِّفاق والرياء، والحقْد والحسد، فقد قال نبيكم ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٩/١)، ومسلم (١٢١٩/٣، ١٢٢٠) رقم (١٥٩٩).

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦)  
 [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.  
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا  
 فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## ظالم من الدرجة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٧٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النساء: الآية ١١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

• أيها المسلمون:

عنوان هذه الخطبة «ظالم من الدرجة الأولى» من هو هذا الظالم؟ إن التاريخ لا يظلم أحداً، إذا نُقِلَ بأيدي أمينة، وإن ما فعله الظالمون، مُسَطَّر في

قلوب الأجيال، وهو عند ربّي في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسوف يوقفهم - سبحانه وتعالى - للقصاص ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩].

وهذا الظالم، سيرته تقشعر منها أبدان المؤمنين، تدمع منها عيون الموحدين، سيرة مؤذية، وقيحة ومُتِنَّة.

ذكره الذهبي في السّير فقال: نبغضه ولا نحبه، ونعتقد أن بغضه من أرثق عَزَى الدّين، ثم قال عنه: له حسنات منغمة في بحار سيئاته. وذكره ابن كثير فقال: فلان بن فلان، قبحه الله، هكذا يحكم عليه التاريخ، وقد هلك منذ قرون طويلة.

ولكنه سيقدم على الله، وسيحاسب عن كل ما فعل، وعن كل ما قدّم، وبما اتخذ من قرار، وبما سلب من أموال، وبما سفك من دماء، وبما أسكت من أصوات.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْبَاطِلُونَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٢]. ولماذا نراهم - يملئون الدنيا؟ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٣) مُهْلِكِينَ مُقْبِلِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٤﴾ [إبراهيم: الآيتان ٤٢، ٤٣].

لقد أخطأ هذا الظالم في حق الأمة الإسلامية، وظن أنه وال في دولة فارس أو الروم، وظلم نفسه أيضاً، ولكنه لا يستطيع أن يظلم ربه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٥٧].

سفك هذا الظالم الدماء الزكية، حجر على المفكر فكره، وعلى العالم علمه، وعلى الداعية دعوته، وعلى الأديب أدبه، وعلى المبدع إبداعه، وهذا من أعظم الظلم، الذي إذا وُجد في أمة، فهو أعتى ما يمكن أن يواجهها في حياتها.

إن الظلمة قد لا يقتلون الأنفس، وإنما يقتلون المبادئ والطموحات والإبداعات والموهب، فيتحقون بذلك غضب الله عزّ وجلّ وأليم عذابه ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يُخَذِّبُ اللَّهُ وَيَعْتَلُوكَ الْتَيْبِينَ بَعِيرٍ حَقٌّ وَيَعْتَلُوكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ  
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ [آل عمران: الآية ٢١] .

قال بعض أهل العلم: يدخل في ذلك مَنْ قتل رسالة الناس، ودعوة الناس، وعلم الناس، وإبداع الناس، وَحَجَّرَ على أفكارهم، يستحق هذا العذاب، طالما أن رسالتهم للإسلام، ودعوتهم للإسلام، وعلمهم للإسلام، وإبداعهم للإسلام، وأفكارهم للإسلام.

إن هذا الظالم الذي نتحدث عنه، قطع الأصوات كلها إلا صوتاً واحداً يمدحه، ويثني عليه، ويُغني له، ويسبح بحمده صباح مساء.

إن هذا الظالم الذي نتحدث عنه، قطع الأيدي كلها، إلا يداً واحدة تصفق له، أباد المواهب كلها إلا موهبة تقدسه وتعظمه.

والله إن العبد لَيَنْدَى جبينه خجلاً، ويفطر قلبه أسى، وهو يطالع ما وصل إليه العالم الإسلامي المعاصر، من تسلط الظلمة وأعداء الأمة. والذي نفسي بيده، للعالم الغربي على كفره، أرحم وأعدل من كثير من هؤلاء.

ونعود إلى أعظم ظالم عرفته الأمة؛ عادي العلماء؛ لأنهم حَمَلَةَ حق، وصاحَبَ السفهاء؛ لأنهم رُوَاد باطل، صادَمَ المُرَبِّين واللامعين والمُصلِحين، وقَرَب المهرجيين والمُبطِلين والفارغين.

مشكلة هذا الظالم أنه لا يستمع إلى نصيحة، ولا يقبل حواراً، ولا يحتمل معارضة.

مَنْ هو هذا الظالم؟ هل عرفتموه؟ هل مرّ بأذهانكم؟ هل سمعتم خبره؟

يقول هذا الظالم عن نفسه، قبل أن يموت بشهر واحد: رأيت في المنام كأن القيامة قامت، وكان الله برز على عرشه للحساب، فقتلني بكل مسلم قتله مرة؛ إلا سعيد بن جبير قتلني به على الصراط سبعين مرة.

أُتدرون كم قتل من أمة محمد، عليه الصلاة والسلام، لقد قتل منها الآلاف، وسجن الآلاف، ومنع الدعاة من الكلام، وحجر على العلماء، وأظلمت الدنيا في عهده.

خطب في الناس، وصلى بهم الجمعة، ثم مشى بجانب سجنه، فبكى المجنأ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء، علّه أن يسمعهم فيرحمهم، فسمعهم ثم قال لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُوا﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨].

يأتيه الشيخ الكبير، فيلعه أمام الناس، يقوم الناصح فينصحه فيزجره.

إنه الحجاج بن يوسف الثقفي، طاغية من أكبر الطغاة في تاريخ الأمة.

أراد الله أن يؤدب هذه الأمة بأمثال هذه القائمة السوداء، بسبب ذنوبها، وعتوها، وبأكلها الرُّبا، وخيانتها لميثاق الله تعالى، فوضع هذه الكوابيس على أكتافها لتعود إلى ربها.

دخل رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو خليفة فقال: يا أمير المؤمنين، ما بال الناس أطاعوا أبا بكر وعمر، ولم يُطيعوك؟ قال علي: لأن رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورعيتي أنا، أنت وأمثالك، جزاءً وفاقاً ﴿وَلَا يَظِلُّ رُكْبَكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

كان الحجاج يقرأ القرآن، ويلقي الخطب الرنانة، وكان يتحدث عن العدل ويمدح نفسه بذلك، ولكن كان سيفه مُشرعاً في وجه كل من يخالف، وكانت إبادته للحرّيات ماضية، واستيلاؤه على الحقوق نافذ.

ومع ذلك كان يصفق له المُبطلون، ويمدحه المادحون، ويشيد بعدله الشعراء والمنافقون.

• عباد الله:

نحن الآن أمام قصتين غريبتين مذهلتين، بين عبيدين صالحين وبين هذا الطاغية.

أتى هذا الطاغية إلى الحرم ليؤذي العمرة، وكثير من الظلمة، يتصور أنه إذا فعل ما فعل، ثم يأتي ويطوف بالبيت سبعا فقد مَحَا هذا بذاك وانتهت القضية، وهذا تصور ساذج للإسلام.

أما والله إن الظلم شؤم      وما زال المُسيء هو الظلوم  
إلى الدَّيَّان يوم الحشر نمضي      وعند الله تجتمع الخصوم

ذهب الطاغية يَعْتَمِر، وأخذ معه حراسة مشددة، لأنه يعلم أنه ظالم، ولما أتى مقام إبراهيم، وقف يصلي ركعتين، فوضع حرسه وجنوده السلاح والسيوف والزّماح والخناجر على الأرض. والذي يروي هذه القصة طاوس بن كيسان، أحد العلماء، قال: كنت جالسا عند المقام، فسمعت الجلبة، يعني الصوت والضجة، فالتفت، فرأيت الحجاج وحرسه، فقلت: اللهم لا تمتعه بصحته ولا بشبابه.

لا إله إلا الله، إن بعض العباد، يستولي على قلوب الناس، فيكسب دعاء العجائز في البيوت والأطفال في المهد، وهناك آخرون يكسبون بغض الناس، فيلعنهم الشباب والشيوخ، وتلعنهم الحوامل وما في بطونها، وتلعنهم دواب الأرض، وكان الحجاج من هذا الصنف.

فلما جلس الحجاج بعد أن أدى الركعتين، أتى رجل فقير من أهل اليمن، وقام يطوف بالبيت، ولم يعلم أن الحجاج بن يوسف عند المقام، وفي أثناء طواف هذا الفقير، نشبت حربة بثوب هذا الفقير اليمني، ثم وقعت على بدن الحجاج... ففزع الحجاج وقال: خذوه، فأخذه الجنود، ثم قال: قرّبوه مني، فقرّبوه منه، فقال الحجاج لهذا الفقير المعتز بالله: أعرفتني؟ قال: ما عرفتك.

قال الحجاج: من واليكم على اليمن؟

قال الفقير: محمد بن يوسف، أخو الحجاج، ظالم مثله!! أو أسوأ

منه!!.

قال الحجاج: أما علمت أني أنا أخوه؟

قال الفقير: أنت الحجاج؟

قال الحجاج: نعم.

قال الفقير: بش أنت، وبش أخوك!!

قال الحجاج: كيف تركت أخى في اليمن؟

قال الفقير: تركته بطيناً سميناً.

قال الحجاج: ما سألتك عن صحته، إنما سألتك عن عدله.

قال الفقير: تركته غاشماً ظالماً.

قال الحجاج: أما علمت أنه أخى؟ أما تخاف مني؟

قال الفقير: أظن يا حجاج أن أخاك يعتز بك، أكثر من عزتي بالواحد

الأحد؟

قال طاوس الراوي: والله لقد قام شعر رأسي، ثم أطلق الحجاج الرجل،

فجعل يطوف بالبيت، لا يخاف إلا الله!!

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثرى

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

وكان سعيد بن جبير إمام الدنيا في عهد الحجاج، وكان الإمام أحمد إذا

ذكره بكى وقال: والله لقد قتل سعيد بن جبير، وما أحد على الدنيا من

المسلمين، إلا وهو بحاجة إلى علمه.

قتله الحجاج، قتل ولي الله، الصوام القوام، محدث الإسلام وفقه الأمة،

وافتحوا كتب التفسير والحديث والفقه، فسوف تجدون سعيد بن جبير في كل

صفحة من صفحاتها.

كانت جريمة سعيد بن جبير، أنه عارض الحجّاج، قال له: أخطأت، ظلمت، أسأت، تجاوزت، فما كان من الحجّاج إلا أن قرّر قتله؛ ليُريح نفسه من الصوت الآخر، حتى لا يسمع من يُعارض أو ينصح.

أمر الحجّاج حرّاسه بإحضار ذلك الإمام، فذهبوا إلى بيت سعيد في يوم، لا أعاد الله صاحبه على المسلمين، في يوم فجع منه الرجال والنساء والأطفال.

وصل الجنود إلى بيت سعيد، فطرقوا بابه بقوة، فسمع سعيد ذلك الطرق المخيف، ففتح الباب، فلما رأى وجوههم قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]، ماذا تريدون؟ قالوا: الحجّاج يريدك الآن.

قال: انتظروا قليلاً، فذهب، واغتسل، وتطيّب، وتحنّط، ولبس أكفانه وقال: اللهم يا ذا الركن الذي لا يُضام، والعزة التي لا تُرام، اكفني شرّه.

فأخذته الحرّس، وفي الطريق كان يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله، خسر المُبتلون.

ودخل سعيد على الحجّاج، وقد جلس مُغضباً، يكاد الشر يخرج من عينه.

قال سعيد: السلام على من أتبع الهدى - وهي تحية موسى لفرعون.

قال الحجّاج: ما اسمك؟

قال سعيد: اسمي سعيد بن جبير.

قال الحجّاج: بل أنت شقي بن كسير.

قال سعيد: أمي أعلم إذ سمّني.

قال الحجّاج: شقيت أنت وشقيت أمك.

قال سعيد: الغيب يعلمه الله.

قال الحجّاج: ما رأيك في محمد ﷺ؟

قال سعيد: نبي الهدى، وإمام الرحمة.

قال الحجاج: ما رأيك، في علي؟

قال سعيد: ذهب إلى الله، إمام هدى.

قال الحجاج: ما رأيك في؟

قال سعيد: ظالم، تلقى الله بدماء المسلمين.

قال الحجاج: علي بالذهب والفضة، فأتوا بكيسين من الذهب والفضة،

وأفرغوهما بين يدي سعيد بن جبير رضي الله عنه.

قال سعيد: ما هذا يا حجاج؟ إن كنت جمعته، لتتقي به من غضب الله،

فنعماً صنعت، وإن كنت جمعته من أموال الفقراء كبراً وعتواً، فوالذي نفسي

بيده، الفزعة في يوم العرض الأكبر ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

[الحج: الآية ٢].

قال الحجاج: علي بالعود والجارية.

لا إله إلا الله ليالٍ حمراء وموسيقى والهه والأمة تلتظي على الأرصفة!!

فطرقت الجارية على العود وأخذت تغني، فسالت دموع سعيد على لحيته

وانتخب.

قال الحجاج: ما لك، أطربت؟

قال سعيد: لا، ولكنني رأيت هذه الجارية سُخِرَتْ في غير ما خُلِقَتْ له،

وعودٌ قُطِعَ وجُعِلَ في المعصية.

قال الحجاج: لماذا لا تضحك كما نضحك؟

قال سعيد: كلما تذكرت يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور

ذهب الضحك.

قال الحجاج: لماذا نضحك نحن إذن؟

قال سعيد: اختلفت القلوب وما استوت.

قال الحجاج: لأبدلتك من الدنيا ناراً تلظى.

قال سعيد: لو كان ذلك إليك لعبدتك من دون الله.

قال الحجاج: لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من الناس، فاختر لنفسك.

قال سعيد: بل اختر لنفسك أنت أي قتلة تشاءها، فوالله لا تقتلني قتلة، إلا قتلك الله بمثلها يوم القيامة.

قال الحجاج: اقلوه.

قال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

قال الحجاج: وجهوه إلى غير القبلة.

قال سعيد: ﴿فَأَيُّنَا يُؤَلُّوْا فَنَمَّ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٥].

قال الحجاج: اطرحوه أرضاً.

قال سعيد وهو يتبسّم: ﴿مِنَّا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيْدُكُمْ وَمِنَهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرٰى﴾ [طه: الآية ٥٥].

قال الحجاج: أضحك؟

قال سعيد: أضحك من حلم الله عليك، وجرأتك على الله!!

قال الحجاج: اذبحوه.

قال سعيد: اللهم لا تسلط هذا المجرم على أحد بعدي.

وقتل سعيد بن جبير، واستجاب الله دعاءه، فثارت نائرة بثرة<sup>(١)</sup> في جسم الحجاج، فأخذ يخور كما يخور الثور الهائج، شهراً كاملاً، لا يذوق طعاماً ولا

(١) البثرة: هي الخراج الصغير.

شرباً ولا يهنأ بنوم، وكان يقول: والله ما نمت ليلة إلا ورأيت كأنني أسبح في أنهار من الدم، وأخذ يقول: ما لي وسعيد، ما لي وسعيد، إلى أن مات.

مات الحجاج، ولحق سعيد، وغيره ممن قتل، وسوف يجتمعون أمام الله تعالى يوم القيامة، يوم يأتي سعيد بن جبير ويقول: يا رب سلّه فيم قتلني؟

يوم يقف الحجاج وحيداً، ذليلاً، لا جنود، ولا حرس، ولا خدام، ولا... ولا... ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا بِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: الآيات ٩٣ - ٩٥].

### • عباد الله:

إن نبيكم ﷺ كأنه علم أن ذلك سيحدث لأمته، ولأتباع ملته، فحذر أشد التحذير من الظلم.

قال ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فشق عليهم، فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من وآه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه، دون حاجته وخلته وفقره»<sup>(٢)</sup>.

إذا أغلق المسؤولون أبوابهم في وجوه ذوي الحاجات، فمن يحل مشكلة الفقير؟ من يسمع معاناة المكين؟ من يرفع الجوع عن الجائعين؟ أهو الذي يحتجب عنهم، ويغلق أبوابه دونهم؟ سوف يحتجب الله عنه يوم القيامة.

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٨/٣) رقم (١٨٢٨) عن عائشة.

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٥/٣) رقم (٢٩٤٨) عن أبي مريم الأزدي. وصححه الألباني - رحمه الله - كما في صحيح الجامع رقم (٦٥٩٥).

• أيتها الناس :

هذه سيرة فيها عبرة لمن يعتبر ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: الآية ١١١].

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٢].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإسراء: الآية ٧١].

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: الآية ٢٩].

﴿لِكُلِّ نَبْرٍ مُتَقَرَّرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٧].

سوف تعلمون عاقبة الظلم والقهر، يوم ينادي رب العزة ويقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية ١٦]، ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم يجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

### • أيتها الناس:

في سيرة هذا الظالم الذي تحدثنا عنه دروس:

أولها: أن الظلمة ولو كانوا يملكون أجساد الناس، وسيطرون على  
أموالهم، فإنهم لا يستطيعون أن يتحكموا في قلوب العباد، لأنها بيد الله وحده،  
فيجعل الله المحبة في قلوب الخلق لمن أحب، ويجعل البغض في قلوبهم لمن  
أبغض، ولو حاول الظلمة أن يكسبوا ودة الناس، لما استطاعوا؛ فإن الله كتب أن  
يجعل الود لأوليائه وأحبابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ  
الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مریم: الآية ٩٦].

وفي الصحيح قال ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل، فقال: إني  
أحب فلاناً، فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله  
يحب فلاناً، فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا  
أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً، فأبغضه، قال: فيبغضه  
جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً، فأبغضوه، قال:  
فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٠/٤) رقم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة.

فاحرص يا عبد الله أن تكون ممن وُضِعَ له القبول في الأرض، واعلم أن العبد مهما صغرت ولايته أو كبرت، فإنه سوف يقف أمام الله عز وجل وسوف يُحاسب على هذه الولاية، ولو كان يحكم بين اثنين، أو كان مسؤولاً عن مكتب صغير، أو مديراً لمدرسة، أو رئيساً لدائرة.

واجعل أمام عينيك نموذجين اثنين؛ عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل والحجاج بن يوسف الجبار الظالم، واسأل نفسك، مع من تحب أن تكون يوم القيامة.

ثانياً: إن من أعظم الظلم، قتل المواهب والإبداعات والرسالات، تأتي بالأديب، فتكسر قلمه أمامه، وتقول: لا تكتب أدباً، ولا تروي شعراً، تأتي بالعالم، فتسفه استنباطه واجتهاده، تأتي بالشاعر المحلم، فتقول: لا تشعر، لا تنظم، لا تقفي إلا بما أريد، هذا ظلم، وانتهاك للقيم.

ثالثاً: إن الأمة الإسلامية لم تعيش التخلف، ولم تحيا الاضطراب والرجعية؛ إلا يوم تكلمت بغير قناعتها، بحسب أهواء الظلمة، فالإنسان يقول قولاً، ويُناقضه من داخله، يكتب ثناءً، ويعلم أنه كاذب مُخادع.

وفي الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إذا رأيتم أمتي نهاب الظالم: أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم»<sup>(١)</sup>. يعني: سقطت من عين الله، فلا يحبها الله، ولا ينصرها، ولا يرفع قدرها.

رابعاً: ليخسر الظالم من الله، فإن لم يخش من الله، فليخش من التاريخ، فإنه يسجل ظلمه وبغيه، ألا يرى الظالم أننا ونحن في القرن الخامس عشر، نترحم ونبكي وندعو لبعض الأئمة العُدول الذين عاشوا في القرن الأول؟ وكذلك فإننا نغضب ونلعن أناساً جبارين عاشوا في نفس القرن. هل قدم لنا هؤلاء العُدول إحساناً؟ هل لنا مصلحة في الدعاء لهم؟ وهل وقع من

(١) أخرجه أحمد (١٦٣/٢، ١٩٠) عن عبد الله بن عمرو.

هؤلاء الظلمة إساءة علينا؟ لا، ولكنها سنة الله تعالى، وكما قال أبو تمام في  
أئمة العدل:

ذهبوا يرون الذكْرَ مجدداً ثانياً ومضوا يعدّون الثناء خلوداً  
نسب كان عليه من شمس الضحى ألقا ومن فجر الصباح عموداً  
خامساً: صلاح الرعية، صلاح الراعي، وبصلاح الرعية،  
وإذا علم الله من الرعية الصلاح، ولّى عليهم الأخيار، ورّقق قلوب الولاة  
عليهم، وجعلهم رُحماء عدول.

فإذا حادّت الأمة عن منهج الله، ابتلاها بأناس، يبركون على صدورها،  
فلا ترى النور، ولا تتفسر، ولا تتكلم، حتى تلقى الله بذنوبها وخيتها.

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يولي علينا خيارنا، وأن يصلح  
أئمتنا وولاة أمورنا، وأن يهديهم سواء السبيل، وأن يدلهم على الحق، ويجنبهم  
الباطل، وأن يرزقهم البطانة الناصحة الصالحة، وأن يصرف عنهم بطانة السوء.

• عباد الله:

وصلّوا وسلّموا - رحمكم الله تعالى - على من أمركم الله بالصلاة والسلام  
عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: «من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشراً»<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على نبيك وحييك محمد ﷺ واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في  
هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ومن  
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومثلك يا رب  
العالمين.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## رسول المساكين

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعيثُه، ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: الآية ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: الآية ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ مُحدثَةٍ بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

## • أيها المؤمنون:

عنوان هذه الخطبة: «رسول المساكين» وهو ﷺ، رسول إلى كل البشر، إلى الملوك والمملوكين، إلى الأغنياء والفقراء، إلى الكبار والصغار، إلى الرجال والنساء.

لكنني أريد اليوم أن أقف معه ﷺ وهو يتعامل مع المساكين، يقف معهم، يرحمهم، يعلمهم، يرفع من شأنهم، يعيش مأساتهم وظماهم وجوعهم، ودموعهم يستجيب لأمر ربّه القائل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

وهل كان ﷺ يطرد الفقراء؟ وهل كان ﷺ يُبعد المساكين؟ لا. ولكن للآية قصة.

أتى كُبراء مكة وصناديدها من الذين عثت الجاهلية في رؤوسهم، فأوا الرسول ﷺ جالساً في الحرم، وحوله بلال، وصهيب، وعمّار، وابن مسعود، وكلهم مساكين وفقراء، فقال أبو جهل: يا محمد، إن كنت تريد أن تجلس معك، فاطرد هؤلاء الأعبد، حتى تجلس معك، فهم الرسول ﷺ أن يفعل طمعاً في إسلامهم، فأنزل الله عليه هذه الآية<sup>(١)</sup>.

إن هؤلاء الفقراء والمساكين المُكبرين خير من أولئك العظماء المتكبرين، إن أقفية هؤلاء المؤمنين أشرف من وجوه أولئك الكفرة، إن أقدام هؤلاء خير من رؤوس أولئك، لأن هؤلاء مؤمنون، موحّدون، طائعون، وأولئك مُكذّبون، مُتَكبرون، مُحادّون لله ورسوله لذلك كان التوجيه الرباني الكريم للرسول الأمين ﷺ حيث قال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

(١) انظر: الدرّ المشور (٣/٢٥، ٢٦).

قال أبو العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : مرَّ رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس : «ما رأيك في هذا؟» فقال : رجل من أشرف الناس ، هذا والله حَرِيٌّ إنْ خُطِبَ أنْ يُنْكَحَ ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ . فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل آخر ، فقال له رسول الله ﷺ : «ما رأيك في هذا؟» فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حَرِيٌّ إنْ خُطِبَ أنْ لا يُنْكَحَ ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ ، وإنْ قال أنْ لا يُسَمَّعَ لقوله . فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»<sup>(١)</sup> .

ما هو الميزان إذن؟ ما هو المقياس؟ ما هي المؤهلات التي ترفع الإنسان وتخفضه؟ إنَّ ميزان الإسلام ومقياسه بينه الله في قوله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات : الآية ١٣] .

ويقول ﷺ بشأته : «ابغوني ضعفاءكم فإنما تُرْزَقون وتُنصَرُونَ بضعفائكم»<sup>(٢)</sup> .

وصح عنه ﷺ أنه قال : «اللَّهُمَّ أَحِبْنِي مُحِبِينَ ، وَتَوَقَّنِي مُحِبِينَ ، وَاحْشِرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»<sup>(٣)</sup> .

وليس معنى هذا أن نترك الدنيا ، أو نرمي المال ، وإنما المعنى أن نعيش مُتَكَبِّرَةً قلوبنا لله ، ففي بعض الآثار أن الله - عزَّ وجلَّ - يقول : «أنا مع المُتَكَبِّرَةِ قلوبهم لي» والذي انكسر قلبه لله ، هو مَنْ يعيش عبداً لله ، لا لشهوته ، ولا لمنصبه ، ولا لدُنْيَاهُ .

لنقف اليوم مع نماذج من الفقراء والمساكين والمستضعفين ، أحيائها رسولنا ﷺ ، ورفعها ، ووقف معها موقف شرف لا تنساه ، بل لا ينساه التاريخ .

(١) أخرجه البخاري (١٢٣/٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢/٣) رقم (١٥٩٤) ، والنسائي (٤٦/٦) رقم (٣١٧٩) ، والترمذي (٧٩/٤) رقم (١٧٠٢) ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٤١) .

(٣) أخرجه عبد بن حميد والبيهقي عن أبي سعيد ، والطبراني والضياء عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (١٢٦١) .

أتاه شاب من شباب مكة، وقد أخذ أهله كل شيء عنده، لأنه أسلم، جريمته الكبرى أنه أسلم، أخذوا ماله، وخلعوا ثيابه، فما وجد إلا شملة قسمها نصفين، نصف لأعلاه، ونصف لأسفله، فلما رآه النبي ﷺ، أجهش بالبكاء في وجهه، وقال: «رأيت من أغنى شباب مكة، ومن أطيب شباب مكة، ثم ترك ذلك كله لله»، إنه عبد الله ذو الجادين، وسُمي بذي الجادين؛ لأنه قَسَمَ الشَّمْلَةَ على نصفين ليستر بها جسده، وأتى جائعاً طريداً مُعَذِّباً، يحمل لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وتمرّ الأيام، والرسول ﷺ، يملأ قلبه حباً وحناناً وعظماً ورحمة، ويخرج معه في غزوة تبوك، وينام الجيش وعدده أكثر من عشرة آلاف، وفي وسط الليل يستيقظ ابن مسعود رضي الله عنه فيرى ناراً تُضيء في آخر المعسكر، فيلتمس الرسول ﷺ، فلا يجده في مكانه، ويبحث عن أبي بكر فلا يجده، ويبحث عن عمر فلا يجده، فيذهب إلى مكان النار، فإذا الرسول ﷺ، حفر قبراً ونزل في القبر وسط الليل، وإذا أبو بكر وعمر يحملان جنازة يديانها في القبر، فقال ابن مسعود: مَنْ هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا أخوك عبد الله ذو الجادين، توفي الليلة»، ويجعل ﷺ ساعده تحت خد عبد الله، ودموعه تتقاطر على خد عبد الله في ظلام الليل، فلما أنزله قبره، رفع كَفِّيه واستقبل القبلة وقال: «اللَّهُمَّ اَرْضْ عنه فإني أميت عنه راضٍ. اللَّهُمَّ اَرْضْ عنه فإني أميت عنه راضٍ». فبكى ابن مسعود وقال: يا ليتني كنت صاحب تلك الحفرة<sup>(١)</sup>.

### • أيتها الناس:

أي فوز أعظم من هذا الفوز، وأي شيء أفضل من أن يرضى الله ورسوله عن عبد، ولكن مع هذا فكثير من الناس رضوا بالبدائل الدنيوية، من المناصب والأموال والقصور ولم يعبثوا بغضب الحي القيوم، فأبى عقول هذه

(١) قال الهيثمي في المجمع (٣٧٢/٩): رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد، وهو متروك.

العقول، وهل هناك عاقل يستطيع أن ينام ليلة وقد غضب الله عليه، وغضب عليه رسوله ﷺ؟ لأنه يتعدى حدود الله، وينتهك شرعه، ويستهزئ بسُنَّة نبيه ﷺ.

اختصمت امرأتان في عهد النبي ﷺ فأتت إحداهما واسمها الربيع أخت أنس بن النضر، فقلعت سنّ المرأة الأخرى، ورُفِعَ الأمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كتاب الله، والسنّ بالسنّ».

فأتى أنس بن النضر، بطل المعارك، الذي قتل من الكُفَّار مُبارزة مائة غير المئات التي صفى حسابهم تصفية جسدية، في بدر وأُحُد والأحزاب، فقال: يا رسول الله، أتريد أن تقلع سنّ أختي الربيع؟ قال: «نعم، كتاب الله». قال: والله لا تقلع سنّ أختي!! ما معنى هذا القسم، هل هو اعتراض على الشرع؟ هل هو اعتراض على حكومة النبي ﷺ؟ كلا، ولكن أقسم أنس هذا القَسَم، رجاء في الله أن يبرّ قَسَمَه، كأنه دعاء.

فلما أقسَم أنس قال ﷺ: «أذهبوا إلى أهل المرأة فإن رضوا بالأرش فلا بأس». فذهبوا إليهم فرضوا بالأرش وكانوا قبل ذلك لم يرضوا به أبداً، وأقسموا لا يرضون إلا بسنّ الربيع.

فتبسّم ﷺ وأخذ ينظر إلى ثياب أنس بن النضر الممزّقة وإلى جسمه النحيل ثم قال: «إن من عباد الله من لو أقسَم على الله لأبرّه»<sup>(١)</sup>.

كأنه يقول له: أصبحت في منزلة إذا حلفت على الله، أبرّ الله قَسَمك!!.

أي منزلة هذه، أن يُقِيم الإنسان الضعيف على الملك الجليل فيلَبِّي قَسَمَه!!؟

(١) أخرجه أبو داود (١٩٧/٤) رقم (٤٥٩٥). وابن ماجه (٨٨٤/٢، ٨٨٥) رقم (٢٦٤٩). وأحمد (١٢٨/٣، ١٦٧، ٢٨٤).

وهذا البراء بن مالك رضي الله عنه كان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا ذهبوا إلى المعارك، أخرجوه وقالوا له: أقسم على الله أن ينصرنا.

حضرنا معركة تستر في الشمال، وحاصروها ورفض الكفار أن ينزلوا من القلعة، وكانت مُحَصَّنَةً، وما كان الصحابة يملكون صواريخ، ولا مدافع، ولا حتى المنجنيق إلا أنهم كانوا يملكون ما هو أعظم من هذا كله، يملكون الدعاء، الذي يتجاوز حدود الأرض فيصل إلى السماء، فيقول الله - عز وجل -: وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين.

حاصر الصحابة القلعة، ثم قالوا للبراء: نسألك بالله أن تقسم على ربك أن ينصرنا هذا اليوم، قال: انتظروني قليلاً، فذهب واغتسل وتحنط وتطيب، ثم رفع سيفه، والتفت إلى السماء ليخاطب ربه مباشرة ثم قال: (اللهم إنك تعلم أنني أحبك) هذا أول مؤهلات البراء.

وليسأل كل منا نفسه، هل يحب ربه؟ هل صحيح أننا نحن المسلمين نحب ربنا، فنمثّل أوامره، ونجتنب نواهيه، ونحب دينه وشرعه، ونقدم أنفسنا ودماءنا وأموالنا رخيصة لإعلاء كلمة الله؟

لا أعني بمحبة الله - عز وجل - تلك المحبة المزعومة التي يدعيها كل الناس بالستهم، وليس لها في عالم الحقيقة وجود، فإن قوماً ادعوا محبة الله عز وجل فابتلاههم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١]، فظهر كذبهم، وبأن عوارهم ودجلهم.

إنني لن أجيب على هذا السؤال، فكلُّ يُجيب عليه في نفسه، أما البراء فقد كان صادقاً، كان جسمه يتقطع وهو يتبسم لأنه يحب الله.

قال: اللهم إنك تعلم أنني أحبك، اللهم إنني أقسم عليك هذا اليوم أن تنصرنا، وأن تجعلني أول قتيل، ودارت المعركة، فوالذي لا إله إلا هو لهو أول قتيل في المعركة، وكان فوزاً ساحقاً للمسلمين، ودُكَّت القلعة دكاً، وقُتِلَ الكُفْرَةَ، ورُفِعَت راية: لا إله إلا الله.

فأين هذه القلوب، وأين هذه النماذج التي تحب الله عز وجل، وتعيش مع شرعه؟ فكان جزاؤها أنه تُقسِم على الله عز وجل فلا يردّها؛ بل يبزّ قَمَمَها ويُلَبّي دُعاءها.

وفي مُناظرة ساخنة بين هرقل ملك الروم وبين أبي سفيان، الذي كان آنذاك عدواً لدوداً لرسول الله ﷺ، فيقول هرقل: يا أبا سفيان أضعفاء الناس يتبعونه أم كبرائهم؟ قال: بل ضعفاؤهم، فقال: أولئك أتباع الرُّسُل (١).

ولا يعني هذا أن كل مَنْ جمع مالا أو اغتنى، أو ولّاه الله أمراً أو منصباً أن يلغى، لا، لأن الأمة لا تستغني عن هؤلاء أيضاً، ولكن المعنى أن نرحم أولئك المساكين، وأن نعيش مأساتهم، وأن نحبّهم، وأن نقف معهم ونلبي طلباتهم؛ لأن صوتهم ضعيف لا يَصِل، وخطوتهم قصيرة فلا تمتدّ، وتغلق الأبواب في وجوههم؛ لأنهم مساكين، والأعطيات لا تنالهم لأنهم مساكين، فحقّ على المسلم أن يشفع لهم، وأن يعيش قضيتهم.

### • أيها الناس:

كان ﷺ يزور عجائز المدينة، ولعلّ أحداً يسأل، ولماذا لم يرسل أحداً من أصحابه، ويبقى هو في بيته؟

فنقول: إن زيارته ﷺ لعجوز في طرف المدينة خير من ألف محاضرة، وألف كتاب، وألف تصريح، وألف خطبة.

يزور ﷺ العجوز فيسألها عن حالها، ويمسك الأعرابي في الطريق فيوقفه حتى ينتهي من حاجته، ويحمل الأطفال ويداعبهم، كان الفقير والمكين والضعيف يأخذ بيديه ﷺ، فينطلق به حيث شاء، فزكاه ربّه بتاج من الوقار والمديح والثناء لا يعدله شيء ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: الآية ٤].

(١) أخرجه البخاري (٥/١)، ومسلم (٣/١٣٩٣ - ١٣٩٧) رقم (١٧٧٣).

إن القلوب القاسية، ترفض هذا السلوك وتحميه تنازلاً وتدميراً للشخصية وبعضهم يزعم أنه إذا زار الفقراء أو وقف مع المساكين، سقطت هيئته، وانهار كبرياؤه، ولذلك تجده يضيف على نفسه هالة من الكبر والعبوس والغلظة، فيمقته الله، ويسقطه من العيون، فلا تحبه القلوب، ولا تدعو له الألسنة، ولا تعشق الأرواح، ولا يجد قبولاً في الأرض، بل بغضاً ومقتاً وكرهاً.

وقد ذكر ﷺ أن المتكبرين يُحشرون يوم القيامة في صورة الذر يطؤونهم الناس بأقدامهم<sup>(١)</sup>.

نعوذ بالله من الكبر والمتكبرين، ومن الجبروت والمتجبرين، ونسأله تعالى أن يرحمنا برحمة المساكين، وأن يعفو عنا كما يعفو عن المذنبين.

• عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذي (٥٦٥/٤) رقم (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح. وأحمد (١٧٩/٢).

وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٨٠٤٠).

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على المعلم الأمين، والبشير النذير، والقائد التحرير، وعلى آله وصحبه والتابعين.

### • أيها الناس:

العمل والعمال قضية كبرى تحتاج إلى بسط من الحديث، وإلى مقام أطول من هذا المقام، لكنني أشير إليها بكلمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

هؤلاء العمال قضت لهم المساوية تبدأ من يوم أن ترك أحدهم أطفاله وزوجته، وترك جيرانه وأهله، وترك بيته الذي كان يألفه، ومراتب الصبا التي عاش فيها، ترك كل ما يعرف، كل ما يألف، وكل ما يحب، وسافر مئات الأميال إلى بلاد هي غريبة عنه، لا يعرف فيها أحداً، ولا يألف فيها شيئاً، ولماذا أتى؟ هل أتى للسّياحة؟ هل أتى للنزهة؟ هل أتى ليجمع معلومات عن هذه البلاد؟ لا، إنما أتى طلباً للّقمة العيش له ولأطفاله.

إنني أتكلم عن العمال المسلمين الموحّدين، أما غير المسلمين، فقد أفتى كثير من أهل العلم أنه لا يجوز استقدامهم إلى جزيرة العرب، إنما أتكلم عن العمال المسلمين المساكين الفقراء، الذين أتوا من أنحاء الأرض يطلبون الرزق الحلال.

فتصوّر ماذا يحدث لبعضهم: أول ما يأتي إلى هذه البلاد، يجبره كفيله أن يدفع كل ما أنفق في الرحلة من بلاده إلى هنا، وهو مسكين لا يقدر على ذلك، فيجعل ذلك ديناً عليه، يؤذيه إليه كل شهر، فيبقى المسكين شهوراً طويلة، يدفع ثمن التذكرة، وثمان التنقل، وثمان تأشيرة الدخول وغير ذلك.

ثم ماذا يحدث؟ اسألوا أصحاب المؤسسات وأصحاب المشروعات التجارية عن ذلك.

إن العامل من هؤلاء يتقاضى أربعمئة ريال، أو خمسمئة ريال أو ستمئة ريال، وبعضهم أقل من ذلك، ثم يأتي هذا الجبار الذي لا يرحم المستضعفين، فيطالبهم بحقوقه، ولا يدفع لهم حقوقهم، فإذا انتهى الشهر ماطلهم على هذا الراتب الزهيد البسيط الذي يصرفه الواحد منا في يوم واحد!!.

ثم إذا طلب المسكين إجازة لم يُعطه، يطلب أن يذهب إلى أطفاله فيرفض، فلا هو بالذي حصل على مال لأهله، ولا أراح جسمه من العمل والظلم والعتو والجبروت.

فأين الإسلام؟ وأين ما تعلّمناه من سيرة الرسول ﷺ ورحمته بالمساكين؟ هل يتصوّر أن يأتي صاحب الملايين يأكل حقوق العمال المساكين ويمنع عنهم أجورهم البيطة؟

يأكل الطعام الشهي، ويطعمهم الخبز اليابس، يتعامل معهم كما يتعامل مع الذوات تماماً، فأين الإسلام؟ أين معنى الصلاة؟ أين أثر الإيمان الخالد؟

لماذا لا نسأل أنفسنا: أليس الله بقادر على أن يُحوّل الحال فيصبحون هم الأغنياء، ونحن الفقراء، ويجعلهم هم الأثرياء ونحن المساكين ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ نُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٠]. فلا بد أن نضع في حسابنا أنه يمكن في مرحلة من مراحل القضاء والقدر أن نصل إلى هذا المستوى، فنسافر إلى بلادهم طلباً للرزق.

وهناك سؤال آخر، ألا نَسْتَبِقِ نعمة الله علينا، ألا نشكره أن جعلنا في هذا الوضع وفي هذه المعيشة الهَيِّئَة والحياة الرغيدة؟

رجل عنده الملايين يمارس الظلم والجبروت على هؤلاء العمال المساكين .  
ألا يسمع قول النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رعية فمات وهو لها غاش حزم الله عليه الجنة»<sup>(١)</sup>.

فلا حيا الله تلك الثروات الطائلة، إذا كانت مبنية على الظلم والكِبْر والعتو.

### • فيا أيها الناس:

ارفعوا الظلم عن هؤلاء المساكين، مَنْ كانت عنده مؤسسة أو شركة، أو كان لديه عمال تحت كفالته فليتيق الله فيهم.

ارفعوا الظلم فإن الرسول ﷺ يقول: «الظلم ظلمات يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.  
ويقول: «وفي كل كبد رطبة أجر»<sup>(٣)</sup>، إن أطعمت كلباً يمكن أن يكون ذلك سبباً لدخولك الجنة.

رَزَتْ امرأة من بني إسرائيل وأسرفت على نفسها وعَصَتْ ربها، وفي يوم، مَرَّت بكلب يلهث من العطش، يأكل الثَّرَى، يمدّ لسانه إلى الطين فدلّت الدلو في البئر ونزعته وسَقَّت الكلب، فغفر الله لها<sup>(٤)</sup>.

هذا مع الكلب في عالم الكلاب، فكيف بعالم البشر، وكيف بعالم المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (١٠٧/٨)، ومسلم (١٢٥/١) رقم (١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٧/٣)، ومسلم (١٧٦١/٤) رقم (٢٢٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٦١/٤) رقم (٢٢٤٥).

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(١)</sup>.

وهذا في عالم القطط، فكيف بالذي يترك الإنسان بلا طعام ولا شراب ولا مأوى.

ثم إن هؤلاء العمال لماذا نتركهم يعملون أثناء الصلوات المفروضة، ألا نتقي الله فيهم، أليسوا مسلمين؟ أليسوا مُطالِبين بالصلاة؟ نمرّ بكثير من العمارات التي تُبنى، فنرى العمال يحملون آلاتهم ثم لا يلبثون ذلك النداء العظيم، مَنْ المسؤول عن هذا؟ إن هذا جرح لمشاعر المسلمين، وانتهاك للمنهج الرباني الخالد.

ألا فارتفعوا الظلم عن هؤلاء «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء»<sup>(٢)</sup>، قفوا مع هؤلاء المساكين، لبوا طلباتهم، عيشوا مأساتهم، أحيِنوا إليهم، فإن ربكم - تبارك وتعالى ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْمِنُونَ﴾ [التحل: الآية ١٢٨].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى المعصوم، وبلغه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعن باقي العشرة المُبشرين وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومَنك يا أرحم الراحمين.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٧٧/٣)، ومسلم (١٧٦٠/٤) رقم (٢٢٤٢، ٢٢٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٥/٤) رقم (١٩٢٤)، قال الترمذي: حسن صحيح، وأبو داود (٤/

٢٨٥) رقم (٤٩٤١). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٥٢٢).

## ذئب يتكلم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

## • أيتها الناس:

لنمتع إلى المُنْقِذ العظيم، والرسول الكريم، والمعلم النبيل، والهادي الجليل، في كلماته المِيعَاءة، وأحاديثه النيرة، وأسلوبه العذب، عليه أفضل الصلاة والسلام.

ففي صحيح البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة»<sup>(١)</sup>. لم يتكلم في زمن الرضاعة والطفولة إلا ثلاثة أطفال، يرضعون اللبن من ثدي أمهاتهم، ولكنهم تكلموا، فمن الذي أنطقهم؟! ومن الذي أعطاهم القدرة على الكلام؟!.

أنطقهم الله الذي أنطق كل شيء، الذي يُنطق الحجارة فتكلم، والجُلُود يُنطقها يوم القيامة فتحدّث، والأعضاء يستشهدها فتشهد، ويختم على الأفواه التي طالما تكلمت وحاربت ربها فلا تتكلم.

أرأيتم إلى الذئب، إنه حيوان كسائر الحيوانات، لا يتكلم، ولا يعقل؛ ولكن الله عزّ وجلّ أنطقه، وجعله يتكلم بلسان فصيح، وأسلوب واضح.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا راع في غنمه، عدّا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع»<sup>(٢)</sup>، يوم ليس لها راعٍ غيري؟ فقال الناس: سبحان الله!! ذئب يتكلم!!»<sup>(٣)</sup>.

فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر».

تكلم الذئب، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

(١) أخرجه البخاري (٤/١٤٠)، ومسلم (٤/١٩٧٦، ١٩٧٧) رقم (٢٥٥٠).

(٢) يوم السبع: أي يوم يطردك عنها السبع، وبقيت أنا فيها، لا راعي لها غيري؛ لفرارك منه، فأفعل فيها ما أشاء!! وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري (٧/٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/١٤٩)، ومسلم (٤/١٨٥٨) رقم (٢٣٨٨).

وقد أنطقَ الله الجماد، ففي صحيح البخاري، عن جابر رضي الله عنه، قال: كان مسجد رسول الله ﷺ، مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم على جذع منها، فلما صُنِعَ له المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار<sup>(١)</sup> حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها، فسكنت<sup>(٢)</sup>.

وعند أحمد في المسند: «فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سَكَنَ»<sup>(٣)</sup>. إن جذع النخلة وهو جماد، لم يستطع مفارقة رسول الله ﷺ فحَنَّ إليه، وبكى على فراقه وخارَ كما تخور البقرة.

فكيف استطاع الإنسان أن يتعد عن سُنَّتِهِ ﷺ؟

كيف استطاع أن يفارق هُذَيْهِ ﷺ؟!

كيف استطاع أن يسير على غير طريقهِ ﷺ؟!

وهذه نملة، لا تكاد تُرى، يمرّ سليمان وجيشه بجوار وادِ النمل، فتتكلم النملة وتقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يُحِطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: الآية ١٨].

فَمَنْ الذي أنطقها؟

أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

فالنبي ﷺ يخبر أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة؛ عيسى ﷺ، وقد أتت به أمه بلا أب، والله خَلَقَ الخَلْقَ على أصناف أربعة:

- خلق آدم من غير أب ولا أم.

- وخلق حواء من أب بلا أم؛ لأنها خُلِقَتْ من ضلع آدم.

(١) العشار: جمع العُشراء، كُنُفساء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٣/٤، ١٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٠٩/٢).

- وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب .

- وخلق سائر الخلق من أب وأم .

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: الآية ١١].

فأتت مريم تحمّل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال بنو إسرائيل : ﴿يَتَّخَذَ هَنُورًا مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: الآية ٢٨] ، فلم تتكلم ، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ، فتصاحكوا وقالوا : ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [٢٩] ﴿مريم: الآية ٢٩﴾ .

فتكلم عيسى بإذن الله ، ولم يمض عليه إلا ساعات ، وقيل : ثلاثة أيام ، فتكلم بلسان فصيح ، نصيح ، مليح ، قال : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَاتَنِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [٣٠] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [٣١] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا﴾ [٣٢] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [٣٣] ﴿مريم: الآيات ٣٠ - ٣٣﴾ . هذا أولهم .

وثانيهم صاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً من عباد بني إسرائيل ، وكان دائماً في صلاة ، وذكر ، ودعاء لله تبارك وتعالى ، وقد اتخذ صومعة يعبد فيها ربه - عز وجل .

وفي ذات يوم أتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب أمي وصلاتي ، أي ماذا أفعل أقطع الصلاة لأجيب أمي ، أم أستمر في الصلاة ولا أقطعها؟ ثم أقبل على صلاته .

الآن والداك ما يطالبانك بأن تقطع الصلاة؛ بل يدعوانك إلى طاعة الله ورسوله ﷺ ، ومع ذلك فتجد من يعق الوالدين ، ويلعن الوالدين ويهجر الوالدين ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أُمِرَ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [١٢] ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْدِلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: الآيتان ٢٣ ، ٢٤] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ

الْإِحْسَنَ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿١٦﴾ [الرَّحْمَنُ: الآيَةُ ٦٠]. أهذا جزاء الإحسان؟ أهكذا سُكِرَ الوالدين؟! .

لقد وجدنا في مجتمعنا مَنْ فعل لابنه كل شيء، بنى له بيتاً، وزوجه، وأعطاه سيارة، وجعل له أملاكاً، ومع ذلك فتجد هذا الابن، من أفجّر الناس في معاملة أبيه وأمه!! قلبه أشدّ قسوة من قلوب اليهود والنصارى، يخالف والديه، يتنقص أباه في المجالس ويستهزئ به، وربما سبّه وشتمه أمام الناس، والله تعالى يقول: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: الآية ١٤].

فجعل منزلة شكر الوالدين بعد منزلة شكره سبحانه وتعالى، وما ذاك إلا لعظم فضل الوالدين، وأكد حقوقهما على الأبناء.

أما جريج فلم يعصِ أمه، ولكنه رأى أن طاعة الله تُقدّم، فاشتغل بصلاته، ولم يُجب أمه، فانصرفت أمه، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال: يا ربّ أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي ربّ، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته. فقالت أمه: اللهم لا تُمِثّه حتى ينظر إلى وجوه المومسات!! .

أي لا تحكّم عليه بالموت والفناء قبل أن يرى وجوه الزواني والبغايا المُجاهرات بذلك.

ولكن هل رأيتم إنساناً يحافظ على الصلوات الخمس، ثم يشرب الخمر؟ لا .

هل رأيتم إنساناً يحفظ القرآن في صدره، ويتقي الله عزّ وجلّ في عمله، ثم هو يسرق ويزني؟ لا .

إن عبداً يحافظ على صلاة الفجر في الجماعة كل يوم، لا يتردى في الكبائر أبداً، وهذا في الغالب، وأكثر الذين يدخلون السجون الآن، مَنْ لا

يعرفون طريق المسجد، ولا طريق المصحف، فلما جهلوا أو تجاهلوا طريق المسجد والطاعة، عرّفهم الله طريق الحبس والسجن والإهانة.

دَعَت أم جريج عليه وانصرفت، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وحسده على ذلك، لأنهم لا يريدون إلا الفجور والفسق والعُهر.

تركوا الحجاب، واختلط النساء بالرجال، ففشي فيهم الزنا والبغاء، فلعنهم الله، وجعل منهم القردة والخنازير ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ يَسْتَفْتِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسِيَةً يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣] ولذلك كانوا يحاربون كل أحد يدعو إلى فضيلة أو يلتزم بها في نفسه.

فهذا موسى عليه السلام، وليس هناك أطهر من الأنبياء، ولكن بنو إسرائيل اتهموا الأنبياء بالزنا، حتى قالوا - قبحهم الله - إن لوطاً عليه السلام، شرب حتى سكر، ولما سكر وقع على ابنتيه. هذا نبي الله لوط عند اليهود!!.

أتى قارون إلى امرأة زانية، وأعطها قنطاراً من ذهب، وقال: إن رأيت موسى أتى إلينا ليدعونا، فقومي وسط الناس، واصرخي فيهم وأدعي أن موسى زناً بك. سبحان الله! موسى ﷺ يزني!! إنه الافتراء على الدعاة إلى الله، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا على مرّ العصور والأزمان.

فلما اجتمع قارون والأغنياء، والأمراء، والوجهاء، وجاءهم موسى عليه السلام يدعوهم، قامت هذه المرأة البغي تصرخ وتضرب وجهها، وتدعي أن موسى عليه السلام فعل بها الفاحشة!!.

فقام موسى عليه السلام وقال: يا أمة الله، أسألك بمن شقّ البحر لي وأنزل عليّ التوراة، فعلت؟ قالت: لا والله. فقال موسى: اللهم خذ قارون، فحسف الله به وبداره الأرض فأخذ بصيح: يا موسى. يا موسى. يا موسى... حتى اختفى صوته وماله، وجسمه، وداره في الأرض، وفي بعض الآثار

الإسرائيلية، قال الله لموسى: يا موسى، استغاث بك فلم ترحمه، وعزتي وجلالي، لو أنه استغاث بي لرحمته!! .

ونعود إلى جريج العابد، وقد تأمر عليه بنو إسرائيل، فأنت امرأة بغية يتمثل بحُسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأنت راعياً كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج!! فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زُنَيْتَ بهذه البغية، فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فلما انصرف، أتى الصبي، فطعن في بطنه، وقال: يا غلام، مَنْ أبوك؟ قال الصبي الرضيع: أبي فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يُقَبِّلُونَهُ ويتمحّون به، وقالوا: نبي لك صومعتك من ذهب. قال: لا. أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا<sup>(١)</sup> وهذا الثاني.

والثالث صبي كان يرضع من أمه، فمرّ رجل راكب على دابة فارهة<sup>(٢)</sup> وشارة<sup>(٣)</sup> حسنة، فقالت أمه: اللَّهُمَّ اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي، وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع!! .

ثم مرّوا بجارية، وهم يضربونها، ويقولون: زُنَيْتِ سَرَقْتِ، وهي تقول: ﴿حَبَبْنَا اللَّهُ وَيَعَمَّ أَلْوَكِيلٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]. فقالت أمه: اللَّهُمَّ لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع، ونظر إليها، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني مثلها. وقالت: مرّ رجل حسن الهيئة، فقلت: اللَّهُمَّ اجعل ابني مثله، فقلت: اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري (٤/١٤٠)، ومسلم واللفظ له (٤/١٩٧٧، ١٩٧٧) رقم (٢٥٥٠).

(٢) فارهة: أي: دابة نشيطة قوية.

(٣) الشارة: الهيئة واللباس.

لا تجعلني مثله. ومزّوا بهذه الأمة، وهم يضرّبونها، ويقولون: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فقلت: اللَّهُمَّ لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللَّهُمَّ اجعّلي مثلها!! . فقال الرضيع: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زَنَيْتِ، ولم تَزْنِ، وسَرَقْتِ ولم تسرق، فقلت: اللَّهُمَّ اجعّلي مثلها<sup>(١)</sup>.

والشاهد من هذا القصص - أيها الصلّمون - أمور:

أولاً: أن الله على كل شيء قدير، يجعل الذنب يتكلم، ويجعل البقرة تتكلم، ويجعل الجذع يبكي، ويجعل الصبي الرضيع يتكلم ويشهد شهادة الحق.

ثانياً: أن الله عزّ وجلّ يدافع عن أوليائه، وينصر رُسُلَه وأحبابه ويبريء ساحة المصلّحين والدعاة إلى الله عزّ وجلّ.

ثالثاً: أن الله يفضح أعداءه، ويكّلهم إلى أنفسهم، وينزع عنهم ستره وحفظه، فكلما سلّكوا وادياً هلّكوا ولم يوقّفوا.

رابعاً: أن العبرة بالأعمال، لا بالأموال ولا المناصب ولا الأنساب، وقد صخّ عنه ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»<sup>(٢)</sup>.

وصخّ عنه ﷺ - أيضاً - أنه قال: «احتجّت الجنة والنار، فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلاّ الجبارون والمتكبّرون؟ وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس، وسقطهم»<sup>(٣)</sup> وعجزهم<sup>(٤)</sup>؟ فقال الله - عزّ وجلّ - للنار: أنتِ

(١) أخرجه البخاري (٤/١٤٠)، ومسلم واللفظ له (٤/١٩٧٧، ١٩٧٨) رقم (٢٥٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٧) رقم (٢٥٦٤).

(٣) سقطهم: أي المحتقرون منهم.

(٤) عجزهم: أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكّن فيها.

عذابي، أعذب بك من أشاء، وقال للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»<sup>(١)</sup>.

فتقربوا - رحمكم الله - إلى ربكم بالأعمال الصالحة، وراقبوه تبارك وتعالى في السر والعلانية، وطهروا قلوبكم، وزكوا نفوسكم، فلا ينفع عند الله - عز وجل - إلا التقوى والعمل الصالح ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) [الشُّعْرَاءُ: الآيتان ٨٨، ٨٩].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يصلحني وإياكم، ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانية، وأن يجعلنا من المتقين المهتمدين، الذين سلك بهم صراطه المستقيم، وهداهم إلى البرّ العميم، والأجر العظيم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٤٨/٦)، ومسلم (٢١٨٦/٤) رقم (٢٨٤٦، ٢٨٤٧).

## الخطبة الثانية

اللَّهُمَّ لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لك الحمد عدد الكائنات، وملء الأرض والسموات.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبارك على النعمة المُهداة، والجمَّة المُعدة، على مَنْ بعثته رحمة للعالمين، وقدوة للسالكين، وإماماً للمتقين، وخاتماً للمرسلين، وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

يأمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية بأن يتواضع لله مع المتواضعين، وأن يجلس في مجالس الفقراء والمساكين، وألا يقوِّم الناس بأموالهم ولا بأحسابهم وأنسابهم، وإنما يقوِّمهم بما عندهم من الإيمان والعمل الصالح.

كان البراء بن مالك رجلاً فقيراً زاهداً من أصحاب رسول الله ﷺ لا يملك من الدنيا إلا بيتاً من طين، وثوبين باليين، وسيفه الذي طالما قاتل به أعداء الله تعالى.

فقال ﷺ ذات يوم: «كم من أشعث أغبر، ذي طمرين<sup>(١)</sup>، لا يؤبه له<sup>(٢)</sup>، لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»<sup>(٣)</sup>.

أشعث: متغير الشعر، أغبر: متغير الوجه واللون، ذي طمرين: ثوبين باليين، لو أقسم على الله لأبره: أي لو حلف على وقوع شيء، أوقعه الله إكراماً له، بإجابة سؤاله، وصيانتته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله، وإن كان حقيراً عند الناس، لا يلتفتون إليه، ولا يجعلون له أي اهتمام.

حضر المسلمون معركة «تستر»، فنادوا البراء بن مالك، وقالوا له: يا براء، قم فقد أثنى عليك رسول الله ﷺ خيراً، نسألك الله أن تقسم على الله أن ينصرنا هذا اليوم!

قال: انتظروني قليلاً، فذهب، واغتسل، ولبس أكفانه، وتحنط، وأتى، ثم وقف أمام الجيش وقال: اللهم إني أقسم عليك هذا اليوم، أن تجعلني أول قتيل في سيلك، وأن تنصر المسلمين.

فبدأت المعركة، والتحمت الصفوف، وتساقتت الرؤوس، واستجاب الله دعاءه، فكان أول قتيل، وكان النصر حليفاً للمسلمين، وهذا لأنه أخلص الدعاء لوجه الله تبارك وتعالى، وقدم روحه ونفسه في سبيل الله وكان الجيش المسلم على مستوى عظيم من التضحية والفداء.

نصرهم الله عز وجل، وهم حُفَاةُ عُرَاةٍ، فقراء؛ لأنه سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور والأجسام، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

(١) ذي طمرين: أي صاحب ثوبين خلقين.

(٢) لا يؤبه له: أي لا يلتفت إليه.

(٣) أخرجه الترمذي (٦٥٠/٥) رقم (٣٨٥٤) وقال: حسن صحيح وهو عند مسلم (٤/٢٠٢٤) رقم (٢٦٢٢) بلفظ: «رُبُّ أشعث، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره» وليس فيه ذكر البراء.

وفي صحيح مسلم، عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل، يقال له أُويس، وله والده، وكان به بياض<sup>(١)</sup>، فمُرّوه فليستغفر لكم»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر، وفيهم رجل ممن كان يسخر<sup>(٣)</sup> بأويس، فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «إن رجلاً يأتيكم من أهل اليمن، يقال له أُويس، لا يدعُ باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعَا الله فأذهب عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمَن لقيه منكم فليستغفر لكم»<sup>(٤)</sup>.

فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن<sup>(٥)</sup>، سألهم: أفيكم أُويس بن عامر؟ حتى أتى على أُويس فقال: أنت أُويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والده؟ قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أُويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم قرن، كان به برص، فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والده، هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي. فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس<sup>(٦)</sup> أحب إليّ<sup>(٧)</sup>!!

(١) بياض: أي برص.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦٨/٤) رقم (٢٥٤٢).

(٣) أي يحقره ويستهزئ به.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٦٨/٤) رقم (٢٥٤٢).

(٥) أمداد أهل اليمن: هم الجماعة الغزاة الذين يمدّون جيوش الإسلام في الغزو.

(٦) غبراء الناس: أي: ضعافهم وصعاليكهم وأخلاقهم الذين لا يؤمنون لهم.

(٧) أخرجه مسلم (١٩٦٩/٤) رقم (٢٥٤٢).

فهذا أُوَيْسُ الْقُرْنِي، رجل فقير، لا يعرفه أحد، بل يستهزئ به بعض أهله، لهوانه عليهم، وعدم اعتدادهم به، لا يملك مالاً، وليس عنده متاع ومع ذلك يبشر به رسول الله ﷺ ويحث الصحابة إذا رأوه أن يطلبوا منه أن يتغفر لهم، فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث عنه في وفود أهل اليمن، ويسأل عنه في المواسم، حتى إذا أدركه وعرفه بصفته التي أخبر بها رسول الله ﷺ طلب منه الاستغفار مع أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل منه بلا شك، وأرفع منه بلا ريب إلا أنه لما رأى هذا العبد الصالح وعرف أنه هو الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ طلب منه أن يستغفر له.

فهؤلاء هم الصّٰلِحَاء، وهؤلاء هم الأتقياء، وهؤلاء هم المقربون من الواحد الأحد، إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة ومن كل فتنة مهلكة.

فِيَا مَنْ قَرَّبَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ قَرَّبْنَا. وَيَا مَنْ أَسْبَلَ السُّرَّ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ أَسْبَلَ السُّرَّ عَلَيْنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى رَحْمَتِكَ فَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ لَا تَحْجِبْ عَنَّا دَعَاءَ الصَّالِحِينَ، وَاحْشِرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

• عِبَادِ اللَّهِ :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: الآية ٥٦].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مُتَلَازِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَمَنَّا وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\*\*\*

## سلعة الله غالية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

• عباد الله :

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَرَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٦﴾ [التوبة: الآية ١٠٩].

أَفَمَنْ أَسَّسَ حياته ومستقبله على تقوى الله تعالى ورضوانه، على خوف من الله وخشية الله، خير أَمَّنْ أقام حياته ومستقبله على معصية وتمرد وتعدُّ وانتهاك لحدود الله وحُرُماته؟! .

ومن سُنَّةِ الله تبارك وتعالى أن ينصر أوليائه، وأن يحفظ أحبائه، وأن يؤيد عباده ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: الآية ٣٨].

ومن سُنَّتِهِ كذلك أن يخذل أعداءه، وأن يتقمم مَمَّنْ عاداه وحادّه .

ولذلك لَمَّا رجع رسول الله عليه الصلاة والسلام، من غارِ جِراءِ خائفًا وجِلًّا بعد أن جاءه جبريل، وظنَّ أنه سيموت أو سيهلك أو سيُخزى؛ لأنه رأى صورة ما رآها من قبل، فقالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاهَا: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرِّجَم، وتحمل الكَلِّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق»<sup>(١)</sup>.

فاستدلَّت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحُسنِ أفعاله، وبجميلِ سيرته على أن الله لا يخزيه أبداً.

هل رأيتم مُتَصَدِّقًا أخزاه الله؟ هل رأيتم صادقاً أسلمه الله؟ هل رأيتم مُحِينًا ضيَّعه الله؟

إنما يخزي الله أعداءه ومَنْ نادَّه... أهل المعاصي والهوى... أهل الفواحش والسيئات هم الذين يُخزيهم الله تعالى ويقطع عنهم حبله ومدده.

(١) أخرجه البخاري (٣/١)، ومسلم (١٤١/١) رقم (١٦٠).

أما أهل الجود والصدقة والمعروف، فإن الله عز وجل معهم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ يَأْتِي حَبُّهَا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦١].

ويقول الشاعر عن البذل والجود:

ولم أرَ كالمعروف أما مذاقه فحلّو وأما وجهه فجميل

وقد بيّن ابن القيم رحمه الله في كتاب مدارج السالكين، مراتب الجود ودرجاته.

فأعظم درجات الجود، ومراتبه: الجود بالنفس، ليس هناك أكرم ممن يجود بنفسه في سبيل الله عز وجل.

فيا من بخل بدرهمه وديناره... أصحاب الرسول، عليه الصلاة والسلام جادوا بنفوسهم وأرواحهم في سبيل الله.

يجود بالنفس إن ضمن البخيلُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود

جاء الصحابة في بدر، لا يملكون من الدنيا شيئاً، لا مالاً، ولا عقاراً، ولا سلاحاً، وإنما كانوا يملكون نفوساً أبية، وأفئدة طاهرة، باعوها لله الواحد الأحد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: الآية ١١١].

رفعوا سيوفهم ظاهرين مُقبِلين وقالوا: يا رب، لا نملك من الدنيا قليلاً ولا كثيراً، إنما نملك نفوساً قد وهبناها لك، فتقبلها منا، «وجئنا ببضاعة مُرجاة فتصدّق علينا».

وَمَنْ الَّذِي بَاعَ الْحَيَاةَ رَخِيصَةً وَرَأَى رِضَاكَ أَعَزَّ شَيْءٍ فَاشْتَرَى  
أَمَّنْ رَمَى نَارَ الْمَجُوسِ فَأَطْفَأَتْ وَأَبَانَ وَجْهَ الصُّبْحِ أَبْيَضَ نَيْرًا  
وَمَنْ الَّذِي دَكَّوْا بِعِزْمِ أَكْفُهُمْ بَابَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ

خالد بن الوليد، باع نفسه لله، جعفر الطيار، عبد الله بن رواحة، صلاح الدين، محمود بن سبكتين، وأبناء محمود من المجاهدين الأفغان قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله عز وجل:

أرواحنا يا ربُّ فوق أكفِّنا      نرجو ثوابك مَغْنَمًا وِجَارًا  
كنا نرى الأصنام من ذهبٍ      فنهدمها ونهدم فوقها الكُفَّارًا  
لو كان غير المسلمين لحازها      كنزاً وصاعَ الحُلِيِّ والدينارا

### • أيها المسلمون:

ومن مراتب الجود أيضاً: الجود بالعلم، وهو من أشرف المراتب، وبذله للناس من أعظم القرب إلى الله تعالى، وهو أشرف من الجود بالمال، كما ذكر ابن القيم رحمه الله، فيا دُعاة الإسلام، ويا طَلَبَةَ العلم، ويا حَمَلَةَ الشهادات العالية، الأمة ماتت جهلاً، وشركاً، وتخلفاً، وضياعاً، فَمَنْ ينقذها بعد الله إلا أنتم؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٨٧].

اشتروا به مناصب، ووظائف، وتكادسوا في بيوتهم، والأمة غارقة في الجهل، وفي الشرك، وفي الخرافة، فبئس ما يشترون.

ووالله لساعة واحدة يقضيها المسلم في طلب العلم خير له من الدنيا وما

فيها.

هو العَذْبُ المَهْنَدُ ليس ينبو      نصيبُ به مضاربَ مَنْ أردتَ  
وكنزٌ لا تخافُ عليه لِيصًا      خفيف الحِمْلِ يوجدُ حيثُ كُنْتَ  
يزيدُ بكثرة الإنفاقِ منه      وينقصُ إن به كَفًا شَدَدَتْ

ومن وصايا علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل بن زياد، يا كميل: العلم خير من المال... العلم يحفظك وأنت تحفظ المال، العلم يزكو بالإنفاق... والمال تنقصه النفقة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَدَىٰ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَمُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَمُهُمُ اللَّعُنُونَ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَمْسَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: الآيات ١٦٩، ١٧٠].

ونسأل أيها المسلمون: كم من العلماء في بلادنا؟ كم من الدعاة؟ كم من القضاة؟ ألوف مؤلفة، ومع ذلك، فكثير من القرى جاهلة، والبوادي تعيش في الخرافة، وكثير من الناس لا يعرفون أحكام دينهم، ولا أمور شرعهم، ظمأى وحولهم الماء، ولكن يخل أهل الماء به، وصدوا الناس عنه.

إن من يخل بعلمه، بالنور الذي يحمله، بالهدى الذي في صدره، لهو أشد ذمًا ومقتًا وبخلًا ممن يخل بماله.

إن أهل الباطل ودعاة التخلف، يبذلون ما عندهم من الباطل، وينشرونه بين الناس، ويودون أن لو يصل باطلهم إلى كل إنسان على وجه هذه الدنيا.

إنهم تكلموا، وكتبوا، وحاضروا، وأنشجوا، وطلبوا، وزمروا وغنوا، ورقصوا؛ دعاية لباطلهم، ونشراً لعقنهم، بينما يستحي كثير من شباب الإسلام؛ أن يعلم جاهلاً آية من كتاب الله، أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ.

### • أيها المسلمون:

من مراتب الجود أيضاً: الجود بالمال، ونحن - بحمد الله تعالى - نعيش في هذه البلاد عيشة هنيئة كريمة لا تتوفر في معظم بلاد الدنيا، فماذا قدمنا لأنفسنا وماذا قدمنا لديننا؟

هل قدمنا للقبر؟ هل قدمنا للضراط؟ هل قدمنا ليوم الكربات والفضائح؟

لقد رأينا ورأيتم كثيراً من الناس يشكون الحاجة والفقر، مدين لا ينام، فقير لا يجد قوت يومه، مريض لا يملك ثمن الدواء، هريم ليس له إلا الله تعالى، فمن لهؤلاء إن أغلقت أبوابكم دونهم؟

واعلموا أيها الناس: أن مَنْ قَدَّمَ خيراً فإنما يقدّم لنفسه ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٠].

الخير أبقى وإن طال الزمانُ به والشراً أخبث ما أوعيت من زاد  
يقول عليه الصلاة والسلام، كما في الصحيح:

«ما من يوم يُصبح العباد فيه؛ إلا ملكان ينزلان؛ فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مُسكياً تلفاً»<sup>(١)</sup>.

فمَنْ أراد أن يخلف الله عليه وأن يبارك له في رزقه، وفي دَخَله، فلينفق على الفقراء، على المجاهدين، على المساكين، في مشاريع الخير، فكل ذلك من أبواب البر.

وإذا كان بعض الجاهلين لا يرضون أن يعيش في مجتمعهم جائع ولا مسكين، وهم وثنيون، لا يعرفون ربّاً ولا رسولاً ولا ديناً، فما بال أهل الحق ييخلون بفضل الله على عباد الله!!

ابن جدعان رجل جاهلي ما عرف لا إله إلا الله، ما سجد لله، عنده صحاف تُعرَضُ كلُّ صباح فينادي مُناديه على جبل أبي قبيس في مكة: مَنْ أراد الإفطار فليأت، فتُحاط صحافه بالمساكين، فإذا كان الظهر ملأ صحافه باللحم والخبز ونادى مُناديه: مَنْ أراد الغداء فليأت.

ولذلك قال أمية بن أبي الصلت في آل جدعان:

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم      لتطلب الحاجات بالعبدان  
بل يشرقون وجوههم فترى لها      عند السؤال كاحسن الألوان  
وإذا دعا الداعي ليوم كربيهة      سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(١) أخرجه البخاري (١٢٠/٢)، ومسلم (٧٠٠/٢) رقم (١٠١٠).

ومن الجود أيضاً أيها الناس، الجود بالجاه والوجاهة والمنصب فبعض الناس آتاه الله الجاه والمنصب، يعرفه المسؤولون بوجاهته، ويقبلون شفاعته، ويقدمونه على الناس، والله تعالى يقول: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ١١٤].

ويقول سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ [النساء: الآية ٨٥].

فيا أيها المسؤولون في هذه البلاد وفي غيرها.

ويا من أنعم الله عليكم بالجاه والمنصب، هذه والله بشرى لكم.

شفاعتكم للمحتاجين، قضاء حوائج المسلمين، دفع الظلم عن المظلومين السعي على مصالح الأراذل والمساكين، كلامك إلى المسؤول، إلى الأمير، إلى الوزير في مصالح هؤلاء له أعظم الأجر عند الله تعالى، حيث يشفع لك محمد ابن عبد الله ﷺ يوم لا ينفع جاه ولا منصب.

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾، كما يفعل الذين تبدلت عقولهم، وخربت ذمهم في الإضرار بالمسلمين، وتغيص عيثهم، واضطراب أمورهم، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، وسيندمون على ذلك أشد الندم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [النساء: الآية ٨٨] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ [النساء: الآية ٨٩].

ومن الجود أيضاً، الجود بالوقت والراحة، وذلك بأن تجعل جزءاً من وقتك لإخوانك المسلمين، تعود مريضاً، فتدخل على قلبه البهجة والسرور، وقد تكون زيارتك له سبباً في شفائه، وغرس شجرة الأمل في نفسه.

وكذلك ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والضعفة والله تعالى يقول:

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [التحل: الآية ٩٦].

فما أحسن المعروف، وما أحسن الجميل. يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

«ما أحسن الجميل، والله لو كان الجميل رجلاً لكان حسناً، وما أقبح القبيح والله لو كان القبيح واللؤم رجلاً لكان قبيحاً».

جاءه رجل فاستحى أن يسأله، فكتب حاجته على التراب فقال علي رضي الله عنه :  
أمسك ماء وجهك، وأعفيتنا من ذلّ سؤالك، لألبينّ مسألتك، فكساه وآناه  
مالاً، فقال الرجل :

كسوتني حُلَّةً تبلى محاسنها لأكسونك من حُسن الثنا حُللاً  
والثناء من أحسن ما وضع الله للناس في الأرض.

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

حاتم الطائي نذكره اليوم وهو مُشرك لا يعرف رباً ولا ديناً، ولكنه كان  
جواداً فبقي ذكوره في الدنيا جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

• فيا عباد الله :

قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً تَلْظِي، قُوا وجوهكم من لَفْحِ النار بالمعروف،  
بالكلمة الطيبة، بالجمّة، بالصدقة، بالزيارة، بالشفاعة، بما يُرضيه سبحانه  
وتعالى.

غفر الله لي ولكم، أنقذني الله وإياكم من النار، هداني الله وإياكم سواء  
السيبيل.

أقول ما تمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين من  
كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

• أما بعد... عباد الله:

إن خير جيل ظهر على وجه الأرض هم جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فهم القادة، وهم القدوة التي ينبغي على جميع المسلمين؛ رجالاً ونساءً، شباباً وشيباً، الاقتداء بهم، والسَّير على طريقتهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْصَدَ﴾ [الأنعام: الآية ٩٠].

فنحن لم نقدِّم للإسلام عُشر ما قدموا، ولم نبذل شيئاً مما بذلوا ~~بذلوا~~ وأرضاهم.

أتى حمزة، فترك أهله وأطفاله وداره وعقاره، وأتى بشيابه الممزقة التي تستر جسمه الطاهر، فقاتل في أحد حتى قُتل، فكان أسد الله في أرضه، وكان سيّد الشهداء في السماء.

وأتى أنس بن النضر مُقبلاً إلى الموت غير مُدبرٍ، بعد أن رأى الناس قد فزوا يوم أحد، فأقبل إلى الله، وشم ریح الجنة من دون أحد، فقُتِلَ وضُربَ بأكثر من ثمانين ضربة.

وأتى خالد وسعد فباعوا أرواحهم للحَيِّ الْقَيُّومِ، هذه أعظم التجارة وأرباحها، وهذا هو أعظم البذل والعطاء ﴿١٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَتَّى فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ [التوبة: الآية ١١١].

وهذا أعظم الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحْيَا اللَّهُ بِهِ الْأَرْوَاحَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّرْكِ وَالخُرَافَةِ حَتَّى كَانَتْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

يقول شوقي:

أخوك عيسى دعا مَيْتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرَّمَمِ

إن كان عيسى عليه السلام أحيا ميتاً بإذن الله، فأنت أحييت الأرواح الميتة، أحييت الشعوب الميتة، علّمت الجاهلين، رفعت الأيمن، هديت الذين ما كانوا يهتدون ولا يفقهون ولا يتدبرون.

أَتَطْلُبُونَ مِنَ الْمَخْتَارِ مَعْجَزَةً يَكْفِيهِ شَعْبٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ أَحْيَاهِ

بذل أصحاب الرسول ﷺ العلم، وبلغوه للناس، وهذه قبورهم في الشرق والغرب تشهد بذلك.

كان أبي بن كعب رضي الله عنه يجلس للناس بعد كل صلاة فيقول: هل من متعلم، هل من سائل، هل من مُسْتَفْتٍ، هل من مُتَفَرِّقٍ؟ فيفيض بالعلم كالبحر الذي لا ساحل له.

ابن عباس رضي الله عنه يجلس للناس من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، فيدخل أهل التفسير، حتى إذا انتهوا قال: اخرجوا وعليّ بأهل الحديث، فإذا انتهوا قال: عليّ بأهل الفقه، فإذا انتهوا، نزل أهل الفتاوى والأحكام، ثم جاء بأهل الأدب والشعر واللغة ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: الآية ٢١].

وأما بذل الأموال فحدث ولا حرج، أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبذل ماله كله في سبيل الله، فيقال له: ماذا تركت لأهلك وعيالك؟ فيجيب بلسان الواثق بالله تعالى: تركت لهم الله ورسوله.

عثمان بن عفان رضي الله عنه يبذل ماله في سبيل الله، يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يَشْتَرِي بَثْرَ رُومَةَ وَلَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>؟ فاشتراها عثمان من اليهود فكانت ثمن روحه إلى الجنة.

ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ يَجْهَزُ جَيْشَ تَبُوكَ وَلَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(٢)</sup>؟ فجهز عثمان الجيش على نفقته، فاستحق بذلك دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم.  
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُثْمَانَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ، مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(٣)</sup>.

• أيتها الناس:

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥٦)</sup>  
[الأحزاب: الآية ٥٦].

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٧٤/٣). والترمذي (٥٨٦/٥)، رقم (٣٧٠٣) وقال: حديث حسن.

(٢) حديث تجهيز جيش العُرة، أخرجه الترمذي (٥٨٤٠/٥ - ٥٨٦) رقم (٣٧٠٣، ٣٧٠٠) وأحمد (٦٣/٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٨٥/٥)، رقم (٣٧٠١) وقال: حديث حسن غريب. وأحمد (٥/٦٣).

## الدّاعية المطارد

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيتها الجيل الموحد، يا حملة المبادئ، أيتها الكتيبة المقدسة:

نقف هذا اليوم نحبي بملء القلوب والأجفان والأسماع رسولنا ﷺ نحبي في أول العام الهجري، وهو رجل الهجرة الأول، نعيش اليوم مع الأطفال في

أيام حُرْمٍ هو من أطفاله، ونعيش اليوم مُتَعَمِّين في الدُّور والقصور، في أيام شُرْدٍ من دُورِهِ، ونعيش اليوم مُرْفَهين سُعداء، في أيام عاشها هو كلُّها أسي، وكلُّها لوعة، يقدِّم رأسه وروحه من أجل لا إله إلا الله.

إنها الهجرة، وعنوان الخطبة «الدَّاعِيَةُ الْمُطَارِدَةُ».

طاهه أقرابه وأرحامه وأضهاره، فما سبب المُطَارِدَةِ؟ لأنه يحمل مبدأ الإنقاذ، لماذا طُورِدَ؟ أمن أجل أنه أتى لينهب الأموال، ويسفك الدماء، ويحتل الأراضي، ويبتزُّ المُعْطِيَّات؟ لا... من أجل أنه أتى لينقذ الإنسان، ليُخرج الإنسان من الظلمات إلى النور.

هذا حديث الهجرة، أغلقت فئة أبوابها في وجه الابن البارِّ، وأنذرت في خلال أربع وعشرين ساعة أن يغادرها، ولا يبقى في ساحتها.

عجيب... وُلِدَ في ربوعها، ترعرع في تلالها، شرب ماءها، استنشق هواءها، وتقول له مكة: اخرج، إلى أين؟ لا ندرى.

وليتهم تركوه ليخرج سالماً مُعافى، لكن يريدون أن يُخرجوه جثَّة، أو يحموه ويقيِّدوه بالحديد، أو ينفوه من الأرض ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمُنْكَرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٠].

تخفى قبل أن يذهب.

تخفيتُ من خصمي بظلِّ جناحه      فعيني ترى خصمي وليس يراني  
فلو تسأل الأيام عني فما دَرَّتْ      وأين مكاني ما عرفن مكاني

أدخل علياً في بيته وأنامه في فراشه، فطوّقه الكَفْرَةَ والفَجْرَةَ؛ لأنه يهدد مصالِحهم التي بُنِيَتْ على الظلم، ولأنه يصادر شهواتهم، ولأنه لا يطاوعهم في نزواتهم.

إن أهل الباطل قديماً وحديثاً يرون في حَمَلَةِ المبادئ، وفي رَوَادِ الحق خُصَمَاءَ على طول الطريق؛ لأنهم يقولون لهم: لا، في كل معصية، وفي كل شهوة، وفي كل نزوة، وذلك موقفهم من النبي ﷺ عندما طَوَّقُوا بيته بالسيوف المشرَّعة، وتحزَّروا متى يخرج ليفتكوا به، وهنا تأتي الشجاعة، ليست الشجاعة التي يُبديها الناس، من أجل أراضيهم ومزارعهم ومناصبهم، الأنوف الحمراء التي تغضب للجيوب والبطون، السُيوف المسلولة من أجل التراب والطين، أما محمد ﷺ، فيقدِّم رأسه من أجل مبدئه، يتحدَّى الشمس أن تهبط في يمينه، والقمر أن ينزل في يساره، ووالله نزلت الشمس ونزل القمر، ما ترحزح خطوة واحدة، حتى تُغَلِّزَ لا إله إلا الله أصالتها في الأرض.

طَوَّقوه، وأتاه جبريل، أخبره قائلاً: الخصوم خارج البيت، يريدون قتلك، فيقول: إن الله معنا، لله دَرَكٌ، والله دَرَجَةُ الشجاعة المتناهية، والله دَرَجَةُ الروح العالية:

يا قاتل الظلم ثارت ههنا وهنا      فضايخ أين منها زندك الواري؟  
الشمسُ والبدرُ في كَفَيْكَ لو نزلت      ما أطفأت فيك ضوء النور والنار  
أنت اليتيمُ ولكن فيك ملحمةٌ      يذوبُ في ساحها مليونُ جبارِ

فخرج من البيت بلا سيف، وهم بالسيوف، وخرج بلا رمح، وهم بالرماح، وأخذ حفنة من التراب، فألقى الله النوم عليهم فناموا، وسقطت سيوف الخزي والعار من أيديهم، فخرج ونثر التراب والغبار على رؤوس الفجار، وهو يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ [يس: الآية ٩].

نقف اليوم بعد هذا الحادث، بأربعة عشر قرناً لناخذ دروساً.

أولاً: درس التوكُّل على الله، وتفويض الأمر له، وصدق اللجأ، فلا كافي إلا الله، يقول سبحانه على لسان أحد أوليائه: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

بَصِيرًا بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا ﴿٤٥﴾ [غافر: الآيتان ٤٤، ٤٥] ويقول سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿وَيُحَوِّثُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: الآية ٣٦].

وكلّ مَنْ دون الله فهو تحته ودونه وعبد له، فلا قيمة له، ولا وزن ولا تأثير.

والناس اليوم يحملون صدق التوكّل والانتصار بالله في أذهانهم، لا في حياتهم وتصرفاتهم، إنهم أجبنا كل شيء، وأجبنا ما يكون عندما تهدّد لا إله إلا الله.

إن قضية الوظائف قد استعبدت البشر، والمناصب، والموائد، والجاهات والشارات؛ إنها تستعبد الحرّ الشجاع، فتجعله ذليلاً جباناً، لا يقول كلمة الحق «تمس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة»<sup>(١)</sup>.

إن محمداً ﷺ أراد أن يبني جيلاً قوياً شجاعاً، يقدّم الواحد منهم رأسه لمبدئه، وروحه لمنهجه، ولكن طال الأمد وقست القلوب، وانطمس المنهج، وأصبحت الأمة تعيش خواء عقدياً، أخوف ما تكون من البشر، انظر إليهم، والله إن البشر عندهم أخوف إليهم من ربّ البشر، فكيف يخافون، كم يجبنون، وكم يصيب أحدهم الزلزلة والرعدة، من تهديد بسيط يتعرّض لوظيفته، أو لمنصبه، أو لدخله ورزقه، ولا يرزق إلا الله، ولا يخلق إلا الله ﴿وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شَوْراً﴾ [الفرقان: الآية ٣].

إن قصة الهجرة، يتجلّى فيها التوكّل، كأحسن ما يتجلّى في أي صورة وفي أي موقف. يدخل الغار، ويتكرّر لنا حديث الغار، وتُعيد دائماً حديث الغار؛ لأن أول التاريخ بدأ من الغار، والنور انبعث من الغار، فمن يمنعه ﷺ؟ أين موكبه؟ أين أقواس النصر التي تحفّ بالناس؟ أين الجنود المسلّحة التي

(١) أخرجه البخاري (١٧٥/٧).

تحمي عظماء الناس وكبراءهم؟ وهم أقل خطراً وأقل شأناً منه، لا جنود، لا حراسة، لا سلاح، لا مخابرات، لا استطلاع.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالحوادث كلهن أمان

فيقول أبو بكر: يا رسول الله والله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرأنا، فيبسم ﷺ، والتبسم في وجه الموت أمر لا يجيده إلا العظماء، حتى يقول المتنبى يمدح عظيماً، لا يستحق أن يكون جندياً في كتيبة محمد ﷺ.

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

يتبسم ﷺ ويقول: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup> هل يغلب هؤلاء الثلاثة، أم تكون الدائرة على أعدائهم، إذا كان الله ثالثهما، فمن المغلوب؟ من هو الخاسر في الجولة؟ من هو المنهزم في آخر المعركة؟ ويقول ﷺ لأبي بكر مواسياً له: «لا تحزن إن الله معنا»<sup>(٢)</sup> بعلمه - سبحانه وتعالى - وهي معية الحفظ والتأييد والتسديد لأوليائه، المعية التي صاحبت إبراهيم عليه السلام وهو يهوي بين السماء والأرض، في قذيفة المنجنيق إلى النار، فيقول له جبريل: ألك إلي حاجة؟ فيقول: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]... فكانت النار برداً وسلاماً.

والمعية التي صاحبت موسى راعي الغنم، الذي يحمل عصاه، ولا يجيد اللغة أن ينطقها، ويدخل إيوان الظالم السفك المجرم فرعون، وحرس فرعون أكثر من ثلاثين ألفاً، الدماء تسيل في البلاط الملكي الظالم، وموسى يلتفت ويقول: يا رب ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾ [طه: الآية ٤٥]، فيعلمه الله درس التوحيد والتوكل ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ آتِمٌ وَرَى﴾ [طه: الآية ٤٦]

(١)، (٢) أخرجه البخاري (٤/١٩٠).

«إنني معكما أسمع وأرى» هكذا يقول الله جل جلاله الذي نواصي العباد بيديه، ورؤوس الطغاة في قبضته، ومقاليد الحكم بيمينه، لا يتصرف مُتَصَرِّفٌ إِلَّا بِقَدْرَتِهِ.

يطارد سُراقَة محمدًا ﷺ، فلا يلتفت، يقرأ القرآن ولا يلتفت؛ لأن الله معه، يدعو على سُراقَة، فيصبح سُراقَة مهتدًا بالموت فيقول: يا محمد، اكتب لي أمانًا على حياتي، أنت الآن صَحي، وأنا مهتد، بالله لا تقتلني.

### فَرَمَ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ!!

وها هو محمد ﷺ يتبسم، ويقول: يا سُراقَة، كيف بك إذا سُورت بسوازي كسرى؟ أين كسرى؟! امبراطوريّ فارس، ديكتاتوري الشمال، المجرم السفاك، فيضحك سُراقَة كأنه يسمع ضُرب من الخيال، أو هذا يستولي على امبراطوريات الدنيا!! أو هذا يلغي مملكة العالم!! وهو لا يستطيع أن ينجو بنفسه.

وبالفعل تم ذلك، ودُكِّدَ الظلم، وفتح الشمال، ورفرفت لا إله إلا الله على الإيوان.

وما أنت بقعةٌ إلا سَمِغَتْ بها      الله أكبرُ تسري في نواحيها  
وخالد في سبيل الله مُشعلها      وخالد في سبيل الله مُذَكِّبها  
ما نازلَ الفرس إلا خاب نازلهم      ولا رمى الروم إلا طاش راميتها

الثاني: من دروس الهجرة أن الله يحفظ أولياءه، نعم يُؤذون، ويضطهدون، ويُجسَمون، ويُقدَّمون رؤوسهم رخيصةً لله، ولكن ينتصرون؛ لأن العاقبة للمتقين: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۗ﴾ [٥١] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر: الآيات ٥١، ٥٢].

والنتيجة الحتمية، أنهم هم المتصرون في آخر المطاف، وأن الباطل مهما انتفش، ومهما علا، ومهما كبر، فإنه كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكُفُّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزهد: الآية ١٧]. الباطل له صولة، والحق له



قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر <sup>(١)</sup> فصلى الله وسلّم وبارك عليك يا رسول الله .

تباع عُرفه في مكة، بعقد يتولاه عقيل بن أبي طالب، وأعمامه يكذبونه أمام الناس، يُحنا التراب عليه، يُطارِد بعيداً بعيداً، يُشج رأسه، ويدمى أصبعه، وتكسر رباعيته، فيصبر ويحسب .

يريدون إغلاق صوته، فيزداد الصوت، أقوى، وأعظم، وأعمق، وأصل، فيصل إلى المدينة فإذا الدنيا تتحدّث عنه .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أُنح لها لسان حسود  
لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب نفع العود

هكذا العظمة، وهكذا الريادة... وينصت العالم له، ويسمعون كلمته، ويقويه الله بجند من عنده، وتحفّ به الملائكة .

وقاتلت معنا الأملأك في أخذ تحت العجاجة ما حادوا وما انكشفوا  
سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا إياك نعبد من سألها رشفوا

إذا التضحية هكذا، أن تقدّم دمك، ومالك، ودموعك، ووقتك للإسلام، وإلا الركعات والتسبيحات، التي يمتنّ بها كثير من الناس، ولكنهم لا يحترقون على الدين، ولا يغضبون لانتهاك محارم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥]، فهؤلاء لا يستطيعون أن يتقدّموا معك خطوة، لنصرة لا إله إلا الله، هذا عالم آخر .

الرابع من الدروس: ماذا قدّمنا للعام الهجري المنصرم، ذهب من أعمارنا عام، مات فيه قوم، وعاش قوم، واغتنى قوم، وافترق قوم، وتولّى قوم، وخلع قوم، فماذا قدّمنا للإسلام؟ ولك أن تتعجب معي، وإن تعجب، فعجب فعلهم

(١) أخرجه البخاري (١/١٣١، ١٣٢)، ومسلم (٣/١٤١٨) رقم (١٧٩٤).

في هجرة محمد ﷺ، أين هي الصُّحُفُ الصباحية؟ أين هي الشاشة؟ أين صحف لا تحيي محمداً ﷺ، كتابها حسنة من حسناته، كُتَابُهَا مُتَطَفِّلُونَ عَلَى مَائِدَتِهِ، كُتَابُهَا أَحْرَارٌ لَمَّا أَخْرَجَهُمْ مِنَ الرَّقِّ؛ رَقِّ الْوِثْنِيَّةِ وَالْعِبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، بِلَادٌ مَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهَا شَمْسٌ إِلَّا بِدَعْوَتِهِ، وَلَا تَحْيِيهِ!!، لَا كَلِمَةً، وَلَا عَمُوداً صَغِيراً، وَلَا زَاوِيَةَ تُحْيِي الْمُصْلِحَ الْعَظِيمَ. وَاللَّهُ لَقَدْ قَرَأَتْ أَخْبَاراً عَنْ كِلَابٍ، حَدَّثَتْ لَهَا وَقَائِعَ وَمَصَانِبَ فِي الْغَرْبِ وَتَرَجَمُوا لَهَا، لَكِنِ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَجِدُ مَنْ يَتَرَجِمُ لَهُ.

وَنَقُولُ لِلْكَتَبَةِ وَالْمَحْرُورِينَ وَاللَّتَخْبَةَ الْمُثَقَّفَةَ - كَمَا تَزْعَمُ - وَلَأَهْلَ الْكَلِمَةِ، وَلِأَبْنَاءِ الْفِكْرِ، لَا عَلَيْكُمْ ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [مَحْمَدٌ: الْآيَةُ ٣٨]. لَا عَلَيْكُمْ إِنْ بَخَلْتُمْ بِأَقْلَامِكُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى صَفْحَاتِكُمْ الْفَنِيَّةِ كَوَاكِبِ الْفَنِّ وَشُمُوسِ الْغِنَاءِ، فَعِنْدَنَا جِيلٌ الْآنَ، أَعْلَنَ تَوَجُّهَهُ إِلَى اللَّهِ، جَيْلٌ كَتَبَ الْهَجْرَةَ بِدُمُوعِهِ، وَحَفِظَ الْمِيرَةَ بِقَلْبِهِ، وَأَصْبَحَ حُبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَجْرِي فِي دَمِهِ. عِنْدَنَا جَيْلٌ كَعَدَدِ الذَّرِّ كُلِّهِمْ وَاللَّهُ يَتَمَنَّى الْيَوْمَ قَبْلَ غَدٍ، أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ مَبَادِيءِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هَذَا أَثَرُهُ ﷺ عَلَيْنَا، وَهَذَا مَوْقِفُنَا مِنْ دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، عَجَباً لَكُمْ الْأَفْكَارُ إِلَّا فِكْرُهُ!! وَتَدْرُسُ الْمَنَاهِجُ إِلَّا مِنْهُجَهُ!! وَتَتَكَلَّمُ عَنِ الشَّخْصِيَّاتِ إِلَّا شَخْصِيَّتَهُ!!.

وَرَأَيْتُ فِي صَحِيفَةِ زَاوِيَةٍ، خَصَّصَتْهَا لِلْأَعْلَامِ وَالْمَشَاهِيرِ وَلَوْفِيَّاتِهِمْ.

إِنَّهُمْ مَشَاهِيرُ الْعَفْكَ وَالنَّهْبِ فِي الْعَالَمِ!! مَشَاهِيرُ الْقَتْلِ وَالْإِبَادَةِ، وَاسْتِخْدَاءِ الشُّعُوبِ، أَمَّا الْمَحْرُورُ الْأَوَّلُ، أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَّةَ فَلَا كَلَامَ، وَلَا تَرْجَمَةٌ لَهُ!!... فَبِمَاذَا يَعْتَدِرُ هَؤُلَاءِ أَمَامَهُ ﷺ غَدًا.

وَلَا يَفْهَمُ فَاهِمٌ، أَوْ يَزْعَمُ زَاعِمٌ؛ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ نَنْشِئَ لَهُ عِيدَ هَجْرَةَ، فَالْإِسْلَامُ لَا يَقْرَهُ هَذَا، وَلَا عِيدَ مِيلَادٍ، فَالْإِسْلَامُ لَا يُؤْمِنُ بِهَذَا، وَلَا أَنْ نَجْتَمِعَ فِي زَوَايَا، وَفِي خَلَايَا، وَفِي جَوَانِبِ، لِنَرْقِصَ كَمَا يَرْقِصُ الْمَخْذُولُونَ الْمَتَهَوِّكُونَ، بِالنَّشِيدِ وَالتَّصْفِيقِ، فَتَحِيَّتُهُ لَيْسَتْ هَكَذَا، تَحِيَّتُهُ؛ أَنْ نَطْهَرُ بِلَادَهُ مِمَّا

طهرها هو، فتكون بلاداً مقدسة، تحيته أن نسير على خطواته، وأن نفتفي منهجه، وأن نضحى لمبدئه، أعظم مما يضحى الثوريون العرب، والماركسيون العرب، والاشتراكيون العرب، للأقزام الملاعين، وللنخبة - من زعمهم - المخدولين، وللأصنام المبعدين.

تحيتنا له؛ أن نقف مع سنته، وننشرها في الأرض كما أوصانا بذلك قائلاً: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>(١)</sup>، «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنِّي مَقَالَةً، فَوَعَاها، فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»<sup>(٢)</sup>. إن عالم البادية، الذي كان يسجد للحجر ويجمع التمر على صورة صنم، ويصلي له، ويأتي إلى الوثن الذي تبول عليه الكلاب والثعالب، ويدعوه أن يشفي مريضه لهو عالم ضال.

رَبِّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ!! لَقَدْ ضَلُّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعْلَابُ

فمن الذي حزر البشرية من هذا؟ إنه محمد ﷺ. وإن العجب العجاب، أن تحتفل جهات متعددة ببطافة البيئة، محاضرة في نظافة البيئة، ومحاضرة في فن السياحة، ومحاضرة في أدب الاصطياف، ولم يبق إلا محاضرة رابعة في بيطرة البقر، كيف تبيطر البقر، وما هو علاج البقر، ومن هم الأبطال الذين يعالجون الأبقار من أمراضها؟!.

عَلَيَّ نَحَتْ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ

لماذا لم تُعَدَّ محاضرة بعنوان: أثر رسالته ﷺ على العالم؟ لماذا لا يأتي هؤلاء المُحَلِّلون والمُنْتَظرون بمحاضرة عن «الإسلام وحاجة العالم إليه»، «نحن والقرآن»، «واجبنا في هذا القرن»، «ماذا قدمنا للعالم»، «أثر لا إله إلا الله في

(١) أخرجه البخاري (١٤٥/٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢/٣) رقم (٣٦٦٠)، والترمذي (٣٣/٥) رقم (٢٦٥٦) وقال:

حديث حسن، ورقم (٢٦٥٧) وقال: حسن صحيح، ورقم (٢٦٥٨)، وابن ماجه (١/

٨٥) رقم (٢٣١)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٧٦٦) -

(٦٧٦٣).

حياة الإنسان»، أما هذه المحاضرات التي شبع منها الناس، وَمَجَّتْهَا الْأَذَانُ، وأصبحتنا نُصاب بغثيان من سماعها وتردادها، فوالله إنها شغلٌ للأوقات، وإنها تسويد للصحف، وإنها مَجٌّ للأسماع، ورداءة على القلوب.

عباد الله:

هذا هو المهاجر الأول، هذا هو الداعية المُطارَد، من أجل مبدئه، وهذه الصُّحف، وهذه الأقلام، وَلَكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا ﴿١٥﴾ بِإِلْهِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ﴿١٦﴾ [الْقِيَامَةِ: الْآيَتَانِ ١٤، ١٥]، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾﴾ [الْإِنْفِطَارِ: الْآيَتَانِ ٦، ٧].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتُوبوا إليه، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وحنة الله على  
الهاالكين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

### • أيتها المسلمون:

في مثل هذا الشهر، طوّر دعاية أول، أخ له عليه الصلاة والسلام، نهجه  
نهجه، ومسيرته مسيرته، ودعوته دعوته، إنه موسى عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا  
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣١].

لا يُبعث نبي، إلا وقد هيا الله طاغية هناك يترتب به، ولا يحمل رائد من  
رؤاد الدعوة مبدأ، إلا ويتهياً له ظالم يرصده، سئة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً  
﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥١]،  
في هذا الشهر خرج موسى مطروداً من مصر، يطارده فرعون المجرم بستمائة  
ألف مقاتل ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف:  
الآية ٥٤].

قطع الضأن، الشعوب التي لا تفهم إلا الخبز، ولا تفهم إلا الأكل، ولا  
تفهم إلا ثقافة القدر، والجيب والبطن، تصفّق للطاغية، وتحشو على رأس  
الداعية، الشعوب المهلهلة، المهترئة، المتهالكة من داخل، طاردت موسى،  
يريدون قتله؛ لأنه يريد أن يحزّهم، ويقولون لا، يريد أن يُخرجهم من

الظلمات إلى النور، ويقولون: لا، يريد أن يرفع رؤوسهم، ويقولون لا، اصطدم بالبحر، الجيش وراءه، والموت والبحر أمامه، إلى أين يا رب؟ إلى الله، التفت موسى ودعا، والله قريب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، بنو إسرائيل ولولوا، الخونة خافوا، الجبناء ارتعدوا، انهارت حوله الكتاب، يا موسى ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٦١]، يتبسم موسى كما تبسم محمد ﷺ في الغار ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: الآية ٦٦]، قالوا له كما ذكر بعض أهل السير: أين يهدك وفرعون خلفك، والبحر أمامك؟! هذه ورطة لا حل لها، هذا مضيق لا مخرج منه في عُرْفِ البشر، قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾﴾ ويتلقى المكالمة في الحال، لا تتأخر ﴿أَضْرِبْ بِمَصَّالِكَ الْبَحْرِ﴾ [الشعراء: الآية ٦٣]، بسم الله، ضرب البحر، انفجر البحر، انفلق، ظهر لهم طريق، مشى موسى، ومشى بنو إسرائيل، وأتى المجرم يريد أن يجزب آخر جولة له في عالم الضياع، وفي مصارع الطغاة، والطغاة لهم مصارع، إما أن تلعنهم القلوب، وهم يسيرون على الأرض، وهذا مصرع، وإما أن يُشَدَّخون كما شُدِّخَ هذا، وهذا مصرع، إما أن يدخر الله لهم ناراً، وهذا مصرع.

ووصل فرعون وجنوده، ونجا موسى، وقال الله للبحر اجتمع فاجتمع، وكانت نهاية المجرم، دخل الطين في فمه، فلما أصبح في وقت ضائع قال: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآية ٩٠]، فيقول الله له: ﴿الْقَتْلَ﴾ [يونس: الآية ٩١]. في هذه اللحظة أيها المجرم الخيس!! بعد أن فعلت من الأفاعيل ما تشيب له الرؤوس، لا لن يكون لك ذلك، وفي المقابل ونجا الله موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه.

#### • عباد الله :

والحدّث أن الرسول ﷺ يشارك أخاه في فرحة الفلاح والانتصار، ويشارك زميله في هذا اليوم الأغرّ، يوم عاشوراء، ولذلك تضامن معه، وتكاتف هو وإياه.

وجد ﷺ بني إسرائيل، اليهود الخَوْنَةُ الجُبْناء، في خيبر والمدينة، يصومون عاشوراء، قال: «ما هذا اليوم؟ قالوا: يوم نجى الله فيه موسى، قال: نحن أولى بموسى منكم»<sup>(١)</sup>، موسى قريبتنا، موسى حبيبنا، نحن حَمَلَةٌ منهج موسى، لا أنتم يا خَوْنَةُ العالم، ويا حُثالة التاريخ، ويا أبناء القِرَدَةِ والخنازير، فصامه، وقال ﷺ عن هذا اليوم كما في صحيح مسلم: «إني أرجو من الله أن يكفّر الله السنة الماضية»<sup>(٢)</sup>، الله أكبر كم علينا من ذنوب في السنة الماضية، ومن السُنَّةِ أن تصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، اليوم التاسع والعاشر من هذا الشهر، أو اليوم العاشر والحادي عشر من هذا الشهر، يقول ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر»<sup>(٣)</sup>، فشكر الله لموسى دعوته ومنهجه وبذله وتضحيته، وشكر الله لمحمد ﷺ بذله وشجاعته وتضحيته، من أجل هذه الأمة، وشكر الله لكل من سار على منهجه ﷺ، وضحى من أجل مبادئه، وبذل من أجل دعوته، وساهم في رفع رسالته.

أسأل الله أن يجمعنا بمحمد ﷺ، وبإبراهيم وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وبالأخيار الطيبين، وبالشهداء الصالحين، وبالأبرار الصّديقين، وبالشجعان الباذلين، في مقعد صدق عند ربّ العالمين.

### • أيها الناس:

صلّوا على الداعية المُطارَد، والمهاجر الأول، والرسول الأعظم، والهَمَام الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام ﷺ، ما ترقق الغمام، وما جنح الظلام، وما أفشى السلام، وما كان في قلوبنا وفي أذهاننا إمام، ﷺ ما فاحت الأزهار، وما تمايلت الأشجار، وما تدفقت الأنهار، وما كُوِّرَ النهار في الليل، والليل في

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٨١٩) ورقم (١١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢/٧٩٨) رقم (١١٣٤).

النهار، ﷺ ما تألقت عين لنظر، وما تحرقت أذن لخبر، وما هتف ورق على شجر، وعلى آله وصحبه.

اللَّهُمَّ انصر دينك ومنهجك، اللَّهُمَّ اجعله عاماً مُباركاً، عاماً ينتصر فيه الدين، وترتفع فيه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥].

وصلوا وسلموا على مَنْ أكرم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## شباب الأمس واليوم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧١، ٧٢].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

## • أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانٌ      وربُّهُ غيرُ محضِ الخيرِ خسرانٌ  
 وكلُّ وجدانٍ قومٍ لا ثباتَ له      فإنما هو في التحقيقِ خسرانٌ  
 يا متعبَ الجسمِ كم تسمى لراحتهِ      أتعبتَ جسمَكَ فيما فيه خسرانٌ  
 أقبلِ على الروحِ واستكملِ فضائلها      فأنت بالروحِ لا بالجسمِ إنسانٌ  
 يا عامراً لخرابِ الدارِ مجتهداً      بالله هل لخرابِ الدارِ عمرانٌ؟

«اللَّهُمَّ رَبُّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرِ السمواتِ والأرضِ، عالمِ  
 الغيبِ والشهادةِ، أنتَ تحكمُ بينَ عبادك فيما كانوا فيه يختلفونَ، اهدنا لما  
 اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ»<sup>(١)</sup>.

هذا دعاء رسولنا ﷺ وما أحوجنا إلى هذا الدعاء، فإن المسلم يحتاج في  
 كل لحظة إلى هداية من الله الواحد الأحد، فنحن في حياتنا في دراستنا، في  
 وظائفنا، في تجاراتنا، في أعمالنا كلها، نحتاج إلى هداية الله تعالى وتوفيقه.

وقد اقتربت العطلة الصيفية من شباننا، وكلّ شابٍ في ذهنه تصوّر واضح  
 عن كيفية قضاء هذه العطلة.

والشباب في ذلك على قسمين اثنين: قسم قد صمّم تصميماً جازماً، وأكد  
 تأكيداً بالغاً، على أن يقضيها في النزاهات، وفي الضياع، وفي اللغو واللغو  
 واللعب، فهذه عاداته وطريقته، يبدّد عمره في كل معصية ولهو ولعب، لا يعرف  
 الله حقاً ولا طريقاً.

وقسم آخر هم أهل الصدق والاستقامة والصلاح، نظر الله إلى قلوبهم  
 فرأى ما فيها من التقوى وحُسن القصد، فكانوا أهلاً لهديته وتوفيقه، عزموا على  
 قضاء العطلة في مرضاة الله تعالى، عرفوا أن هذه العطلة جزء من أعمارهم،

(١) أخرجه مسلم (٥٣٤/١) حديث رقم (٧٧٠).

وأنهم مُحاسِبون عليها، بين يدي الله الواحد الديان ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: الآيتان ١١٥، ١١٦].

فنسأل الله تعالى أن يثبت هؤلاء وأن يصلح أولئك.

### • أيتها الناس :

إن مشكلات الشباب وقضاياهم تلخّص في أربع قضايا:

**أولها:** التفريط في صلاة الجماعة، التي تركها كثير من الناس إلا من رَجِمَ ربك، صلاة الجماعة، التي ما تركها النبي ﷺ حتى وهو في مرض الموت. صلاة الجماعة التي طَعِنَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يتلَهف عليها. صلاة الجماعة التي أوصى أحد التلف بنيه أن يحملوه إلى المسجد وهو في مرض الموت بعدما سمع الأذان، فلما قالوا له: أنت مريض، وقد عذرك الله، فقال متعجباً: لا إله إلا الله... أسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح ثم لا أجيب!! لا والله، فحملوه فقبض الله روحه في السجدة الأخيرة... صلاة الجماعة التي يقول عنها سعيد بن المسيّب: والله ما لي من عمل أرجوه بعد لا إله إلا الله، إلا أنني ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة أربعين سنة، وقال الأعمش: ستين سنة... صلاة الجماعة التي مَنْ فَقَدَهَا بغير عذر، فقد فَقَدَ النور، والاستقامة، والهداية والسداد.

لقد قصرنا جميعاً في صلاة الجماعة، أما المصلّي فقد قصر في عدم أمره لتارك الجماعة بها، الأب يخرج من بيته ولا يأمر أهله ولا أولاده بالصلاة... أنا أسكن في حيٍّ مُكَنِّظ بالسكان، ومع ذلك لا يصلي الفجر معنا، إلا الصّف والصفان، فماذا نُجيب ربنا إذا سألنا عن صلاة الجماعة... كيف يصلح الحال والمساجد خاوية من المصلّين، كيف ينتهي الشاب عن الفواحش والمُنكَرَات، وهو لا يعرف المسجد، كيف يَسَلِّم الشاب من المخدرات والجرائم، وما دله أبوه

ولا أمه إلى طريق المسجد ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾  
[التحریم: الآية ٦].

وَجَلَجَلَةُ الْأَذَانِ بِكُلِّ حَيٍّ      ولكن أين صوت من بلال  
منايركم علت في كل ساح      ومسجدكم من العباد خالي

ومشكلة الشباب الثانية: تأتي من جلساء السوء، قوم علم الله من قلوبهم الخبث فأخبرهم، قوم ما أفلحوا في دين ولا دنيا، رسبوا في الدراسة، وفشلوا في الوظيفة، وتقهقروا في العمل، فجلسوا على الأرصفة يصدون عن سبيل الله، لا يعرفون إلا لعب الورق، والأغاني، والموسيقى، والمسرحية، والغيبة، والنظرة الآتمة، يصدون عن سبيل الله، يتلقفون شباب الإسلام، ليجعلوا مصيرهم كمصيرهم... أهكذا شُكر النعمة؟ أهذا هو الإحسان؟ أب يدفع لابنه ما يريد، وهذا الابن يوجهه شيطانه إلى كل معصية، فوجد السيارة الفاخرة، والفيلا الواسعة، واللباس والطعام والأموال متوفرة... فهتك الأعراض، واستحل الحُرُمات، يحمل الشباب المكين في سيارته إلى أماكن اللهو واللعب والبُعد عن الله... فأين الأب الحصيف، وأين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟!..

ومشكلة الشباب الثالثة: ضياع الوقت، والوقت أغلى شيء عند المسلمين وهو كذلك عند غير المسلمين، أما عند كثير المسلمين فما أرخصه، الساعات الطويلة، والأعمار المديدة، يضيّعها كثير من الناس في غير فائدة، بل فيما يجلب عليهم الحُمران والضياع يوم القيامة.

وكثير من الشباب يبدأ برنامجه اليومي، من العصر إلى العشاء في اللهو واللعب والخروج من البيت، لا عمل، ولا تجارة، ولا وظيفة، ولا كسب، ولا تحصيل، ولا طاعة، ثم يعود كالجثة الهامدة، فيسهر مع زملائه إلى منتصف الليل، ثم يرمي بجسمه على الفراش، بلا ذُكر ولا تسبيح، ولا تحميد، ولا

تهليل، ولا وضوء، ثم لا يستيقظ من نومه إلا قبيل الظهر، بعد أن ألقى صلاة الفجر من برنامجه... أي حياة هذه، وأي عيشة تلك!!.

أيها اللاهي بلا أدنى وجَل اتقِ الله الذي عزَّ وجل  
واستمع قولاً به صَرَبُ المثل اعتزل ذِكْرَ الأغاني والغَزَل

وقُل الفضل وَجَانِب من هَزَل

كم اطعتُ النَّفسَ إذ اغْوَيْتُهَا وعلى فِعل الخنا رَبَّيْتُهَا

كم ليالٍ لاهياً أَنهَيْتُهَا إِنَّ أهني عيشةً قَضَيْتُهَا

ذهبت لذاتها والإثم حَل

والمشكلة الرابعة: هي عدم الاهتمام بالعلم الشرعي وتحصيله، أصبحت الأمة - إلا من رحم ربك - أمة ثقافة سطحية، تحولت الأمة من الأصالة والعمق المتمثل في العلوم الشرعية، والعلوم التجريبية، إلى أمة تعرف المعلومات العامة، والثقافة السطحية، وهو علم يشترك فيه الكافر والمؤمن.

ولكن أين التحصيل؟ أين الاجتهاد في طلب العلم؟ أين الحرص على الاستفادة؟ أين حفظ المُتون؟ أين المُتدبرون للقرآن؟!.

• أيها الشباب - يا حَمَلَة العقيدة:

من هم شباب السلف، ومن هم شبابنا؟

شباب السلف هم عبد الله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومصعب بن عمير، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

عَبَادُ ليلٍ إذا جَنَّ الظلامُ بهم كم عابِدِ دمعُه في الخدِّ أجراه

وأندُ غابٍ إذا نادى الجهادُ بهم هبوا إلى الموتِ يستجدون رؤياه

يا ربُّ فابعثْ لنا من مثلهم نفراً يُشَيِّدون لنا مجدداً أضغاثه

فهذا عقبة بن نافع شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يقف على المحيط الأطلنطي مَوْحِداً، مُصَلِّياً، يرفع سيفه، إلى السماء قائلاً: والله لو أعلم

أن وراء هذا الماء أرضاً، لُخِضَتْ بفرسي هذا رافعاً راية: لا إله إلا الله. نصر الإسلام، وفتح إفريقيا... فشكر الله سعيه، ورفع منزلته.

ولكن، هل تدري أن من شبابنا مَنْ بلغ الثلاثين، والأربعين، وهو لا يعرف لماذا أتى، ولماذا يعيش، وأين يسير، غاؤه، لاؤه، ما عرف رسالته في الحياة!!.

عبد الله بن رواحة: كان شاباً في الثلاثين، حمل سيفه وذهب إلى معركة مؤتة في أرض الأردن، فلبس أكفانه ورفع سيفه وقال:

أَقَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَتْهُ      لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَتْهُ  
 إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرُّنَّةَ      مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّةَ  
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً      هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شِنَّةِ!!  
 ثم قال:

يَا نَفْسُ إِلَّا ثَقَلِي تَمُوتِي      هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَبِي  
 وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ      إِنْ تَفْعَلِي فَعَلِمَا هُدَيْتِ  
 جعفر الطيار... ليلةً سجود وتسبيح، ونهاره جهاد ودعوة، أتى إلى مؤتة مجاهداً في سبيل الله، فقطعت يُمناه، فأخذ الراية بيده اليسرى، فقطعت، فضمّ الراية بعضديه، حتى تكسرت الرِّمَاح في صدره، وهو يتسم ويقول:

يَا حَبِذَا الْجَنَّةِ وَاقْتِرَائِبُهَا      طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا  
 وَالرُّومُ رَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا      كَافِرَةٌ بِعَمِيدَةِ أَنْسَابُهَا  
 أنس بن النضر يقول: إليكم عني، والله إنني لأجد ريح الجنة من دون أحد، فيضرب بشمانين ضربة، فيموت في سبيل الواحد الأحد<sup>(١)</sup>.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ      إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

(١) انظر ذلك في صحيح مسلم (٣/١٥١٢)، رقم (١٩٠٣).

﴿خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾

[مریم: الآية ٥٩].

فخلف من بعدهم خلف، جعلوا مكان التلاوة الغناء، ومكان مجالس العلم المسرحيات والمسلسلات، ومكان المصحف المجلّة، ومكان التسبيح السجارة، ومكان التهجد البلوت، ومكان التقوى الفجور، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الغفور.

فيا رب... أعد هذه الأمة إليك، وخُذ بناصيتها إلى رحابك.

### • أيتها الشباب:

من يرفع راية لا إله إلا الله إذا تولّيتهم، ومن ينصر هذا الدين إذا عرضتم، فعليكم أيتها الشباب باستثمار هذه العطلة في شيء نافع حدّودوا لأنفسكم حفظ ثلاثة أو أربعة أجزاء من كتاب الله، وإن الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن ترخّب بكم، والمخيمات الإسلامية - أيضاً - ترخّب بكم.

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفّقنا جميعاً إلى مرضاته، أقول قولِي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين،  
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - فإنها وصية الله - تعالى - للأولين  
والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾  
[النساء: الآية ١٣١].

وعن أبي ذر - جندب بن جنادة - وأبي عبد الرحمن - معاذ بن جبل رضي الله عنهما،  
أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،  
وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(١)</sup>.

فهذه وصية رسول الله ﷺ لأصحابه، ولأئمة من بعده، وهي من جوامع  
كلمه ﷺ، فالتقوى كلمة جامعة لكل خصال الخير، بحيث يُطاع رب العالمين  
فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

(١) أخرجه الترمذي (٣١٣/٤) رقم (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٥٣/٥)،  
١٥٨، ١٧٧، ٢٢٨، ٢٣٦، وحسنه الشيخ الألباني - رحمه الله - كما في صحيح الجامع  
رقم (٩٧).

وقد سُئِلَ أمير المؤمنين أبو الحسن - علي بن أبي طالب - عليه السلام عن التقوى فقال: «هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

كلمات يسيرة، إلا أنها ثقيلة في ميزان الله عزّ وجلّ.

الخوف من الجليل: مَنْ مَنّا يخاف من الله - تبارك وتعالى - خوفاً يصرفه عن معصيته، ويقربه من طاعته؟ كيف تدّعي مخافة الله - عزّ وجلّ - وأنت تظلم الناس، وتأكل حقوقهم؟!.

كيف تدّعي مخافة الله - عزّ وجلّ - وأنت تتعامل بالرّبا؟

كيف تدّعي مخافة الله - عزّ وجلّ - وأنت لا تشهد الصلاة مع المسلمين في المساجد؟

كيف تدّعي مخافة الله - عزّ وجلّ - وأنت تتلذذ بسماع الغناء، وتُعرض عن سماع كتاب الله، وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والعمل بالتنزيل: والواقع يشهد بوضوح؛ أننا بعيدون كلّ البُعد عن التنزيل، إلا مَنْ رحم الله عزّ وجلّ، فالله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمّد: الآية ٧].

فإذا نصرنا الله - عزّ وجلّ - باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، بتحليل ما أحلّ، وتحريم ما حرّم، بالتحاكم إلى كتابه، وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل أمر من أمورنا، إذا فعلنا ذلك، نصرنا الله - عزّ وجلّ - على أعدائنا، والله تعالى لا يُخلف وعده، وقد نصر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، والقلة المؤمنة في بدر وغيرها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٣].

فعلينا أن نتبّه، وعلينا أن نَسْتَفِقَ من غفلتنا حتى لا نندم حيث لا ينفع الندم، يوم يقول الظالمون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، فبأيّتهم الجواب فيزيدهم خزيًا ونكدًا وحسرة ﴿أُولَئِكَ

نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمْ أَلْسِنَةٌ ذُرْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ  
[فاطر: الآية ٣٧].

والرُّضَا بِالْقَلِيلِ: يقول النبي ﷺ: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة وحب المال»<sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ: «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له وادياً آخر، ولن يملأ فاه إلا التراب، والله يتوب على من تاب»<sup>(٢)</sup>.

وعبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿الْمَنكُمُ الْكَاثِرُ﴾ [التكاثر: الآية ١] فقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»<sup>(٣)</sup>.

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَلَمْ تُغْنِهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ فَذَلِكَ الشَّقِي  
مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بَعْرُ الْغِنَى وَالْعَزُّ كُلُّ الْعَزِّ لِلْمَتَّقِي

والاستعداد ليوم الرحيل: ولا يكون ذلك إلا بدوام ذكر الموت، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة؛ من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وإصلاح بين الناس، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وعدم الاستهانة بالذنوب والمخالفات؛ فإن المتقي لا ينظر إلى صغر الذنب، وإنما ينظر إلى عظمة من يعصيه، إلى عظمة الرب - تبارك وتعالى.

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى  
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَزْ ضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى  
لَا تَخْفِرَنَّ صَغِيرَةَ إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْخَصَى

(١) أخرجه البخاري (٧٠/٧)، ومسلم (٧٢٤/٢) رقم (١٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٥/٧)، ومسلم (٧٢٥/٢) رقم (١٠٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٣/٤) رقم (٢٩٥٨).

ولذلك قال أحد العلماء لشاب أسرفَ على نفسه في المعصية: إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه حيث لا يراك، أو اخرج من داره، أو كُل من غير رزقه! فتنبه الشاب إلى ذلك وبكى، ثم تاب إلى الله، عز وجل.

ودخل شخص بستاناً كثير الأشجار، فقال في نفسه: لو خلوت هنا بامرأة، ما كان يراني أحداً!!، فسمع هاتفاً يهتف بصوت مرتفع: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [المُلْك: الآية ١٤].

ورأى شخصٌ أعرابيةً عن نفسها، وقال لها: لا يرانا إلا الكواكب، فقالت: وأين مَكُوبِها؟! أين خالقها؟! أين فاطرها؟!

إذا ما خَلَوْتُ الدهريوماً فلا تقل      خَلَوْتُ ولكن قل عليّ رقيبٌ  
ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً      ولا أن ما تُخفي عليه يغيبُ

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين يراقبونه ليلاً ونهاراً، وسيراً وجهاراً، وظاهراً وباطناً.

• عباد الله:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥١) [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صِلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا<sup>(١)</sup>).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (١/٢٨٨) رقم (٣٨٤).

## ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:  
الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ  
الأمرِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

• أيها الناس:

عنوان هذه الخطبة ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: الآية ٥٣].  
والله، عز وجل، يقول: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

رُفِعَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٩﴾ [الغاشية:  
الآيات ١٧ - ٢٠].

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري  
حتى أريك بديع صنع الباري  
الأرض حولك والسماء اهترت  
لروائع الآيات والآثار  
ولقد تمر على الغدير تخاله  
والنبا مرة زهت بإطار  
حلو التسلسل موجه وخريزه  
كأنامل مرت على أوتار  
يناب في مخضلة مبتلة  
منوجة من سندس ونضار  
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى  
منسقة عن أنهر وبحار  
في كل ناحية سلكت ومذهب  
جبلان من صخر وماء جاري  
سبحان من خلق الوجود مصوراً  
تلك الذمى ومقدر الأقدار

من هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، هل يستطيع أحد في العالم،  
هل يستطيع كيان، أو منظمة، أو مؤسسة، أو هيئة علمية، أن تدعي وتزعم أنها  
هي التي أعطت كل شيء خلقه ثم هدت؟ لا، وألف لا، إن الذي أعطى كل  
شيء خلقه ثم هدى هو الله.

ردّ بهذا الرّدّ موسى كليم الله، على فرعون عدوّ الله، لما سأله فرعون: مَنْ رَبُّكُمْ، ما تعريفه، ما ترجمته، ما آثاره، ما هي الدلائل القائمة على وحدانيته، ما هي البراهين الساطعة على ألوهيته؟

فقال موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية ٥٠]، وهذه الآية تشمل عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم البرّ، وعالم البحر، وعالم الجوّ، فالله تتجلى عظمته في عصر العلم، كلما مرّ يوم، وكلّما اكتُشِفَ اكتشاف، دلّنا على الله وعلى قدرته ووحدانيته.

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

﴿سَرُّبِهِمْ أَيْنَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ:

الآية ٥٣].

كان السلف يعرفون من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ﴾ [الحج: الآية ٥] أن الأرض تخضّر وتثمر وتزهر إذا نزل عليها الماء، ثم تقدّم العلم، واكتشف أهل علم النبات؛ أن الإنسان إذا وضع الحَبّ اليابس في الأرض اليابسة لا ينبت الزرع حتى تهتزّ الأرض درجة واحدة من درجات جهاز «رختر» فتصدع قشرة الحبة، فتبت بإذن الله، والله يقرّر ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَزَتْ﴾ وقبل أن تهتزّ لا تنبت ولا تثمر.

أحد الشعراء كان مُسْرِفاً على نفسه في الخطايا، أبو نواس، وعندما توفي، رآه أحد علماء أهل السُّنة في المنام في هيئة حسنة، عليه ثياب بيض، جالس في بستان، قال: يا أبا نواس كيف حالك؟ قال: لقد أتيت إلى الكريم فغفر لي، قال: بماذا؟ قال: بقصيدتي في وردة النرجس:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبك

على كُتُب الرُّبُزجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

النخل... الرمان... كل نبت... كل زهر، يشهد أن لا إله إلا الله،  
إنها معالم الوحداية، ودلائل الألوهية، وآيات الربوبية.

وعرف السلف قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النَّجْوَى﴾ (٧٥)

[الواقعة: الآية ٧٥] قالوا: إن ذلك إشارة إلى أماكنها، وتطور الإعجاز العلمي،  
فاكتشف علماء الفلك أن هناك نجوماً ذهب من أماكنها، أرسلها الله، سرعتها  
كسرعة الضوء أو أكثر، ولم ترتطم بالأرض إلى اليوم، وبقيت مواقعها هناك،  
فقال الله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النَّجْوَى﴾ (٧٥) ولم يقل: فلا أقسم بالنجوم  
تعظيماً لمواقعها.

والله يقول: ﴿وَالْعَمَاءُ بَيْنَهُمَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: الآية ٤٧).

يقول العلماء: إن الله - عز وجل - أوسع الكون، وجعله فسيحاً، بصحاريه،  
وقيافيته، وبحاره، ومحيطاته، ثم تطور علم الإنسان إلى أن وصل إلى قضية  
مذهلة؛ وهي أن الكون يتسع كل يوم كما يتسع البالون إذا ملئ بالهواء  
تماماً!!، يوسع الله الكون، نعم هذه قدرته وهذا سلطانه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ  
بَيْنَتِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَتِهِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٢].

ويقول جل ذكره: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ﴾ [الحجر: الآية ٢٢]، من منا يدري

معنى لواقح، وكيف تلقح الرياح، وما فائدة تلقيح الرياح، وما المادة التي  
تلقحها الرياح بإذن الله؟

يقول العلماء: يُحَمَلُ اللهُ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْحُبِّ بِمَاءِ الْبَحْرِ، بعد أن

يتبخّر، ثم يسوقه بالريح، فيأتي المَلَكُ يهتف ويقول: اسقي بلد كذا وكذا،  
فيذهب السحاب ولكنه لا يسقط منه قطرة، حتى يرسل الله الرياح مُحَمَّلَةً بِذَرَاتِ  
الغبار فتصطدم بالسحاب تلقحه، فيهبط الغيث بإذن الله.

وهناك فرق بين الرياح والريح، أما الريح فمهلكة دبور ممرضة، وأما الرياح فنافعة مفيدة مُثمرة لا تأتي إلا بخير، ولذلك كان النبي ﷺ إذا هبت الرياح قال: «اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»<sup>(١)</sup>

كان النبي ﷺ يقوم في وسط الليل ليصلي، ثم ينظر إلى السماء ويقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣٥) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٦﴾<sup>(٢)</sup> [آل عمران: الآيات ١٩٠، ١٩١]، وفي التنزيل: ﴿وَالْيَبَالُ أَرْسَنَهَا﴾ (٣٢) [التازعات: الآية ٣٢].

أين أرساها؟ ولماذا أرساها؟ كيف أرساها؟ أرساها في الأرض، قال: طول الجبل في باطن الأرض ضعف طوله فوق سطح الأرض، فكل جبل من الجبال، لم يخرج منه على سطح الأرض إلا الثلث، وبقي الثلثان في بطن الأرض، أوتد الله الأرض بالجبال، ثم وزعها على القازات والجزر، حتى لا تهتز الأرض، ولو جمعها في منطقة واحدة لاضطرب حال الأرض، ولتقلبت، ولانتهت كل الكائنات الحية الموجودة على سطحها ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِيءِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١١) [لقمان: الآية ١١]. أروني استعدادات البشر، أروني صنع البشر، أروني خلق البشر ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَجْمَعُوا لَهُٓ إِنَّكَ الْذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُٓ وَإِن يَسْلُبْنَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٧٦) [الحج: الآية ٧٣].

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٣٨/١٠، ١٣٩): رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس، الملقب بحنش، وهو متروك وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني: ضعيف جداً، كما في ضعيف الجامع رقم (٤٤٦١).  
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٠/١) رقم (٧٦٣).

وخلق الله عالم الحيوان، والحديث عنه طويل، قال علماء الحيوان: جعل الله في خياشيم الكلب مادة شامة، يعرف بها من بعيد صديقه من عدوه، ولا يصيب الكلب عرق، فإذا أراد أن يتنفس من المصام، لهث في الليل والنهار ﴿كَشَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٦].

فَمَنْ الذي خلق... وَمَنْ الذي صور... وَمَنْ الذي أبداع؟

يرسل الإنسان الحمام الزاجل، يحمل الرسائل، من مكان إلى مكان، ويعود إلى صاحبه، فلا يضل، ولا يضيع، ولا يضطرب، مَنْ الذي علمه، مَنْ الذي بصره بالطريق، مَنْ الذي هداه؟ إنه الله الواحد الأحد ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية ٥٠].

خلق الله العنكبوت، منها صنف وفصيلة تعيش في البحر، فإذا أرادت أن تبيض، بنت عُشَّها تحت سطح البحر، ثم عملت عُشًا كالبالون لا يخترقه الماء، وعبَّأته بالهواء، وأسرجته بإذن الله بمادة في أنفها، ثم جعلت تبيض في العُش فَمَنْ الذي هداها؟ إنه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

خلق الله النملة، تذهب لرزقها في الصباح وتأتي في المساء، تعلم بقُدوم فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد، فتدخر قوتها، من الصيف في مخازن تحت الأرض، حتى إذا جاء فصل الشتاء، كان عندها ما تعيش عليه، وإذا خافت أن تُنبت الحبة التي خزنتها، قسمتها نصفين لئلا تنبت، فَمَنْ علمها؟ وَمَنْ بصرها؟ إنه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

• أيتها الناس:

إن قضية الخلق والهداية لهي من أهم القضايا التي عالجها الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتقدّم العلم، وتطوّرت الأبحاث، وكلما تطوّر العلم، كلما اهتدى الإنسان، وعَلِمَ أن لهذا الكون إلهاً لا إله إلا هو.

أما رأيتم لأولئك الذين كانوا في المستعمرة السوفيتية وراء السور الحديدي، خرج كثير منهم يقول: لا إله إلا الله، دلهم العلم على الواحد الأحد ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٢٨].

فالعلماء كلما تجردوا من العصبية، وأخلصوا في اكتشاف الحقائق، عرفوا الله، واكتشفوا بعض أسرار الكون، وآمنوا به ووحدوه ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: الآية ٥٣].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، والمعلم التحرير، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد: فإن قدرة الله، عز وجل، تتحقق بكلمة واحدة ﴿كُنْ﴾ [البقرة: الآية ١١٧]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: الآية ٨٢].

والله - عز وجل - أخبر في كتابه أنه سوف يُنطق أعضاء الإنسان، لتشهد عليه؛ لأنها جُند من جنوده تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَنْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [الثور: الآية ٢٤].

يوم يقول الكافر لجلده: كيف تتكلم؟ كيف تشهد علي؟ مَنْ أَنْطَقَكَ؟ فيجيب: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: الآية ٢١].

وفي السنة والسيرة أحاديث كثيرة، أظهر الله فيها قدرته على ألسنة الحيوانات، حيث تكلمت بألسنة عربية فصيحة، أنطقها الواحد الأحد، ليبيّن أنه على كل شيء قدير.

ففي صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث»<sup>(١)</sup> هكذا في الصحيح، حجر، جماد، كان إذا

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٢/٤) رقم (٢٢٧٧).

مرّ به النبي ﷺ يقول له بصوت وبحروف، وبنطق: السلام عليك يا رسول الله.

خرج سليمان عليه السلام يستسقي بقومه وقد علمه الله منطق الطير، فوجد نملة رفعت أيديها وأرجلها تدعو الله، تشدو بذكره، تهتف باسم الواحد الأحد، تحتاج إلى الماء، فلا تجد إلا من بيده خزائن السموات والأرض فتدعوه. رفعت أيديها وأرجلها تبتهل إلى الله وتدعو بنزول القطر، فرآها نبي الله سليمان وتبسم، وقال لقومه من بني إسرائيل: عودوا فقد سُقِيتُم بدُعاء غيركم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَأَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [مُود: الآية ٦].

خرج رجل في عهد النبي ﷺ إلى ضاحية من ضواحي المدينة يرعى الغنم، فأخذ الذئب من غنمه شاة، فطارده الرجل حتى أخذ منه شاته، فقال الذئب بلسان فصيح: أتأخذ رزقاً رزقنيه الله، فدهش الرجل وقال: يا عجباً! ذئب يكلمني... قال الذئب: أين الراعي يوم لا راعي لها إلا الذئب؟ وفي هذا اليوم لن تمنعها أنت ولن تحميها؛ لأنني أنا الذي سأحميها.

ثم قال الذئب للرجل لما تعجب من تكليمه إياه: أعجب من ذلك رجل بين الحرّتين، يُوحى إليه صباح مساء<sup>(١)</sup>.

يقول: أعجب من تكلمي لك، رجل وهو النبي ﷺ يأتيه الوحي من السماء، لا يقرأ، ولا يكتب، وما تعلم، وما درس، ومع ذلك أتى بشريعة ربانية، وبوحي سماوي، وبمنهج خالد.

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) وفيه شهر بن حوشب، وأخرجه أيضاً (٨٣/٣)، (٨٤). قال الهيثمي في المجمع (٢٩٤/٨): رواه أحمد والبخاري بنحوه باختصار، ورجال أحمد إسنادي أحمد رجال الصحيح.

قلت: وقد رواه البخاري مختصراً (٦٧/٣)، (١٤٩/٤)، (١٩٢/٤).

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «أتى رجل من بني إسرائيل فركب بقرة كما يركب الحمار، فالتفتت إليه البقرة وقالت: ما خلقتنا لهذا، إنما خلقتنا للحزب»<sup>(١)</sup>، تكلمت البقرة، فمن أنطقها؟ أنطقها ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية ٥٠].

ومن الأحاديث الإسرائيلية، أن عيسى ﷺ مرَّ ببقرة وقد اعترض ابنها في بطنها وهي في الولادة، صعبت عليها الولادة، فجعلت تتلفت إلى السماء؛ لأنها تعلم أن الذي يُجيب السائلين، ويفرج كرب المكروبين، ويُزِيل هموم المهمومين إنما هو الله.

التفتت ثم قالت لعيسى ﷺ: يا روح الله، ادعوا الله أن يسهل عليّ، فدعا عيسى ﷺ فسهل الله عليها. فسبحان ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وسبحان الذي يسجد له مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض طوعاً وكرهاً، وسبحان الذي خلق كل شيء، وأبدع كل شيء، وكل شيء عنده بمقدار.

### • أيها الناس:

ما هي العبرة من هذا العرض، وما فائدة هذا السرد؟ وعلى أي شيء يدلّ هذا القصص؟!.

إن الغرض من هذا العرض ومن هذا القصص مسألة واحدة، وهي أن العاقبة لهذا الدين، وأن المستقبل لهذا الدين؛ لأنه الدين الصحيح الذي يخاطب القلوب والضمائر.

إن آيات الله في الكون سوف تترى؛ لتدلّ على قدرة الله تعالى، وهيمته على هذا الكون.

(١) أخرجه البخاري (٣/٦٧)، (٤/١٤٩)، (٤/١٩٢).

إن النظريات الغربية والشيوعية المُلجدة، التي قررت أن الطبيعة هي التي أحدثت وأبدعت وصورّت هذا الكون، قد أعلنت إفلاسها، وثبت فشلها، وذهبت إلى غير رجعة.

فلا خالق، ولا رازق، ولا مُصوّر، ولا مُبدع إلا الله الواحد الأحد، ﴿سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفَّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُضِّلَتْ: الآية ٥٣].

وصلّوا وسلّموا على نبيكم محمد ﷺ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

\* \* \*

## مناظرة بين فرعون وموسى

إن الحمد لله، نحمده ونتعنه، ونتغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٧٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس:

نحن مع موسى بن عمران في هذا اليوم، وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، شخصية لامعة في عالم الدعوة، بل هو بطل القصص القرآني، الذي

أنزله الله على قلب النبي ﷺ، تسلياً له ولأصحابه ﷺ وأخذاً للعبير والعظات ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: الآية 111].

وكما يقول بعض المفسرين: إن المناظرة بين موسى وفرعون كانت جدلية، نظيرية، عسكرية، اقتصادية، تربية في نفس الوقت.

فحيًا الله موسى بن عمران، وأهلاً وسهلاً ببطل الدعوة، الذي خاض غمارها، أكثر من خمسين عاماً.

فتعالوا نستمع إلى القرآن وهو يقصُّ علينا من نبأ هذا النبي الكريم، فمن القرآن نأخذ القصص، ومنه نأخذ طرق الدعوة وأساليبها، ومنه نأخذ الأحكام والعقائد والسلوك.

موسى في الصحراء، عصاه في يمينه، يجلس في ظل شجرة بعد أن أعياه هُشُّه على غنمه، فتأتيه عناية الله، وفضل الله، ووحى الله، يأتيه الأمر الإلهي بالذهاب إلى طاغية الأرض، السفّاك المجرم، والإرهابي العميل، إلى فرعون الضال، الذي قتل النساء، والذي ذبح الأطفال، والذي دمر الأجيال، والذي استعبد الشعوب، والذي عاث في الأرض فساداً.

يقول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثَ مُوسَى﴾ (١٠) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ أَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١١﴾ [طه: ٩، ١٠]، ثم كانت المفاجأة التي لم يكن ينتظرها، ﴿فَلَمَّا أَنذَرْتُ يُوسَىٰ يَمُوسَىٰ﴾ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ [طه: الآيات ١١ - ١٣]، وكان موسى ﷺ يتساءل: مَنْ أنت؟ ما حقيقتك؟ ذلني عليك؟ فيقول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) [طه: الآية ١٤].

هذا هو رب العالمين، هذه حقيقته عند أهل السنة والجماعة، إذا قال لك أحد من هو الله؟ فقل هو الله... الذي لا إله إلا هو. فالله يعرف نفسه

لموسى عليه السلام كأنه يقول له: اعرفني قبل أن تعرف بي، وقبل أن تنطلق بالدعوة إلي ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾ [طه: الآيتان ١٤، ١٥].

فهذه ثلاث قضايا ينبغي أن يعرفها كل من يتصدّر للدعوة إلى الله عز وجل.

**القضية الأولى:** قضية التوحيد والعبودية ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ فلا بد أن تعلم هذه القضية، قولاً وعملاً، وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يعلمها، ﴿فَاعَلَّمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمّد: الآية ١٩]. فلا معبود بحق إلا الله، ولا مُتَصَرِّفٌ إلا الله، ولا خالق، ولا مدبّر، ولا حاكم، ولا مُسَيِّر، ولا مرجو، ولا مقصود إلا الله تبارك وتعالى.

**القضية الثانية:** قضية الصلاة، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا امثال لمعاليم العقيدة بغير صلاة.

**والقضية الثالثة:** قضية الإيمان باليوم الآخر، وهي قضية كبرى، ركز عليها القرآن في مواضع كثيرة، وأبطل زعم الذين أنكروا هذا اليوم ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ نُّبْعَثَ قُلُوبَ بَنِي إِدْرِيصَ لِنُبَعَثَ ثُمَّ لَنُنْبِتَنَّهُمْ لَمَّا حُمِلَتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧) [التغابن: الآية ٧].

فالعقيدة لا تُبنى على اليوم الآخر عقيدة مهزوزة، وأدب وفن وجمال وتصوير، لا يُؤسس على الإيمان باليوم الآخر، جهالة وعمالة ولعنة من الله تعالى.

ويوم سخر الكتبة أعلامهم في خدمة الإلحاد، وفي الاستهزاء باليوم الآخر، ضاعوا، وضلوا، ولعنوا في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: الآيتان ١٥، ١٦].

ثم يتحدث الله بعد ذلك مع موسى حديثاً شيقاً، حديث الأتس واللطف؛ ليُزيل الدهشة عنه، وليطرد الرعب من نفسه، لأنه موقف صعب، لا يتحمّله أي إنسان، تصوّر أنك تكلم الله تعالى، وتستمع إلى خطاب ملك الملوك، موسى كاد يطير قلبه من بين جوانحه، فألقى الله عليه خطاب المؤانسة والمُلاطفة، حتى لا يستوحش، وحتى لا تسيطر عليه الأوهام، والعرب كانت تعرف ذلك، فهذا الأزدي يقول في قصيدته:

أحادثُ ضيفي قبل إنزالِ رَحلهِ      ويخصبُ عندي والمكانُ جديبُ  
وما الخُصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القُرى      ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ

فيقول الله لموسى ﷺ: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية ١٧]، ليلاطفه، وليؤانسه.

وفهم موسى ذلك، فلم يقل: هي عصاً وسكت، وإنه لما لَدَّ له الخطاب، زاد في الجواب؛ ليستمر الحوار بينه وبين رب العزة ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: الآية ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما رحم الله موسى، إنما كان يكفيه أن يقول عصا، ولكنه ارتاح اخطاب، ربّه فزاد في الكلام.

والله يسأله عن العصا، لأنها سوف تكون تاريخاً، وسوف تكون درساً للأجيال، وسوف تكون قرناً من العبر.

﴿قَالَ أَلْقِنَهَا يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية ١٩]، يا سبحان الله!! إن موسى ﷺ لا يعرف هذه الخوارق، ولا هذه المفاجآت، إنه يعرف أن السماء هي السماء، لا تتغير ولا تتبدل، ويعرف أن الأرض هي هذه الأرض التي يسير عليها، وأن العصا هي العصا، وأن الحية هي الحية.

الليلُ ليلٌ والنهارُ نهارُ      والأرضُ فيها الماءُ والأشجارُ

فلماذا تنقلب العصا إلى حية تسعى؟! ففرّ موسى خائفاً، وتصور موسى وهو يفرّ خائفاً من رب العالمين، فيطمته ربه، ويهدّته ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: الآية ٢١]، فعاد فأخذها، فإذا هي عصا.

موسى ﷺ فرّ خائفاً من عصاه، ومع ذلك أرسله الله عزّ وجلّ إلى ذاك الطاغية المجرم، المتبد السفاك، الذي كان يُلقب المحاضرات، على الرغاع الأغبياء البُلداء، ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القَصَص: الآية ٣٨]، فيصفقون له، ويقول لهم: ﴿الَيْسَ لِي مُلْكٌ مَعَكُمْ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: الآية ٥١]، فيهزون رؤوسهم طرباً، ويسجدون له تذلاً.

قال بعض المفسرين: كان على قصر فرعون، ستّة وثلاثون ألفاً من الحرس، كل واحد منهم يرى أن فرعون إلهه وخالقه، ورازقه ومُحييه، ومُميته!! والعياذ بالله.

ثم قال الله لموسى: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: الآية ٢٢].

فهذه آية أخرى من آيات الله عزّ وجلّ، أدخل يدك يا موسى في إبطك، ثم أخرجها، تخرج بيضاء من غير برص ولا بهق ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: الآية ٢٢] لِزُرِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿طه: الآيتان ٢٢، ٢٣﴾.

ثم بدأ التكليف بالدعوة، بدأت الرحلة الشاقة المضنية، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: الآية ٢٤]، وتصور موسى ﷺ وهو يستمع إلى هذا الأمر الإلهي، لقد فرّ موسى من فرعون؛ لأنه تمرد عليه، وقتل شخصاً من رعيته، وقد حكم عليه فرعون بالإعدام غيابياً، ثم يأتي الأمر الإلهي: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: الآية ٢٤].

لم يقل له اذهب إلى حاشية فرعون، أو جنود فرعون، أو أرسل إليه رسالة، وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا المجرم الطاغية، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [طه: الآية ٢٤]، لماذا؟ ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤].

لقد تجاوز الحد؛ سفك دماء الأبرياء، قتل الأطفال، نشر الفساد، أَرَهَبَ العباد، دمر البلاد، داسَ الأجيال تحت قدميه.

فماذا طلب موسى من ربه؟

وعلى الدعاة أن يتنبهوا إلى هذا الطلب: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [٢٥] وَيَرِّبْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه: الآيات ٢٥ - ٢٨].

فموسى ﷺ ما كان يبين في حديثه، بل كان يأكل بعض الحروف إذا تكلم، فليس في استطاعته أن يُبلغ الدعوة، وسوف يضحك عليه هذا المجرم العتل، وقد فعل ذلك بالفعل، حيث عقد مقارنة بينه وبين موسى ﷺ، وفضل نفسه على نبي من أنبياء الله، ورسول من أولي العزم، قال في سورة الزخرف: ﴿الَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ﴾ [٥١] أَمْرًا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ [الآيتان ٥١، ٥٢].

يقول: إنني أغنى منه مالا، وأعظم منه سلطانا، وأصح منه لسانا، فإنا ألقى المحاضرات، وأعقد الندوات، وموسى لا يستطيع ذلك، مع أن هذا بعد أن طلب موسى من ربه أن يحل عُقدة من لسانه، فكيف لو ذهب موسى قبل ذلك؟!.

إن موسى ﷺ ما طلب أن يكون أفصح الخلق، ولا أخطب الناس، وإنما طلب أن يكون كلامه مفهوماً، لتقوم بذلك الحجّة على فرعون، وقد قامت، إلا أن هذا هو شأن المفيد، يتصيدون الأخطاء للدعاة الصادقين، ولا يتورعون عن رميهم بالتهم والافتراءات التي هم منها برآء.

وطلب موسى من ربه أيضاً نصيراً، ومُعَاوِناً له على تلك المواقف الصعبة ﴿وَجَعَلَ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ هَارُونَ أَخِي﴾ [طه: الآيتان ٢٩، ٣٠]. سَمَاهُ وَعَيْنُهُ لِرَبِّهِ لِيَخْتَارَهُ لَهُ، وَعَلَّلَ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَشَدُّ بِهِمْ أَرْزَىٰ ٱلْبَيْتِ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: الآيتان ٣١، ٣٢] فَإِنَّ الْوَأَجِبَاتِ كَثِيرَةً، وَإِنَّ التَّبِعَاتِ جَيِّمَةً، فَأُرِيدُ أَخِي لِيَكُونَ عَلَيَّ مِيْمَتِي فَيَقْوِيَنِي وَيُثَبِّتَنِي عِنْدَ ذَاكَ الطَّاعِيَةِ الْجَبَّارِ ﴿كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣] وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ﴿طه: الآيتان ٣٣، ٣٤﴾ فَالْإِنْتَانِ يَسْبُحَانِ وَيَذَكِّرَانِ أَكْثَرَ مِنَ الْوَاحِدِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ يَذَكِّرُ أَخَاهُ إِذَا نَسِيَ، وَيَقْوِيَهُ إِذَا فَتَرَ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥] طه: الْآيَةُ [٣٥] فَأَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنَا، وَتَعَلَّمْ ضَعْفَنَا، فَأَعِنَّا عَلَى تِلْكَ الْمَهْمَةِ الصَّعْبَةِ، وَكُنْ مَعَنَا بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّصَرُّفِ.

ثُمَّ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ﴾ [طه: الآيات ٣٦-٣٧]، وَلَمْ يَقُلْ سَوْأَلَاتِكَ، أَوْ طَلِبَاتِكَ، لِأَنَّ الْمَطَالِبَ مَهْمًا كَثُرَتْ، وَمَهْمًا عَظُمَتْ فِيهِ هَيْئَةٌ فِي مِيزَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآيات ٨٢]، ثُمَّ ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِتَارِيخِهِ وَمَاضِيِهِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَعَادَ عَلَيْهِ ذِكْرِيَّاتِ الطَّفُولَةِ وَالصَّبَا، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٣٧] إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَىٰ ﴿طه: ٣٨﴾ أَنْ أَقْبِضِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْبِضِيهِ فِي الْبَيْتِ فَلْيَلْفِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُمْ وَالْقَلْبُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿طه: ٣٩﴾ [طه: الآيات ٣٧ - ٣٩].

### • وهذه الآيات فيها قضايا أربع:

أولها: كَانَ اللَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَخَفْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَلَا تَنْهَيْبْ مِنْهُ، فَقَدْ عَصَمْنَاكَ مِنْهُ وَأَنْتَ طِفْلٌ رَضِيْعٌ، وَقَدْ رَبَّيْنَاكَ فِي قَصْرِهِ وَفِي بِلَاطِهِ، كُنْتَ تُضْرِبُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَأَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، أَتَخَافُ مِنْهُ الْآنَ وَأَنْتَ فِي الْأَرْبَعِينَ، لَا تَخَفْ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَحْقَرُ وَأَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخَافَ مِنْهُ.

فموسى الذي رباه فرعون مؤمن وموسى الذي رباه جبريل كافر

موسى الذي تربى في قصر فرعون، هذا القصر الذي فيه الإلحاد والقهر وشرب الخمر وعبودية غير الله، موسى هذا مؤمن ونبي من أنبياء بني إسرائيل.

وهناك موسى آخر، موسى السامري، ربه جبريل على الوحي والتوحيد والنور والعبادة، لكنه خرج كافراً مارداً بعيداً عن الله.

فلا تستغرب أن ترى شاباً من بيت متهتك، بيت مُنْحَلٍّ، بيت يُعادي شرع الله، وهذا الشاب ولي من أولياء الله، كأنه من شباب الصحابة.

ولا تتعجب كذلك إذا رأيت شاباً من بيت من بيوت العبودية، بيت ينام على القرآن، ويستيقظ على القرآن بيت يعظم تعاليم الإسلام، وهذا الشاب ينشأ شيطاناً ضالاً، فهذه حكمة بالغة، وقدرة نافذة.

ثم يستمر القرآن في تعديد نِعَمِ الله عزّ وجلّ على موسى: ﴿إِذْ نَسِيتُ أَخْيُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ﴾ [طه: الآية ٤٠]، ثم يذكره الله بفعله التي فعلها ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [طه: الآية ٤٠]، ولا تظن أننا نسينا النفس التي قتلتها، فإن ذلك مكتوب في كتاب، ﴿لَا يُغَادِرُ صَافِرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، ولكننا غفرنا لك وفرجنا همك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَمِيتَ سِينِينَ ۖ وَهِيَ أُمَّةٌ مَدْيَنَ ثُمَّ حِثَّتْ عَلَیْ قَدْرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْلَمْتَعْتَكَ لِئِنسَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [طه: الآيتان ٤٠، ٤١].

هذا تاريخ موسى أمام عينيه، وكان الله تبارك وتعالى يقول له: هذا تاريخك يا موسى، وتلك هي الأحداث التي مرت بها، كانت عنايتنا معك في كل حَدَثٍ منها، وكان حفظنا يلاحقك في كل مكان حَلَمْتَ فِيهِ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَالْحُوكُّ بِأَيْتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: الآيتان ٤٢ - ٤٣]، ولنقف الآن عند هذا الحدّ، لننتقل إلى قصر فرعون، نستمع إلى ذاك الحوار الساخن الذي دار بين موسى وفرعون، على موسى السلام، وعلى فرعون اللعنة، وهذا موضوع الخطبة الثانية إن شاء الله.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين،  
فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

obeyikanda.com

## الخطبة الثانية

الحمد لله... الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تليماً كثيراً.

• أما بعد:

فيصل بنا الخطاب إلى قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: الآية ٤٢]. لقد أجبنا سؤالك يا موسى، فجعلت أخاك معك، وجعلته نبياً من الأنبياء المصطفين ﴿وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ وهذا على معنيين:

الأول: لا تضعفا في الدعوة، ولا تخافا أحداً مهما بلغ عتوه وجبروته، وابدلوا ما استطعتم في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس.

الثاني: قيل إن قوله تعالى: ﴿وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ أي لا تفترا عن ذكري؛ من التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد؛ لأن موسى عندما طلب أخاه وزيراً معه قال: ﴿كَيْ سُبِّحَكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيراً ﴿٣٤﴾﴾ [طه: الآيتان ٣٣، ٣٤]، فلا ينبغي أن تنسى يا موسى ما قطعته على نفسك من كثرة التسبيح والذكر.

فزاد الروح أرواح المعاني	وليس بأن طعمت ولا شربت
فأكثر ذكره في الأرض دأباً	لتذكر في السماء إذا ذكرت
وناد إذا سجدت له اعترافاً	بما ناداه ذو النون بن مثنى

فزاد القلوب هو التسيح والتكبير، وزاد الأرواح هو التحميد والتهليل،  
 فالله يقول لموسى وهارون: أكثرنا من الذكر، فإنكما ستمرّان بمواقف صعبة،  
 وتكاليف ضخمة، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا على قُرب مني،  
 وأن تكونا دائماً في ذكرٍ وثناءٍ وافتقارٍ لجلالي ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٤٢]،  
 [طه: الآية ٤٣]، عاد الخطاب كما كان أول السورة. في أول السورة قال الله  
 لموسى: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: الآية ٢٤]، وهنا يقول لموسى  
 وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٤٣]، اذها إليه، واعلما بأنه طاغية جبار،  
 ولكن كيف يخاطب موسى وهارون هذا الجبار؟ ما الوسيلة التي يستخدمها موسى  
 في عرض الدعوة عليه؟ فبيّن الله أن الوسيلة الناجحة في مخاطبة هؤلاء الجبابرة،  
 هي اللين، وعدم العنف، وذلك بأن تعرض عليه الدعوة بأسلوب هيّن لئّن حَسَن،  
 فلعلّ الله أن يهديه، ولعلّ الله أن يشرح صدره، فلا ينبغي أن نحكم على الناس،  
 بأن الله ختم على قلوبهم، فلا يهتدون، ولا يعقلون، ولا يفهمون، قال تعالى:  
 ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٤٣] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]،  
 الآيتان ٤٣، ٤٤]، ما أحسن هذا الكلام، وما أعجب هذ الخطاب، يقول عن  
 فرعون: إنه طاغية، جبار، سفاك للدماء، مُلجّد، عنيد، ومع ذلك، يأمر أنبياءه  
 باللين معه، وعدم تعنيفه وتوبيخه، لعلّه يستحسن الخطاب، فيتجيب إلى  
 الحق. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ قال: يُمَيِّنَاهُ بِالْمُلْكِ.

فلما دخل عليه موسى قال له: إذا أحببتنا، أبقى الله عليك مُلْكَكَ، وَمَكَّنَكَ  
 أكثر من ذلك ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [٤٤]، لعلّه يتذكر نعم الله عليه،  
 وتمكينه إيّاه، فبعض الناس لا يأتي إلا من باب الرغبة، وبعضهم لا يستجيب إلا  
 بالترهيب، والداعية لا بد أن يكون بصيراً بمداخل القلوب، عالماً بطرائق كسب  
 النفوس، حتى يدخل على كل إنسان من الباب الذي تُرجى إجابته منه.

فقال موسى وهارون: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَخَافُ أَنْ يُقْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]،  
 الآية [٤٥]، والله يعلم أنه يطغى، والله يعلم أنه جبار ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا

أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ [طه: الآية ٤٦]، وإذا كان الله معك فلماذا تخاف؟ وإذا كان الله ناصرك فِمِمَّنْ تخشى؟ فانطلقا بهذا المبدأ لا تخافا أحداً، ما دام الله معكما، وناصركما، ومؤيدكما.

وموسى ﷺ خاف ثلاث مرات؛ مرة لما رأى العصا وقد انقلبت حية، فقال الله له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: الآية ٢١]، وهذه المرة، حين دخل البلاط الفرعوني ﴿قَالَ لَا تَخَفَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾، ومرة ثالثة يوم أن نازل فرعون في الميدان أمام الجماهير ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّؤْمِنٍ﴾ ﴿٦٧﴾ قلنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ [طه: الآيتان ٦٧، ٦٨]، ﴿قَالَ لَا تَخَفَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُمْ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ الْأَمْدَى ﴿٤٧﴾ [طه: الآيتان ٤٦، ٤٧].

دخل موسى عليه، ووقف هارون بجانبه، موسى يتكلم، وهارون يثبت ويساعد، والمجرم ينظر إليهما بعلوٍ وعتوٍ وجبروت، لأنه صور نفسه أنه رب، وأنه صانع، أنكر توحيد الربوبية، وادعى ذلك لنفسه؛ كبراً وعتواً، وإن كان في الباطن يُوقِنُ بربوبية الله للكون، كما قال له موسى ﷺ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُنَالًا إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُشْبِراً﴾ ﴿١٠٢﴾ [الإسراء: الآية ١٠٢]، فلما تكلم موسى، ودعاه إلى الله - عز وجل - ضحك فرعون منهما، ضحك استهزاء واستهتار؛ لأنه مُسْتَخِفٌّ بِالْقِيمِ، يدوس التاريخ بقدميه يجعل المروءات خلف ظهره لا يُقِيمُ لِلْمَثَلِ وزناً ولا قيمة.

أخذ ينظر إلى موسى على أنه راعي غنم، يحمل عصاه على كتفه، وأنه أتى من الصحراء، حيث لا حضارة ولا تقدم، ثم ينظر إلى نفسه فيرى الدنيا تحت قدميه، فيزداد كبراً وصلفاً.

وهكذا يفعل الطغاة، يوم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوم لا يصلون، ولا يخافون من الواحد الأحد، هكذا يفعل كل فرعون إلى أن تقوم الساعة.

فانبرى الخسيس من على كُرسِيه وسأل موسى سؤالاً تافهاً حقيراً مثله ﴿قَالَ  
فَمَنْ رَبُّكُمَا يَهُوسُفُ﴾ [طه: الآية ٤٩]؟ فهو لا يعرف رباً ولا يؤمن بالله، فماذا  
كان جواب موسى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية  
٥٠]، فإن كنت تستطيع ذلك فأنت رب، وإن كنت لا تستطيع فلست برب،  
وأنتى لك ذلك!!.

قال الزمخشري: الله دزه من جواب.

وقال أحدهم: والله لقد تناوله موسى بكفٍ على وجهه، وتحت كلمة  
«خَلَقَهُ» مجلّدات من العبر، وتحت كلمة «هدى» مجلّدات من الصور. هدى كل  
شيء، هدى الطفل يوم أن وضعته أمه، لا يعرف شيئاً، ولا يُبصر شيئاً، فهدها  
إلى ثدي أمه ليجرّ منه اللبن.

وهدى النحلة أن تطير آلاف الأميال، لتأخذ الرحيق، وتعود مرة ثانية إلى  
خليتها.

وهدى الحمام الزاجل، يوم ينقل الرسائل، من مكان إلى مكان، ومن بلد  
إلى بلد، ثم يعود إلى مكانه لا يضل ولا يضيع.

يقول العالم الأمريكي «كيرسي ميرسون» في كتاب «الإنسان لا يقوم  
وحده»: «إنني أتعجب من النحل، وأقول: لعلّ النحلة معها جهاز «إريال»  
تكتشف به خليتها!! ولكن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ  
الْجِبَالِ يَتُونَاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [٧٨] ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾  
[النحل: الآيتان ٦٨، ٦٩]، إنه الله ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، فهزم  
فرعون وبهت، وظهر فشله وعجزه، ولكنه أتى بسؤال آخر كالذي قبله أو أنه  
منه ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: الآية ٥١]، أين ذهب أجدادنا وآباؤنا؟!  
﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: الآية ٥٢]، ما  
شأنك أنت بهذا؟ ما أهمية هذه المسألة عندك؟ أنت ذرة من الذرات، وأنت  
حشرة من الحشرات.

أنت لا تعرف مَنْ أنت ولا أنت لا تدري بماذا قد تؤول  
أنت مخلوق حقير بائس أنت لا تدري إلى أين الرحيل

﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: الآية ٥٢].

فهزمه موسى مرة ثانية، وانتصر عليه، وفضحه أمام الجماهير، وبيّن عجزه أمام الأجيال. وبقي موسى إلى قيام الساعة يُذكر في مواكب الأنبياء المخلصين، وفي مواكب الدعاة الخالدين.

#### • أيها المؤمنون:

في هذه القصة دروس وعبر:

أولها: الاعتصام بـ: لا إله إلا الله.

فهذه الكلمة من أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرُّسل، وخُلقت السموات والأرض، وأقيمت المعالِم، وبُذلت الأموال، وشهّرت السيوف.

فلا بدّ أن نعتصم بهذه الكلمة، ولا بدّ أن نفتخر بهذه الكلمة، ولا بدّ أن تسيطر على حياة كل واحد منّا؛ على الأمير، على الوزير، على القاضي، على المسؤول، على الصحفي حين يكتب، على الشاعر حين ينظم، على الأديب حين يبدع.

ثانياً: قضية الصلاة، فالدين يقوم على الصلاة، فلا دين بغير صلاة، ولا صلاة بغير دين.

ثالثاً: قضية الإيمان باليوم الآخر، فإذا لم نجعل هذه القضية أمامنا، وفي أذهاننا، فلا سلام، ولا أمن، ولا استقرار، ولا طمأنينة، لأن الذين نسوا اليوم الآخر، تقاتلوا، وتحاسدوا، ودمر بعضهم مدن بعض، وأطلقوا صواريخهم، وقتلوا الأميين، كل ذلك لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر.

رابعاً: قضية النصر، ينبغي أن نعلم أن الله عزّ وجلّ ينصر أوليائه، ويدافع عن أحبائه، ولو ظهروا على الساحة أنهم هم المهزومون، هم القليلون، هم

المضطهدون، فالعاقبة لهم، والنصر حليفهم. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غانر: الآية ٥١].

خامساً: قضية الشكر، فالله عز وجل يطلب من العبد أن يتذكر المعروف، وأن يشكر النعم، وأن يحفظ الأيادي.

سادساً: على الداعية أن يعرف مداخل القلوب، وألا يكون عنيفاً في أسلوبه، مُجَرِّحاً للشعور ﴿وَلَوْ كُنْتَ تَفْظًا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

دخل أحد الأعراب على هارون الرشيد، الخليفة العباسي الكبير، فقال الأعرابي: يا هارون. قال: نعم. قال: إن عندي كلاماً شديداً قاسياً فاستمع له. قال هارون: والله لا أسمع، والله لا أسمع، والله لا أسمع. قال: ولم؟ قال: لأن الله أرسل من هو خير منك، إلى من هو شر مني، ثم قال له: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: الآية ٤٤].

فاللین في الدعوة مطلوب، وأدب الحوار مطلوب، وإنزال الناس منازلهم مطلوب، ومراعاة شعور الآخرين مطلوب.

سابعاً: لا خوف على المسالم، فإن النفوس بيد الله، والأرزاق في خزائن الله، فهو الذي يحيي ويميت، ويغني ويعدم، وينفع ويضر، بيده مقاليد كل شيء، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

هذه بعض دروس قصة موسى عليه السلام وأغلبية سور القرآن، تحلّق بنا دائماً مع موسى عليه السلام.

فقصته طويلة، وأحداثها متعددة، فيها العبرة، وفيها العظة وفيها السلوى، وفيها الثبات على المبدأ.

فسلام الله على موسى في الأولين، وسلام على موسى في الآخرين، وشكر الله سعيه.

أما فرعون وأتباعه ف ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: الآية ٤٦].

• عباد الله :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاغْرِضْ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## من طرائف حج الرسول ﷺ

إن الحمد لله، نحمده ونتبعه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الاحزاب: الآيات ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: الآية ٢٧].

هذا هو النداء العلوي من الله الواحد الأحد إلى الأمة الإسلامية؛ لتؤذي هذا الشك العظيم، والركن الجليل من أركان الإسلام.

قام إمام التوحيد إبراهيم عليه السلام ببناء البيت، يحمل الحجر من على كتف ابنه إسماعيل عليه السلام وهما يهتفان ﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: الآية ١٢٧]، وأكمل البناء، وصعدت الكعبة في السماء ووضح الحق.

قال إبراهيم لربه: يا رب، ماذا أفعل الآن؟ قال: اصعد على جبل أبي قيس، أعظم جبال مكة، فصعد إبراهيم، وقال: يا رب، ماذا أقول؟

قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: الآية ٢٧]. قال إبراهيم: يا عباد الله، يا قوم حجوا البيت، فاسمع الله دعوته نطقاً في الأرحام، أسمع دعوته الأحياء والكائنات والذرات، فأقبل الموحّدون يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك.

البشرية تلتبي... الأرض تلتبي... السماء تلتبي... الدنيا كلها تلتبي، ويشهد لسان الحال أن النصر لهذا الدين، وأن العاقبة للمتقين.

ومما يُشليح صدور أهل الإسلام أن يخرج من موسكو عاصمة الإلحاد ودولة الكفر والبغي والحديد والنار، يخرج منها آلاف الموحّدين يلتون كما يلتني الناس، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك.

### • أيتها الإخوة في الله:

إن للحج معانٍ، ومقاصد، ودلالات، ينبغي أن نتعرّف عليها، وأن نعيها. فكلّ العبادات الإسلامية أو غالبها، يُطلب من المسلم أن يتجمل لها، وأن يتزين لها، إلا الحجّ، فأفضل الحجاج، الشُّغث العُغبر، وأجمل الحجاج الحفاة، وأعظم الحجاج الجائعون الظمأى.

وفي إحرام العبد في رداءين أبيضين، تذكير له بإدراجه في كفته، فهذا سفر إلى عرفات، وذاك سفر إلى الموقف العظيم، فإذا لبست الإحرام، ذكرك بالكفن، وذكرك بيوم الحشر، وذكرك أنك لن تخرج من الدنيا إلا بهذا الكفن الأبيض.

خذ القناعة من دنياك وارضَ بها      لو لم يكن لك إلا راحة البدن  
وانظر لمن مَلَكَ الدنيا بأجمعها      هل سار منها بغير الطيب والكفن؟!!

وفي الإحرام قضايا أخرى: منها المساواة، وهذه من القضايا التي يحرس الإسلام على تقريرها دائماً، فلا يلبس الملوك إلا لباس الإحرام، ولا يرتدي الرؤساء ولا الأغنياء إلا لباس الإحرام، الناس كلهم يشتركون في هذا، فلا تيجان، ولا أكاليل، ولا نياشين، ولا أساور، كل الناس محشورون في صعيد واحد، ليبقى العزّ والمُلك والسلطان والجبروت لله - تعالى - وحده ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦].

فالكلّ ذليل؛ والكلّ مسكين لكبرياء الله وعظمته.

- أما الوقوف بعرفة، فهو مؤتمرنا العالمي، وهو سرّ خلودنا في الأرض، الذي نفاخر به أهل الأرض جميعاً، إنهم يجتمعون في مؤتمراتهم بدعوات، ومراسيم، وأطروحات، وقوانين، أما أهل الإسلام في يوم عرفة، فيفتشون الأرض، في الشمس المحرقة، التي تلهب الأجساد.

فالله أكبر الله أكبر... ما أعظم هذا اليوم!.

والله أكبر الله أكبر... ما أروع هذا اليوم!.

- ثم يُفيض الله تبارك وتعالى من رحماته على أهل الموقف، فيتجلى للناس في يوم عرفة، ينزل سبحانه إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله، يجمع

ملائكته فيقول: «يا ملائكتي، انظروا لعبادي، أتوني شعثاً غُبْرًا، ضاحين أشهدكم أنني قد غفرت لهم»<sup>(١)</sup>.

شعثاً، غُبْرًا، ضاحين، تلبدت شعورهم من الشمس، لا دهن، لا طيب، لا ظل، كل ذلك ليرضى الله عنهم.

إن كان سَرَكُم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

تركوا القصور والبساتين والراحة، وجلسوا على التراب تحت حرارة الشمس.

فاشهد أيها العالم، واسمعي أيتها الدنيا... هذا يوم عَرَفَة، حيث وقف نبينا وقائدنا وزعيمنا، وقف في رداءين باكياً، أشعث، أغبر، يخاطب الدنيا كلها ويكلم الناس جميعاً، إنه وقف هناك ولكننا نذكره هنا، وسوف نذكره في كل مكان، وسوف ندوب في حبه وفي فدائته وفي دعوته.

إن محمداً ﷺ، هو تاريخ هذه الأمة وعمقها وعزها، لقد وقف هذا الرسول الكريم في عرفات وأرسي قضايا ثلاث:

### • القضية الأولى:

القضاء على التمييز العنصري، لقد ألغى محمد ﷺ، كل ألوان التمييز العنصري، وداس عليه بقدميه، وذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، في حين أن دولة من الدول في عصرنا الحاضر، تتبجح بأنها أعظم دولة في العالم، لا زالت تفرق بين مواطنيها بحسب ألوانهم!!

أما في الإسلام فلا أبيض ولا أسود ولا أحمر، لا نسب، لا مال، لا جاه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣].

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٢٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٥٤): ورجاله موثقون. وأخرجه أحمد أيضاً (٢/٣٠٥) عن أبي هريرة، قال الهيثمي في المجمع (٣/٢٥٤): رجاله رجال الصحيح.

- وقف النبي ﷺ ينادي... يا أبا بكر، يا قرشي، يا سيد، أنت وبلال الحبشي أخوان، لا فرق بينكما عند الله إلا بالتقوى، وقف هناك يقول:  
يا عمر، يا أبا حفص، يا فاروق الإسلام، أنت وصهيب الرومي أخوان.  
وقف هناك يقول: يا علي أنت وسلمان الفارسي أخوان.

إِنْ كَيْدَ مُطْرِفِ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَعْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ  
أَوْ يَفْتَرِقُ مَاءُ الْغَمَامِ فَمَاؤُنَا عَذَبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ  
أَوْ يَخْتَلِفُ نَسَبٌ يُولَفُ بَيْنَنَا دِينَ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ

• أما القضية الثانية:

فقد أعلن فيها ﷺ حقوق المرأة، وأنها إنسانة لها شأنها في المجتمع، فهي تمثل نصف الأمة، ثم هي تُلد النصف الآخر، فهي أمة كاملة.  
أما الذين يَدْعُونَ إِلَى مَا يَسْمَى بِحَرِيَّةِ الْمَرْأَةِ، فَأَوْلَئِكَ هُمْ أَعْدَاءُ الْمَرْأَةِ، وَقَتْلَةُ الْمَرْأَةِ، لَا يَرِيدُونَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ جَسَداً مَشَاعِراً، يَفْتَرِسُهُ ذَنَابُ الْأَرْضِ وَكَلَابِهَا.

• أما القضية الثالثة:

القضية التي قررها رسول الله ﷺ، في هذا الموقف العظيم فهي قضية الإنسان، قضية حقوق الإنسان، فقد نادى هذا النبي العظيم بحقوق الإنسان، وأنه لا بد أن يكون محترماً له مكانته بين الناس، لا أن يُعَامَلَ كَمَا يُعَامَلُ الْحَيَوَانَ.

وإذا كان هذا الإنسان مسلماً، وإذا كان هذا الإنسان مؤمناً، ازدادت حرمة، وتأكدت حقوقه.

«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٤/١)، ومسلم (١٣٠٥/٣) رقم (١٦٧٩).

- ينظر ﷺ إلى الكعبة ويقول: «ما أعظَمَكِ، وما أشدَّ حُرْمَتَكِ، والذي نفسي بيده، للمؤمن أشدَّ حُرْمَةً عند الله منك»<sup>(١)</sup>.

### • أيتها الناس:

مَن الذي نادى بحقوق الإنسان، مَن الذي طبَّق حقوق الإنسان على واقع الحياة.

هل جاءت المنظمات العالمية بحقوق الإنسان؟

هل طبقت هذه المنظمات العالمية مبادئ حقوق الإنسان؟

لا والله، فهؤلاء هم الذين ذبحوا الإنسان، قتلوا الإنسان، سجنوا الإنسان.

أما محمد ﷺ فقد أعلن حقوق الإنسان، واحترام الإنسان، وأعلن أن الله مع الإنسان، ما دام هذا الإنسان عابداً لله - عزَّ وجلَّ -.

- نزل النبي ﷺ، ثم أتى إلى الجبل فوقف من بعد صلاة الظهر إلى صلاة المغرب باكياً، مُتَغَفِّراً، متواضعاً لله تبارك وتعالى.

وقف هناك، والبشرية كلها تنظر إليه، وتسمع كلامه، لأن البشرية تعلم أنه ﷺ ﴿وَمَا يَطُّقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿①﴾ [النجم: الآيتان ٣، ٤].

وقضايا عرفات أيها الإخوة طويلة طويلة، ومعاني حجة النبي ﷺ كثيرة، لكننا نبحت في هذا المقام عن المعاني الخفية لبعض هذه القضايا.

### • عباد الله:

يذهب عليه الصلاة والسلام ليرمي الجِمار، وفي ذلك كثير من المعاني منها:

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٩٧/٢) رقم (٣٩٣٢) ونصره بن محمد شيخ ابن ماجه، متكلم فيه. ورواه الترمذي موقوفاً عن ابن عمر (٣٣٢/٤) رقم (٢٠٣٢). وقال: حسن غريب.

أولاً: أنك بهذه الحصيات تعلن انتصارك على الشيطان، وتعلن أنك عبد لله، تنفذ أوامره، حتى وإن جهلت حكمة هذا الأمر، وتعلن كذلك أن المعركة باقية بين الحق والباطل.

إن الذين يرمون الجمرات يُعلنون صدقهم، وإخلاصهم، وعبوديتهم لله تبارك وتعالى.

أما عبيد الأغنية، والكأس، والسهرات الحمراء، فلا يعرفون رمي الجمرات، ولا يعرفون الوقوف بعرفات، ولا يعرفون الطواف بالبيت العتيق.

ثانياً: وفي رمي الجمرات أيضاً، انتصار الإنسان على الهوى والتخلص من عبودية غير الله تبارك وتعالى.

وها هو عليه الصلاة والسلام ينتقل لأداء نسك آخر فيصل ﷺ إلى البيت ليطوف حوله، ويستلم الحجر، وتأتيه الذكريات عند استلام الحجر، فانهارت دموعه كالمطر، فالتفت إليه عمر وقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هنا تُسكب العبرات يا عمر»<sup>(١)</sup>.

تذكرت والذكري تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكرا

فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، ما أطهرك، ما أعظمك.

نسبنا في وديك كل غالٍ  
فأنت اليوم أغلى ما لدينا  
نلأم على محبتكم ويكفي  
لنا شرف نلأم وما علينا  
ولمّا نلقكم لكنّ شوقاً  
يذكرنا فكيف إذا التقينا؟  
تسلى الناس بالدينا وإنّا  
لحمرُ الله بعدك ما سألينا

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٨٢/٢) رقم (٢٩٤٥) وفي إسناده محمد بن عون الخراساني ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.

• عباد الله:

«مَنْ ذَهَبَ يَحْجُ فَلَمْ يَرِفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(١)</sup>، تماماً كيوم ولدته أمه، مُبْرِّءاً من الذنوب والمعاصي والخطايا.

كانت قريش تقف في مزدلفة، والناس يقفون في عرفات، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٩٩]، اصعدوا مع الناس، وقفوا مع الناس، لا تميز، ولا تفرق، وإنما وحدة واجتماع.

- إن يوم عرفة هو يوم تحطيم الطاغوت، وإظهار لقوة لا إله إلا الله. أيها المملون... إخوة الإسلام.

- إن الحج ليس فرصة للمظاهرات، ولا للشغب، ولا لزعزعة الأمن، وإن من يفعل هذا مجرم يريد بالبلاد والعباد سوءاً. الحج بهدوء وسكينة ودموع وخشوع، الحج توجه إلى الحي القيوم، الحج أن نصل القلوب بالله - عز وجل - وأن نعلن وحدتنا وتضامنا وتأخينا.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

هذه بعض معاني الحج، ولكن من ذهب إلى هناك، فسوف يعيشها حية في الليل والنهار.

- تقبل الله من الحجاج حجهم، وسمع دعاءهم، وشكر سعيهم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (١٤١/٢) ومسلم (٩٨٣/٢، ٩٨٤) رقم (١٣٥٠).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

• أما بعد:

هناك للعلماء نكات وتعليقات وعجائب في حجة النبي ﷺ، أحببت أن أذكر بعضاً منها في هذه الخطبة.

فمن عجائب حجته ﷺ، أنه خطب في أكثر من مائة ألف حاج، غير النساء والأطفال، ومع أنه لم يكن عنده مكبر للصوت، ولم يكن يتكلم في مكرفون، إلا أن الله تبارك وتعالى أسمعهم جميعاً وهم في أماكنهم، نقل لهم الصوت حياً على الهواء، كأنه بجانبهم يتحدث إليهم ويخاطبهم.

ومن الطرائف في حجة النبي ﷺ، أنه لما أتى لينحر الإبل، وقد ساق معه مائة ناقة، ليفدي بها جده إسماعيل عليه السلام، فأخذ الحربة لينحرها - وهو الرجل الذي يعرف المواقف كلها، في الحرب تجده في مقدمة الصفوف، وفي السلم من أعظم المسالمين وعند الصلاة خاشع قانت، وعند الخصومات عادل مُقسط، وفي السياسة قائد محتك، وعند الصدقة جواد كريم، وفي بيته أب رحيم قريب من القلوب.

أخذ ﷺ الحربة، وتقدم إلى الإبل ليذبحها، فأخذت تتسابق إليه أيتها ينحر قبل!! سبحان الله، حتى الثوق العجاوات، تحب الموت وتتسابق عليه، إذا

كان بين يديه ﷺ، نعم، إنها المحبة الصادقة التي فطرها الله في القلوب له ﷺ، الجمال تحبه، والطيور في السماء تحبه، وأعواد المنبر تحن إليه وتبكي لفراقه. عند البخاري، أنه ﷺ ترك منبره الأول لمنبر جديد، فبكى المنبر الأول<sup>(١)</sup>.

لا إله إلا الله، أتبكي أعواد الخشب... نعم، إذا كان محمد ﷺ هو المفارق.

تسابت إليه الإبل، كل جمل يقدم نحره وصدره، فأخذ ﷺ يقول: «بسم الله»، فنحر ثلاثاً وستين، ثم توقف، لماذا لم يكمل المائة، لأن عمره ثلاث وستون، ثم يموت كما يموت الناس، ويذهب كما يذهب الناس، ثم أعطى الحربة لعلّي بن أبي طالب ﷺ فكمّل المائة، فعرف كبار الصحابة أنه ﷺ لن يتجاوز هذا العدد من السنين، وأنه سيموت، فقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٦].

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومن نكات حجه ﷺ أنه قال في يوم النحر لأصحابه: «العلّي لا أحج بعد حجتي هذه»<sup>(٢)</sup>، فعرف الصحابة أنه يودعهم، فارتفع البكاء والضجيج، وكثر النحيب، وبالفعل ما رأوه بعدها أبداً.

أما نحن فسوف نراه إن شاء الله - تعالى - سوف يراه حَمَلَةُ السُّنَّةِ الصادقون، سوف يراه أتباعه المخلصون سوف يراه تلاميذه الذين كانوا يحرصون على تعاليمه، والذين لم يقدموا على هَذِيهِ هَذِيّاً، ولم يرضوا بغير سبيله سيلاً.

أما المجرمون والفسقة الذين أعرَضوا عن هَذِيهِ، وسلكوا غير سبيله، فإنهم لا يذوقون من يده شربة واحدة، وسيقول لهم: سُحْقاً سُحْقاً. نسأل الله أن يسقينا من حوضه ضربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً.

(١) أخرجه البخاري (٤/١٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٩٤٣) رقم (١٢٩٧).

## • عباد الله:

ومما يتصل بانقضاء أجله ﷺ وعلامات ذلك، أنه كان في عَرَفة على ناقته، يدعو رافعاً يديه إلى السماء، ثم توقف عن الدعاء وهو يبكي، وإذا بجبريل ينزل عليه من السماء بقوله - سبحانه -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣].

ففهم كبار الصحابة من ذلك أن أجل رسول الله ﷺ قد اقترب، وأنه قد ذنًا موعد الفراق، فبكوا وأبكوا.

ومن طرائف حَجَّته ﷺ أيضاً: أنه لما أراد أن يحلق رأسه، قال لمعمر بن عبد الله: «يا معمر، أليديك موسى؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «سم الله واحلق رأسي»، فأعطاه مِمْنة رأسه الشريف، الذي ما عرف إلا العدل والحق والوفاء، فأخذ يحلق رأسه وهو يبتسم ﷺ ويقول لمعمر: «أما رأيت رسول الله ﷺ، أعطاك رأسه بين يديك، والموسى في يديك؟» قال معمر: يا رسول الله، والله إنها من نِعَم الله أن أحلق رأسك<sup>(١)</sup>. فلما انتهى النصف الأول قال لأصحابه: «اقتسموه بينكم»، فكادوا يقتتلون على شعره، كلٌّ منهم يريد أن يحصل ولو على شعرة واحدة، وبعضهم ما حصل إلا على نصف شعرة.

ليس عندنا في الإسلام كهنوت، وليس عندنا في الإسلام عبودية لغير الله - تعالى - ولكن عندنا حبٌ صادق لهذا النبي، الذي أنقذنا الله به من الضلالة وهدانا إلى النور.

ثم قال لمعمر: «احلق النصف الآخر»، فحلق النصف الآخر، فقال ﷺ: «أين أبو طلحة الأنصاري؟» فأتى أبو طلحة، قال له النبي ﷺ: «خذ هذا الشعر كله». فبكى أبو طلحة من الفرح<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٠٠/٦)، والطبراني. قال الهيثمي في المجمع (٢٦٤/٣): فيه عبد الرحمن بن عتبة مولى معمر، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يوثق، ولم يجزح.  
(٢) رواية إعطاء النبي ﷺ نصف شعره الأيسر لأبي طلحة أخرجها مسلم في الصحيح =

طَفَحَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنْتَبِي مِنْ هَوْلٍ مَا قَدِ سَرَنِي أَبْكَانِي

• عباد الله :

تِلْكَم بَعْضُ مَعَانِي الْحَجِّ وَذَكَرِيَاتِهِ، قَصَدْتُ بِهَا تَذْكَيرَ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

فِيَا مَنْ قَصَدَ بَيْتَ اللَّهِ الْعَتِيقِ، أَخْلِصْ نِيَّتَكَ، وَطَهِّرْ كَنْبَكَ، مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْحَلَالَ الطَّيِّبَ.

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلَهُ سَحَتْ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّجْتَ الْعِيبَ

اجْعَلْ رِفْقَتَكَ مِنَ الصَّالِحِينَ الطَّيِّبِينَ... قَفْ هُنَاكَ فِي عِرْفَاتٍ خَاشِعاً مُسْتَغْفِراً ضَارِعاً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهَزْ يَوْمٌ يَعْتَقُ اللَّهُ فِيهِ عِبَادَهُ مِنَ النَّارِ.

يَا سَائِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ سِرْتُمْ جَسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحاً

إِنَّا أَقْمْنَا عَلَى عَذْرِ رَاحُوا وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُدْرٍ كَمَنْ رَاحَا

• عباد الله :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الْأَحْزَابُ: الْآيَةُ ٥٦].

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتَنَا وَسَلَامَنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

= (٢/٩٤٧) رقم (١٣٠٥).

(١) أخرجه مسلم (١/٢٨٨) رقم (٣٨٤).

## الله . . . الله . . . في الصلاة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٦﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٦١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها المسلمون:

يقول ﷺ كما في الصحيحين: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>.

أمره الله أن يقاتل هذا الإنسان، حتى يسجد لله، فيوم أن يتهاون الإنسان بالصلاة، أو يترك الصلاة، أو يتنكر للصلاة، أو لا يتعرف على بيت الله، يصبح هذا الإنسان لا كرامة له، ولا حرمة له، ولا مكانة ولا وزن.

هذا الإنسان حين يترك الصلاة، يكون دمه رخيصاً لا وزن له، يُسْفَك دمه، تُهان كرامته، يُقَطَّع رأسه بالليف، قيل حَدًّا، وقيل كُفْرًا وهو الصحيح.

يقول الله تعالى عن جيل من الأجيال تهاونوا بالصلاة: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مریم: الآية ٥٩].

قال أحد السلف: أما إنهم ما تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها.

أي إسلام لإنسان يترك الصلاة، أي دين له، ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله، لرجل توخَّره تجارته، أو وظيفته، أو عمله، أو منصبه، أو اجتماعه عن الصلاة، ثم يتجح بعد ذلك مُدْعياً أنه مسلم!! ﴿إِنَّ الْمُتَفِيقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٤٢].

إنهم يصلون... لكن صلاة العصر مع غروب الشمس، وصلاة الظهر في الساعة الثانية، وصلاة المغرب مع العشاء، وصلاة الفجر مع طلوع الشمس!! فأين الإسلام، وأين لا إله إلا الله، وأين التحمس للدين!؟.

(١) أخرجه البخاري (١١/١، ١٢)، ومسلم (٥٢/١) رقم (٢١).

حضرت رسول الله ﷺ، معركة الأحزاب، قبل أن تنزل صلاة الخوف، فقام يقاتل المشركين، فَشَغِلَ بمنازلته لأعداء الله، فبني صلاة العصر حتى غربت الشمس، ما نسيها لأنه كان في لهوٍ أو لعب حاشا وكلاً، بل نسيها من احتدام القتال؛ اليهود... المشركون... المُنَافِقُونَ... أنسوه صلاة العصر، فلما غربت الشمس قال ﷺ: «ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى»<sup>(١)</sup>. ثم قام فصلاها، فأنزل الله - تعالى - صلاة الخوف، يصلّيها المسلم أثناء القتال، يصلّيها الذي يقود الذبابة، يصلّيها الذي يحمل الرشاش، يصلّيها المريض على سريره، لا يُعذَر في تركها أحد.

إن تأخير الصلاة عن وقتها، معناه النفاق الصريح الذي وقع فيه كثير من الناس، إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، يقول ﷺ وهو في سَكْرَاتِ الموت: «الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»<sup>(٢)</sup>، فأبى دين بلا صلاة، وما معنى الانتساب للإسلام بغير صلاة، نقول: مسلمون، ولكن لا نصلي، أو نتهاون بالصلاة، أو ننقر الصلاة، فأين الإسلام؟ وأين الصدق مع الله؟ وقد صخ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال، معهم حُزْمٌ من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم»<sup>(٣)</sup>.

وعند أحمد: «لولا ما في البيوت من النساء والذرية، لأقمت صلاة العشاء، وأمرت فتيانى، يحرقون ما في البيوت بالنار»<sup>(٤)</sup>. لماذا؟ لأنهم أصبحوا

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣/٣)، ومسلم (٤٣٦/١) رقم (٦٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٠/٦، ٣١١، ٣١٥، ٣٢١)، وابن ماجه (٥١٩/١) رقم (١٦٢٥)،

عن أم سلمة. في الزوائد: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٨/١)، ومسلم (٤٥١/١) رقم (٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣٦/٢) وفي إسناده: نجیح أبو معشر السندي قال ابن حجر في التقريب

(٢/٢٩٨): ضعيف من السادسة، أسن واخطلط.

في عِدَادِ الْمُنَافِقِينَ، يَدْعُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لَا يُصَلُّونَ الْجَمَاعَةَ مَعَ النَّاسِ، وَيَدْعُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ يُخْرِجُونَ الصَّلَاةَ عَنْ أَوْقَاتِهَا. يُسْأَلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَيُجِيبُ: «الصَّلَاةُ لَوْقَتِهَا»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»<sup>(٢)</sup>. دمه مسفوك بسيف الشريعة، خارج من الملة، لا طهر له، لا كرامة، لا حرمة، لأنه حارب الله ولم يُعَظِّمْ شعائره. وقول ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>.

إنه لا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، مَا دَامَ صَاحِباً سَلِيماً يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَهَادِي بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»<sup>(٤)</sup>.

مرض أحد الصالحين من التابعين، اسمه ثابت بن عامر بن عبد الله بن الزبير، فسمع أذان المغرب، فقال لأبنائه: احملوني إلى المسجد، قالوا: أنت مريض، وقد عذرك الله. قال: لا إله إلا الله!! أسمع حيّ على الصلاة... حيّ على الفلاح ثم لا أجيّب! والله لتحملوني إلى المسجد، فحملوه إلى المسجد، ولما كان في السجدة الأخيرة من صلاة المغرب، قبض الله روحه.

قال بعض أهل العلم: كان هذا الرجل إذا صَلَّى الفجر، قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمَيْتَةَ الْحَسَنَةَ، قِيلَ لَهُ: وَمَا الْمَيْتَةُ الْحَسَنَةُ، قَالَ: إِنْ يَتَوَقَّأَنِي رَبِّي وَأَنَا سَاجِدٌ.

(١) أخرجه مسلم (٨٩/١) رقم (٨٥).

(٢) أخرجه النسائي (٢٣١/١) رقم (٤٦٣)، والترمذي (١٥/٥) رقم (٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٣٤٢/١) رقم (١٠٧٩)، وأحمد (٣٤٦/٥، ٣٥٥). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (٤١٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨٨/١) رقم (٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٣/١) رقم (٦٥٤).

نعم هذه هي الميئة الحسنة، أن يتوفاك ربك وأنت في صلاة، أو في جهاد في سبيل الله، أو على طهارة وأنت تقرأ القرآن، أو في طلب العلم، أو في مجالس الذكر.

والميئة القبيحة: أن يتوفاك الله وأنت تستمع إلى الأغنية، أو في سهرة خليعة، أو على كأس الخمر، أو في سفر إلى الفاحشة، أو في مجالس الغيبة، هذه هي الميئة القبيحة التي تعوذ منها الصالحون.

سعيد بن المسيب إمام التابعين، كان يأتي في ظلام الليل، إلى مسجد النبي ﷺ فقال له إخوانه: خذ سراجاً ليُنير لك الطريق في ظلام الليل، فقال: يكفيني نور الله ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [الثور: الآية ٤٠].

وفي الحديث عنه ﷺ: «بُشِّرَ الْمَشَائِئِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المساجد بالنور التام يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وهل في القيامة ظلم؟ وهل في القيامة ليل؟ إي والله... ليل أدهى من الليل، وظلمة أدهى من الظلمة، يجعلها الله لأعداء المساجد، وللذين انحرفوا عن بيوت الله، تُظلم عليهم طرقاتهم وسُبلهم يقولون للمؤمنين يوم القيامة: ﴿أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَنْزِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: الآية ١٣].

كان لسعيد بن المسيب عين واحدة، وذهبت الأخرى، قالوا من كثرة بكائه في السَّحَر، خشية الله، وكان يذهب بهذه العين الواحدة في ظلام الليل إلى المسجد، وقال في سَكَرات الموت وهو يتبسم: والله ما أذن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في المجد، قبل الأذان تجد سعيد بن المسيب في المجد.

لكن أتى أناس، أكلوا نِعَم الله، وتمرغوا في فضل الله، ولكنهم نسوا حقه وأهملوا شعائره، فأصبحت الصلاة في حياتهم آخر شيء يفكرون فيه، وإلى الله المُشْتَكِي.

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤/١) رقم (٥٦١)، والترمذي (٤٣٥/١) رقم (٢٢٣)، وابن ماجه (٢٥٦/١) رقم (٧٨١). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (٢٨٢٣).

وَدَّعَ عَمْرٌو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، سَعِدَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا سَعْدُ، أَوْصِي الْجَيْشَ بِالصَّلَاةِ، اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُهْزَمُونَ بِالْمَعَاصِي، فَأَوْصِيهِمْ بِالصَّلَاةِ.

كَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا تَلَقَّتِ الصَّفُوفُ، وَالتَحَمَّتِ الْأَبْدَانُ، وَأَشْرَعَتِ الرِّمَاحُ، وَتَكَثَّرَتِ السِّيُوفُ، وَتَنَزَلَتِ الرُّؤُوسُ مِنْ عَلَى الْأَكْتِافِ، تَرَكَوا الصَّفُوفَ لَطَائِفَةٍ، وَقَامَتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى تَصَلِّي.

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لصلَاتِهِمْ وَالْحَرْبُ تَسْقِي الْأَرْضَ جَامِأً أَحْمَرًا  
جَعَلُوا الْوُجُوهَ إِلَى الْحِجَازِ فَكَبَّرُوا فِي مَسْمَعِ الرُّوحِ الْأَمِينِ فَكَبَّرُوا

حَضَرَ أَجْدَادُنَا حِصَارَ كَابُلٍ - عَاصِمَةَ أَفْغَانِسْتَانٍ - فَطَوَّقُوهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَلبَسُوا أَكْفَانَهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ؛ إِمَّا الْحَيَاةَ فِي عِزٍّ، وَإِمَّا الْمَوْتَ فِي شَرَفٍ. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدِي الْحُسَيْنِيِّ وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: الآية ٥٢].

هذه هي غاية المسلم وهذا هو مراده.

فِيمَا حَيَاةً نَظَّمَ الْوَحْيُ سَيْرَهَا وَإِلَّا فَمَوْتَ لَا يَسْرُ الْأَعَادِي  
إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ إِمَامِنَا كَفَى بِالْمَطَايَا طِيبَ ذِكْرَاكِ حَادِي

وَقَفَ أَجْدَادُنَا يَحَاصِرُونَ كَابُلَ، وَلَمَّا وَصَلُوا الظَّهْرَ، قَالَ التَّمَائِدُ الْعَظِيمُ قَتِيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ يَبْكِي وَيَقُولُ: االلَّهُمَّ انصُرْنَا، فَإِنِ انصُرْنَا مِنْ عِنْدِكَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَعْدَ صَلَاةِ الظَّهْرِ، وَكَانَ جَيْشُهُ يُقَدَّرُ بِمِائَةِ أَلْفِ مَقَاتِلٍ، قَالَ: ابْحَثُوا لِي عَنِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، أَيْنَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ؟! .

لَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ الصَّفْرِ، سَاعَةُ بَيْعِ الْأَرْوَاحِ، سَاعَةُ تَفْتِيْحِ فِيهَا أَبْوَابِ الْجِنَانِ، سَاعَةُ حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا زَالَ الْقَائِدُ يَقُولُ: ابْحَثُوا لِي عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، فَالْتَمِسُوهُ، فَوَجِدُوهُ يَبْكِي، وَقَدْ اتَّكَأَ عَلَى رَمْحِهِ، وَرَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ

يقول: يا حيّ يا قيّوم، فأخبروا قتيبة بذلك، فدمعت عيناه، ثم قال: والذي نفسي بيده، لأصعب محمد بن واسع خير عندي من مائة ألف سيف شهير، ومن مائة ألف مقاتل طرير، وابتدأت المعركة، وحمي الوطيس، وانتصر المسلمون، ولم يصلوا العصر إلا في داخل كابل.

إنها الصلاة... إنها حياة القلوب... إنها الميثاق... إنها العهد بين الإنسان وبين ربه.

ويوم يتركها المرء، أو يتهاون بها، يدركه الخذلان، وتناهى اللعنة، وينقطع عنه مدد السماء.

### • عباد الله:

إن من أسباب السعادة، وحفظ الله لنا، ودوام رغد العيش الذي نعيشه، أن نحافظ على عهد الله في الصلاة، وأن نتواصى بها، وأن نأمر بها أبناءنا.

يقول لقمان عليه السلام لابنه: ﴿يَبْنِيْ اَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَاَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ﴾ [لقمان: الآية ١٧].

فهل من مُجيب؟ وهل من مُسارع إلى الصلاة حيث يُنادى بهن؟ وهل من حريص على تلکم الشّعيرة العظيمة؟ إنها الحياة... ولا حياة بغير صلاة.

لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة الفجر، فاتته ركعة واحدة، غلبه الدم، فحمل على أكتاف الرجال، ووصل إلى بيته فلما أفاق قال: هل صليت؟ قالوا: بقيت عليك ركعة، فقام يصلي... فأغمي عليه، ثم عقد الصلاة، فأغمي عليه، ثم قام يصلي... فأغمي عليه، ثم أتم الركعة وقال: الحمد لله الذي أعانني على الصلاة.

فإنه الله في الصلاة... من حافظ عليها، حفظه الله، ومن ضيعها، ضيعه الله، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [التكوير: الآية ٤٥]..

فالصلاة الصلاة عباد الله، في أول وقتها؛ بخشوعها، بخضوعها، بأركانها، وواجباتها، وسُننها، لعلَّ الله أن يحفظنا ويرعانا كما حافظنا عليها وعظمتها.

فالزم يديك بحبل الله مُعْتَصِمًا فإنه الركن إن خائتكَ أركان  
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع  
المسلمين فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقُدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

### • أيتها الناس:

يوم الجمعة أفضل الأيام عندنا أهل الإسلام، يوم الجمعة عيد لنا، يوم الجمعة تاريخ، وله قصة من أعظم القصص، هذا اليوم خلق الله فيه آدم، وفي هذا اليوم، أدخله الله الجنة، وفي هذا اليوم أخرجه الله منها، وفيه تقوم الساعة<sup>(١)</sup>.

وفي هذا اليوم كانت ساعة النزال بين موسى ﷺ، وبين فرعون عليه اللعنة، يوم الصراع العالمي بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الهدى والضلال.

يوم جاء موسى بالتوحيد، وليس معه إلا عصاه، وجاء فرعون بالصولة والصولجان، ومعه دجاجلة الدنيا، وسَحرة الدنيا ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: الآية ٥٩]، هذا هو يوم الجمعة في التاريخ.

ولكن ما هو واجب هذا اليوم العظيم علينا؟

---

(١) لفظ الحديث «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أُدخِلَ الجنة، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» أخرجه مسلم (٥٨٥/٢) حديث رقم (٨٥٤).

إن من المؤسف أن كثيراً من الناس، جعلوا هذا اليوم موسماً للنزهة والخروج، بحيث يضيِّعون في طريقهم صلاة الجمعة، فلا يحضرون الخطبة، ولا يؤدّون الصلاة، ولا يتهيّئون لهذا اليوم العظيم.

إن الملائكة تقف من الصباح على أبواب المساجد؛ تمجّل الأول فالأول، فإذا صعد الخطيب على المنبر، طَوَّت الصُّحُف، وأنصت لسَماع الخطبة. أما الإنسان فيجعله يوماً للهو واللعب، فيخرج ويترك صلاة الجمعة، ويُبارز ربّه - عزّ وجلّ - بالمُحَارَبَةِ.

نصّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، على أن المسافر إذا حضر صلاة الجمعة في المدينة، فعليه أن يؤدّيها في المسجد.

المسافر... وهو في حال السفر... وَمَطْنَةُ الْمَشَقَّة... إذا نزل في مدينة تُقام فيها الجمعة، عليه وجوباً أن يحضر صلاة الجمعة، ليستمع إلى الخطبة، ويعيش مع المسلمين مشاعرهم وأحاسيسهم.

#### • أيتها المسلمون:

يوم الجمعة له علينا واجبات وحقوق منها:

الاجتسال والتطيب: وقد أوجِبَ غسل الجمعة بعض أهل العلم والجمهور على أنه سنة مؤكدة، وذلك لتهيّأ العبد للقاء الله؛ لأنه عيد، وهو يُذَكَّر بيوم العرّض الأكبر على الله تعالى.

وكما أنه ينبغي أن نتجمل بالاجتسال والتطيب واللباس الحسن، فكذلك ينبغي أن نتجمل بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، كالصدق والأمانة والحلم والمروءة، وأن نتخلّى عن الأخلاق الذميمة؛ كالحقد والحسد والغيبة والنميمة وغيرها.

فليس في القيامة ثياب، ولا بشوت، ولا سيارات، ولا كلّ هذه الزينة الظاهرة، وإنما ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية ١٨].

فالسجل مكشوف... والبدن عارٍ... والضمائر معروضة... وكتابك مفتوح أمام عينيك ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: الآية ١٤]، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤]، ﴿وَيَقُولُونَ يَتُولَيْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر على الله»<sup>(١)</sup>.

فما الفائدة إذا كانت الظواهر جميلة، والبواطن خراب!!.

لبسنا واشياً من كل حمن      فما سترت ملابسنا الخطايا  
وتلك قصورنا بالمرم باتت      وتلك قبورنا أضحت خلايا

ومن حقوقها كذلك: التبكير إلى الصلاة، وإتيان المسجد قبل الأذان فليس من المعقول أن يدخل الخطيب المسجد قبل الأذان، ثم يأتي المُصَلِّون بعده تباعاً.

يأتي المُصَلِّون من بيوتهم بعد صعود الخطيب على المنبر!! بل إن المساجد تبقى فيها الأماكن الكثيرة الخالية من المُصَلِّين، وقد أشرف الخطيب على الانتهاء من الخطبة، حتى إذا ما انتهى من خطبته؛ دخل المُتَخَلِّفون بلا أجور؛ ليشهدوا الصلاة هكذا مع الناس!!.

فأين الساعة الأولى؟... وأين الساعة الثانية؟... وأين المُبَكِّرون؟

إن قوماً لا زالوا يتأخرون، حتى يؤخِّرهم الله فيمن عنده، وإن قوماً لا زالوا يتقدمون، حتى يقدمهم الله فيمن عنده.

وإن بعض الغوغاء ممن لا يفهمون أحكام الله؛ يبيعون ويشترون بعد الأذان الثاني وصعود الخطيب، أي بيع لهم، لا أربح الله تجارتهم!.

(١) ذكره الترمذي في سننه (٥٥٠/٥).

الملائكة تنصت للخطبة، والسماء مفتوحة تستقبل الدعاء، وخطباء الأمة الإسلامية الخالدة على المنابر، وقلوب الناس متجهة لسماع الخطيب، والسكينة تغشى الناس، والرحمة تحفّ بهم، والله يُباهي بهم مَنْ فِي السَّمَاءِ.

وهؤلاء اللاهون يبيعون ويشترون، ويجرحون مشاعر المسلمين، ويتعدّون على حُرْمَةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

فإذا أذن المؤذن، فلا بيع، ولا شراء، ولا تجارة، ولا دنيا، إنما توجه إلى الله تعالى، وإنصات لأحكامه، بل إن الجالس ليس له أن يكلم مَنْ بجانبه ولا أن يسلم عليه، قال بعض العلماء: وليس له بعد دخول الخطيب، وبدء الخطبة أن يكلمه، ولو بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»<sup>(١)</sup>، وزاد بعضهم: «ومن لغا فلا جمعة له»<sup>(٢)</sup>. وفي الصحيح: «من مس الحصى فقد لغا»<sup>(٣)</sup>.

فعليكم بالسكينة أيها الناس، لا تشغلوا باللعب بالسواك، ولا بتهيئة الغترة، ولا بمسك اللحية، وإنما خشوع وسكينة، وتوجه إلى الله الواحد الأحد.

وقد بين النبي ﷺ فضل ذلك فقال: «من توضع فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، عُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام»<sup>(٤)</sup>.

ومن معالم الجمعة كذلك: قراءة سورة الكهف، فقد صح عند الدارقطني والبيهقي: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٤/١)، ومسلم (٥٨٣/٢) كتاب الجمعة، حديث رقم (٨٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٦/١، ٢٧٧) رقم (١٠٥١) عن علي بن أبي طالب.

(٣) أخرجه مسلم (٥٨٨/٢) رقم (٥٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (٥٨٧/٢، ٥٨٨) رقم (٨٥٧).

(٥) أخرجه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد، وصححه الألباني كما في الإرواء رقم (٢٢٦).

وفي لفظ: «مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»<sup>(١)</sup>.

• أيتها الناس:

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

\* \* \*

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، وصححه الألباني كما في الإرواء رقم (٦٢٦) وانظر صحيح الجامع رقم (٦٤٧٠، ٦٤٧١).

## عبادة الرسول ﷺ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

## • أيها الناس :

إن الأمم والشعوب والدول، تفتخر بعظماؤها، وتبني بهم أمجادها وتؤسس التاريخ لمُنْقِذِيهَا، وما علمنا، ولا عرفنا، ولا رأينا، رجلاً أسدى لبني جنسه ولأُمته من المجد والعطاء والتاريخ، أعظم ولا أجل من رسول الله ﷺ.

أما ترى ما يفعل الإنجليز والألمان والفرنسيون والأمريكان بعظمائهم، وعظماؤهم سَفَكَةَ للدماء، مَلَاجِدَةَ وَخَوْنَةَ، بَنُوا مجدهم على الجماجم والأشلاء، وسقوا زروع تاريخهم بدماء الضحايا والأبرياء، قتلوا الأطفال والنساء، وحاربوا الفضيلة والشرف، ونشروا العُهر والرذيلة بين الشعوب.

فحرام حرام، أن يُذكَر رسول الله ﷺ مع هؤلاء، أو أن يُجَعَلَ في مَصَافِهِمْ، أو يُقَارَنَ بِهِمْ، إنه ﷺ من نوع آخر، إنه نبي وكفى، إنه رسول فحسب، تلقى تعاليمه من ربه تبارك وتعالى.

والعجيب أنهم مع تعظيمهم لهؤلاء الجَبَنَاءِ، الأذَلَاءِ، الرخصاء، يذرون نبينا ﷺ.

غريب هذا الأمر، وعجيب هذا التصرف.

إذا عَيَّر الطائي بالبخل مَادِرٌ وَعَيَّر قَسًا بالفهاهة باقِلُ  
وقال السُّها للشمس أنت كسيفَةٌ وقال الدُّجا للبدر وجهك حائلُ  
فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمةٌ ويا نفسُ جدِّي إن دهرَكَ هازلُ

الرسول ﷺ هو أعظم الناس، وإذا سمعت عن عظيم فاعلم أنك إذا رأيته كان أقل مما سمعت، إلا الرسول ﷺ إنه أعظم مما سمعت عنه.

واليوم نتحدّث عن جانب العبودية في حياته ﷺ، كيف عاش عبداً؟ ما هي عبادته ﷺ؟ كيف كانت صلاته؟ كيف كان يصوم؟ ما هو ذكره لله تبارك وتعالى؟

الله - عز وجل - يمدحه في القرآن بالعبودية في أشرف أحواله ﷺ فيقول عنه: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:

الآية ١]. ويقول عنه: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا ﴿١٦﴾﴾  
 [الجن: الآية ١٩]. ويقول أيضاً: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ  
 نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: الآية ١].

محمد ﷺ أعبد الناس لله، وأشدّهم له خشية.

يقول الله له: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٩]،  
 يعني الموت لا كما قال المنحرفون: اعبد ربك حتى تتيقن بوحدانيته ثم اترك  
 العبادة، وقد كذبوا على الله، إنما المعنى: اعبد ربك في الشتاء والصيف، في  
 الجبل والترحال، في الصحة والسقم، في الغنى والفقر، حتى يأتيك الموت.

﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضَعُهُ أَوْ أَفْضَهُ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ  
 وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل: الآيات ١ - ٥].

يا أيها المزمل قم لإصلاح الإنسان، يا أيها المدثر في لحافه، قم لهداية  
 البشرية، يا أيها المزمل في فراشه، قم لهداية الإنسانية، فقام ﷺ ثلاثاً وعشرين  
 سنة، ما نام ولا استراح، أعطى الإسلام دمه ودموعه، أعطى الدعوة ماله  
 وكيانه، أعطى الإسلام ليله ونهاره، فما نام ولا فتر ولا هدأ، حتى أقام لا إله  
 إلا الله.

يأتيه الحزن والهمّ والغمّ، فيقول: «أرحنا بها يا بلال»<sup>(١)</sup>، أي: بالصلاة،  
 تأتيه المصائب والكوارث فيقول: «أرحنا بها يا بلال»، تأتيه الفواجع والزلازل  
 فيقول: «أرحنا بها يا بلال»، يموت أبناؤه وأحبابه وأصحابه، ويُقتل جنوده،  
 ويُهزَم جيشه، فيقول: «أرحنا بها يا بلال».

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٦/٤)، رقم (٤٩٨٥، ٤٩٨٦)، وأحمد في المسند (٣٦٤/٥)،  
 (٣٧١)، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢).

يقول عليه السلام: «وَجُعِلَتْ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>. ما كان يرتاح إلا إذا قام يصلي، إذا قال الله أكبر، كبر بصوت تكاد تنخلع لصوته القلوب، فيضع يده على صدره فيكون الله أعظم من كل شيء؛ لأنه الكبير - سبحانه وتعالى - فيقف متواضعاً مُتَبَتِّلاً مُخَضَّعاً مُتَذَلِّلاً أمام الواحد الأحد.

يقول عبد الله بن الشخير: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء<sup>(٢)</sup>، والمرجل: القدر إذا استجمع غلياناً.

ويقول حذيفة: قام صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الليل بعد العشاء، قال: فدخلت معه في الصلاة فافتتح سورة البقرة، فقلت: يسجد عند المائة، فختمها، فافتتح سورة آل عمران فاختتمها، فافتتح سورة النساء ثم اختتمها، لا يمر بأية رحمة إلا سأل الله، ولا بأية عذاب إلا استعاذ بالله، ولا بتسبيح إلا سبح، قال: ثم ركع، فكان ركوعه قريباً من قيامه، ثم قام فكان قيامه قريباً من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده قريباً من قيامه وركوعه، ثم صلى الركعة الثانية قريباً من الأولى<sup>(٣)</sup> ما يقارب الست ساعات أو السبع ساعات مع الفقر والجوع، ومع الجهاد في النهار، ومع الزهد، ومع الدعوة إلى الله، ومع تربية الأطفال، ومع شؤون البيت، ست أو سبع ساعات وهو يتبتل إلى الله، تفتطرت قدماه، وتشقق رجلاه فتقول له زوجته عائشة رضي الله عنها يا رسول الله كيف تفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه النسائي (٦١/٧، ٦٢) رقم (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وأحمد في المسند (١٢٨/٣)، ١٩٩، ٢٨٥)، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨/١) رقم (٩٠٤)، والنسائي (١٣/٣) رقم (١٢١٤) وأحمد في المسند (٢٥/٤، ٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٦/١، ٥٣٧) رقم (٧٧٢)، وأحمد في المسند (٣٨٤/٥، ٣٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤/٢) ومسلم (٢١٧١/٤) رقم (٢٨١٩، ٢٨٢٠).

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطال حتى هممت بأمر سوء. قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه <sup>(١)</sup>.

الرسول صلى الله عليه وسلم قام ليلة من الليالي فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم بكى، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم بكى، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم بكى، ثم قال: «ويل لمن لم تدركه رحمة الله، ويلى لمن لم تدركه رحمة الله، ويلى لمن لم تدركه رحمة الله» لم يخرج.

يسجد صلى الله عليه وسلم السجدة الواحدة مقدار ما يقرأ الواحد منا خمسين آية، ويركع الركعة الواحدة مقدار ما يقرأ القارئ منا خمسين آية، هذا في صلاة الليل، يدعو ويبكي إلى الصباح، حتى تسقط بُردته من على كتفيه، كما في ليلة البدر، يُناجي ربه، ويقرأ كتابه، ويتبتل إلى الله؛ لأن العبادة أقرب باب إلى الله.

ونحن أيها المسلمون في سعد ورغد، في عيش رضي، في أمن وصحة، الموائد الشهية، الفلل البهية، امراكب اوطية، ومع ذلك نترك صلاة الجماعة إلا من رحم الله، أي أمة نحن، أي كيان نحن، أي قلوب نحملها، إذا لم نغم بالصلوات الخمس كما أرادها الله - عز وجل -.

قال بلال كما روى ابن جرير وابن مردويه: مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الفجر، فسمعته يبكي فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «أُنزِلت علي هذه الليلة آيات، ويلى لمن قرأها ولم يتدبرها»، قلت: ما هي يا رسول الله؟ فأخذ يقرأها ويبكي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ رَبَّنَا كَرُمًا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: الآيات ١٩٠، ١٩١].

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧/١) رقم (٧٧٣).

كيف ترقى رقيك الأولياء يا سماء ما طاولتها سماء  
إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء  
حنّ جذع إليك وهو جماذ فعجيب أن يجمد الأحياء

كان ﷺ يصوم، فيواصل الليل بالنهار ثلاثة أيام وأربعة أيام، لا يأكل شيئاً فأراد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل فقال: «لا إنكم لستم كهيتي، إني أبيت يُطعمني ربي ويقيني»<sup>(١)</sup> لا يطعمه طعاماً، ولا يقيه شراباً، إنما جِكمأ، ومعارفاً، وفتوحات ربانية، وإلهامات إلهية.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد  
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حاد

يصوم ﷺ في السفر وقد التهب الجو، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كُنَّا فِي شِدَّةِ الْحَرِّ حَتَّى وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ أَحَدُنَا لِيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُ رَوَاحَةَ.

يجلس مع الصحابة، فيقول لابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أقرأ عليّ القرآن»، فيندفع يقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٤١]، قال: «حبك». قال ابن مسعود: فنظرت فإذا عيناه تذرفان<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: فإذا دموعه تسيل على لحيته ﷺ.

يبكي ﷺ تواضعاً لله تبارك وتعالى، وشفقة على هذه الأمة.

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: استفتت ليلة من الليالي فبحثت عن الرسول ﷺ، فوقعت يدي علي بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول:

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢/٢، ٢٤٢، ٢٤٣) ومسلم (٧٧٤/٢) رقم (١١٠٢، ١١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠/٥).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(١)</sup>.

• أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

متى يَقْدَمُ الْإِنْسَانُ لِلْقَبْرِ مَا لَمْ يَقْدَمْ هَذِهِ اللَّيَالِي؟! متى يَصَلِّي إِذَا لَمْ يُصَلِّ هَذِهِ الْأَيَّامَ؟! متى يَذْكُرُ اللَّهَ إِنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ?!.

إِذَا دُفِنَ الْإِنْسَانُ فَلَنْ يَصَلِّيَ عَنْهُ أَحَدٌ، وَلَنْ يَصُومَ عَنْهُ أَحَدٌ، وَلَنْ يَذْكُرَ عَنْهُ أَحَدٌ.

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا      أَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمَحْتَقَرُ  
تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا مَخْبِرٌ      وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِيرُ  
تَسِيرٌ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى      فَتَمَحُّوْا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوْرِ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ أَعْبَدُ الْخَلْقِ لِلَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَعَ ذَلِكَ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ، فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، فِي الذِّكْرِ، فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ.

فَتَمَكُّوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِهَدْيِهِ، وَعَضُّوا عَلَى سُنَّتِهِ بِالنَّوَاجِذِ، فِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ:

«لَوْ جَاؤُونِي مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَاسْتَفْتَحُوا عَلَيَّ مِنْ كُلِّ بَابٍ، مَا فَتَحْتُ لَهُمْ حَتَّى يَأْتُوا خَلْفَكَ يَا مُحَمَّدٌ».

أَقُولُ مَا تَمَعُّونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومُبَشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

### • أيتها الناس:

نُقِلَ عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، أن المارَّ إذا مرَّ بهم في السَّحَرِ سمع لبيوتهم دويّاً كدويِّ النحل، من البكاء وقراءة القرآن والدعاء، هذا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، دعاءً، وبكاءً، ومُناجاةً وقت السَّحَرِ، فما هو حالنا مع حالهم؟! كيف نعيش بالنسبة إليهم؟ إن تلك التلاوة، وذاك الدعاء، وهذا البكاء من خشية الله، أُبْدِلَ في بيوتنا - إلا من رَجِمَ الله - بالغناء والموسيقى والعود والوتر.

روى ابن أبي حاتم أنه صلى الله عليه وآله، كان يمرُّ في ظلام الليل يتفقّد أصحابه، كيف كانوا يصلُّون، كيف كانوا يدعون، كيف كانوا يبكون، فسمع عجوزاً قرأت من وراء الباب وتبكي، عجوز مُسِنَّةٌ، تقرأ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْثِيَّةِ ۖ﴾ [الغاشية: الآية ١]، تبكي وتُعيد الآية وتبكي، فوضع رأسه على الباب وبكى صلى الله عليه وآله،

ثم قال: «نعم أتاني، نعم أتاني» هذه عجوز ضعيفة، فأين شباب الأمة، أين أهل القوة والعضلات، أين أهل البروز والإجادة؟.

إن القوي هو القوي في طاعة الله، وإن المُفْلِج هو السائر في طريق الله، وإن المتقدم هو المتقدم إلى مَرَضَاةِ الله، إذا عَلِمَ هذا فإنه ﷺ في جانب الذِّكْرِ كان أكثر الناس ذِكْرًا لله - تبارك وتعالى - نفسه ذِكرَ الله، وفتواه ذِكرَ الله، وخطبه ذِكر، وكلامه وليله ونهاره، وحركاته وسكناته ذِكرَ الله تبارك وتعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:

«اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبئون حق، ومحمد ﷺ حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته:

«اللَّهُمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤١/٢، ٤٢) ومسلم (٥٣٢/١، ٥٣٣) رقم (٧٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٤/١) رقم (٧٧٠).

هل سمعتم بعد كلام الله أحسن من هذا الكلام، ما أجمل وقت السحر، يوم تناجي الله، يوم ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مُستغفر فأغفر له، هل من داع فأجيبه؟  
يقول محمد إقبال شاعر الإسلام:

يا رب لا تحرمني أنة السحر، يا رب اجعلني من البكائين الخاشعين لك  
في السحر، يا رب إذا حرمتي جلسة السحر فإن قلبي يقسو ولن يلينه شيء.  
• فيا عباد الله:

هذا هو الرسول ﷺ: في عبادته، في صلاته وصيامه، في قراءته وذكره، وهو أسوتكم وقائدكم إلى الجنة، ونجاتكم مرهونة باتباعه، وعقدكم وسيركم إذا لم يكن على سُنَّته، فهو الهلاك والدمار، وهو العار والخسار، في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

فيا من أراد الجنة، يا من أراد النجاة، يا من أراد الفلاح، يا من أراد الخير والعدل والسلام؛ والله ليس لك قدوة، لا زعيم، ولا رائد، ولا مُصلِح، ولا إمام، ولا عابد، ولا مُنقِذ، ولا مُعَلِّم، إلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

• أيها الناس:

صلُّوا وسلِّموا على من ضوعنا المجلس بذكره ﷺ، فقد أمركم بذلك ربكم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

## عوامل القوة في حياة المسلمين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الاحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس:

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك «يا عبادي» وأن صيرت أحمد لي نبياً

من مبادئنا الأصيلة، ومن تعاليمنا الجليلة، أن نفتخر بهذا الدين، وأن نتشرف بأن جعلنا الله مسلمين، فمن لم يتشرف بالدين ومن لم يفتخر بكونه من المسلمين، ففي قلبه شك وقلة يقين، يقول الله في مُحكم التنزيل، مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَذِكْرُ لَكُمْ وَلِقَوْمِكُمْ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤]، أي: شرف لك، وشرف لقومك، وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة، فالواجب أن تتشرف بالقرآن، لكونك من أمة القرآن، ومن أمة الإسلام.

بُشِرَى لَنَا مَعِشَرُ الْإِسْلَامِ أَنْ لَنَا مِنْ الْعِنَايَةِ رَكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ  
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لَطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ  
ولذلك يقول جل ذكره: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٩].

قال الأستاذ سيد قطب: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٩]، الأعلون سندا، والأعلون مبادئنا، والأعلون منهجاً، فمبدأكم المبدأ الأصل، وقرآنكم القرآن الجليل، وسندكم الرب الفضيل، فكيف يهن من كان الله سنده، وكيف يهن من كان الله ربه ومولاه، وكيف يهن من كان رسوله وقُدوته محمداً ﷺ وكيف يهن من كان دينه الإسلام؟!.

ولذلك كان لزاماً علينا أن نفخر، وأن نشعر بالشرف والجلالة والتبلى، يوم أن جعلنا الله مسلمين؛ لأن بعض الناس قد يخجل أن يلتفت إلى السنّة، أو تظهر عليه معالم السنّة، وهذا خطأ كبير وانهازم نفسي فاجش.

كيف يخجل المؤمن من السنّة، ونجاته يوم القيامة موقوفة على اتباعها، ويظن بعض هؤلاء أن الغرب بما وصل إليه من تقدّم علمي هم أهدى سبيلاً من أهل الإيمان والإسلام، ولذلك يردّ الله - عزّ وجلّ - على الذين ظنّوا أن مبادئ الشرف ومبادئ الرّفعة، في تحصيل الأموال وامتلاك الدنيا فقال سبحانه:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣٦) أَمْرٌ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيثَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَسْخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٧) [الرَّحُوفُ: الْآيَاتَانِ ٣١، ٣٢].

الشرف كل الشرف ليس في الدور، ولا القصور، ولا في الأموال، ولا في الهيئات ولا في الذوات، الشرف أن تكون عبداً لرب الأرض والسموات، الشرف أن تكون من أولياء الله، الذين يعملون الصالحات، ويجتنبون المحرمات.

جاء عبد الله بن أم مكتوم، الضرير الفقير المسكين، إلى المصطفى ﷺ، يسأله في بعض الأمور، والرسول ﷺ، مشغول بكفار قريش وساداتهم، يريد أن يهديهم إلى صراط الله المستقيم، فلما دخل عليه قال: يا رسول الله، أريد كذا وكذا، فأعرض عنه ﷺ<sup>(١)</sup> لأنه لا يريد أن تفوته الفرصة مع هؤلاء الكبار، فعاتبه ربه من فوق سبع سموات، عاتبة في أمر هذا المكين الضرير، يقول الله له: ﴿عَبَسَ﴾ [عَبَسَ: الْآيَةُ ١]، فخاطبه بخطاب الغيبة، ولم يقل: «عبست»، وإنما يقول: ﴿عَبَسَ﴾ أي تغير وجهه واكفهر، عبس هذا الرسول، عبس هذا النبي، عبس هذا الداعية في وجه الرجل الصالح ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) [عَبَسَ: الْآيَةُ ١]، أي: أَعْرَضَ عَنْهُ، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿عَبَسَ: الْآيَاتَانِ ١، ٢﴾ ولم يُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وإنما ذكره بصفته ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (٢)، ثم قال له: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْزُقُ﴾ (٢) [عَبَسَ: الْآيَةُ ٣] مَنْ أَخْبِرَكَ بِحَالِهِ، لَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَتَطَهَّرَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ أَرَادَ مِنْكَ أَنْ تُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ، أَرَادَ مِنْكَ أَنْ تَقُودَهُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (٣) أَمَّا مَنْ اسْتَفْنَى ﴿عَبَسَ: الْآيَاتَانِ ٤، ٥﴾، أما الكافر الذي استغنى عن الرسالة والرسول، وعن القرآن والسنة، وعن الهداية والنور ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَفْنَى﴾ (٥) فَاتَّ لَمْ تَصَدَّقْ ﴿١﴾ [عَبَسَ: الْآيَاتَانِ ٥، ٦] تَسْقِبُهُ، وَتَهَشُّ وَتَبْشُّ فِي وَجْهِهِ، وَتَلِينُ لَهُ فِي الْخُطَابِ.

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٢/٥، ٤٠٣) رقم (٣٣٣١) وقال: حديث غريب.

هؤلاء الجبابرة الذين أتوك تستقبلهم، أما هذا الأعمى، فتعرض عنه؟! ﴿فَأَنْتَ لَمْ تَعْدَى﴾ ⑥ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ ⑦ ﴿عَبَسَ: الْآيَاتَانِ ٦، ٧﴾ ليس عليك حسابهم، ذرهم يموتوا بكفرهم، وجبنهم، وعنادهم، وجبروتهم، فالنار مثواهم. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ ⑦ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ ⑧ ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ⑨ ﴿فَأَنْتَ عَنْدَ اللَّهِ﴾ ⑩ ﴿عَبَسَ: الْآيَاتِ ٧ - ١٠﴾ لا، لا تفعل ذلك.

فأتى عبد الله بن أم مكتوم مرة ثانية، فقام له ﷺ، وعانقه، وفرش له رداءه، وقال له: «مرحباً بالذي عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>.

وبالفعل كانت النتيجة؛ أن مات هؤلاء الأشراف السادة. ماتوا على الكفر ودخلوا ناراً تلتطى، وأما عبد الله بن أم مكتوم، فأسلم واستمر على إسلامه ووفائه.

ولما أتى داعي الهداية وداعي الكفاح، وداعي الجهاد، وارتفعت راية الإسلام في يد عمر - رضي الله عنه - وأرضاه - ونادى بالنفير إلى القادسية، إلى معركة فاصلة، مع آل كسرى، وآل رستم، كان من المجاهدين عبد الله بن أم مكتوم.

قال له الصحابة: إنك معذور، أنت أعمى، قال: لا والله، الله يقول: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١]. فلما حضر المعركة، سلموه الراية، فوقف مكانه حتى قُتِل، فكان قبره تحت قدميه، رضي الله عنه وأرضاه. سلامٌ على ذلك الصديق المخلص، وسلام على ذلك المنيب، الذي تشرف بالإسلام، فكان قلعة من قلاع الحق، استقبلت نور السماء، فوزعته على البشرية، والرسول ﷺ كما قالت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها -: «ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا، ولا أعجبه أحد قط، إلا ذو تقى»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الدر المنثور (٦/٥١٨، ٥١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/٦٩).

وعبد الرحمن بن عوف يقول: «والله ما رأيت متقياً لله إلا وددت أنني في مسلاخه».

ترى المتقي، فُجِبَه قلبك إن كنت مسلماً؛ لِمَا يظهر عليه من علامات النصح والقبول والرضا، وترى الكافر فيغضه قلبك، ولو كان وسيماً جميلاً، فعليه آيات السخَط والتغضِب، وعليه سِمَات الإعراض عن الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: الآية ٤]، أما الأجسام، فطويلة، وأما البشرة، فجميلة، ولكن القلوب قلوب ضلالة، وقلوب جهالة، وقلوب عمالة، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم، لا يملكون في الدنيا قليلاً ولا كثيراً، ولا يجد أحدهم إلا كَسْرَةَ الخبز، وبنام في الطرقات، ولكن الله نظر إلى قلوبهم فهداهم إلى الإسلام، أما الذين يتغنّون في القصور والدُّور، قد لا يهديهم - سبحانه وتعالى - سواء السبيل ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٣].

جاء جليبيب إلى رسول الله ﷺ، فتبسّم ﷺ، لَمَّا رآه، وقال وهو يُنَاصِحه: «يا جليبيب، أتريد الزواج؟» فقال يا رسول الله: مَنْ يزوجني؟ ولا أسرة عندي، ولا مال، ولا دار، ولا شيء من متاع الدنيا.

فقال ﷺ: «اذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار، فأقربهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني»، فذهب وطرق عليهم الباب وكانوا من سادات الأسر، ومن كُبريات العشائر في الأنصار، فخرج رب البيت، ورأى جليبيباً وهينته وفقره وعَوَزه، فقال له: ماذا تريد؟ فأخبره الخبر، فعاد إلى زوجته، فشاورها، ثم قالوا: ليته غير جليبيب؛ لا نسب، ولا مال، ولا دار، فشاوروا تلك البنت الصالحة، التي تربت في مدرسة التوحيد، فقالت: وهل نرُدُّ رسولَ رسول الله ﷺ، فتزوج بها، وعمر بيته الذي أسسه على تقوى الله - عز وجل - ورضوانه، ترفرف عليه المَكَنَّة،

ويزينه التكبير والتهليل والتحميد، وتظلمه الصلاة في الهجير، والصيام في شدة الحر<sup>(١)</sup>.

وحضر النبي ﷺ معركة من المعارك، فلما انتهت بالنصر، قال ﷺ لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً. ثم قال ﷺ: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً. ثم قال ﷺ: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال ﷺ: «لكنني أفقد جليبياً فاطلبوه»، فطُلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه. هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»، ثم وضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، ثم حفر له، ووضِع في قبره<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت عظمة هؤلاء يوم اتصلوا بالواحد الأحد، وعرفوا الله - عز وجل - فعرفهم الله - عز وجل - على منازل الصديقين.

دخل سليمان بن عبد الملك الحرّم، ومعه الوزراء، والأمراء، والحاشية، والجيش، فقال: من عالم مكة؟ قالوا: عطاء بن أبي رباح، قال: أروني عطاء هذا، فأشرف عليه، فوجده عبداً، كان رأسه زبيبة مشلولاً نصفه، أزرق العينين، مفلقل الشعر، لا يملك من الدنيا درهماً ولا ديناراً، فقال سليمان: أنت عطاء بن أبي رباح الذي طوّق ذكرك الدنيا؟ قال: يقولون ذلك، قال: بماذا حصلت على هذا العلم؟ قال: بترك فراشي في المسجد الحرام ثلاثين سنة، ما خرجت منه، حتى تعلمت العلم، قال سليمان: يا أيها الحجّاج لا يفتي في المناسك إلا عطاء.

(١) قصة زواج جليبيب رضي الله عنه رواها أحمد في المسند (٤/٤٢٢، ٤٢٥). قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٧٠، ٣٧١): رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح وهي بغير هذا السياق.

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩١٨، ١٩١٩)، رقم (٢٤٧٢).

وحدث أن اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج، فقال: دلوني على عطاء بن أبي رباح، فأخذه إلى عطاء وهو في الحرم، والناس عليه كالغمام، فأراد أن يجتاز الصفوف، ويتقدم إليه وهو الخليفة، فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، خذ مكانك، ولا تتقدم الناس؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجاب، فقال سليمان لأبنائه: يا أبنائي، عليكم بتقوى الله، والتفقه في الدين، فوالله ما دُلْتُ في حياتي إلا لهذا العبد؛ لأن الله يرفع مَنْ يشاء بطاعته، وإن كان عبداً حبشياً، لا مال ولا نسب، ويذل مَنْ يشاء بمعصيته، وإن كان ذا نسب وشرف.

جاء هشام بن عبد الملك الخليفة، أخو سليمان، فحج البيت الحرام، فلما كان في الطواف، رأى سالم بن عبد الله بن عمر، الزاهد العالم العارف، وهو يطوف، وحذاؤه في يديه، وعليه عمامة وثياب، لا تساوي ثلاثة عشر درهماً، فقال له هشام: يا سالم: أتريد حاجة أقضيها لك اليوم، قال سالم: أما تحيي من الله، تعرض عليّ الحوائج، وأنا في بيت مَنْ لا يعوزني إلى غيره، فاحمر وجه الخليفة، فلما خرج من الحرم، قال: هل تريد شيئاً؟ قال: أمن حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال: أما حوائج الآخرة فلا أملكها، لكن من حوائج الدنيا، قال سالم: والله الذي لا إله إلا هو، ما سألت حوائج الدنيا، من الذي يملكها تبارك وتعالى، فكيف أسألها منك؟!.

إنهم عظماء لأنهم عاشوا في مدرسة النبي ﷺ، التي أخرجت خير أمة للناس، يرون الذهب والفضة للكفار، فيهدمونها ويطأونها بالأقدام، فيقول لهم المُستعير والكافر: خذوا هذا الذهب، واركبوا بلادنا، قالوا: لا والله، دارنا وبلادنا، جنة عرضها السموات والأرض.

وَمَنْ الَّذِي بَاعَ الْحَيَاةَ رَخِيصَةً      وَرَأَى رِضَاكَ أَعَزَّ شَيْءٍ فَاشْتَرَى

أَمْ مَنْ رَأَى نَارَ الْمَجُوسِ فَأَطْفِئَتْ      وَأَبَانَ وَجْهَ الضَّبْحِ أبيضَ نَيْراً

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

يخرج عمر - رضي الله عنه وأرضاه - لاستلام مفاتيح بيت المقدس، فيخرج له الناس، ويستعرض الجيش المسلم، بقيادة أمرائه الأربعة، تحت راية أبي عبيدة المقدم الهمام؛ يستعرضون له في الجابية، فلما أشرف عليهم قال: لا إله إلا الله، ثم قال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، ثم أمر الكتائب والجيوش أن تفرق؛ فدخل مسكنه في تواضع وفي هدوء، فلما اقترب الأمراء منه قال: تفرقوا عني، أين أخي أبو عبيدة عامر بن الجراح، فتقدم أبو عبيدة، فعانقه وبكى طويلاً، فقال عمر: يا أبا عبيدة، كيف بنا إذا سألنا الله يوم القيامة، ماذا فعلنا بعد رسولنا ﷺ؟ قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، تعال نتابكى، ولا يرانا الناس فانحرفا عن الطريق، والجيوش تنظر إليهما، والأمراء، والقساوسة، والزهبان، والنصارى، فأتجها إلى شجرة، ثم توقفا بيكيان طويلاً.

رضي الله عنكم أيها السلف الصالح، يوم عرفتم أن الحياة بسنينها وأعوامها، ينبغي أن تُصرف في مرضاة الله سبحانه وتعالى.

يقول رستم قائد فارس، وتحت يديه مائتان وثمانون ألفاً من الجنود الكفرة، يقول لسعد بن أبي وقاص القائد المسلم: أرسل إليّ من جنودك رسولاً أكلمه، فأرسل له سعد رضي الله عنه ربعي بن عامر وعمره ثلاثون سنة، من فقراء الصحابة، قال سعد: اذهب ولا تغير من مظهرك شيئاً، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فخرج ربعي بفرسه الهزيل، وثيابه الرثة ورُمحه البسيط، فلما سمع رستم أن وافد المسلمين سوف يدخل عليه، جمع حوله الأسرة الحاكمة، والوزراء، والجنود، واستعدوا لأن يُرهبوا هذا الوافد، علّه يتلعثم، فلا يستطيع الكلام، فلما جلس رستم قال: أدخلوه عليّ، فدخل يقود فرسه، واعتمد برمحه على بسطهم فخرقها وأفسدها؛ ليظهر لهم أن الدنيا حقيرة، وأنها رخيصة، وأنها لا تساوي عند الله شيئاً، ومن علامات رخصها وحقارتها؛ أن أعطاهها هذا الكافر، وجعل سعد بن أبي وقاص ينام على الثرى.

فلما وقف أمامه قال: اجلس، قال ربعي: ما أتيتك ضيفاً، وإنما أتيتك وإفدأ، فقال رستم: - والترجمان بينهما - ما لكم أيها العرب، ما عَلِمْنَا - وأقَسَمَ بآلهته - قوماً أذلّ ولا أقلّ منكم؛ للرومان حضارة، ولفارس حضارة، وللليونان حضارة، وللهنود حضارة، أما أنتم، فأهل جعلان، تطاردون الأغنام والإبل في الصحراء، فماذا أتى بكم؟ قال ربعي: نعم، أيها الملك كئنا كما قلت وزيادة، كئنا أهل جهالة، نعبد الأصنام، يقتل القريب قريبه على مَوردِ الشاة لا نعرف نظاماً، ولا مبدأ، ولا حضارة - أو كما قال - ثم انتفض، ورفع صوته كأنه الصاعقة في مجلسه قائلاً: ولكن الله ابتعثنا لئُخرج العباد؛ من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا، إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام، فغضب رستم وقال: والله لا تخرج، حتى تحمل تراباً من بساطي، فحملة على رأسه، فقال ربعي: هذه الغنمة إن شاء الله؛ تسليم أرضك وديارك<sup>(١)</sup> ﴿فَقَطَعَ دَائِرُ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٤٥]. فلما أشرف على سعد، قال: ماذا على رأسك يا ربعي؟ فقال: تراب من تراب أرض رستم وكسرى، فكبر المسلمون حتى اهتز مخيمهم وقالوا: هو النصر، تسليم أرضهم بإذن الله.

وفي الصباح الباكر، يوم أشرقت الشمس بأشعة النصر على الدنيا، كان سعد رضي الله عنه وأرضاه - في أول الصفوف، والتقى الجمعان، وبرزت الفتتان، وهياً الرحمن لحزبه النصر - سبحانه وتعالى - وفي ثلاثة أيام، تُنحَق كتائب الضلالة والعمالة، وتُداس الجماجم التي ما عرفت لا إله إلا الله، وتُضرب الرؤوس التي ما دخل فيها نور لا إله إلا الله، ويدخل سعد في اليوم الرابع إيوان كسرى، الذي حكم الدنيا ألف سنة، فيراه مُموهاً بالذهب، ويرى الياقوت والزبرجد والمرجان، فيبكي سعد ويقول: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٢٥] وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ

(١) انظر القصة في حياة الصحابة (٤/٥١٥) وعزاها لابن جرير الطبري في تاريخه (٣/٣٣).

﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ [الدخان: الآيات ٢٥ -

.[٢٩]

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ السِّيُوفَ لِيَرْفَعَ اسْمَهُ  
 كُنَّا جِبَالًا فِي الْجِبَالِ وَرَبَّمَا  
 كُنَّا نَرَى الْأَصْنَامَ مِنْ ذَهَبٍ فَتَنَّهُمْ  
 لَوْ كَانَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَصَاعًا هَا  
 حَكَ فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارًا  
 صَبَّزْنَا عَلَى مَوْجِ الْبَحَارِ بَحَارًا  
 دَمَّهَا وَنَهَدَمُ فَوْقَهَا الْكُفَّارًا  
 حُلْيَا وَحَازَ الْكَنْزَ وَالذِّينَارَا

أقول ما تمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين،  
 فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليّ الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتّقين، وحُجّة الله على الناس  
أجمعين صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

### • أيّها الناس:

إنّ مما يجب على المسلم، الذي يريد أن يؤسّس بيته، على تعاليم  
الإسلام وشرائعه؛ أن يعرف بيته وأبناءه بالإسلام، وأن يعظّم شعائر الله في  
قلوبهم، وأن يعظّم الحدود التي أمر الله بحفظها، فيكون بيته معظّمًا لله - سبحانه  
وتعالى - ومعنى ذلك، أن تربّي في نفس ابنك تعظيم الله، فلا يكون أحد في  
قلبه أعظم من الله، ولا أجلّ من الله، ولا أحبّ من الله هذا هو البيت المسلم.

واستقامة البيت المسلم، وهداية الأبناء تحصل بأمر؛ منها:

أن تعظّم في قلب ابنك اسم الله - سبحانه وتعالى - وتُعرفه على الواحد الأحد،  
فلا يتلفظ بلفظ الجلالة إلا في مكارم الأمور، وفي أشرف المناسبات، وأن تعلمه أين  
هو الله تبارك وتعالى في علوّه، وتُعرفه على صفات الواحد الأحد؛ كرمه - سبحانه  
وتعالى - وحلمه، وبرّه تبارك وتعالى، وتُريه آثار القدرة في أسمائه وصفاته.

يأكل الطعام فتقول له: هذا من فضل الله؛ ليحبّ الله، يلبس اللباس فتقول  
له: هذا من جُود الله، فيتعرّف على الله، يدخل البيت، فتقول له: هذا من عطاء  
الله وفضله، فيتحبّ إلى الله تعالى.

ومن أمور التعظيم أيضاً، تعظيم كتاب الله، فتحبب إليه القرآن، وتعظم مبدأ القرآن في قلبه، وتجعل القرآن من أعظم اهتماماته في الحياة، فإن وجدت قصاصة من المصحف رفعتها، وقبالتها وطببتها وهو يراك، فإن هذا السلوك، أعظم من مائة محاضرة، تُحاضر فيها عن عظمة القرآن.

ترى شيئاً من حديث المصطفى ﷺ فترفعه. يُذكر لك الرسول ﷺ في المجالس، فتصلي وتسلم عليه، فتعظم في قلبه رسول الهدى ﷺ، وتعظم في نفسه جهوده وجهاده ﷺ.

وتعظم كذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، والصحابة أجمعين، حتى يكون هؤلاء الأختيار هم النجوم عند أبنائنا، لا نجوم الفن، ولا نجوم الغناء، لأن كثيراً من الأطفال، تربوا على أن العظماء هم المُعْتَنون والمُعْتَيَات، الأحياء منهم والأموات، فيرى أن هذا المُعْتَي قد شق طريق المجد، وقد صعد إلى القمة، وقد نال من الفخر ما لم ينله أحد من العالمين.

ويظن بعض الأطفال، أن هؤلاء الفنانين والفنانات، رزقوا من العقول ومن الذكاء، ما لم يُرزقه أحد من الناس، لا لشيء إلا لأن الطفل، يُصبح ويُسي على صوت هذا المغني، وهذا الفنان وهذا المهرج. أما ذكر محمد ﷺ، فقل أن يسمعه في بيته.

وطائفة من الناس، ثقافتهم آئمة، دخيلة، عميلة، ضالة؛ رأوا أن نجوم المجد، ماركس، ولينين، وهرتزل، ونابليون، وهتلر، أعداء الإنسانية، وشرذمة البشرية، إنهم يقرؤون كتبهم، ويحفظون كلماتهم، وهؤلاء - والذي لا إله إلا هو، والذي شرف محمداً بالرسالة لا يُساوون عُبار نعليه ﷺ، ولا يُساوون التراب الذي وطئه ﷺ، ولا يُساوون - ولو اجتمعوا من الشرق إلى الغرب - جذاء أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي ﷺ أولئك العظماء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ﴾ [الأنعام: الآية ٩٠].

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

أولئك الذين ركبوا متن التاريخ، وأسمَعوا أذن الزمن، وامتطوا بحار  
المجد، يرفعون لا إله إلا الله .

أولئك الذين علّم الله الإنسانية بهم العدالة، وأفنى الله بهم الضلالة،  
وَمَحَقَ اللهُ بِهِمُ الْعِمَالَةَ .

أولئك الذين كانوا قرآناً يمشي على الأرض، يتعاملون بتعاليم القرآن،  
وينامون على تلاوة القرآن، ويستيقظون على صوت القرآن .

أولئك الذين نظر الله إلى قلوبهم، فرضي عنهم ورضوا عنه؛ يكلم  
شهداءهم كفاحاً، ويرضى عن موافقهم، ويثني عليهم وهم في الحياة الدنيا .

يجتمعون تحت شجرة، فينزل جبريل بكلام الله - سبحانه وتعالى :- ﴿

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: الآية ١٨].

ويجتمعون في الصباح الباكر فيتنزل جبريل بقوله - سبحانه وتعالى :-  
﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ السُّهُورِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

جلالة، ونور، وبياض، وإشراق، وبشاشة، أما أولئك الذين دخلوا علينا  
في المجالات الخلية، وفي الكتب الظالمة الغاشمة، وفي الأفكار الإلحادية  
الضالة، أولئك أبخر خلق الله، ولا أبلغ إذا قلت: إن الكلاب أظهر منهم،  
وإن الحمير أنزه منهم؛ لأنها مخلوقة بلا عقول ولا تكليف، أما هم فكأنفوا  
بعقول، ثم ألدوا، وكفروا، وأعرضوا، فهم أضلّ منها سبيلاً. ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ  
إِلَهُهُ حُوتَهُ وَاصْلَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِن  
بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣].

نعم إن الذي لا يؤمن بالله، تطارده لعنة الله في الدنيا والآخرة، كما قال  
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٦] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٦﴾ [البقرة: الآيتان

أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ أن يحفظ علينا إسلامنا، ذلك الإسلام الذي أتى به رسول الله ﷺ، فأخرج به الدنيا من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والتوحيد.

إن البرية يوم مبعث أحمد      نظر الإله لها فبدل حالها  
بل كرم الإنسان حين اختار من      خير البرية نجمها وهلالها

• عباد الله :

صلّوا وسلّموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾  
[الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى صَلَاةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

\* \* \*

## حقيقة البعث والنشور

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار:

• أيها الناس:

إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا وفي كلِّ يومٍ واعظ الموت يندبُ

إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي عملتم وكل في الكتاب مرتب  
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي نجيب به إذ ذاك والأمر أصعب؟

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا  
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ  
مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ  
مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ  
وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾  
فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: الآيات ٧٧ - ٨٣].

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.

أيها الإنسان، يا من خلقه ربه وصوره.

يا أيها الإنسان، يا من تعدى حدود الله، وانتهك حُرُمات الله، وأكل نِعَم  
الله، واستظَلَّ بسماء الله، ووطأ أرض الله.

يا أيها الإنسان إنك سوف تُعرض على الله... ويل لك أيها الإنسان، أما  
فكرت في القُدوم على الله!؟.

ولو آتانا إذا مِثْنَا تُرِكْنَا لكان الموت غاية كل حي

ولكننا إذا مِثْنَا بُعِثْنَا ويسأل ربنا عن كل شيء

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٦﴾﴾ [الانفطار: الآية ٦].

ما الذي خدعك حتى عصيت الله؟! ما الذي غرَّك، حتى تجاوزت حدود

الله؟.

ما الذي أذهلك، حتى انتهكت حُرُمات الله؟.

يا أيها الإنسان... أما كنت نطفة؟ أما كنت ماء؟ أما كنت في عالم

العدم؟.

﴿هَذَا آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ  
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿[الإنسان: الآيتان ١، ٢]. مكين هذا الإنسان حقير هذا  
الإنسان. أتى من ماء... أتى من نطفة... أتى من عالم العدم، فلما مشى  
على الأرض تكبر، وتجبّر، ونسي الله الواحد الأحد.

في مسند الإمام أحمد، بسند جيد، عن بسر بن جحّاش القرشي؛ أن  
رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال:

«قال الله - عز وجل - : ابن آدم... أتى تُعجزني، وقد خلقتك من مثل  
هذه، حتى إذا سوّيتك وعدلتك مثيت بين بُردَيْن، وللأرض منك وئيد، فجمعت  
ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق!! واتي أوان الصّدقة»<sup>(١)</sup>!!

من هذا المجرم الذي تكبّر وتجبّر، ومن هذا الخاسر الذي لم يحسب  
للأمر حسابه، ولم يعد له عدته؟ إنه ينكر البعث بلسان حاله، وإن كان يخفي  
ذلك في مقاله.

صاح هذه قبورنا تملأ الرّخبة

خَفَفِ الوطاء ما أظن أديم الـ

هذا المجرم؛ العاص بن وائل تَمَرَّ اللهُ ماله، وأصَحَّ جسمه، وَعَلَى شأنه  
في الدنيا، ولكنه كفر بـ: لا إله إلا الله.

أتى إلى الرسول ﷺ، بعَظْمِ بَالٍ، فَتَنَّهُ ونفخه أمام المصطفى ﷺ، وقال:  
يا محمد، أنزع من ربك يُعيد هذه العظام بعد أن يُميتها؟ فقال ﷺ: «نعم  
يُميتك الله، ثم يبعثك، ثم يُدخلك النار»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢١٠/٤) وابن ماجه (٩٠٣/٢) رقم (٢٧٠٧). وحنه الألباني كما في  
صحيح ابن ماجه (١١١/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٠٨/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه  
ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥، ٥٠٨) وعزاه لعبد الرزاق،  
وابن مردويه، وسعيد بن منصور، والبيهقي، وابن المنذر.

يقول الله له: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [يس: الآية ٧٨] أتى يضرب لنا الأمثال. نسي مكرماننا، نسي معروفنا، نسي جميلنا ونعمنا، أتى يضرب لنا الأمثال اليوم! ونسي خلقه! من الذي أنشأه من العدم؟! من الذي أغناه من الفقر؟! من الذي مشاه على رجله؟! ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ (٨) ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (٩) ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) [البعد: الآيات ٨ - ١٠]. فما له نسينا اليوم!.

العاص بن وائل هذا، أتاه أحد الفقراء من المسلمين، وقد عمل له عملاً، واشتغل له شغلاً، فقال له الفقير: يا أبا عمرو، أعطني أجرتي، قال: أتؤمن أن الله يبعثنا يوم القيامة؟ قال: نعم، فقال ضاحكاً مُستهزئاً: فإذا بعثنا الله، بعثني ربي من قبري، وعندني كنوز من الأموال، فأحاسبك في ذلك اليوم، وأعطيتك أجرتك<sup>(١)</sup>، فقال الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ (٧٧) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٧٨) ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٧٩) ﴿وَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (٨٠) [مریم: الآيات ٧٧ - ٨٠]. ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعَظْمَاءُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) [يس: الآيتان ٧٨، ٧٩].

والله لُبَعَثُنَّ كما نستيقظن حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا، كما بدأنا أول مرة يُعيدنا... ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤) [الأنعام: الآية ٩٤].

سوف نخرج من قبورنا مذهولين... خائفين... وجِلين، إلا من رَحِمَ الله... ولا يأمن من مكر الله، ولا من عذاب الله ولا من طرد الله إلا من أَمَنَهُ اللهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١١٠) ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١١١) ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾

(١) انظر: الدرّ المشور (٤/٥٠٦).

وَنَلَقَهُمُ الْمَلَكُ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء: الآيات ١٠١ - ١٠٤].

صخ عنه ﷺ، أن الناس يخرجون من قبورهم فمنهم من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق ركبتيه، ومنهم من يبلغ حنجرته، ومنهم من يبلغه العرق إجماعاً<sup>(١)</sup> ﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: الآيات ٢٧، ٢٨].

ثم يرد الله - عز وجل - على من أنكر البعث وجهل قدرة الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: الآيات ٧٨ - ٨٠].

قال أهل العلم: الشجرة بذرة أنبتها الله ورعرعها بالماء، ثم يبست وأصبحت حطباً، يوقد به في النار، وقال بعضهم: المرخ والعفار شجر في الحجاز إذا ضربت هذا بهذا وهو أخضر انقذح ناراً.

فمن الذي قذح النار منه؟! ومن الذي جعل آيات الكون قائمة أمام الأعين؟ أليس هو الذي يُعيدنا يوم العَرْض الأكبر؟! ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْلَهُمْ بَلَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [يس: الآيات ٨٠، ٨١].

يا أيها الإنسان، انظر إلى المملوات بلا عمد.

يا أيها الإنسان، انظر إلى الأرض في أحسن مدد.

(١) أخرجه مسلم (٢/٤٠٩٦) رقم (٢٨٦٤).

انظر: مَنْ أجرى الهواء؟ مَنْ سِيرَ الماء؟ مَنْ جعل الطيور تناظم بالنغمات؟ مَنْ جعل الرياح غاديات رائحات؟ مَنْ فَجَّرَ النسمات؟ مَنْ خلقك في أحسن تقويم؟ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ [يس: الآية ٨١].

سبحان الله! ما أقدر الله!!.

يقول عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه -: والله لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. لو لم يكن هناك يوم بعث ونشور، أكل الأقياء الضعفاء، وأخذ الظَّلْمَةُ المظلومين، وتَجَبَّرَ المتجبرون في الأرض.

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَفْرُورُ      يوم القيامة والسماء تمورُ  
 إن قَبِيلَ نور الدين جاء مُسَلِّمًا      فاحذر بأن تأتي وما لك نورُ  
 حرِّمَتْ كاسات المَدَامِ تعَفُّفًا      وهليك كاسات الحرام تدورُ

متى يستفيق مَنْ لم يَسْتَفِيقِ اليوم؟

متى يتوب إلى الله مَنْ لم يتب هذه الساعات؟ متى يُحَاسِبُ نفسه مَنْ لم يُحَاسِبِها قبل العَرَضِ على الله؟!.

• عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التَّوَابُ الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله . . . الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

• أما بعد:

فإن إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد، ومُعَلِّم الحنيفية، وأستاذ العقيدة . . . إبراهيم خليل الرحمن، الذي نشر عقيدة التوحيد في الأرض.

مرّ يوماً من الأيام على ساحل البحر، فرأى جثة حيوان ميت، قد ألقتها البحر بالساحل، وهذه الجثة تأتيها السباع فتأكل منها، والطيور فتنهش منها، فوقف عليها متعجباً، وهو يقول في نفسه: كيف يُعيدها الله يوم القيامة، وقد أكلتها السباع والطيور؟ كيف يُعيد الله هذه الجثة، وقد تشتتت في بطون السباع وتفرقت في حواصل الطير؟! ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠].

فكلم ربّه . . . ونادى ربّه . . . وسأل ربّه أن يُريه عملية الإحياء، وعملية الموت . . . كيف تقوم عملية الإحياء وعملية الموت؟ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾؟ قال له الله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]؟ . . . أما آمنت إلى اليوم؟ أما تيقنت أن الله يبعث من في القبور؟ أما علمت أن الله - سبحانه وتعالى - ينشر الناس يوم النشور؟! .

والله يعلم أنه مؤمن، وأنه مُوَحَّد، وأنه مُصَدِّق.

﴿قَالَ بَلَى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] آمنت يا رب... وأسلمت يا رب...  
وتيقنت يا رب ﴿وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] سبحان الله!!

في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»<sup>(١)</sup>. معنى ذلك: لو كان إبراهيم يشك لكنا نحن أولى أن نشك في قدرة الله، ولكننا لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أولى ألا يشك.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾، أي لأزداد يقيناً إلى يقيني وإيماناً إلى إيماني، وليس الخبر كالمعاينة.

﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]، ثم قال الله: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]. خذ أربعة من الطيور من أنواعها. ذَكَرَ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: حمام ودجاج وأوز، وطائر من عنقاء مغرب، أو كما قال.

ولا يهَمُّنا تعداد الطيور، لكن يهَمُّنا الشاهد والدلالة في الآية، فأخذ أربعة من الطيور، قال الله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قطعهن ومزقهن، فقطع رؤوسها وفصل أرجلها وأكتافها وأيديها ومزق ريشها، ثم خلط الأربعة بعضها ببعض.

قال الله له: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠].

فأخذ هذه المجموعات؛ من اللحم، والعظام، والريش، والدم، فوزعها على أربعة جبال، ثم نزل إلى الوادي.

قال الله: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا أَبَتِكَ سَعِيًّا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠].

فلما نزل قال: تعالي أيتها الطير بإذن الله... تعالي أيتها الطير بإذن الله... فبعث الله الأرواح فيها، وكانت رؤوس الطير بيده، فأقبل الريش والعظم

(١) أخرجه البخاري (١٦٣/٥) ومسلم (١٣٣/١) رقم (١٥١).

واللحم؛ كل طائر يدخل في رأسه، لا يدخل في رأس غير رأسه، فلما تركبت أجسامها في رؤوسها، رفرت وطار، وأخذت مجالها في الجو، ثم قال الله له: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]. قال ﷺ: أعلم أن الله عزيز حكيم.

فيا مَنْ شكَّ في قدرة الله، ويا مَنْ شكَّ في البعث والنشور، ترقب يوم يبعث الله الأولين والآخرين، يوم يناديهم لذلك اليوم، وتزين ليوم العرض على الله، والبس لباساً ليس كلباسنا اليوم، فوالله لا تجزيء ألبستنا، إن لم تكن من التموى، واستعد بحسنات وأعمال صالحات ترفع درجاتك عند الله.

إن بعد الحياة موتاً عظيماً، فاستعد لذلك البعث، وارقب واشكو حالك إلى الله، وجدّد توبة صادقة إلى الحي القيوم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩].

يوم يطوي الله - عز وجل - السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون<sup>(١)</sup>؟

فنسأل الله أن يُنجينا وإياكم في ذلك اليوم. ونسأل الله أن يبض وجوهنا ووجوهكم في ذاك اليوم. ونسأل الله ألا يجعلنا من أهل الفضائح، وأهل النكبات، وأهل البوار، وأهل الخسار.

### • عباد الله:

صلّوا وسلّموا على مَنْ أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٨/٤) رقم (٢٧٨٨).

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.  
 اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي  
 هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.  
 وَأُزِضْ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ  
 بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## المعصوم يضحك

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا  
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:  
الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ  
الأمرِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

• أيها المؤمنون:

عنوان هذه الخطبة «المعصوم يضحك» محمد ﷺ يضحك، نعيش معه هذا  
اليوم ضاحكاً، كما عشنا معه أياماً، وهو بالكِ متأثر خاشع لله - عزَّ وجلَّ - .

مَنْ الَّذِي أَضْحَكُهُ ﷺ، إنه الله الواحد الأحد، ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكِي﴾ [النجم: الآية ٤٣].

وما له لا يضحك ﷺ، ودينه رحمة، ومنهجه سعادة، ودستوره فلاح. لقد عشنا معه ﷺ في مواطن التأثر باكباً، تدمع عيناه، وينجرح فؤاده، ونعيش معه اليوم وهو يهش للدعابة، ويضحك للطرفة، ويتفاعل مع أصحابه في مُجَرِّيات أمورهم وأحاديثهم.

إن مدرسة التصوف تُملي على مَنْسوبيها ألا يضحكوا، يقول أحدهم: ما ضحكت منذ أربعين سنة. لكن الإمام الأعظم، والقائد الأكمل يضحك في مواطن حياته.

وضحكه ﷺ له مقاصد، ضحك نافع، يُرَبِّي البسمة، ويدرس بالضحك، ويعلم بالمزحة. فتعالوا نستمع إلى أحاديثه ﷺ وهو يضحك:

ضحكت لك الأيام يا علم الهدى      واستبشرت بقدمك الأعوام  
وتوقف التاريخ عندك مُدْعِناً      تُملي عليه وصحبك الأقلام  
أضحك لأنك جئت بشري للورى      في راحتك السُّلم والإسلام  
أضحك فبعثتُك الصعودُ وفجرها      ميلاد جيلٍ ما عليه ظلام

روى أحمد في المسند بسند صحيح، والبيهقي: «أن الرسول ﷺ ركب حماراً له يدعى يعفور، رسنه من ليف، ثم قال: «اركب يا معاذ»، فقلت: سير يا رسول الله، فقال: «اركب»، فردفته».

وعليكم أن تستحضروا هذه الصورة؛ مَنْ هو الراكب، إنه محمد ﷺ الذي أخرج البشرية من ظلمات الشرك، إلى نور التوحيد، يركب الحمار، ويُردف خلفه تلميذاً نجياً من تلامذته.

قال معاذ: «فردفته، فضرع الحمار بنا».

سقط الحمار، وسقط النبي ﷺ وسقط معاذ رضي الله عنه، فماذا فعل النبي ﷺ؟

قال معاذ: «فقام النبي ﷺ يضحك، وقمت أذكر من نفسي أسفاً» قام يضحك... رسالته مليئة بالبسمة، والبُشرى، والرحمة لكل إنسان، يفيض على مُجِيبِهِ بشاشة، ويُقَرِّبُهُم من السعادة بكل صورها، يقول جرير بن عبد الله: والله ما رأني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي.

قال معاذ: «فقام النبي ﷺ يضحك، وقمت أذكر من نفسي أسفاً، ثم فعل ذلك الثانية، والثالثة، فركب، وسار بنا الحمار، فأخلف يده، فضرب ظهري بسوط معه أو عصاً ثم قال: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على العباد؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد؛ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً»، قال: ثم سار ما شاء الله، ثم أخلف يده، فضرب ظهري، فقال: «يا معاذ، يا ابن أم معاذ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك، أن يُدْخِلَهُم الجنة»<sup>(١)</sup>.

#### • أيها الناس :

إن هذا الإنسان، الذي حرّم على نفسه وأطفاله البسمة والضحكة، معتذراً بمشاغل الحياة وآلام الدهر، نقول له: إن مَنْ كان يحمل هموم البشرية كلها، ويحمل رسالة أبّت السموات والأرض والجبال حملها، محمد عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك كان يضحك.

كان في يوم أُحد، والجيوش مُلتَحِمَةً، والسيوف تتنزّل بالرؤوس والجماجم، والرّماح تسيل بالدماء، والموت في كل مكان، كان يضحك.

تمزّ بك الأبطال كَلِمَى هزيمة      ووجهك وضاح وثُفْرُكُ باسمُ  
نشرتهم فوق الأحيدب نشرة      كما نثرت فوق العروس الدراهم

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٨/٥) وقوله: أتدري ما حق الله على العباد... الخ، متفق عليه، أخرجه البخاري (١٦٤/٨)، ومسلم (٥٨/١)، حديث رقم (٣٠).

ويضحك ﷺ مرة أخرى؛ روى الترمذي، وأبو داود، بأسانيد صحيحة، عن علي بن ربيعة قال: شهدت علياً، وأتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (١٤) [الزخرف: الآيتان ١٣ - ١٤]. ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل يا أمير المؤمنين: من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت:

يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري<sup>(١)</sup>.

فالرسول ﷺ يضحك، لأن هذه الأمة تعرف ربها، وتتوجه إليه بالدعاء ليغفر ذنوبها، فيضحك النبي ﷺ، رحمة لهذه الأمة، وفرحاً لأن الله - عز وجل - يغفر الذنوب لكل من استغفر وتاب.

ويضحك ﷺ أيضاً كما في صحيح مسلم، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل مُقْبِلٌ بوجهه إلى النار<sup>(٢)</sup> فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبنني ريحها<sup>(٣)</sup>، وأحرقني ذكاؤها<sup>(٤)</sup>، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها،

(١) أخرجه أبو داود (٣/٣٤)، حديث رقم (٢٦٠٢)، والترمذي (٥/٤٦٧)، حديث رقم (٣٤٤٦) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) هذا الرجل من أهل التوحيد، إلا أن له ذنوباً استوجبت تعذيبه ما شاء الله، ثم يدخل الجنة.

(٣) قشبنني ريحها: أي أهلكني وأذاني.

(٤) ذكاؤها: لهبها وشدة اشتعالها.

سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهدك وموآثيقك، لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!.

فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهد وموآثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة، انفهقت<sup>(١)</sup> له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهدك وموآثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك؟! فيقول: أي رب، لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله، حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمت، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأمانى، قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه.

قال أبو سعيد: أشهد أنني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ، ضحك حتى بدت نواجذه<sup>(٢)</sup>.

### • أيتها الناس:

هذه عقيدة ربانية ينبغي الإيمان بها، يضحك الرب تبارك وتعالى، وإذا ضحك، أذن لهذا العبد في دخول الجنة، وأعطاه مثل أعظم ملك من ملوك

(١) انفهقت: انفتحت واتسعت.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩/٨ - ١٨١)، ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٧)، حديث رقم (١٨٢)، (١٧٣/١)، حديث رقم (١٨٦).

الدنيا، وعشرة أمثاله، وهذا أدنى أهل الجنة منزلة، كما قال الناظم:

أقلهم مَنْ ملكا من الدنيا ملك وعشرة أمثالها بدون شك  
لكنما موطنٌ سُوطٌ فيها خَيْرٌ من الدنيا وما عليها

وإنما ضحك الرسول ﷺ من طمع العبد، ومن نقضه لميثاقه مع ربه، ومن رحمة أرحم الراحمين.

ويضحك الرسول ﷺ أيضاً، يأتيه خبر من أخبار يهود فيقول له: يا أبا القاسم، إن الله يملك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر، تصديقاً له، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) [الزمر: الآية ٦٧].

• وإنما ضحك عليه الصلاة والسلام لأمر:

منها: أن القرآن صدق ما قاله هذا الخبر من أمور القيامة.

ومنها: أن اليهود يعلمون صدق النبي ﷺ، وصدق ما أخبر به، ثم يكذبون على الله، ويكذبون رسوله ﷺ.

ومنها: التعجب من قدرة الباري تبارك وتعالى.

ومنها: أن العبد مهما بلغت عبوديته لله تعالى، فإنه لا يستطيع أن يوفي الله - عز وجل - حقه، وغير ذلك من المعاني.

هذه وقفات، رأينا فيها رسولنا ﷺ ضاحكاً، والضحك في حياته ﷺ، كان له مغزى وهدف، لا كضحك السفهاء الفارغين، الذين يعيئون على هامش

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢/٨)، ومسلم (٢١٤٧/٤، ٢١٤٨)، حديث رقم (٢٧٨٦).

الحياة، ولكنه ضحك المعلم الحكيم، الذي يُرشد الناس إلى الخير، ولو عن طريق الضحكة والبسمة.

يذهب النبي ﷺ فيدخل على أم حرام بنت ملحان<sup>(١)</sup>، فتطعمه، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته، ثم جلست تُقْلِي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يُضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي، عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يركبون ثَبِج<sup>(٢)</sup> البحر، ملوكاً على الأسيرة»، أو مثل الملوك على الأسيرة - يشك الراوي... .

يضحك النبي ﷺ، من ذلك، لأنه رأى البُشرى، رأى تلامذته وأتباعه وكتبته، سيركبون البحار والمحيطات؛ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ينشرون لا إله إلا الله في الآفاق، ويعبُرُون بها حدود الزمان والمكان.

يضحك ﷺ؛ لأن الإسلام سوف ينتشر ويظهر، وينفذ إلى القفار والصحاري، ويصل إلى عُبَاد البقر والشجر والنار والطوطم والصنم.

فقالَت المرأة: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: ما يُضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، كما قال في الأولى، قالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين».

فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية<sup>(٣)</sup>، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت<sup>(٤)</sup>.

(١) اتفق العلماء على أنها كانت محرماً لرسول الله ﷺ.

(٢) ثَبِج البحر: ظهره ووسطه.

(٣) قال القاضي: قال أكثر أهل السيرة والأخبار: إن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيها ركبَت أم حرام وزوجها إلى قبرص، فصرعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودفنت هناك، وعلى هذا يكون قوله: في زمن معاوية، في زمن غزوة في البحر، لا في زمن خلافته.

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٠، ١٤١) ومسلم (٣/ ١٥١٨، ١٥١٩)، حديث رقم (١٩١٢).

كنا جبلاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا  
 بمعايد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا  
 لن تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

ماتت هذه المرأة الصالحة، وهي تُجاهد في سبيل الله، فكانت شهيدة  
 ودُفنت هناك في أرض غريبة.

### • عباد الله:

هذه مواطن نعيشها مع إمامنا ﷺ، حتى يعرف الناس، أن من صفحاته  
 عليه الصلاة والسلام صفحة؛ فيها الضحك، وفيها الدعابة، وفيها المزاح،  
 ومُسامرة الأهل ومُلاطفة الناس.

وهذه الصفحة لا بد أن يعرفها الناس، وأن يتكلم عنها العلماء والدعاة،  
 حتى تعرف البشرية، أن في ديننا فُسحة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع  
 المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على المعلم المعصوم، والهادي الكريم، والرسول العظيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

• أما بعد:

ففي هذا السياق، وفي هذا الباب، معنا حديث صحيح متصل، أخرجه الإمام البخاري، في باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا، من كتاب الرقاق، ذكر مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد فعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر رضي الله عنه فسأله عن آية من كتاب الله، ما سأله إلا ليشبني، فمرّ ولم يفعل.

ثم مرّ بي عمر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبني، فمرّ ولم يفعل. ثم مرّ بي أبو القاسم رضي الله عنه، فتبسم حين رأيته، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي.

عرف النبي ﷺ، أنه يحمل سرّاً من الأسرار، عرف أن له حاجة، فتهلّل في وجهه متبهماً.

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تُغطيه الذي أنت سائله!!

فقال: «يا أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق»، ومضى، فتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهده لك فلان أو فلانة، قال: «أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق أهل الصفة فادعهم لي». قال: - أي أبو هريرة - وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل، ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة، بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية، أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة، أتقوى بها، ولم يكن من طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم»، قال: فأخذت القَدَحَ، فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يزوى، ثم يرذ عليّ القَدَحَ، فأعطيه الرجل، فيشرب حتى يزوى، ثم يرذ عليّ القَدَحَ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد زوى القوم كلهم، فأخذ القَدَحَ، فوضعه على يده، فنظر إليّ فيبتسم، فقال: «أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت، فقال: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول: «اشرب»، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مصلكاً، قال: «فأرني»، فأعطيته القَدَحَ، فحمد الله، وسمى، وشرب الفضلة<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ، كان يبتسم، لأنه يعلم ما يدور في نفس أبي هريرة، لقد تعرّض لأبي بكر وعمر من أجل أن يشبع فما شبع، ثم تعرّض للرسول ﷺ، فأدخله البيت، ورأى اللبن وقتله، ثم هو يأمره بأن يُنادي أهل الصفة، فتتداعى كل هذه المعاني، أمام عينيه ﷺ فيبتسم، ولكنه يريد أن يعلم أبا هريرة، ويعلم الأمة من ورائه مبدأ الإيثار، وتفقد الآخرين، والسؤال عن المساكين،

(١) أخرجه البخاري (١٧٩/٧، ١٨٠).

فكان ضحكه ومداعبته، سَلَوَى للمحرومين، وتسليه للمظلومين، وتصبيراً للمُعْدَمين.

وإن تَفَقَّى الأنام وأنت منهم فإن المِسْك بعضُ دم الغزال  
 إن قوماً عاشوا معه، رأوا ابتسامته، وتحتيته، ويُسرّه، وسهولته، فتمنّوا أن  
 يفقدوا الآباء والأمهات والأبناء والأنفس، ولا يُشَاكَ ﷺ بشوكة.  
 إن جيلاً ربّاه المصطفى ﷺ على هذه المعالم، وهذه التعاليم، لَجَدِير بأن  
 يفتح المعمورة، وتدين له الدنيا كلها.

وإذا قارنّا بين هذه الصور المُشْرِقة، وبين صور طُغَاة الأرض، فترى  
 الواحد منهم عليه من الكِبَر والجَبَروت والظلمة، وما يجعله بغيضاً إلى النفوس.  
 ترى أحدهم ودماء الأجيال تتقاطر من يديه، لا يتكلم معه أحد إلا رمزاً،  
 الجماجم تتناثر عن يمينه وشماله، البشر عنده في مسلخ العبيد، يتعامل مع  
 الأجيال، كما يتعامل مع البهائم، قوائم من طُغَاة البشر، يقتلون ويذبحون على  
 مَرّ التاريخ.

لقد رأينا ورأيتم كثيراً من هؤلاء الطُغَاة الفَجْرَة، وقد قيل عنهم: إنه ما  
 رُئِيَ أحدهم متبسماً أبداً، فهؤلاء نُحاكهم إلى المعصوم ﷺ وهو يضحك،  
 ونأتي بهم ونوقفهم أمام التاريخ، تاريخ محمد ﷺ، ونسألهم أن يتقوا الله - عزُّ  
 وجلّ - في أنفسهم، وفي رعاياهم، فمحمد ﷺ يضحك وهم وجوم، مكفهزوا  
 الوجوه.

#### • أَيُّهَا النَّاسُ :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ حَيْثُ  
 قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا  
 تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، ما تغاير الليل والنهار، وما فاحت الأزهار  
وما تدفقت الأنهار، وما لعلعت على الغصون الأطيّار، وعلى آله وصحبه  
والتابعين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعِنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ  
وَجُودِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

\* \* \*

## جيل لن يتكرر

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيَا النَّاسَ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

## • عباد الله :

عنوان هذه الخطبة «جيل لن يتكرر» ذلكم الجيل، هو جيله عليه الصلاة والسلام، هو القرن الذي عاش فيه، هم القوم الذين وضعوا أنفسهم بين يدي رسول الله ﷺ يعلم ويوجه، يسقي ويروي ما شاء لهذه الأنفس.

إنني لن أتحدث اليوم عن البطولات، ولا عن التضحيات، ولا عن العلم، ولا عن الأدب، ولا عن الزهد لذلك الجيل، سوف أتحدث عن جانب آخر، عن طائفة المُدنيين والعُصاة في هذا الجيل، ثم نقارن بيننا وبينهم على صعيد من الحق والعدل.

أشرفت شمس الرسالة على مدينة رسول الله ﷺ، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ويجلس الرسول ﷺ في المسجد، وأصحابه حوله، يجلس كالقمر وسط النجوم في ظلام الليل؛ يعلمهم، ويؤدّبهم، ويُرّكّهم، وإن كانوا في قبل ذلك لفي ضلال مُبين، واكتمل المجلس بكبار الصحابة، وسادات الأنصار، وبالأولياء والعلماء، وإذا بامرأة متحجّبة تدخل باب المسجد، فكتت ﷺ، وسكت أصحابه، وأقبلت تمشي رويداً حتى وصلت إليه ﷺ، ثم وقفت أمامه، وأخبرته أنها زنت، وأنها تريد أن يطهرها.

فماذا فعل الرسول ﷺ؟ هل استشهد عليها الصحابة؟ هل قال لهم اشهدوا عليها؟ هل فرح بذلك لأنها سلّمت نفسها؟ لا، إنما احمرّ وجهه حتى كاد يقطر دماً، ثم حوّل وجهه إلى الميمنة وسكت كأنه لم يسمع شيئاً.

إنها امرأة مجيدة، إنها امرأة بازة، إنها امرأة رسخ الإيمان في قلبها وفي جسمها، حتى جرى في كل ذرة من ذرات هذا الجسد.

هل كانت تظن أن التطهير عنده كلام يعزرها به؟ أو سباط وينتهي الأمر؟ كلا، إنها تعلم أن التطهير حجارة تتقاذف عليها، تقطع جسدها فتلحقها بالآخرة!! لا إله إلا الله ما أعظم هذه المرأة!!.

لقد ارتفع الإيمان عند أولئك العصاة، إلى درجة لا يصل إليها أبراننا وأخيارنا هذا اليوم، إن عصاة ذلك المجتمع المثالي والجيل الراشد، أعظم إيماناً من طائِعينا وعبادنا وزُهّادنا.

فماذا فعل عليه الصلاة والسلام؟ حاول أن ترجع المرأة عن كلامها، لم يُرد أن يأخذها بكلمة صدرت عنها، قد تكون غاضبة حينما قالتها، وقد يكون هناك شبهة، وهو الذي يُروى عنه ﷺ قوله: «ادروا الحدود بالشبهات»<sup>(١)</sup>.

إنه يمنع التجسس، والتنصت، والاطلاع على عورات المؤمنين، فهو الذي يقول مُنذراً ومُحذراً طوائف معلومة: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبِعوا عوراتهم، فإنه من تتبِع عورة أخيه المسلم، تتبِع الله عورته، ومن تتبِع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته»<sup>(٢)</sup>.

أخبرته المرأة أنها حُبلى من الزنا فقال: «أذهبى، حتى تضعي طفلك ثم ارجعي»، فذهبت حتى وضعت طفلها ثم عادت إليه.

وفي هذا الموقف بدائع وفوائد، منها: عصمة هذا الجنين، فلا يُقتل معها بغير ذنب لأنه ﷺ يعرف حقوق الإنسان.

ومنها: صبرها، فإنها لم تتغير عن موقفها أبداً، ذهبت وبقيت صابرة مُحْتَسِبَةً، أكل الأسى قلبها، وسأل الدمع الحارّ على وجنتيها، وتحرق فؤادها، تريد أن تتطهر.

(١) ضعفه الألباني، كما في ضعيف الجامع، رقم (٢٥٨)، وعزاه السيوطي لابن عدي، وابن السمعاني.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٠)، حديث رقم (٤٨٨٠) والترمذي (٤/٣٣١، ٣٣٢)، حديث رقم (٢٠٣٢)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني، كما في صحيح الجامع، رقم (٧٩٨٤، ٧٩٨٥).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ غَفْوَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥].

فاغفر اللهم ربي ذنبنا ثم زدنا من عطاياك الجسام  
لا تعاقبنا فقد عاقبنا قلق أسهرنا جنح الظلام

حملت طفلها تسعة أشهر، ثم وضعتها، وفي أول يوم أتت به وقد لفته في خرقة، وذهبت إلى الإمام الأعظم، إلى الطاهر المطهر، ولم تتأخر خطوة واحدة عن إقرارها الأول، ثم هو لم يستدعها عليه الصلاة والسلام، لم يرسل إليها عسكرياً ولا شرطة ولا طابوراً مأجوراً معتوهاً، يحجبها من بيتها، ولكن تركها فأنت بنفسها، تحمل طفلها بين يديها، وقالت: يا رسول الله، طهرني من الزنا، فنظر إلى طفلها، وقلبه يتفطر عليه ألماً وحزناً، لأنه كان يعيش الرحمة للعصاة، والرحمة للطيور، والرحمة للحيوان، قال بعض أهل العلم: بل هو رحمة حتى للكافر قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، مَنْ يُرْضِعُ الْوَلَدَ إِذَا قَتَلَهَا؟ مَنْ يَقُومُ بِشُؤْنِهَا إِذَا أَقَامَ عَلَيْهَا الْحَدَّ؟ فقال: «ارجعي وأرضعيه فإذا فطمته فعودي إلي»، فذهبت إلى بيت أهلها، فأرضعت طفلها، وما يزداد الإيمان في قلبها إلا رسوا كرسوا الجبال، كل يوم كانت تقترب من الله، ومن جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، وفتحت للتائبين والعائدين.

ثم أتت الطفل بعد أن فطمته، وفي يده كسرة خبز وذهبت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قالت: طهرني يا رسول الله، فأخذ ﷺ طفلها، وكأنه سل قلبها من جنبيها، لكنه أمر الله، العدالة الإلهية، الحق الذي تستقيم به الحياة، دستور الدولة المؤمنة، الذي يجعل الناس سواسية حتى في باب العقوبة والسيوف والحبس.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يَكْفُلُ هَذَا وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ؟» مَنْ الَّذِي يَقُومُ عَلَى هَذَا الْوَلَدِ، وَيُرَبِّيهِ، وَيُطْعِمُهُ، وَيَسْقِيهِ، وَهَلْ

جائزة؛ أن يكون جار محمد - عليه الصلاة والسلام - في الجنة؟ فقام أنصاري، فأخذ الطفل.

إنه مشهد مؤثر، مشهد الإمام وهو لا يتنازل عن حق الله، ولكنه لا يتجسس، ولا يُرهب، ولا يُرعب، وإنما يربّي الأنفس، حتى يأتي الإنسان طائعاً، يُسَلِّم نفسه بنفسه إلى العدالة، إنها تربية ﴿وَدَرُّوا ظِلْمَهُمَ الْأَثَمَ وَبَاطِنُهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٠].

إن القوى العالمية، والكيانات الأرضية، والحكومات، لا تستطيع أن تقول لرعاياها: «وباطنه» لأن الباطن عند الله، لكن محمداً ﷺ ربّي هذا الباطن، حتى يأتي الإنسان وقد فعل فاحشة، لا يعلم به إلا الله، فيسَلِّم رقبته لتُقَطَّع!! .

ذهبوا بالمرأة، فحجّبوها، وجاء بعض الصحابة يشهد إقامة الحد وأنت الحجارة عليها من كل جانب، ثم أقبل خالد بن الوليد، فرمى رأسها بحجر فتنضح<sup>(١)</sup> الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع النبي ﷺ سبها، فقال: «مهلاً يا خالد!! فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس<sup>(٢)</sup> لَغَفِرَ له»<sup>(٣)</sup>.

إنها تابت توبة نصوحاً، فلا يحقّ لك أن تسبها يا خالد، لأن من تاب تاب الله عليه، وغفر له، وبدّل سيئاته حسنات.

وفي رواية أن النبي ﷺ أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر رضي الله عنه: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت!! فقال النبي ﷺ: «لقد تابت توبة، لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لَوِيعَتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى»<sup>(٤)</sup>!! .

(١) تنضح: ترشش وانصب.

(٢) صاحب المكس: من يعاون الظلمة في أخذ أموال الناس بالباطل.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٢٣/٣، ١٣٢٤)، حديث رقم (١٦٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٢٤/٣) حديث رقم (١٦٩٦).

هذا هو الإسلام؛ قوّة في تنفيذ حدود الله تعالى، ورحمة إذا نُفِّدَ هذا الحدّ كما أراد الله، وقبول لتوبة المُذنب، وشفاعة عند الله - تعالى - يوم القيامة.

ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن الدين يقوم بتربية ضمائر الناس، وتزكية نفوسهم، وتعميق الإيمان في قلوبهم بأن العدالة لا بدّ أن تسود، وأن المساواة أمام الشرع، هي من أكبر أسباب بقاء هذه الأمة وقوتها.

قصة أخرى: أمر ﷺ بقطع يد امرأة مخزومية، كانت تستعير المتاع وتجده، أي أنها كانت تسرق أمتعة الناس وأموالهم.

فاهتمت قريش بشأن هذه المرأة، لأنها كانت من قبيلة ذات نسب وشرف، فقالوا: مَنْ يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ قالوا: وَمَنْ يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حدّ من حدود الله؟» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله ﷺ فاخطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف، تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحدّ، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت؛ لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فُقطعت يدها».

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### • أيها الناس:

ليست هناك حصانة لأحد في دين الله - تبارك وتعالى - تمنعه من أن يُعاقب، إذ ارتكب ما يستحقّ عليه العقاب.

(١) أخرجه البخاري (١٦/٨)، ومسلم (٣/١٣١٥، ١٣١٦) حديث رقم (١٦٨٨).

إن دين الله تبارك وتعالى ليس مفضلاً على حساب الأمزجة والأهواء، ولا تدخله الشفاعات ولا الوساطات، كما رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا بلغت الحدود السلطان؛ لَمَنَّ اللهُ الشَّافِعَ والمُشْفَعُ»<sup>(١)</sup>.

معنى ذلك، أن الشرع لا بدّ وأن يُطَبَّقَ على الكبير والصغير، ولا بدّ أن تُقام الحدود على الشريف والوضيع.

لأنه إذا لم يُطَبَّقَ الإسلام على الناس جميعاً، فما فائدته إذن؟ وما الجديد الذي أتى به، إذا لم يكن الناس كلهم سَوَاسِيَّةً أمام الشريعة الإلهية؟!

وهذا رجل آخر، كان يشرب الخمر في عهده ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأَتِيَ به يوماً، فأمر به، فجلد، فقال رجل من القوم: اللَّهُمَّ العَنهُ، ما أكثر ما يُؤْتَى به!! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يحبُّ الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

إنه مجتمع قد امتلأ بالحبِّ لله ورسوله، شارِبُهُم يحمل الحبَّ لله ورسوله، ولا تمنعه معصيته من أن يُقدِّم روحه رخيصةً للواحد الأحد.

إن العصاة في مجتمعنا نحن. أيها المؤمنون: ليسوا كما يتصوِّرهم البعض أنهم انسلخوا من الدِّين، أو أنهم خلعوا لا إله إلا الله، أو أنهم لا يؤمِّل فيهم صلاح، هذا ليس بصحيح، فعندهم خير كثير، وإني أعلم أناساً يجلسون في المقاهي والمُنْتَدِيَّات، وقد يسهرون الليالي، ومع ذلك لو سمع أحدهم سباً للدِّين، أو استهزاء بالرسول ﷺ كان على استعداد أن يُقاتل ذلك المُستهزئ، وربما قدَّم دمه ونفسه دفاعاً عن الدِّين وعن عرض محمد ﷺ.

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢٦٢/٦) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه أبو غزوة، محمد بن موسى الأنصاري، ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه الحاكم، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (١٤/٨).

فقصدي أن نستثير هذا الأصل في نفوس الناس، وأن تُنمِّي هذه الفِطْرَةَ في قلوبهم، حتى يزدادوا من الخير، ويتركوا ما هم عليه من المعصية.

### • أيها الناس :

نتنقل بعد ذلك إلى العهد العُمري المجيد، فنجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة على المسلمين، يحكم بحُكم الله ورسوله، ولا زالت الأمة راشدة، متماسكة، خائفة من الله - عز وجل - يعترض البدوي على عمر وهو على المنبر، ثم يذهب إلى بيته، في أمان وسَكينة وهدوء وراحة؛ لأنه مَحمي، عنده حصانة الجوار والعدل.

أتى شابتان إلى عمر وكان في المجلس، وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفاه أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا قتل أبانا، قال: أقتلت أباهم؟ قال: نعم قتلتُه!! قال: كيف قتلتُه؟ قال: دخل بجمله في أرضي، فزجرته، فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً، وقع على رأسه فمات.

قال عمر: القصاص... الإعدام... قرار لم يُكْتَب، وحُكم سيدي لا يحتاج مناقشة، لم يسأل عمر عن أسرة هذا الرجل، هل هو من قبيلة شريفة؟ هل هو من أسرة قوية؟ ما مركزه في المجتمع؟ كل هذا لا يهتم عمر رضي الله عنه؛ لأنه لا يُحابي أحداً في دين الله، ولا يُجامل أحداً على حساب شرع الله، ولو كان ابنه القاتل، لاقتص منه، وقد جلدَ ابناً له في بعض الأمور.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين: أسألك بالذي قامت به السموات والأرض، أن تتركني ليلة؛ لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية، فأخبرهم بأنك سوف تقتلني، ثم أعود إليك، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا، قال عمر: مَنْ يكفلك أن تذهب إلى البادية، ثم تعود إلي، فسكت الناس جميعاً، إنهم لا يعرفون اسمه، ولا خيمته، ولا داره، ولا قبيلته، ولا منزله، فكيف يكفلونه؟

وهي كفالة ليست على عشرة دنانير، ولا على أرض، ولا على ناقة، إنها كفالة على الرقبة أن تُقَطَّعَ بالسيف.

وَمَنْ يعترض على عمر في تطبيق شرع الله؟ وَمَنْ يشفع عنده؟ وَمَنْ يمكن أن يفكر في وساطة لديه؟ فسكت الصحابة، وعمر متأثر، لأنه وقع في حيرة، هل يُقَدِّم فيقتل هذا الرجل، وأطفاله يموتون جوعاً هناك، أو يتركه فيذهب بلا كفالة، فيضيع دم المقتول، وسكت الناس، ونكس عمر رأسه، والتفت إلى الشائبين، أتَعْفُونَ عنه؟ قالوا: لا، مَنْ قتل أبانا، لا بد أن يُقَتَّلَ يا أمير المؤمنين، قال عمر: مَنْ يكفل هذا أيها الناس؟ فقام أبو ذر الغفاري بشيئه وبزُهده، وصدقته، قال: يا أمير المؤمنين، أنا أكفله، قال عمر: هو قتل، قال: ولو كان قتلاً، قال: أتعرفه؟ قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟ قال: رأيت فيه سمات المؤمنين، فعلمت أنه لم يكذب، سيأتي إن شاء الله.

قال عمر: يا أبا ذر، أنتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث، أني تاركك! قال: الله المُسْتَعَان يا أمير المؤمنين، فذهب الرجل، وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ؛ يهيب في نفسه، ويودع أطفاله وأهله، وينظر في أمرهم بعده، ثم يأتي، ليقتص منه لأنه قتل، وبعد ثلاث ليالٍ، لم يئن عمر الموعد، يعد الأيام عدداً، وفي العصر نادى في المدينة: الصلاة جامعة، فجاء الشائبان، واجتمع الناس، وأتى أبو ذر، وجلس أمام عمر، قال عمر: أين الرجل؟ قال: ما أدري يا أمير المؤمنين، وتلفت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمرّ سريعة على غير عاداتها، وسكت الصحابة واجمين عليهم من التأثر ما لا يعلمه إلا الله.

صحيح أن أبا ذر يسكن في قلب عمر، وأنه يقطع له من جسمه إذا أراد، لكن هذه سريعة، ولكن هذا منهاج، لكن هذه أحكام ربانية، لا يلعب بها اللاعبون، ولا تدخل في الأدراج لثناقش صلاحيتها، ولا تُتَفَقَد في ظروف دون ظروف، وعلى أناس دون أناس، وفي مكان دون مكان.

وقبل الغروب بلحظات، وإذا بالرجل يأتي، فكَبَّرَ عمر، وكَبَّرَ المسلمون معه، فقال عمر: أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك، ما شعرنا بك، وما عرفنا مكانك، قال يا أمير المؤمنين: والله ما عليّ منك ولكن عليّ من الذي يعلم السِّرَّ وأخفى!!.

ها أنا يا أمير المؤمنين، تركت أطفالي كفراخ الطير، لا ماء ولا شجر في البادية، وجئت لأقتل، فوقف عمر وقال للشائين: ماذا تَريَان؟ قالا وهما يبكيان: عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه، قال عمر: الله أكبر، ودموعه تسيل على لحيته.

جزاكما الله خيراً أيها الشابان على عفوكما، وجزاك الله خيراً يا أبا ذر يوم فرَجَّتْ عن هذا الرجل كُربته، وجزاك الله خيراً أيها الرجل لصدقك ووفائك، وجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين لعدلك ورحمتك.

#### • أيها الناس :

إن هذا الدين وإن كنا نتحدّث عنه كثيراً، إلا أننا لم نره إلا قليلاً، لكن الإسلام كله، لا زال عند عمر، بقي معهم في المدينة، كما قال أحد المُحدِّثين: والذي نفسي بيده، لقد دفنت سعادة الإيمان والإسلام في أكفان عمر!!.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله . . . الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.  
والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

• أما بعد:

أخذ النبي ﷺ بمنكب ابن عمر، فقال له: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك<sup>(١)</sup>.  
ما أحسن كلامه ﷺ وما أروع، وما أبلغه، وما أحسن كلام أصحابه رضي الله عنهم واتباعهم لتعاليمه ووصاياهم.

فهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً يطمئن إليه، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر ﴿يَقْوِرُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: الآية ٣٩].

(١) أخرجه البخاري (١٧٠/٧).

وكان النبي ﷺ يقول: «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا، كمثل راكب قام في ظل شجرة، ثم راح وتركها»<sup>(١)</sup>.

ومن وصايا المسيح ﷺ لأصحابه قال: اعبروها، ولا تعمروها.

وروي عنه أنه قال: مَنْ ذا الذي يبني على موج البحر داراً؟ تِلْكُمْ الدنيا، فلا تتخذوها قراراً.

ودخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه!! فقال: إنه لا بدّ من متاع ما دُمت ههنا.

فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا ههنا!!.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

إن الدنيا قد ارتحلت مُدْبِرَةً، وإن الآخرة قد ارتحلت مُقْبِلَةً، ولكلّ منهما بَنُونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل<sup>(٢)</sup>.

وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته:

إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامر عن قريب يخرب، وكم من مُقِيم مُغْتَبِطٍ عَمَّا قَلِيلٍ يظعن، فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة - ﴿وَتَسَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الْاَزَادِ الْقَوْمَ﴾ وَأَتَقَوْنَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ [البقرة: الآية ١٩٧].

(١) أخرجه الترمذي (٥٠٨/٤) رقم (٢٣٧٧) وقال: حسن صحيح وابن ماجه (١٣٧٦/٢) رقم (٤١٠٩). وأحمد (٣٠١/١)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٦٦٨، ٥٦٦٩).

(٢) ذكره البخاري (١٧١/٧).

فإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطناً، فينبغي عليه أن يكون فيها على أحد حالين:

إما أن يكون كأنه غريب في بلد غربة، فلا يتعلّق بها قلبه، بل همّه التزوّد للرجوع إلى وطنه.

أو يكون كأنه مسافر، غير مُقيم البتّة؛ بل هو في سير دائم، في الليل والنهار، إلى بلد الإقامة.

فحيّ على جنّات عدن فإنها	منازلك الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلمُ
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى	وشطّط به أوطانه فهو مغرّمُ
وأبي اغترابٍ فوق غربتنا التي	لها أضحت الأعداءُ فينا تحكّمُ

قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة؟! .

وقال الحسن: إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم، مضى بعضك! .

نسيرُ إلى الأجل في كل لحظة	وأيامنا تُطوى وهنّ مراحلُ
ولم أر مثل الموتِ حقاً كأنه	إذا ما تخطّطه الأمانيّ باطلُ
وما أقبح التفريط في زمن الصّبا	فكيف به والثيب للراسِ شاعلُ
ترحلّ من الدنيا بزاٍ من الثقي	فممرّك أيام وهنّ قلائلُ

• فيا أيّها الناس:

إلى متى الركون إلى هذه الدنيا؟ وإلى متى التسويف بالتوبة؟

فالواجب على المؤمن، المُبادرة بالأعمال الصالحة، قبل ألا يقدر عليها ويُحال بينه وبينها؛ إما بمرض، أو موت، أو غير ذلك من الأشغال، ومتى جيلَ بين الإنسان والعمل، ولم يبقَ له إلا الحمرة والأسف عليه، ويتمنّى الرجوع إلى حال يتمكّن فيه من العمل، فلا تنفعه الأمانة.

قال تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَأً عَائِنِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: الآيات ٥٤ - ٥٩].

وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ٩٩، ١٠٠].

فالتوبة التوبة عباد الله، فإن الله - عز وجل - يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها<sup>(١)</sup>.

قال كثير من السلف: فإذا طلعت الشمس من مغربها، طبع على القلوب بما فيها، وترفع الحافظة الأعمال، وتؤمر الملائكة ألا يكتبوا عملاً.

• عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: ﴿مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢١١٣/٤) رقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا  
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

obeyikandali.com

## خطر على الأمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا رُوحًا وَيَسْئَلُكُمْ رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

• عباد الله :

إن من أعظم الجرائم، ومن أكبر المشاكل التي تفتت في مجتمعاتنا، والتي عرّضت ديننا وقيمتنا، وأمننا وأموالنا للضياع، وللسفك، وللانسلاخ؛ هو ما تفتسّى في مجتمعاتنا من تعاطي المخدرات، وشرب الخمر.

إنها مصيبة نكراء، وجريمة شنعاء، فتكت بشبابنا، وأذهبت أموالنا، وأهدرت دماءنا، وزعزعت أمننا وسكينتنا، فنشكو حالنا إلى الله تبارك وتعالى.

والله - عز وجل - تحدّث عن المُفسدين في الأرض، وعرض لجرائمهم، وبين أحكامهم فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: الآيتان ٣٣، ٣٤].

وقد كانت الخمر وكل مُسكر تسمى عند العرب في الجاهلية «أمّ الخبائث» لا يشربها عقلاؤهم، ولا يتعاطاها حُكماؤهم، حرّمه كثيرٌ منهم على نفسه؛ منهم حاتم الطائي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وهريم بن سنان، وكانت تسمى عندهم «السفيهة»، و«المؤذية»، و«القيحة»، و«المكروهة». فلما جاء الإسلام حرّمها الله تبارك وتعالى في كتابه، وحرّمها رسوله ﷺ في سنّته، وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ وقد جاءه رجل من اليمن، يسأله عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المِزْر، فقال النبي ﷺ: «أَوْسِكِرُ هُوَ؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «كلُّ مُسكرٍ حرام، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب

(١) أخرجه أبو داود (٣/٣٢٧)، رقم (٣٦٨١)، والترمذي (٤/٢٥٨) رقم (١٨٦٥) وقال: حسن غريب. وصحّحه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٥٣٠).

المُسْكِر، أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَقَ أهل النار، أو عَصَاة أهل النار»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الخمر وسكر، لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين صباحاً، وإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فسكر لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين صباحاً، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من رذغة الخبال يوم القيامة». قالوا: يا رسول الله، وما رذغة الخبال؟ قال: «عَصَاة أهل النار»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يذَّار عليها الخمر»<sup>(٣)</sup>.

#### • عِبَادَ اللَّهِ:

إن شُرِبَ الخمر من الكبائر؛ فهي أُمُّ الفواحش، لعنها الله، ولعن عاصرها، ومُعْتَصِرَهَا، وشارِبَهَا، وحَامِلَهَا، والمَحْمُولَةَ إِلَيْهَا، وِبَاتِعَهَا، ومُتَبَاعَهَا، وسَاقِيَهَا، ومُسْقَاهَا، وآكَل ثَمَنَهَا<sup>(٤)</sup>.

إن شُرِبَ الخمر يُجْرَى المرء على معصية الله - عز وجل - ويُهَوَّن عليه ارتكاب الموبقات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها عِلْمٌ فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو، أسأله عن ذلك، فأخبرني أن أعظم الكبائر شُرْبُ الخمر،

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٧/٣)، رقم (٢٠٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١٢٠/٢) رقم (٣٣٧٧). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٣١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٤/٥، ١٠٥) رقم (٢٨٠١) وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٥٠٦).

(٤) أخرجه أحمد (٧١/٢) قال الهيثمي في المجمع (٧٦/٥): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.

فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا جميعاً، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال:

«إن ملكاً من بني إسرائيل أخذ رجلاً، فخيّره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل صبياً، أو يأكل لحم الخنزير، أو يقتلوه إن أبي، فاختر أن يشرب الخمر، وأنه لما شرب، لم يمتنع من شيء أرادوه منه»<sup>(١)</sup>.

إن أضرار الخمر وبيلة، ومصائبها كثيرة، ويكفي ما نسمع، وما نرى، وما يُنقل إلينا من تلك الأضرار الرخيمة، والعواقب الأليمة، التي تفتت في مجتمعاتنا.

لقد انتشرت العصابات الفاجرة المجرمة التي تجلب إلينا المنكرات والمخدرات، والتي تسعى في الأرض فساداً، والتي زعزعت أمن البلاد، وأمن العباد، وأرهبّت أهل البيوت في بيوتهم، وسفكت الدماء وهتكت الأعراض، وعرضت الأنساب للاختلاط، وعرضت الشباب للانحراف والضّياع.

#### • أيها الناس:

إن من أعظم أضرار المنكرات والمخدرات:

أولاً: إنها مُحارِبَةٌ لله تبارك وتعالى، ومعصية ظاهرة له، فمن تناول شيئاً منها، أو جَلَبَ شيئاً منها لغيره، أو رَوَّجَ لها، أو استحسناها، أو سكت عن مُرَوِّجِ لها، فقد بارز الله بالمُحَارَبَةِ، واستوجِبَ لعنة الله تعالى وغضبه، وعرض نفسه لمقت الله وعقوبته وأمين من مكره سبحانه، وقد قال الله - عزَّ وجلَّ - عن هؤلاء: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٩٩)</sup> [الأعراف: الآية ٩٩].

(١) قال الهيثمي في المجمع (٧٠/٥، ٧١): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، خلا صالح بن داود التمار، وهو ثقة.

إنها عداوة صريحة لله رب العالمين، وهي من أعظم ما عَصِيَ الله تعالى به في أرضه، فإن الإنسان إذا سَكِرَ وإذا هَدَى افترى، وإذا افترى، قَتَلَ، وَزَنَا، واغتصب، وفعل كل فاحشة خبيثة.

ثانياً: إن فيها إذهاباً للعقل، الذي هو أعظم نعمة، أنعم الله تعالى بها على الإنسان، فإذا أذهبَ هذه النعمة، وهذه المِئْة، فقد تردى في الحضيض، وبيء بالغضب واللعنة. يقول الله - سبحانه وتعالى - عن أصحاب العقول: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْكَلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]. وقال عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المك: الآية ١٠]. وقال عز من قائل: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، أي: أهل العقول.

فالذي أذهبَ عقله، وأضاعَ لُبّه، فهو في مملَك البهيمية، وفي مستوى الحمار، أو الثور، لا يدرك شيئاً، ولا يعرف شيئاً، قَلَّت قيمته، وخَفَّ وزنه، وهَانَ على ربه، فلا رجولة فيه، ولا حياة، ولا مروءة، ولا دين، ولا خير.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميّت الأحياء  
أذهبَ الله بهاءه، ونزع رداءه، وهتَكَ ستره، وفضحه على رؤوس  
الخلائق، فنسأل الله تبارك وتعالى السّتر والعافية.

ثالثاً: إن في شرب المُسَكِرِ والمخدّر سَفْكَاً للدماء، وهتْكَاً للأعراض،  
وإهداراً للأموال.

فأما الدماء؛ فإننا نسمع كل يوم عن تلك الجرائم البَشِعة التي تُحدثها هذه  
العصابات الضّالة وتلك السُّلَل التائهة، من قتل رهيب، وتَعَدُّ على البيوت  
الأمّنة، وترويع مَنْ فيها من عباد الله. ونسمع دائماً عن قضايا الإعدام التي تلحق  
بهؤلاء المُفْسِدِينَ، نسأل الله أن يقطع دابرهم، وأن يُطَهِّرَ البلاد من سُورِهم.

وأما الأعراض فإن أكبر جريمة بعد شرب الخمر جريمة الزّنا، وهي لا  
تأتي في الغالب إلا بعد أن يذهب العقل بالخمّر، حتى أن بعضهم لما شرب

الخمير وسكر، ثنى بالجريمة الفحشاء، والفِعْلَةُ الثُّكْرَاءُ، على أمه التي ولدته!!  
فَنُقِّدَ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ، جزاء على تلك الجريمة التي يتنزّه عنها اليهود والنصارى  
والبوذيون، وتقشعرَ منها جلودهم، ولا تفعلها الكلاب ولا الحمير، وإنما حملة  
على ذلك شُرِبَ الخمر الذي أذْهَبَ عقله ففعل هذه الفِعْلَةَ البَشِيعَةَ.

وفيها أيضاً إزهاق للأموال، فهي تؤدّي إلى المَيْسِرِ والِقِمَارِ، وإلى إتلاف  
الآلاف؛ بل والملايين في غضب الله وسخطه ولعته.

رابعاً: ومن أضرارها أنها ضياع لشباب الأمة، وإهدار لقوة الأمة  
ومستقبلها، فما ضاعَ أكثر شبابنا إلا بسبب هذه الخبيثة.

لقد امتلأت بهم السجون في جرائم ارتكبوها بسبب شرب الخمر، دعاهم  
ربهم تبارك وتعالى إلى المساجد، وإلى حِلْقِ الذُّكْرِ ومجالس العلم، وإلى أن  
يرفعوا من أنفسهم ولكنهم أبوا إلا الضياع والانحطاط ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ  
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصَّف: الآية ٥].

أدخلوا السجون بالعشرات، بل بالآلاف، والإحصائيات التي سمعنا بها  
رهيبة رهيبة، تُنذِرُ بأشدَّ الخطر، وأسوأ العواقب.

خامساً: وللخمر أضرار صحيّة لا حصرَ لها، وكذلك المخدّرات، وقد  
شهِدَ على ذلك أهلها، ومُتَجَوِّها، ومُرَوِّجوها، ومُصَنِّعوها.

لقد دخل عن طريق إرسال المخدّرات إلى مجتمعاتنا كثير من الأمراض،  
منها مرض الإيدز، وأمراض الالتهاب الرئوي، وسوء الهضم، والتشنج،  
والصَّرَع، والشُّهَاد، والقلق، والسهر، والارتباك، والأمراض النفسية، والعصبية،  
والغمم، والهَم، والحزن، واللعنة في الدنيا والآخرة، إلى غير ذلك مما ذكره  
أهل الطب، مما يزيد على مائة مرض من أخطر الأمراض؛ ومن أعظمها مَرَضًا  
الإيدز والسَّرطان، اللذان يُصاب بهما كثير من الناس في هذا العصر، حتى قال  
بعض الأطباء الأمريكيان: إن كل أربعة من عشرة من الأمريكيين مُهَدِّدون  
بالإيدز، بسبب المخدّرات.

ويقول صاحب كتاب «دع القلق وابدأ الحياة»: إن الأمريكان قد حفروا لأنفسهم قُبوراً، يَرِدونها؛ لأنهم ما عرفوا الله نصف ساعة في اليوم، ثم صرح بأن السبب الرئيسي في ذلك هو تعاطي المخدرات، التي أذهبت عقولهم.

ويقول إلكس كارلي في كتاب «الإنسان ذلك المجهول»: إن من أكبر الأسباب التي أدت إلى انهيار الإنسان في أوروبا، هي تلك المخدرات التي انتشرت في مجتمعاتها.

سادساً: ومن أضرار المُخكِرَات والمخدرات أيضاً، أنها ضربة للأمة في قوتها واقتصادها، في قوتها العسكرية وقوتها الصناعية، ولذلك ذكر أهل التاريخ، أنه في القرن السادس عشر الميلادي، تواجه الصينيون واليابانيون، فانهزم الصينيون وسُحقوا، فلما بحثوا في أسباب الهزيمة، وجدوا أن من أعظم الأسباب، هو انتشار الأفيون انتشاراً رهيباً بين صفوف الجيش الصيني، مما اضطره إلى أن يترك المعركة وينحسب.

وهذا الأمر أيضاً كان معروفاً عند العرب، فقد كانوا في الجاهلية يُسمّون الأفيون «عطر منشم» إذا شمّه الجيش وأروح رائحته في المعركة انهزم وولّى الأدبار.

وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى في ميميته وهو يمدح هَرَم بن سنان:

تداركتما عَبَساً وذُبيان بعدما      تَفَانُوا ودَقُوا بينهم عطر منشم

• أيها الناس:

إن معنى تعاطي المخدرات في مجتمعاتنا، والترويج لها، أن نعيش في جوٍّ من الإرهاب، بسبب تلك العصابات المُجرِمة؛ أن لا نأمن في بيوتنا ولا في أعمالنا؛ أن لا نأمن على زوجاتنا ولا أخواتنا، معناه أن نقدم شبابنا لُقمة سائغة إلى تلك الفئات الضالّة، فيصيحون سِلاً من المجرمين والمُنحرفين يهددون أمن هذه الأمة واستقرارها.

إن الصهيونية العالمية، تخطط لإفساد شباب المسلمين، ولذلك فإن إسرائيل عدوة الإنسانية من أكثر الكيانات التي تعمل على إغراق البلاد الإسلامية بالمخدرات، وقد نُشِرَ هذا في بعض الإحصائيات.

ولكن ما هي الأسباب التي أذت بشبابنا ومجتمعاتنا إلى هذا التهتك والانحلال؟ أذكر من ذلك بعضاً من أهم هذه الأسباب.

**السبب الأول:** ضعف مُراقبة الحي القيوم، ومَن لا يراقب الله يضيِّعه الله، ولا يحفظه، ومَن لا يحفظه سبحانه وتعالى فقد هلك. قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: الآية ١٧].

لَمَا ضَعُفَتْ مُراقبة الله تعالى في قلوب كثيرٍ من الناس، بما فيهم الشباب سَهَلَ عليهم تعاطي المخدرات فاستحقوا غضب الله ومَقْتَهُ؛ ولذلك فإن أعظم ما يُوصى به في هذا المقام وصية النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»<sup>(١)</sup>، فَمَنْ حَفِظَ الله تبارك وتعالى، فأحل ما أحل الله، وحرم ما حرم الله، وأدى الفرائض، وانتهى عن التواهي، حفظه الله، ولم يضيِّعه.

وفي صحيح مسلم عن جُنْدُب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فلا يطلبكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم»<sup>(٢)</sup>.

فلما ترك هؤلاء صلاة الفجر في جماعة، ابتلاهم الله بالكبائر، وأخذهم من حيث لا يشعرون، حتى وقعوا في مُستنقَع الرذيلة، والجريمة، والقُبْح، والعياذ بالله.

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٩٣/١)، وصححه الألباني كما في صحيح رقم (٧٩٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٤/١) رقم (٦٥٧).

والسبب الثاني: سوء التربية، فإن مسؤولية الأب والأم كبيرة، فالشباب الذي ينشأ على الأغنية والموسيقى، لا يستغرب ولا يستبعد أن يتناول كأس الخمر، أو يتناول الأفيون، أو يتعاطى الحشيش، أو يروج للمخدرات، وما الذي يمنعه من ذلك، وقد تربى على الأغنية الماجنة، والأفلام الساقطة وعلى الجريمة والفحش.

ما تربى على سورة ﴿طه﴾ و﴿الواقعة﴾ و﴿ت﴾ ما سمع حديثاً من صحيح البخاري أو مسلم، ما حضر درساً من دروس العلم.

فالأب والأم مسؤولان أمام الله تعالى يوم القيامة عن ضياع هؤلاء الشباب.

السبب الثالث: الفراغ، فلما فرغت قلوبهم من طاعة الله، ومن ذكر الله، ومن محبة الله، امتلأت من محبة الشيطان، فقاذه كما تُقاد الدابة حتى أوردته مورد الهلاك.

والسبب الرابع: قرناء السوء، والشَّلُّ البائرة الفاسدة، التي مكَّرت بشبابنا، وصورت لهم الذين، وحلقات العلم، على أنها تخلف ورجعية، وتزمت وتأخر!!.

ولكن ها هو إنتاجهم على الصعيد الآخر، وها هو التقدّم الذي يزعمون، حتى أصبحنا نعيش على هامش الحياة، وخلف سطور التاريخ!!.

مرّ أحدهم بأحد طلاب العلم وهو يقرأ في صحيح البخاري، فقال له ضاحكاً مُستهتراً: الناس سعدوا على سطح القمر، وأنت تقرأ في هذا الكتاب!! فردّ عليه طالب العلم قائلاً: أنت ما قرأت في الكتاب وما سعدت على سطح القمر، فأينا أفضل!!.

إنهم ما قدّموا شيئاً، ولم يُحرزوا مجداً، إنهم لا يُجيدون إلا تقليد أوروبا في ميوعتها، وخُنوثتها، وتدنيها، وسُخفها، وسفها، لكنهم ما صنعوا لنا

طائرة، ولا ثلاجة، ولا قدموا لنا خَدَمَات كما تفعل أوروبا، فقد أضعوا الدين والدنيا جميعاً.

### كففير اليهود لا دين ولا دُنيا

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣]، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: الآية ١١].

فتجد أحدهم يفتخر في المجالس أنه سافر إلى أمريكا، وإلى لندن، وإلى باريس، وأنه عاش هناك، ودرس هناك، وهذا والله ليس بشرف، وإنما يحلّ لنا السفر إلى هذه البلاد للضرورة كما يحلّ لنا لحم الميتة!!.

قال أهل العلم: لا يُسافر إلى بلاد الكُفْر إلا لعلاج لا يوجد في بلاد المسلمين أو دراسة دنيوية، لا تتحصّل إلا في هذه البلاد، أو للدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

فهل يذهب هذا العدد الكبير إلى هذه الدول للدعوة؟!.

هل يذكرون لا إله إلا الله في شوارع لندن وباريس؟!.

هل رفعوا لواء محمد ﷺ هناك؟!.

هل نشروا القيم والأخلاق؟

لقد ذهبوا هناك، فأصبحوا أذلّ وأخسّ وأحقر من أبناء تلك الدول.

وما ذهبوا لعلاج، والحمد لله فإن في بلادنا ما يكفي في هذا المجال.

وما ذهبوا لطلب العلم؛ لأنهم ما قدموا لنا شيئاً، وما أنتجوا لنا

شيئاً أخذوا الرذائل، وتركوا الفضائل:

منهم أخذنا العود والسيجارة وما عرفنا ننتج السيارة

فمن أعظم الأسباب التي أدت إلى فساد كثير من الشباب، السفر إلى هذه

البلاد الغربية، وخاصّة إذا سافر المراهقون، الذين لم يُدرِكوا نعمة الإسلام،

فيذهب أحدهم، فينلخ من دينه ومن عقله، ومن حياته، ويعود في مسلاخ البهمة والحيوان.

السبب الخامس: تعاظم بعض العقاقير عن طريق الخطأ، أو بزعم أن فيها شفاء من بعض الأمراض، أو أنها نافعة في تقوية شهوة الجنس، وقد كذبوا، لأنه ثبت عند أهل الطب من المسلمين أنها سبب لضعف شهوة الجنس، وضعف النسل وتهديده.

فهذه بعض الأسباب التي أحدثت هذا الاضطراب وهذا الخلل في شباب الأمة، فنسأل الذي بيده مفاتيح القلوب، أن يرّد شباب المسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يُبقينا من هذه الأزمات، وأن يتوب على شبابنا إنه سميع قريب.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عُدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتقين؛ وقدوة الناس أجمعين،  
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تليماً كثيراً.

• عباد الله:

تكلمنا عن الأضرار وتكلمنا عن الأسباب، وما أنزل الله داءً إلا وجعل له  
دواءً، فما العلاج إذن، وما هو الدواء الشافي من هذه الأزمات التي هزّت  
مجتمعاتنا هزّاً عنيفاً؟! .

إن علاج ذلك يتلخّص في عدّة أمور:

أولها وأعظمها وأشرفها: العودة إلى الحيّ القيوم، ومراقبته سبحانه وتعالى  
وتقواه، فإنها النجاح في الدنيا والآخرة.

قال سعيد بن المسيّب وقد ذكر له رجل شرب الخمر، ما سبب ذلك وقد  
كان معنا؟ فقال: ترك طاعة الله، فسقط من عين الله، فرفع الله ستره عنه، وإذا  
أراد الله أن يرفع كنفه عن العبد، خلّاه ونفسه، ولم يستدركه بطاعة، ولم يُلهمه  
رشده، فتردّى على وجهه في النار.

فأعظم العلاج، أن نعود بشبابنا وأمتنا إلى الله سبحانه وتعالى، وأن نعتبر  
بالأمم الأخرى التي سقطت على وجهها في الهاوية، وحلّت بها الكوارث،

وفسد شبابها ومجتمعاتها، ودب الاضطراب في كيانها، وأصبح الانتحار عندهم عادة مألوفة!!، ثم إنهم يستدركون الآن أخطاءهم، يقول كيرسيبي ميريسون: الآن عرفت الله، لما رأيت أوروبا تزحف إلى النار.

**والأمر الثاني:** تربية شبابنا وأطفالنا على منهج: لا إله إلا الله، وإدخال الإسلام في حياتنا حقيقة لا اسماً، أما أن نزعم بأننا مسلمون فقط لأننا نذهب ونروح إلى المسجد، فهذا ليس بصحيح.

معنى الإسلام: أن يكون المهيمن على بيتك وعملك وحياتك كلها هو الله سبحانه وتعالى، وأن لا نتحاكم إلى أحد غير الله تعالى، في كل شؤون الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: الآيات ١٦٢، ١٦٣].

**والأمر الثالث:** أن نتعلم النافع الذي تحتاج له القلوب والأبدان، فنملاً به أذهان الناس، فراغ الناس، حياة الناس، نقود الناس إليه، نعمل على نشره وإيصاله إلى كل فرد من أفراد المجتمع، ونحارب تلك العلوم الخبيثة الخفيفة التي لا تنفع ولا تقرب إلى الله تعالى، فهي ليست علوماً على الحقيقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كل علم وفد إلى المسلمين فإن كان خيراً، فإن عندنا من الخير ما يكفيها، وإن كان شراً، فلسنا في حاجة إلى الشر.

فمن العلاج أن تأتي بشباب الأمة، ونجلسهم في ندوات العلم، وندعوهم إلى لقاءات العلماء والدعاة، نحب إليهم الكتاب والسنة، ونرغبهم في دروس الفقه والتفسير والأصول، لترتفع أصولهم إلى الله الحي القيوم، ويملاها بالنور والإيمان.

**والأمر الرابع:** محاولة القضاء على الفراغ، فليس في حياة المسلم ما يسمى بوقت الفراغ، والله - عز وجل - يقول: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ٦٠]. فمن كانت وجهته علمية فيذهب إلى المؤسسات العلمية، من

جامعات ومعاهد، ومدارس، وقد انتشرت والحمد لله، مما يسهل على طالب العلم الالتحاق بها، فعليه أن يبذل جهده في المذاكرة والتحصيل.

وإن كان له تميز وتخصّص في مجال آخر فليذهب به إلى ما يُجيده، من تجارة نافعة، أو صناعة، أو عسكرية شريفة، يحمي دينه ووطنه ومقدساته.

فالقضاء على الفراغ في حياة الشباب المسلم ينبغي أن يكون من أول ما يوجهه المُصلِحون عنايتهم إليه.

خامساً: الحفاظ على أبنائنا من قرناء السوء، فإن بعض الآباء من الذين قلَّ تدينهم وفقههم في دين الله، يذهب ابنه الساعات والأيام، ولا يسأله أين يذهب؟ ومع مَنْ كان؟ وأين نام؟ ولا يدري هذا الأب أن ابنه كان في جولة مع شياطين الإنس، يسلخونه من دينه وعقله وإسلامه، ليصبح فرداً من أفراد تلك العصابات الضالّة ثم لا ينتبه الأب، إلا وابنه خلف الأسوار، أو حين يُطبّق عليه حُكم الله، فيكون عاراً وفضيحة لأسرته وأُمَّته في الدنيا والآخرة.

سادساً: ومن العلاج أيضاً، أن لا نكت على ترويح هذه التَموم، وأن نحارب كل مُرَوِّجٍ ومُهرِّجٍ ومُفَسِّدٍ، فنأخذ على يده، ونخبر عنه، إذا كان مُجَاهِراً، فإن التستر على المُجَاهِر تعاون معه ومُساعدة له ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّمَدُّونَ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: الآية ٢]، ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا، أتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحلّ لك، ثم يلقه من الغد، فلا يمنعه ذلك، أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»، ثم قرأ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

يَمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: الآيتان ٧٨، ٧٩].

ثم قال ﷺ: «كلا والله... لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه<sup>(١)</sup> على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قَصراً»<sup>(٢)</sup>.

### • أيها المسلمون:

إن المعادة ليست في أن نجمع الأموال، ولا أن نبني القصور، ولا أن نتفاخر بالمباني، فإن قصور أوروبا وأمريكا أطول من قصورنا، ومبانيهم أعظم من مبانينا، وسياراتهم أفخر من سياراتنا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكْوَنُ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: الآيات ٣٣ - ٣٥].

فسعادتنا - أيها المسلمون - في حمل رسالة الله، وسعادتنا في عبوديتنا لله، وسعادتنا في تطبيقنا لشرع الله عز وجل.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بإخمصي أطأ الثرى  
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

فيا شباب الإسلام....

عودة إلى الله، عودة إلى المسجد، عودة إلى المصحف، عودة إلى حلقات العلم، عودة إلى ربكم.

(١) أصل الأطر: العطف والثني، أي: لتردته إلى الحق. ولتعطفه عليه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٢٢، ١٢١/٤)، رقم (٤٣٣٦) وأخرجه الترمذي (٢٣٥/٥) رقم

(٣٠٤٧) وقال: حسن غريب.

شباب الدين للإسلام عودوا فأنتم مجده وبكم يسود  
 وأنتم سر نهضته قديماً وأنتم فجره الباهي الجديد  
 أسأل الله لنا ولكم عودة صادقة إليه.

• عباد الله:

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦)  
 [الأحزاب: الآية ٥٦].

\* \* \*

## بطل المواجهة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

## • أَيْهَا الْأَخْيَارُ الْبَرَّةَ:

نحن اليوم مع «بطل المواجهة» نتكلم اليوم عن بطل من الأبطال، بطل في زهده وفي غِنَاه، بطل في شجاعته وفي إقدامه، بطل في سلّمه وفي حربه، عاش بطلاً، ومات بطلاً، وُبِعِثَ - إن شاء الله - بطلاً.

نتحدّث اليوم عن هذا البطل؛ لأننا في عصر نحتاج فيه إلى الأبطال فلا نجدهم، نبحث عن أبطال المواجهة في الحرب والسلام، فلا نجد لهم أثراً. إن هذا البطل، بطل في مواجهة الكفر والوثنية، بطل أمام اليهود والنصارى، بطل أمام الظلم والظلام. إنه عليّ بن أبي طالب!!.

هل تريدون مني أن أعرف عليّ بن أبي طالب؟ بأيّ لسان أتكلّم من عليّ المنبر عن أبي الحسن؟ إنني أعلن أنني عاجز عن الوفاء بحقه، أو إنزاله منزلته، ولكن يكفيننا وفاء أن قلوبنا تحبه، وتفرح لذكّره، ودراسة سيرته.

أسلم عليّ بن أبي طالب وعمره عشر سنوات، فهو أول غلام في الأرض، يُعلن لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

أسلم بين يدي الرسول ﷺ، فهو ابن عمّه، وصهره وحبّيبه. فلما أسلم عليّ ﷺ، ضمّه الرسول ﷺ إلى حنانه، إلى قلبه، إلى بيته، فأعطاه الرسول ﷺ، كلّ ما يملك أعطاه الحبّ أولاً، أعطاه العلم والهداية، زوّجه بابنته الزّهراء، وآله المُبارزة أمام الأبطال، مجّده بالكلمات، ذبّ عنه وعن عرضه، وقف معه حتى مات ﷺ، وبقي عليّ.

ولما أراد النبي ﷺ أن يهاجر مُخْتَفِياً، وكانت عنده أموال العرب، لأنه الأمين، استأمنوه على أموالهم، ثم كذّبوه، ولكنه ﷺ ترك ودائعهم عند عليّ، ليردّها إلى أصحابها، وخرج النبي ﷺ متسلّلاً، وترك عليّاً في فراشه، فأتى إليه الكفار شاهرين سيوفهم، مُتَوَثِّبين للقتل وإراقة الدماء، إلاّ أنه كان ثابت

الجأش، لم يَخَف ولم يضطرب؛ لأنه بطل المواجهة، ثم لحق بالرسول ﷺ في المدينة.

وفي سيرة عليّ ﷺ قصص وسلوى للفقراء والمنكوبين، وفيها عزاء للمُصابين المجروحين، وفيها تخفيف عن المضطهدين والمظلومين.

فسيرة عليّ، تمسح دموع البائسين، وتخفف الألم عن المحرومين، فهي قصة طويلة، يستفيد من أحداثها كل مسلم على وجه الأرض.

لما وصل إلى المدينة، أعطاه ﷺ جائزة كبرى، هل هي قصر؟ أو مركب؟ أو مال؟ لا، وإنما أعلن أمام الناس، وأمام الأجيال، أن عليّ بن أبي طالب، يحب الله ورسوله، وأن الله ورسوله، يُجَبِّان عليّ بن أبي طالب.

فما سبب هذه المنحة الكبرى؟ والجائزة العظمى؟

حاصر ﷺ خيبر، حاصر اليهود في خيبر، قبل أن يجلبوا منها بالقوة والحديد والنار.

اليهود هم أعداء الله، لأنهم سبوا الله، وقتلوا الأنبياء، وحرّفوا كلام الله، وبدّلوا شرائع الله، وقتلوا الموحّدين، واليوم يجلسون على مائدة المفاوضات يُناقشون مستقبل الأمة الإسلامية!!.

حاصرهم النبي ﷺ، ضيق عليهم الخناق، وحاول أن يفتح مدينة خيبر، فاستعصت عليه، كانت متمنعة، أرسل أبا بكر الصديق فما استطاع، أرسل عمر فما استطاع، فاهتم الناس همًا شديدًا، وباتوا ليلة طويلة، فقام ﷺ، وسط الليل يقول: لأعطين الزاية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه، فبات الناس يدوكون ليلتهم<sup>(١)</sup>، أيهم يُعطأها، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطأها، فقال: «أين عليّ بن أبي طالب؟»

(١) يدوكون: يخوضون ويتساءلون.

فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «فأرسلوا إليه، فأتوني به»، فلما جاء، بصق في عينيه ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم»<sup>(١)</sup>.

انطلق عليٌّ عليه السلام يحمل الراية، ووقف على أسوار إخوان القردة والخنازير يناديهم إلى الحق، ويدعوهم إلى العدل، أيها الناس... اسمعوا... عوا... استفيقوا... استيقظوا... تنبهوا، ولكن لأن القرد لا يفهم، ولو رأى إشارتك وعرف كلامك، ولأن الخنزير مطموس على بصيرته طمساً، لم يسمعوا، ولم يزوا، ولم يهتموا.

فلما رأى عليٌّ عليه السلام أن المفاوضات غير مُجدية، وأن المناقشات معهم لا توصل إلى حلول، كان عنده حلٌّ آخر دَعَا بطلهم للمبارزة عَلناً أمام الجماهير، فنزل مَرْحَب اليهودي الخيس، وكان شجاعاً فقال:

قد علمت خيبرُ أنني مَرْحَبُ  
شاكِي السلاح بطل مُجْرَبُ  
إذا الحروبُ أقبلت تلهَبُ

فنزل إليه علي بن أبي طالب مردداً:

أنا الذي سَمَتني أُمِّي حيدرَه  
كَلَيْت غابات كريبه المنظرَه  
أكلهم باليف كَيْل النَّدرَه

(١) أخرجه البخاري (٤/٢٠٧).

فتنازل الصُّديق عليّ بن أبي طالب مع الزنديق مَرْحَب اليهودي، فقطعه عليّ بسيفه، وقيل: إنه قَسَمَه بالسيف نصفين، إلى الهاوية، إلى النار، وافتتح عليّ خيبر، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الزَّيَاةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ يَحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ».

أراد عليّ بن أبي طالب ﷺ نسب الرسول ﷺ فذهب ليخطب فاطمة الزهراء البتول، سيِّدة نساء العالمين، وقف أمام الرسول ﷺ يريد أن يتكلم معه فما استطاع.

حياءٌ من إلهي أن يراني وقد ودَّعت صحبك واصطفاك

فتبسّم ﷺ وعرف مقصده، فقال: «يا عليّ، أتريد فاطمة زوجة لك؟» قال: نعم، قال: «عندك مَهْر؟» ويعلم عليه الصلاة والسلام، أن عليًّا لا يملك درهماً ولا ديناراً، ولا ذهباً ولا فضةً، ولا قصراً ولا حديقةً، ولكنه يملك إيماناً كالجبال، يملك تاجاً على رأسه «لَأُعْطِيَنَّ الزَّيَاةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، يملك أنه بطل للمواجهة.

قال: يا رسول الله، ما عندي شيء، قال: «أين درعك الحطميّة»<sup>(١)</sup>؟ قال: دِرْعٌ لا تساوي درهمين، فأتى به عليّ، وسلّمه للرسول ﷺ، فعقد لهما ﷺ، وتزوج عليّ فاطمة الزهراء، وأنجبت له الحسن والحسين، سيِّداً شباب أهل الجنة.

هي بنت مَنْ؟ هي زوج مَنْ؟ هي أم مَنْ؟

مَنْ ذا يساوي في الأنام عُلاها...

أما أبوها فهو أشرف مُرسل جبريل بالتوحيد قد ربّأها  
وعليّ زوج لا تسَل عنه سوى سيف غداً بيمينه تيأها

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٠/٢) رقم (٢١٢٥، ٢١٢٦) والنسائي (١٢٩/٦، ١٣٠) رقم (٣٣٧٥، ٣٣٧٦). وأحمد (٨٠/١).

ودخل بها بيته، الذي أسسه على تقوى من الله ورضوان، وأصبح صهر رسول الله ﷺ.

خرج ﷺ إلى تبوك وخلف عليًا في المدينة، خلفه لأنه شجاع وبطل للمواجهة، فلا يحمي العِرض إلا مثل علي بن أبي طالب، ولا يدفع الضيم إلا مثل علي بن أبي طالب، جعله في المدينة يحمي ما وراء الرسول ﷺ، فجاء المنافقون إلى علي بن أبي طالب، وقالوا: يا علي، إن الرسول ﷺ استثقلك، إنك ثقیل عليه، تركك في المدينة وخرج إلى تبوك، سبحان الله! محمد يستقل عليًا، فلحق علي رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى تبوك، فأخبره بما يقول الناس، فتضحك النبي ﷺ، ثم قال: «يا علي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

وهذه بشارة أخرى لعلي بن أبي طالب، ومنقبة عظيمة تُضاف إلى مناقبه أنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى.

كان علي رضي الله عنه بطلاً للمواجهة، يؤدّب به الرسول ﷺ، أعداء الله، كان الرسول ﷺ ينتدبه كلما انتدب رجلاً لمواجهة الموت.

في بدر، وقبل احتدام المعركة، دعا الرسول ﷺ أبطال المسلمين، ليبارزوا أبطال الكفار، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» قال: ها أنا يا رسول الله، فخرج، وبارز قرنه الوليد بن عتبة، فقتله علي، ثم اشتبك مع الكفار في صراعٍ دامٍ، فقتل منهم مقتلة عظيمة.

كان يقرأ القرآن، فقرأ قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: الآية ١٩]. فبكى وقال: أنا أحد الخصمين يوم القيامة، وذلك لأنه كان

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤/٤) وليس فيه قصة المنافقين، وهذا السياق ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٤/٩) وقال: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما ميمون أبو عبد الله البصري، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقوله: «أما ترضى... الخ» أخرجه البخاري (٢٠٨/٤).

خصماً للكُفر والوثنية والإلحاد، أما الوليد وأمثاله، فَيُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُصُومًا لِلإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ وَالحَقِّ وَالعَدْلِ، ثم يفصل الله - عزَّ وجلَّ - بين الفئتين يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَلَا يَظَلُّ رَيْكَ أَهْدَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

وتتكرَّرُ المسألة مع عليّ بن أبي طالب في الأحزاب، فيُحَاصِرُ الرُّسُولَ ﷺ حِصَارًا دَائِمِيًّا مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ، وَاليَهُودِ، وَالقَوْمِيينَ الخَوَنَةَ، وَالتَّنَاصِرِي، وَالمُنَافِقِينَ، وَيَأْتِي بَطْلَ مَنْ أَبْطَالَ الكُفْرَ، اسْمُهُ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ، فَيَدْعُو الْمُسْلِمِينَ لِلْمُبَارَزَةِ، فيقول: مَنْ يَبَارِزُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟! فيكتون، مَنْ يَتَقَدَّمُ لِيُبَارِزَنِي أَمَامَ الجُمَاهِيرِ؟ فلا يبرز أحد، ولكن عليًا لا يرضى بذلك، فيقول: أنا يا رسول الله، يَحِبُّ المُوَاجَهَةَ، دَائِمًا رُوحَهُ عَلَى كَفِّهِ، يقدِّمها رخيصةً لئُصْرَةَ الدِّينِ، وإِعْلَاءَ رَايَةِ التَّوْحِيدِ.

أرواحنا يا رب فوق أكفنا نرجو ثوابك مَغْنَمًا وَجَوَارًا

فقال ﷺ: «إِنَّهُ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ!!» قال: ولو كان عمرو بن ودٍّ، فنزل له عليّ ﷺ وَتَبَارَزَ البَطْلَانِ، بَطْلَ الإِسْلَامِ، وَبَطْلَ الكُفْرِ، وَبَرَقَتِ السِّيُوفُ، وَارْتَفَعَ العُبَارُ، وَكَانَ ﷺ يَدْعُو اللَّهَ لِيَنْصُرَ عَلِيًّا، وَانجلى العُبَارُ، وَإِذَا بَعَلِيّ وَقَفَ عَلَى صَدْرِ عَمْرُو، وَقَدْ قَطَعَ رَأْسَهُ، وَسَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا، فَكَبَّرَ الرُّسُولَ ﷺ، اللَّهُ أَكْبَرُ... اللَّهُ أَكْبَرُ... اللَّهُ أَكْبَرُ... وَكَبَّرَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّهُ بَطْلَ المُوَاجَهَةِ.

وفي البخاري، في كتاب الرِّزْقِ، قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «إِنَّ الآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»<sup>(١)</sup>.

كان فقيراً لا يملك قليلاً ولا كثيراً، تولى الخلافة خمس سنوات، كانت كلها مُوَاجَهَةً؛ وَاجَهَ الخَوَارِجَ وَأدْبَهُمْ، وَوَجَهَ المْتَرَدِينَ وَطَارَدَهُمْ، وَوَجَهَ البُغَاةَ

(١) أخرجه البخاري (١٧١/٧).

وَشَتَّهِمْ، فحياته كلها مواجهة، قلبه مجروح، وجسمه مجروح، وعرضه مجروح من أهل التفاق والزبينة.

لَقِيَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلْحَةَ فِي الْجَمَلِ، فِي ذَاكُمُ الصَّرَاعِ الَّذِي نَكَفَّ عَنْهُ، وَنَكَلَ أَمْرَهُمْ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، وَنَسَّأَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا بِهِمْ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ، قَتَلَ طَلْحَةَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَرَأَاهُ عَلِيٌّ مُجْنَدَلًا فِي دِمَائِهِ، فَتَزَلَّ وَمَسَحَ التَّرَابَ مِنْ عَلَى وَجْهِهِ، وَبَكَى طَوِيلًا، وَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي وَإِيَّاكَ مَمَّنَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٧].

تَوَلَّى عَلِيٌّ الْخِلَافَةَ خَمْسَ سِنَوَاتٍ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ فَقِيرًا، لَمْ يَشْبَعْ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: عِنْدَكُمْ طَعَامٌ؟ قَالُوا: لَا!! عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا!! فَخَرَجَ بِسَيْفِهِ الَّذِي هُوَ سَيْفُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَسَمَهُ ذُو الْفَقَارِ، فَوَقَفَ أَمَامَ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَقُولُ لَهُمْ: قَاتَلَكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَمُوتَ أَنَا وَأُسْرَتِي جُوعًا، وَهَذَا سَيْفُ الرَّسُولِ ﷺ مَعِي، وَلَطَالَمَا جَلَيْتَ بِهِ الْكُرْبَاتِ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي بِطَعَامِ لَيْلَةٍ!!؟

لَا يَجِدُ قُوتَ يَوْمِهِ وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَكَانَ مَمْلُوءًا بِالطَّعَامِ وَالْمَالِ وَالسَّلَاحِ، فَوَزَعَ مَا فِيهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَرَشَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي مَا أَبْقَيْتَ لِنَفْسِي مِنْهُ دَرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَلَا حَبَّةَ وَلَا تَمْرَةَ وَلَا زَبِيْبَةً.

مَرَضَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ فَعَادَهُ أَبُو فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَقَالَ لَهُ: مَا يُقِيمُكَ بِهَذَا الْمَنْزَلِ، وَلَوْ هَلَكْتَ بِهِ، لَمْ يَلِكْ إِلَّا أَعْرَابُ جَهِيْنَةَ، فَلَوْ دَخَلْتَ الْمَدِيْنَةَ، كُنْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ، فَلَوْ أَصَابَكَ مَا تَخَافُ، أَوْ نَخَافُ عَلَيْكَ، وَلَيْكَ أَصْحَابُكَ؟ وَكَانَ أَبُو فَضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ. فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي لَسْتُ مَيِّتًا مِنْ مَرَضِي هَذَا، إِنَّهُ عَهْدٌ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ، أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى تُخَضَّبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ (١). يَعْنِي تَخَضَّبَ لِحِيْتَهُ مِنْ صَدْغِهِ ﷺ.

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٤٠/٩) رواه البزار وأحمد بنحوه، ورجاله موثقون.

عاش عليه السلام بطلاً، وأسلمَ بطلاً، وجاهدَ بطلاً، ومات بطلاً، ويُعبث إن شاء الله بطلاً.

علو في الحياة وفي الممات بحق تلك إحدى المكرمات

كان يقول عليه السلام: متى يُعبث أشقاها؟! يشير إلى قول النبي ﷺ: «إنك متضرب ضربة هلهنا وضربة هنا، وأشار إلى صدغه، فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عائر الناقة، أشقى ثمود»<sup>(١)</sup>.

خرج علي عليه السلام قبل صلاة الفجر ليؤم المسلمين للصلاة، ثم دخل المسجد، فوجد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي المارد الخيث، وجده مُنبطحاً على بطنه، وقد جعل سيفه مما يلي الأرض مسلولاً، فركله علي برجله وقال: لا تتم على بطنك، فإنها نومة أهل النار، وافتتح علي ركعتين، فوثب عليه الخارجي عدو الرحمن، فضربه بالسيف على صدغه فانفلق، فقال علي: الله أكبر... الله الأمر من قبل ومن بعد، فسقط على وجهه، وسألت لحيته دماءً غزيرة، وحمل إلى البيت، وبكى المسلمون جميعاً، بكى الرجال والنساء، والشيوخ والأطفال، وتحولت بيوت المسلمين إلى مناحات، ليكون بطل المواجهة.

قامت عجوز تبكي، وتعبّر عن جراحها وأساها، فقالت بيتاً من الشعر، فيه لوعة وأسى وحرقة على هذا البطل العظيم، قالت:

يا ليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر

تقول: يا ليت المنيّة، يوم تركت عمرو بن العاص، وأصابته خارجة رئيس الشرطة، وقتل خارجة وسلم عمرو وكان هو المقصود بالقتل، يا ليتها تركت علياً وأصابته من شاءت من البشر.

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/١٤٠): رواه الطبراني، وإسناده حسن.

أبا حسن لهفي لذكراك لهفةً      يُباشِرُ مكوهاها الفؤاد فينضجُ  
 متى تستعيد الأرض ثوبَ جمالها      فتصبح في أثوابها تتبهرجُ  
 عفاءً على دنيا رحلت لغيرها      فليس بها للصالحين مُعرجُ  
 كدأب عليّ في المواطن كلّها      أبي حسن والغصن من حيث يخرجُ  
 قَتَلَ عليّ بن أبي طالب، وقد كان ينتظر الموت، و ينتظر الشقي الذي  
 سيقضي عليه، وكان دائماً يتمثل بهذين البيتين:

اشدّد حيازيمك للموت      فإن الموت لا تيكا  
 ولا تجزّع من الموتِ      فإنّ الموت آتيكا

• أيّها المسلمون:

لماذا نتحدّث اليوم عن عليّ بن أبي طالب؟ لماذا نخصّ اليوم عليّ بن أبي  
 طالب؟

إننا نتحدّث عن عليّ بن أبي طالب في هذا اليوم، لأنه بطل المواجهة،  
 ونحن نفتقر إلى المواجهة، لا نتحمّل المواجهة، أمة سلّمت قيادها لغيرها، أمة  
 سُجّقت كرامتها، لأنها لا تملك بطلاً للمواجهة.

أمة أصبح القرار بيد غيرها لأنها لا تقوى على المواجهة.

إن عليّ بن أبي طالب قُدوة لكم أيّها الشباب، وأستاذ لكم أيّها الأطفال،  
 وهو شيخ للشيوخ وبطل للأبطال.

إن عليّ بن أبي طالب يكفيه أنه يحبّ الله ورسوله، وأن الله ورسوله  
 يُحبّانه.

سلامٌ عليك يا عليّ بن أبي طالب، يوم أسلّمت، ويوم هاجرت، ويوم  
 بايعت، ويوم قُتلت، ويوم تُبعث حيّاً.

• عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله وليُّ الصالحين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المُتَّقِينَ، وقُدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

• أما بعد... أيها المسلمون:

يعيش معنا ﷺ، دائماً وأبداً، في مشاعرنا، وآمالنا، وطموحاتنا.

يعيش معنا، قدوة، وأسوة، وإماماً، ومُعَلِّماً، وأباً، وقائداً، ومُرشِداً.

يعيش معنا في ضمائرنا عظيمًا، وفي قلوبنا رحيماً، وفي أبصارنا إماماً، وفي آذاننا مُبَشِّراً ونذيراً. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: الآية ٣٣].

نينا في وداك كل غالٍ فانت اليوم أغلى ما لدينا

نُلامُ على محبتكم ويكفي لنا شرف نُلام وما علينا

ولما نلقكم لكن شوقاً بذكرنا فكيف إذا التقينا

تسلَّى الناس بالدنيا وإنَّا لعمر الله بعدك ما سلينا

تحدَّث القرآن عن النبي ﷺ، فإذا هو الخلق العظيم، وإذا هو الرؤوف

الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾﴾ [القلم: الآية ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

وسئلت السيدة عائشة عن أخلاقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(١)</sup>.

وعلق الله الهداية على اتباعه ﷺ فقال: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [الثور: الآية ٥٤].

ونفى الإيمان عن البشرية إذا لم تتحاكم إليه، وتسلم له قيادها، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ٦٥]. وجعل الله محبته موقوفة على اتباعه ﷺ، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١].

وحذر الله من مخالفته فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الثور: الآية ٦٣].

فيا أمة الإسلام، ويا إخوة العقيدة، ويا أبناء الرسالة الخالدة، هذا نبيكم ﷺ، وهذا فضله، ووصفه، وشرفه، فلماذا تبحثون عن غيره؟ ولماذا تلتزمون سواه؟

إن هناك آداباً تجاه رسول الله ﷺ، ينبغي أن يتأدب كل مسلم، وكل مؤمن، وكل موحد بها معه ﷺ.

ورأس هذه الآداب: كمال التسليم له، والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه، أو يُحمله شبهة وشكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، فينبغي أن يُوحَّد الرسول ﷺ بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان كما يُوحَّد الله - عز وجل - بالعبادة، والخضوع، والذل، والإنابة، والتوكل.

(١) أخرجه مسلم (٥١٣/١) رقم (٧٤٦).

ومن الأدب مع الرسول ﷺ، أن لا يتقدم بين يديه أمر، ولا نهي، ولا إذن، ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى هو، ويأذن ويتصرف، كما قال تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: الآية ١].

وهذه الآية باقية إلى يوم القيامة، لم تَنْسَخْ بوفاته ﷺ، كما يزعم المارقون، فالتقدم بين يدي سُنَّتِه بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد رحمه الله في معنى الآية: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ.

وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

ومن الأدب معه ﷺ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿لَا تَجْمَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [التور: الآية ٦٣].

وفيه قولان للمفسرين:

أحدهما: لا تدعونه باسمه، كما يدعو بعضهم بعضاً، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

الثاني: أن المعنى، لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضهم بعضاً، إن شاء أجب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بُدٌّ من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنه البتة.

ومن الأدب معه ﷺ، أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع، من خطبة، أو جهاد، أو رباط، لا يجوز لأحد منهم أن يذهب في حاجته مذهباً، حتى يستأذنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [التور: الآية ٦٢].

ومن الأدب معه ﷺ عدم استشكال قوله، بل تُشَكَّلُ الآراء لقوله، ولا يُعْرَضُ نَصْه بقیاس، بل تُهْدَرُ الأقيسة، وتُلْقَى لنصوصه، ولا يُحْرَفُ كلامه عن

حقيقته، لخيال يَمِيه أصحابه معقولاً. نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يُوقَف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد، فكلّ هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة.

ومن الأدب معه ﷺ: أن لا يتهم العبد دليلاً من أدلة الدين، أو حديثاً من أحاديث سيّد المرسلين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة، أو أن غيره كان أولى منه، ولكن ليتهم فهمه هو، وعقله هو، وليعلم أن الآفة منه، والبيّنة فيه، كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

وهذا هو الواقع، وتلك هي الحقيقة، فإنه ما اتهم أحد دليلاً من أدلة الدين، إلا وكان المُتهم هو الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة في الذهن العليل، لا في نفس الدليل.

قال الشافعي رحمه الله: أجمع المسلمون، على أن من استبانته له سنة رسول الله ﷺ، لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وتأذبوا مع نبيكم ﷺ، وحكموه في أموركم، وانصروا دينه وسنته، ولا تُعرضوا عنه، كما عرضت الأمم الأخرى عن أنبيائها، فإن في الإعراض عنه ﷺ الهلاك والدمار في الدنيا، والخزي والندامة يوم القيامة.

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

(١) انظر: تهذيب مدارج السالكين، منزلي «التواضع، والأدب».

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## خطبة عيد الأضحى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:  
الآيات ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر  
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: الآية ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحٍ مِّثْقَالِ ذَاتِ الذَّنْبِ وَوَيْعٌ بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: الآية ١].

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً.

الحمد لله خيراً مما نقول، وفوق ما نقول، ومثل ما نقول.

لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، عزّ جاهك، وجلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك، لا إله إلا أنت.

في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي الجنة رحمتك، وفي النار سطوتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك، لا إله إلا أنت.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر

الله أكبر... كبيراً... والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الله أكبر كلما لمع نجم ولاح، الله أكبر كلما تضرّع منك وفاح، الله أكبر كلما غرّد حمام وناح.

الله أكبر كلما رجع مُذنب وتاب، الله أكبر كلما آب عبد وأناب، الله أكبر كلما وُسُد الأموات التراب.

الله أكبر ما وقف الحَجِيج بصعيد عرفات، وياتوا بمزدلفة في أحسن مبات، ورموا الجِمار بمني تلك الجمرات.

الله أكبر كلما ارتفع عَلم الإسلام، الله أكبر كلما طيفَ بالبيت الحرام، الله أكبر كلما دكدكت دولة الأصنام.

لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... لا إله إلا الله..

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْمُكَرَّمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الفَصَص: الآية ٨٨].

لا إله إلا الله...

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّحْمَن: الآيتان

[٢٦، ٢٧].

لا إله إلا الله يفعل ما يريد، لا إله إلا الله ذو العرش المجيد، لا إله إلا الله رب السموات والأرض وهو على كل شيء شهيد.

سبحان الله... سبحان الله...

سبحان مَنْ قهر بقوته القياصرة، وكسر بعظَمته الأكاسرة، الذين طغوا، وبغوا، فأرداهم ظلمهم في الحافرة.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ الَّذِي بَعَثْتَهُ بِالدَّعْوَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ، وَهَدَيْتَ بِهِ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَأَنْزَلْتَ بِهِ أَفْكَارَ الْبَشَرِيَّةِ، وَزَلَّزَلْتَ بِهِ كِيَانَ الْوُثْنِيَّةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى صَاحِبِ الْحَوْضِ الْمَوْزُودِ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ، وَالصُّرَاطِ الْمَمْدُودِ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى حَامِلِ لِيَاءِ الْعِزِّ فِي بَنِي لُؤَيٍّ، وَصَاحِبِ الطُّودِ الْمَنِيْفِ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ، صَاحِبِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ، الْمَذْكَورِ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ رَفَعْتَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَشَرَحْتَ لَهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعْتَ عَنْهُ وَزْرَهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ جَعَلْتَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَيْرِ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَبْرَزِ الْأَصْفِيَاءِ، وَمَنْ تَرَكْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبِيضَاءِ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

### • أَيُّهَا النَّاسُ :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. نعم، نعيش هذه المناسبة الكبرى يوم نذكر فضل لا إله إلا الله وعظمة لا إله إلا الله وقدسيتها لا إله إلا الله. أي أمة كنا قبل الإسلام، وأي جيل كنا قبل الإيمان، وأي كيان نحن بغير القرآن؟

كنا قبل لا إله إلا الله: أمة وثنية، أمة لا تعرف الله، أمة تسجد للحجر، أمة تغدر، أمة يقتل بعضها بعضاً، أمة عاقبة، أمة لا تعرف من المبادئ شيئاً.

فلما أراد الله أن يرفع رأسها، وأن يُغلي مجدها؛ أرسل إليها رسول الهدى ﷺ.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: الآية ٢].

إن البرية يوم مبعث أحمد	نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من	خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة	جبت الكنوز فكسرت أغلالها
لما رآها الله تمشي نحوه	لا تنتظر إلا رضاه سعى لها

فأتى ﷺ فصعد على الصفا، ونادى العشائر والبطون، ثم قال لهم لما اجتمعوا: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فقامت دعوته على لا إله إلا الله، كما كانت دعوة الأنبياء من قبله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥].

ومعنى لا إله إلا الله؛ لا معبود بحق إلا الله.

معنى لا إله إلا الله؛ لا مطلوب ولا مرغوب ولا مدعو إلا الله.

ومعنى لا إله إلا الله؛ أن تعيش عبداً لله، فتكون حياً بقوة لا إله إلا الله، وتموت على لا إله إلا الله، وتدخل الجنة على لا إله إلا الله.

ومعنى لا إله إلا الله؛ أن ترضى بالله رباً وإلهاً، فتتحاكم إلى شريعته، ولا ترضى شريعة غيرها. فمن رضي غيرها شريعة، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً، ولا كلاماً. ولا ينظر إليه، ولا يُزكّيه، وله عذاب أليم.

ومعنى لا إله إلا الله؛ أن ترضى برسول الله ﷺ، قُدوة، وإماماً، ومُربياً، ومُعَلِّماً، فتجعله أسوة لك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

ومعنى لا إله إلا الله؛ أن ترضى بالإسلام ديناً، فإنك إن لم ترضَ به ديناً غضب الله عليك، وكشف عنك ستره. ولم يحفظك فيمن حفظ، ولا تولاك فيمن تولى.

جاء بها ﷺ، فأعلنها صريحة؛ أنه لا إله إلا الله، فاستجاب له من أراد الله رفع درجته، وصمَّ عنها من أراد الله عذابه في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: الآية ٣٥]، استجاب له أصحابه الأبرار، وأحبابه الأطهار، فقتلوا بين يديه.

يأتي عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد فيعلم أنه لا إله إلا الله، ويفيض حُباً ل: لا إله إلا الله، ويرفع طرفه قبل المعركة ويقول: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى.

فَيُقْتَلُ، وَيُقَطَّعُ، يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ جِيءَ بِأَبِي مُجَبَّى، وَقَدْ مُتِّلَ<sup>(١)</sup> بِهِ، فَأَرَدَتْ أَنْ أَرْفَعَ الثُّوبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرَفَعُ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو. فَقَالَ: «وَلِمَ تَبْكِي؟» فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَنْظُرُهُ بِأَجْنَحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ<sup>(٢)</sup>؟

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ جَابِرٌ: فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَبْكِي، وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَمْرٍو تَبْكِيهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَنْظُرُهُ بِأَجْنَحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ»<sup>(٣)</sup>.

فَجَعَلَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَأَرْوَاحَ إِخْوَانِهِ، فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ حُضْرٍ تَرِدُ الْجَنَّةَ، فَتَأْكُلُ مِنْ أَشْجَارِهَا، وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلُوقَةٍ بِالْعَرْشِ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

أَيُّ أُمَّةٍ كُنَّا، وَأَيُّ أُمَّةٍ أَصْبَحْنَا!! وَأَيُّ أُمَّةٍ سَوْفَ نَكُونُ!!

اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا... وَسُبْحَانَ اللَّهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا.

#### • عِبَادَ اللَّهِ:

يَا مَنْ لَبَسَ الْجَدِيدَ، يَا مَنْ اغْتَسَلَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، يَا مَنْ أَتَيْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَصَلَّى، هَلْ ذَكَرْتُمْ مَنْ صَلَّى مَعَكُمْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، مِنْ

(١) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ (٢٩٤/٤) يُقَالُ: مَثَلْتُ بِالْقَتِيلِ، أَمْثَلْتُ بِهِ مَثَلًا، إِذَا جَدَعْتَ أَنْفَهُ، أَوْ أُذُنَهُ، أَوْ مَذَاكِيرَهُ، أَوْ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ. وَالْإِسْمُ: الْمَثَلَةُ. فَأَمَّا: مَثَلٌ بِالتَّشْدِيدِ، فَهُوَ لِلْمَبَالِغَةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٢/٢)، وَمُسْلِمٌ (١٩١٧/٤)، وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ (٢٤٧١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧١/٢)، وَمُسْلِمٌ (١٩١٨/٤) رَقْمًا (٢٥٥٤).

الأحباب والأولاد؟ أين ذهبوا؟ كيف اختطفهم هاذم اللذات؟ آخذ البنين والبنات، مُفَرِّقُ الجماعات. أسكتهم فما نطقوا، وأرداهم فما تكلموا، والله لقد وُسِّدوا التراب، وفارقوا الأحباب، وابتعدوا عن الأصحاب، فهم في الحُفْرِ الْمُظْلِمَةِ مُرْتَهِنُونَ بأعمالهم، كأنهم ما ضحكوا مع مَنْ ضحك، ولا أكلوا مع مَنْ أكل، ولا شربوا مع مَنْ شرب.

اختلف على وجوههم الذود، وضاعت عليهم ظُلْمَةُ اللَّحُودِ، وفارقوا كل مرغوب ومطلوب، وما بقيت معهم إلا الأعمال.

فهل ذكر ذاكِ ذاكِ القدوم؟ وهل أعدَّ لذاك المصير؟ وهل أعدَّ العدة لذلك الموقف الخطير؟

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

#### • أيها الناس:

أذْكُرْكُمْ ونفسي بتلك الشَّعيرة العظيمة، بتلك الفريضة الجليلة، بالصلوات الخمس؛ لا حظَّ في الإسلام لمن تركها، مَنْ تركها فعليه لعنة الله، مَنْ تركها خرج من دين الله، مَنْ تركها انقطع عنه جبل الله، مَنْ تركها خرج من ذمَّة الله، مَنْ تركها أحلَّ دمه وماله وعرضه.

تارك الصلاة عدو الله، عدو لرسول الله، عدو لأوليائه الله.

تارك الصلاة مُحَارِبٌ لمنهج الله، تارك الصلاة مغضوب عليه في السماء، مغضوب عليه في الأرض.

تارك الصلاة تلعنه الكائنات، والعجاوات. تتضرَّر النملة في جُحرها من تارك الصلاة، وتلعنه الحيتان في الماء لأنه ترك الصلاة.

تارك الصلاة لا يُؤَاكَل، ولا يُشَارَب، ولا يُجَالَس، ولا يُرَافَق، ولا يُصَدَّق، ولا يُؤْتَمَن.

تارك الصلاة خرج من الملة، وتبرأ من عهد الله، ونقض ميثاق الله.

تارك الصلاة يأتي ولا حجة له يوم العرض الأكبر.

الله الله في الصلاة، فإنها آخر وصايا محمد ﷺ، قبل فراق الدنيا، وهو في سَكَرَاتِ الموت.

#### • عباد الله:

لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، أوصيكم ونفسي بصلاة الجماعة، والمحافظة عليها في المساجد، فمن صلاها بلا عذر في بيته فلا قبلها الله، فإن من شروط صحتها صلاتها في جماعة، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لقد هممتُ أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»<sup>(١)</sup>.

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

#### • عباد الله:

أوصيكم ونفسي بعد تقوى الله - عز وجل - بصلة الرِّجْم؛ فإن الله - تبارك وتعالى - لعن قاطعي الأرحام، فقال - عز وجل - : ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ [الزَّعْد: الآية ٢٥].

وقال جل ذكره: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ] ﴿٢٢﴾ [محمَّد: الآيات ٢٢، ٢٣].

فقاطِع الرِّجْم ملعون، لعنه الله في كتابه، وصح عنه ﷺ أنه قال:

(١) أخرجه البخاري (١٥٨/١)، ومسلم (٤٥١/١، ٤٥٢) رقم (٦٥١).

«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّجِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعُ مِنْ قِطْعِكَ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ لِكَ»<sup>(١)</sup>.

فَعَهَدَ اللهُ أَنْ يَصِلَ مَنْ وَصَلَ رَجْمَهُ، وَعَهَدَ اللهُ أَنْ يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَ رَجْمَهُ، وَهَذَا العِيدُ - يَا عِبَادَ اللهِ - مِنْ أَكْبَرِ الفُرُصِ للعودة إلى الحَيِّ القَيُّومِ، فَمَنْ لَمْ يَعدْ إلى اللهِ فَمَا اسْتَفَادَ مِنَ العِيدِ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدْ أَرْحَامَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزِّيَارَةِ وَالْبِرِّ فَمَا عَاشَ العِيدُ.

العِيدُ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، العِيدُ أَنْ تَعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، العِيدُ أَنْ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، العِيدُ أَنْ تَسَلِّ السَّخِيمَةَ مِنْ قَلْبِكَ، العِيدُ أَنْ تُخْرِجَ البَغْضَاءَ مِنْ رُوحِكَ، العِيدُ أَنْ تَعُودَ إِلَى جِيرَانِكَ بِالصَّفَاءِ وَالْحَبِّ وَالبِسْمَةِ، العِيدُ أَنْ تُدْخِلَ الطَّمَأِينَةَ فِي قُلُوبِ المَسْلَمِينَ، العِيدُ أَلَّا يَخَافَكَ مَسلِمٌ. قَالَ ﷺ: «وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ. وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ. وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ». قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

### • عِبَادَ اللهِ:

أذْكَرْكُمْ وَنَفْسِي آلاءَ اللهِ، وَنِعْمَ اللهُ، وَعِطَاءَ اللهِ، فَاشْكُرُوهُ - سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى - يَزِدْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَصَابَهُ مَوْعِدُهُ - سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنَ الهَلَاكِ وَالدَّمَارِ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: الآية ١١٢].

(١) أخرجه البخاري (١٩٩/٨)، ومسلم (١٩٨١/٤) رقم (٢٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٨/٧) واللفظ له، ومسلم (٦٨/١) رقم (٤٦)، ولفظه: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه». والبوايق: جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والشرور.

انظروا أيّ نعمة نعيشها؛ نعمة الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان،  
وتحكيم الشريعة والقرآن.

انظروا جيراننا من الدول والشعوب، يوم تركوا تحكيم شرع الله، وكتاب  
الله، غضب الله عليهم، فأخذهم أخذ عزيز مُقتدر.

منهم مَنْ ابتلاه الله بالحروب فدكدكت منازلهم بالمدافع والقنابل  
والصواريخ، وقتل أطفاله، وشرّد عياله، فلم يعلم يمينه من شماله ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ  
رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [مُود: الآية ١٠٢].

ومنهم مَنْ ابتلاه الله بالأمراض والأسقام التي لم تكن من قبل؛ لأنه  
ارتكب الفاحشة، وابتعد عن منهج الله، وترك شريعة الله، فعاش الخوف  
والغضب والمقت في الدنيا والآخرة.

فاذكروا هذه النعم، وتصدقوا عنها بالشكر والبذل والعطاء، وأداء ما  
افترض الله، فإن كثيراً من الشعوب التي ترونها تعيش الفقر والجوع، كانوا في  
أرغد العيش وأهنئه، لكنهم كفروا بنعمة الله، وبدلوا دين الله، وجحدوا شرع  
الله.

وهذه البلاد لما أنعم الله عليها بتحكيم الشريعة، رغد عيشها، وكثر  
خيرها، وهنأ شعبها، فليس لنا - والله - إلا أن نتمسك بهذا الدين، وأن نعض  
بالتواجد على هدي سيّد المرسلين، فهذا هو السبيل الوحيد لاستبقاء النعم وعدم  
زوالها.

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

#### • أيها المسلمون:

تعيش الأمة الإسلامية اليوم صحوة إسلامية مباركة، تعيش الأمة عوداً  
حميداً إلى الله. نسأل الله أن يُبارك هذه الصّحوة، وأن يحفظها، وأن يُتمرها،  
وأن يوجّهها، وأن يهديها سواء السبيل.

لكننا نخاف على هذه الصّحوة من صنفين:

- متشدّد في دين الله، نفسه نفس خارجي، علم ظاهر القرآن، وأخذته العبادة عن حقائق الإيمان، فكفر من شاء، وشهد لمن شاء بالإيمان، وأدخل في الدين من شاء، وأخرج من الدين من شاء. فهذا أول ما يحافه على هذه الصّحوة المباركة. فليست العبادة كل شيء.

صح عنه ﷺ، أنه قال عن الخوارج: «يخفّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»<sup>(١)</sup>.

وذلك لأنهم أخذوا ببعض النصوص وتركوا بعضها، فلم يتمكنوا من الاستنباط الصحيح، ولا عرفوا دلائل الألفاظ، ومقاصد الأدلة، فضلوا وأضلوا حتى كفروا كثيراً من الصحابة واستحلوا دماءهم.

- ورجل مُستهتر مُستهزئ مُنافق جعل عباد الله فاكهته، فاستهزأ بهم في المجالس، وحقرهم في المُتنديات، وجعل الدّعاة غرضاً له؛ يقع في أعراضهم؛ ويسخر من حركاتهم وسكناتهم وهيئاتهم.

﴿قُلْ أِبَالَهُمْ وَعَائِدُهُمْ وَرَسُولُهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦]، ولذلك كان هذا مُنافقاً معلوم النفاق؛ لأنه جعل أولياء الله عُرضة للاستهزاء والاستهتار، فموا الصالحين والدّعاة متطرفين، ومُتزمتين، وعصابة مشبوهة، وما أطلق ذلك إلا الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، وأتباعهم من العلمانيين والمستغربين.

(١) أخرجه البخاري (٥٢/٨)، ومسلم (٧٤٤/٢) رقم (١٠٦٤).

• عِبَادَ اللَّهِ :

إن هذه الصحوة ينبغي علينا تجاهها أمران :

أولهما: أن تُباركَ وندعو لمن أقام عليها من ولاة الأمور العاملين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن العلماء المُخْلِصِينَ النَّاصِحِينَ لِلأُمَّةِ، ومن الدعاة الأبرار الذين وجهوا الجيل إلى الطريق الصحيح.

والأمر الثاني: أن نتواصى بيننا في مساعدة أبنائنا وشبابنا في هذه المسيرة، فقد وُجدَ في البيوت من الآباء من حارب أبناءه يوم استقاموا، ويوم اتجهوا إلى الله، وهذه حرب صريحة على الله، ومحادة مكشوفة لدينه.

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

عِبَادَ اللَّهِ :

أوصيكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، واعملوا بمُحْكَمِهِ، وآمنوا بمُتَشَابِهِهِ.

كتاب الله، جبل الله المتين، وصراطه المستقيم، كتاب الله، النور الذي لا ظلمة فيه. كتاب الله الهداية الذي لا ضلال بعده.

﴿قُلْ لِيَن آجَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: الآية ٨٨].

كتاب الله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْن يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية ٤٢].

كتاب الله من استمك به بلغه الله منازل السعداء، ومن صدف عنه كبه الله على وجهه في ذركات الأشقياء، اقرؤوه آناء الليل والنهار، ضوعوا به بيوتكم، تدارسوه مع أبنائكم، اجعلوه قُرْبَةً تتقربون بها إلى ربكم.

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

## • عباد الله :

أوصيكم بالتوبة النصوح، وبالاستغفار من الذنوب والخطايا يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ قُلْ يَكْمَادِي الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: الآية ٥٣].

ويقول جل ذكره: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٢٥] أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَقَمُّ أَجْرُ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: الآيات ١٣٥، ١٣٦].

## • عباد الله :

إن من المعاصي التي انتشرت بصورة كبيرة في أوساط الشباب وغيرهم، جريمة تعاطي المخدرات، وما انتشرت هذه الجريمة إلا بسبب البُعد عن الله وعن كتابه وسنة رسوله ﷺ، فامتلات المسجون بالشباب، لأنهم تركوا طريق المسجد، وتركوا تلاوة القرآن، وتركوا حلقات العلم، فابتلوا بهذه الخبيثة: ﴿ فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصَّف: الآية ٥].

ومن المعاصي كذلك تلك المجالات الخليعة، التي أظهرت المرأة معبوداً وصنماً فافتتن بها شباب الإسلام، وزنت أبصارهم قبل فُرُوجهم، فجعلوا الصورة الخليعة - إلا من رَجَمَ الله - معبودهم، فأخذهم الهوى، وأصابهم الولء، وضلوا بالعشق، لأن قلوبهم لم تمتلئ بذكر الله، ولم تعمر ب: لا إله إلا الله.

ومن المعاصي كذلك - عباد الله - ذلك الغناء والموسيقى الذي ملأ البيوت - إلا بيوت من رحم الله - من أصوات المُعَنِّين والمُعَنِّيَّات، والماجنين والماجنات، الأحياء منهم والأموات، وهذه معصية ظاهرة حُورِبَ الله بها - تبارك وتعالى -.

فالله الله في التوبة النصوح، وفي العودة إلى الواحد الأحد - سبحانه وتعالى ..

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.  
 العيد يا عباد الله معناه كما سلف؛ العودة إلى الله، ثم العودة إلى كتابه،  
 ثم العودة إلى سنة رسوله ﷺ.  
 العيد يا عباد الله ليس بصفّ الموائد الشهية، ولا بركوب المراكب الوطيئة،  
 ولا بسكنى المنازل البهيئة.  
 العيد لمن خاف يوم الوعيد، العيد لمن استعدّ للعرض على الربّ سبحانه  
 وتعالى، العيد لمن اتقى الله في السرّ والعلن.  
 العيد لمن استعرض صحيفته فاستغفر من السيئات، وسأل الله التوفيق  
 للأعمال الصالحات.

العيد لمن وصل ما بينه وبين الله، وما بينه وبين العباد، العيد لمن عمّر  
 بيته بالقرآن، وأخرج آيات اللهو ومغريات الشيطان.  
 العيد لمن أقام في بيته منهج القرآن، العيد لمن ضوع منزله بالأذكار  
 الحسان.

إذا ما كنت لي عبداً فما أصنع بالعيد!!  
 جرى حبك في قلبي كجري الماء في العود

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

• عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع  
 المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله . . . الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• عباد الله:

كان من هذي المصطفى ﷺ، في العيدين أنه كان يؤخر صلاة عيد الفطر، ويعجل الأضحى<sup>(١)</sup>، وكان يخرج في الأضحى قبل أن يأكل شيئاً<sup>(٢)</sup>، بخلاف عيد الفطر فإنه كان يأكل تمرات كما أخبر أنس عنه ﷺ<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: يأكلهن وتراً<sup>(٤)</sup>.

وكان ﷺ يخرج لإسأ أحسن ملابسه، مُتَطَيِّباً بالمِسْك، يمشي بكينة، ووقار يكبر ربه - تبارك وتعالى -.

وكان ﷺ يخرج للعيد من طريق ويعود من طريق آخر. قال جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ، إذا كان يوم عيد خالف الطريق<sup>(٥)</sup>. وذكر العلماء لذلك حكماً جليلاً.

(١) انظر: إرواء الغليل (٣/١٠٠، ١٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٦/٢) رقم (٥٤٢). وابن ماجه (٥٥٨/١) رقم (١٧٥٦)، والحاكم في المستدرک (٢٩٤/١)، وصححه، ووافقه الذهبي. وحسنه الأرنؤوط. انظر: الإحسان

في تقريب صحيح ابن حبان (٧/٥٢).

(٣) و(٤) أخرجه البخاري (٣/٢).

(٥) أخرجه البخاري (١١/٢).

منها: إظهار قوّة الإسلام والمسلمين في كل مكان.  
 ومنها: أنك تمرّ على أكبر عدد من المسلمين فتلمّ عليهم.  
 ومنها: إغاظة أعداء الإسلام.  
 ومنها: قضاء حوائج مَنْ له حاجة من المسلمين.  
 ومنها: أن يشهد لك الحَفَظَةُ والملائكة الذين يقفون على الطرق.  
 الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر

لا إله إلا الله... والله أكبر

الله أكبر... والله الحمد

وكان ﷺ إذا وصل إلى المُصَلَّى يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصلّي ركعتين، يكبّر في الأولى قبل القراءة سبع تكبيرات بتكبيرة الافتتاح، ثم يقرأ الفاتحة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية ١]. وفي الركعة الثانية يكبّر خمس تكبيرات ثم يقرأ الفاتحة ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: الآية ١]<sup>(١)</sup>. وربما قرأ في الأولى: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: الآية ١]. وفي الثانية: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ﴾ [القمر: الآية ١]<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ، إذا انتهى من الصلاة، وقف على راحلته مُستقبل الناس، وهم صفوف جلوس، فخطبهم بخطبة جليلة، يبيّن فيها أسس العقائد والأحكام، ويأمر المسلمين بالصدقة، ثم يتوجّه إلى النساء فيخطبهنّ، ويُذكّرهنّ.

• عِبَادِ اللَّهِ:

يُسَنُّ إذا رجع الإنسان من المصلّى يوم الأضحى أن يبدأ قبل كل شيء بذبح أضحيته إن كان مُسْتَطِيعاً فَيُسَمَّى ويكبّر، ويذبح الأضحية.

(١) أخرجه مسلم (٦٠٧/٢) رقم (٨٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٨/٢) رقم (٨٧٨).

والأضحية في الإسلام شأنها جليل وحكمها نبيلة وعظيمة:

منها: أنها فداء لإسماعيل، عليه السلام.

ومنها: أنها قرّبة إلى الله الواحد بالذبح في هذا اليوم العظيم، فإذا ذبحتها فإن السنة أن تاكل ثلثها، وأن تصدق بثلثها، وأن تهدي ثلثها، وإن فعلت غير ذلك فالأمر فيه سعة؛ ولكنه خلاف الأولى.

والأضحية - يا عباد الله - لا بد أن تُستَسَمَن، وأن تُختار، وأن تُصَطْفَى؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فلا تجزئ العوراء البين عورها، ولا المريضة البين مرضها، ولا العرجاء البين عرجها، ولا الهزيلة، ولا العضباء التي كسِرَ النصف من قرنها أو أكثر، ولا ما قُطِعَ نصف أذنها أو أكثر.

ويُكره الشرقاء التي انشقت أذنها طولاً، أو الخرقاء التي خُرقت أذنها، وغير هذا جائز إن شاء الله.

والسنة ألا يُضْحَى من الضأن إلا بالجذع<sup>(١)</sup> فأكبر. وأما المعز فالثنية<sup>(٢)</sup> فأكبر، سنة نيكم، عليه الصلاة والسلام.

فاذكروا الله على هداكم، وكبروه - سبحانه وتعالى - واحمدوه على النعم الجليلة، والمواهب النبيلة، فإنه - والله - ما حُفِظَت النعم إلى بالشكر، وما ضُيِّعَت إلا بالكفر.

فنعوذ بالله أن نكون من قوم بدّلوا نعمة الله كُفْراً، وأحلّوا قومهم دار البوار.

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١/٢٥٠): أصل الجذع: من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شاباً فتياً، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية، وقيل: البقر في الثالثة، ومن الضأن ما تمت له سنة، وقيل: أقل منها.

(٢) الثنية من المعز: ما دخل في السنة الثالثة. النهاية (١/٢٢٦).

ونعوذ بالله أن نكون من قوم أنعم الله عليهم بنعم، فجعلوها أسباباً إلى المعاصي، وطرقاً للشهوات والمخالفات.

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر...

الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر...

الله أكبر كبيراً... والحمد لله كثيراً... وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

• عِبَادَ اللَّهِ:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْضُ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَنْهُمْ مَعَهُمْ بِمَنْكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## تعظيم شعائر الله

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

## • أَيُّهَا النَّاسُ :

المؤمن يُحِين وَيَخَافُ، وَالْمُنَافِقُ يُحِييءُ وَيَرْجُو... المؤمن مُرْهَفُ الإِحْسَاسِ، المؤمن حَيِّ العَاطِفَةِ، المؤمن يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ وَحُرْمَاتِ اللَّهِ، المؤمن يِرَاقِبُ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، وَفِي الجَلْوَةِ وَالخَلْوَةِ، المؤمن يرى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهَا جَبَلٌ يَخَافُ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ، وَالْمُنَافِقُ يرى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهَا ذُبَابٌ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَلَا يَخَافُ مِنْهَا، الْمُنَافِقُ يَخَافُ مِنَ النَّاسِ أَعْظَمَ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ: ﴿يَتَخَفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَتَخَفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٠٨]، يَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللَّهِ، يَقْدَرُونَ النَّاسَ وَيُوقِرُونَ النَّاسَ، وَلَا يُعْظَمُونَهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -!! فَتَعَالَوْا نَرَى كَيْفَ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيِرَاقِبُونَهُ:

سَبْحَانَ مَنْ يَعْفُو وَنَهَفُوا دَائِمًا      وَلَمْ يَزَلْ مَهْمَا هَذَا الْعَبْدُ عَفَا  
يُعْطِي الَّذِي يُخْطِي وَلَا يَمْنَعُهُ      جَلَالَهُ عَنِ الْعَطَا لِذِي الْخَطَا

عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَرْضَاهُ - كَلَّمَكُمْ يَعْرِفُ عَمْرٍ، كَانَ مِنَ أَخَوَفِ النَّاسِ اللَّهُ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ، صَادِقًا مَعَ النَّاسِ، وَصَادِقًا مَعَ نَفْسِهِ - قَائِمٌ اللَّيْلِ، صَائِمٌ النَّهَارِ، عَادِلًا فِيمَنْ وَآلَاهُ اللَّهُ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، يَبْكِي طَوِيلًا، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تَعْضُدُ. كَانَ يَقُولُ لِحُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ عَلَّمَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْمَاءَ الْمُنَافِقِينَ... الرَّسُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَّمَ حُدَيْفَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِرًّا أَسْمَاءَ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَأَتَى عَمْرُ يَبْكِي عِنْدَ حُدَيْفَةَ وَيَقُولُ: يَا حُدَيْفَةَ أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَسْمَانِي رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!! إِذَا لَمْ يَكُنْ عَمْرُ مُؤْمِنًا فَمَنْ هُوَ الْمُؤْمِنُ!! وَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقًا فَمَنْ هُوَ الصَّادِقُ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُخْلِصًا فَمَنْ هُوَ الْمُخْلِصُ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَدَلْ مَا لَهُ وَمَعَهُ فِي خِدْمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ خَشِيَةً أَنْ تَكُونَ مُنَافِقًا!!.

جَلَسَ الصَّحَابَةُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ عَمْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَرْضَاهُ - لِأَصْحَابِ الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنَا. قَالَ:

إنك عليها لجريء... أي تستطيع أن تتكلم في هذه الأمور الخطيرة... قال: نعم... قال: ماذا سمعت الرسول ﷺ يقول في الفتنة؟ قال: ... يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله يكفرها الصوم والصلاة والصدقة» - يعني سبّه وشتمه لأهله وأخطاه مع أهله كفارتها الصوم والصدقة والصلاة - قال عمر: لست عن هذا أسأل - لكن أسألك عن الفتنة التي تموج موج البحر ما هي كفارتها؟! الفتنة التي تموج موج البحر فتنة الدماء، فتنة أن يُسلّ السيف على المسلمين... فتنة الاختلاف... فتنة الزندقة والتفاق والإلحاد... قال حذيفة: يا أمير المؤمنين لا تخف إن بينك وبينها باباً، قال: أيفتح الباب أم يُكسر؟ والباب هو عمر... الباب عن الفتنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قُتل بدأت الفتنة!! يوم ذُبح سُلّ السيف على الأمة المحمدية. يوم اغتيل - رضي الله عنه - وأرضاه - بدأت الفتن التي تموج موج البحر. قال حذيفة: وحدثته أن بينه وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر. قال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يُكسر والله!! يعني أن هذا الباب رجل لا يموت، وإنما يذبح كما يذبح العظماء، فدمعت عينا عمر، وقال: الله المُستعان. قالوا لحذيفة: أدري عمر من هو الباب؟! قال: إي والذي نفسي بيده إنه علم كما أن دون الليلة البارحة<sup>(١)</sup>، ويوم أته سكرات الموت واغتيل - رضي الله عنه - وأرضاه - ما بكى أطفاله وما بكى أمواله وما بكى منصبه ووظيفته، بكى ذنوبه وخطاياها.

حياة من إلهي أن يراني... وقد ودعت صخبك واصطفاك

فيقول: يا ليت أُمي لم تلدني... ودماء تنزف، مات شهيداً، ذُبح شهيداً في سبيل الله... قالوا: ما لك؟ قال: ذنوبي وخطاياي، يا ليت أُمي لم تلدني، يا ليتني كنت شجرة فأغضد، يا ليتني ما توليت الخلافة، يا ليتني ما عرفت

(١) أخرجه البخاري (٩٦/٨) كتاب الفتن، باب (١٧)، ومسلم (١٢٩/١) كتاب الإيمان،

الحياة، هذا هو عمر - ﷺ وأرضاه - فكيف بنا أهل الذنوب والخطايا، ذاك هو المؤمن الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويعمل صالحاً ويتوب ويخاف من الذنوب... والمنافق يترك الصلوات، ويلعب في المُحَرَّمات، وينتهك حدود الواحد الأحد ربُّ الأرض والسموات، ويضحك!! يتكلم بالنفاق، ويعمل بالنفاق، ويضحك!!.

إذا بايع الناس غشاً وظلم، وإذا أخذ المال وأعطاه رابى، تعامل بالربا، وإذا خاصم فجر، وشهد شهادة الزور، ولعن وتعدى وهو يضحك.

قاطع للرحم، عاق للوالدين، فاجر في بيته، فاجر في مجتمعه، فاجر مع أمته وهو يضحك، ولذلك كان أصحاب الرسول ﷺ، أخوف الناس لله، أتى أحدهم والرسول ﷺ مُحَاصِرُ أهل خيبر وقيل غيرها من قرى اليهود فأرسله ﷺ، أرسل هذا الصحابي - قال: اذهب إلى هؤلاء الذين في الحصن من اليهود وفاوضهم، علمهم أن ينزلوا على حكم الله، فدخل على اليهود، فقال اليهود له وهم يتباكون نساءً ورجالاً وأطفالاً: أما ترى ماذا يصنع بنا رسول الله ﷺ، فأخذته الرحمة لكن في غير موضعها والرقّة بأعداء الله، إخوان القردة والخنازير فأشار إليهم ألا ينزلوا وهي خيانة لرسول الله ﷺ، لكن لم يتكلم. قال بيده على عنقه هكذا، يعني انتبهوا لا تنزلوا فإنه سوف يذبحكم ذبحاً - وخرج من الحصن، وشعر أنه خان الله، وخان رسول الله ﷺ، وخان دين الإسلام... فذهب إلى المسجد فربط نفسه بحبل بسارية المسجد وقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أفك نفسي، ولا أطلق نفسي، حتى يُطْلِقَها رسول الله ﷺ، وأخذ يبكي صباح مساء... وأنت التوبة من السماء لأنه اعترف بذنبه وخطيئته فتاب الله عليه، فأتى ﷺ بيده الشريفة، ففك الحبل فمضى وهو تائب لا أحد أسعد منه على وجه الأرض.

أنزل الله قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

[الحجرات: الآية ٢]. معناه أنه يقول للصحابة: لا ترفعوا أصواتكم تأذبوا عند المصطفى، تأذبوا عند صاحب الرسالة الخالدة ﷺ، فلما نزلت أتى ثابت بن قيس بن شماس، وهو خطيب الرسول ﷺ، كان يخطب في حماية الإسلام، وفي الدفاع عن الإسلام، فيرفع صوته على صوت الرسول ﷺ، وليس هو المقصود في الآية، لأن الآية تعني الذين لا يتأذبون، أما هو فيرفع صوته لرفع راية الحق، فذهب فأغلق عليه بابه في البيت، فبكى حتى كادت أضلاعه أن تختلف، وقال: والذي لا إله إلا هو لا أخرج من بيتي حتى يتوب الله عليّ أو أموت في بيتي. فسأل الرسول ﷺ سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: «أُنزِلَتْ هذه الآية، ولقد علمت مني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وهذا هو فعل المؤمن، وخوف المؤمن، يتقي الله - عز وجل -، ويخاف ألا يقبل الله منه، ويعظم حُرُمات الله.

والشاهد من هذا الكلام أنه ينبغي لنا أيها المسلمون الأبرار أيها الأخيار أن نعظم حُرُمات الله تبارك وتعالى. حق على المسؤول فينا ألا يتصرف ولا يعمل إلا والله - عز وجل - حافظه ومُتَوَلِّيه وراعيه، وأن يراقب الله في السر والعلن، وحق على من يكتب مقالة نثرية أو شعرية في الصحف، أو في الكتب، أو في المصنفات، أن يتقي الله في نفسه، فإنه مسؤول أمام الله - عز وجل - يوم القيامة.

ولقد رأينا من أناس كتبوا فما خافوا الله، كتب أحدهم إلحاداً وزندقة لأنه نسي الله، فأنساه الله نفسه. يقول أحدهم يخاطب الأمة العربية، والأمة العربية

(١) أخرجه البخاري (٤٦/٦) كتاب التفسير (سورة الحجرات)، ومسلم (١١٠/١) كتاب الإيمان، رقم (١٨٧).

بلا إسلام أصفار، والأمة العربية بلا دين بادية مضمحلة وقطيع من الغنم، والأمة العربية بلا إله إلا الله محمد رسول الله، أمة مهزومة فاشلة، وها هي تلك الامة حينما دخلت في مواجهة اليهود بدون لا إله إلا الله محمد رسول الله ساقها اليهود، وساقوا كتابها من سيناء وفلسطين، وفي كثير من بقاع الأرض، ساقوها بطائراتهم فما أسقطتها الصيحات ولا الخطب، الأمة العربية إذا نُزِعَ الإيمان منها فقل عليها السلام، أتى هذا المجرم، لبناني يكتب في صحف لبنان ومن شعرائها الكبار، يقول للأمة العربية في حربها مع إسرائيل:

هَبُوا لِي دِينًا يَجْعَلُ الْعَرَبَ أُمَّةً      وسيروا بجثمانني على دين برهم  
ثم يقول:

بِأَدْنَى قَدَمِهَا عَلَى كُلِّ مَلَّةٍ      ومن أجلها فأفطر ومن أجلها ضم

يقول: أتخذ منهاجاً يجمع العرب ولو كان قومية أو بعثية أو حزبية غير الإسلام، ولو كان دين برهم الهندوسي المجرم اللعين، تعالى الله عما يقوله هذا المجرم المُلحد علواً كبيراً.

ويقول الثاني: وقد وقف أمام سلطان من سلاطين الدنيا شاعر يمدح السلطان ونسي عظمة الله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَنْعَمْتَ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مریم: الآيات ٩٣ - ٩٥]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢٠٣﴾﴾ [الفرقان: الآيات ٣]. يقول هذا السفیه الخرافي الذي نسي الله فأنساه نفسه، والإنسان الذي نسي الله يكتب بلا إيمان، ويتكلم بلا يقين، ويُناقض الناس وينسى الواحد الديان، يقول هذا السفیه لسلطان من السلاطين وكبير من الكبراء:

ما شئت لا ما شاءت، الأقدار      فاحكم فأنت الواحد القهار

سبحان الله، يقول هذا لفقير هزيل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن غيره، وينسى أن الذي خلقه ورزقه هو الله - عز وجل - .

سبحان الله... فابتلاه الله بمرض جعله طريح الفراش، بقي مريضاً ينجح من المرض كما ينجح الكلب؛ لأن الذي لا يعرف الله في الرخاء يُعرفه الله بنفسه في الشدة... فرعون ما عرف الله وهو على كرسي الحكم يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: الآية ٥١]. فقاده الله بتلابيب ثيابه حتى أنزله في الطين والوحل، وأجرى الأنهار والمياه من على رأسه، فعند ذلك عرف الله وندم، ولات ساعة مندم، قال: ﴿عَاسَتْ أَنْتُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي عَاسَمْتُمْ بِهِ، بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآية ٩٠]. الآن يا دجال... الآن يا لعين، وقد نسيت الله وعظمة الله وجلال الله.

هذا الشاعر ابتلاه الله بمرض فبكى وأبكى، وأخذ يتقلب على فراشه ويقول، يخاطب رب العزة - سبحانه وتعالى - معترفاً:

أبعين مفتقر إليك نظرتني فاهنتني وقذفتني من حالقي  
لست المَلوم أنا المَلوم لأنني علقت آمالي بغير الخالق

مَنْ يُعَلِّقُ آمَالَهُ بِغَيْرِ اللَّهِ يَقْطَعُ اللَّهُ حَبْلَهُ وَوَلَايَتَهُ عَنْهُ، وَيَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ وَالشَّيْطَانِ، وَقَدْ سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا مِنَ الَّذِينَ أَسَاءُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَوْ كَانُوا يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ سَكَنُوا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ تَكَلَّمُوا بِلُغَةِ الْإِسْلَامِ، أَتَوْا فَلَمَّا حَلَّتْ بِهِمُ الْأَزْمَاتُ، إِمَّا مَرَضُ عُضَالٍ، وَإِمَّا كَارِثَةٌ فِي أَطْفَالِهِ وَزَوْجَتِهِ، أَوْ فِي أَمْوَالِهِ وَتِجَارَتِهِ، نَدِمَ يَوْمَ أَنْ ضَيَّعَ دِينَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاسْتَهَانَ بِشَرِّهِ.

• فالشاهد يا عباد الله:

تعظيم حُرُمَاتِ اللَّهِ فِي الْمَجَالِسِ... فِجِ مَجَالِسِنَا، فِي اجْتِمَاعَاتِنَا، وَفِي مَكَاتِبِنَا وَفِي مَدَارِسِنَا. هُنَاكَ كَلِمَاتٌ تَهْوِي بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، يُطَلِّقُهَا قَائِلُهَا بِلَا اعْتِبَارٍ، يَسْتَهْزِئُ بِالْإِسْلَامِ، يَسْتَهْزِئُ بِالرَّسُولِ ﷺ، يَسْتَهْزِئُ بِالسُّنَّةِ الْخَالِدَةِ، يَسْتَهْزِئُ بِالذِّعَابَةِ وَالذِّعْوَةِ، وَمَا عَلِمَ أَنَّهُ بِذَلِكَ يَسْتَهْزِئُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦].

ولكنه الكفر، والنفاق: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: الآية ٤]. ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٨] يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: الآيات ٨ - ١٠]. وفي قلوبهم مرض، ما دخل النور قلوبهم ما دخل الإيمان قلوبهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [١٠] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآيتان ١٠، ١١]، لا تُفْسِدُوا فِي إِعْلَامِنَا وَصُحُفِنَا، لا تُفْسِدُوا فِي كُتُبِنَا وَمُصْتَفَاتِنَا، لا تُفْسِدُوا عَقُولَ أبنائنا وبناتنا، لا تُفْسِدُوا فِي عَقَائِدِنَا وتاريخنا، لا تُفْسِدُوا فِي دَوَائِرِنَا ومدارسنا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: الآية ١١]. نحن أهل التطور، وأهل التقدم، نحن نعارض الرجعية، وهم الرجعيون المتخلفون المتأخرون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: الآية ١٣]. الفقراء الضعفاء المهازيل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٣] وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: الآيتان ١٣، ١٤]. كذباً ونفاقاً إذا جلسوا مع العلماء والدعاة والأخيار والعباد والزهاد، لبسوا جلود الضأن من اللين، وقلوبهم قلوب الذئاب، ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَىٰ شِيَابِئِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤]، في مجالسهم: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٤]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥] أتدرون ما معنى الاستهزاء هنا؟ يروى في الآثار الصحيحة أن الله يأتي بهم يوم القيامة فيجعل لهم نوراً على الصراط، فيظنون أن هذا النور بإيمانهم، وأنه سوف يُنجيهم على الصراط، والجو على الصراط جو ظلمة، ونسأل الله أن يُنور لنا ولكم الصراط، من الناس من يأتي ونوره يلمع كالنجم، ومنهم من يأتي ونوره كالقمر، ومنهم من يأتي نوره كالشمس فيأتي الله بهؤلاء، فيوقد لهم نوراً، فيظنون أنهم ناجون فإذا أصبحوا على الصراط انطفأ نورهم فوقوا على وجوههم ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رِيحَتْ بِمَدَرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَبِينَ﴾ [١٦] مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ

يُتَوَرَّعُونَ فِي ظُلْمَتِهِمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ بِكُمْ عَمِّيٰ فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة: الآيات ١٥ - ١٨]. فالله الله في تعظيم حُرُمَاتِ الله، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: الآية ٣٠]، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَتَوَاتُرِ الْقُلُوبِ﴾ [الحج: الآية ٣٢]. أسماء الله، صفات الله، كتب الله، أنبياء الله، مساجد الله، أولياء الله، كل ما يمت للإسلام بصلة. . . عَظَّمَهُ لِيُعَظِّمَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. . . أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله . . . الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفَةً لِمَن أراد أن يذُكَّر أو أراد شكوراً . . . والصلاة والسلام على مَن بعثه ربّه هادياً ومُبَشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . . . بلُغ الرسالة . . . وأدى الأمانة . . . ونصح الأمة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

### • أيها المسلمون:

من الصور التي يُنبّه عليها لتعظيم حُرُمات الله - عزّ وجلّ - وشعائره صورة ولو أنها سهلة عند كثير من الناس. لكنها عظيمة . . . صورة امتهان أسماء الله - عزّ وجلّ - في الصُحف والجرائد والمجَلّات، فلقد رأينا من أناس كثيرين يقعون في امتيھانهم لهذه الصُحف والمجَلّات، وفيها آيات الله المُحَكِّمات . . . وأسماءه المُشْرِقات، توضع موائد وسُفراً لطعام، وتَمزَّق ويرمى بها على الأرصفة، وفي الشوارع، والسُكك، وفي المزابل، وهذا استهانة بأسماء الله وآياته - سبحانه وتعالى - وهذه الصُحف يُكْتَب فيها كثيرٌ من الآيات، هذه المجَلّات تحمل أسماء الواحد القهَّار، كثيرٌ منها مقالات إسلامية، فيها سورٌ وأجزاء من القرآن، تُؤخَذ عند كثير من الناس لقلّة عظمة الله في نفوسهم،

فَتُرَضَّعُ سُفْرًا لِلطَّعَامِ، فَيَضَعُونَ الطَّعَامَ عَلَيْهَا، وَعَلَيْهَا اسْمُ اللَّهِ، وَأَسْمَاؤُهُ الْعِظْمَى الْحُسْنَى، ثُمَّ تُرْمَى فِي الزَّبَالَاتِ مَعَ الْأَطْعَمَةِ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ... فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ.

أولهما: قلة مراقبة الواحد الأحد، وقلة تعظيم الله في القلوب، وعدم الحياء من الله - عز وجل -.

وثانيهما: عدم الأدب والمستوى الراقي الذي بلغه هذا المجتمع، الذي يُراد منه أن يكون قدوة للناس، ولذلك نسمع في مجالسنا أن مُدْنَا كَافِرَةً فِي أوروپَا وأمريكا، بلغت من التنظيف ومن ملاحظة أرفصفتها وأماكن تجمعات الناس، وساحاتها وبيككها، أمراً عجيباً، ونحن أهل الحضارة، ونحن أهل التقدم، ونحن أهل الرقي تُرْمَى صُحُفْنَا وَكُتُبْنَا وَجِرَائِدُنَا فِيهَا أَسْمَاءُ رَبَّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي الشَّوَارِعِ وَصِنَادِيقِ الْقِمَامَةِ!! فهذا يدل على التخلف في عالم الأدب، وعدم الرقي في عالم الحضارة والمعرفة والثقافة.

من الصور أيضاً: تساهل كثير من الناس في دخول بيوت الخلاء، أماكن قضاء الحاجة، بأسماء الله تبارك وتعالى، تكون في أوراق، أو في مستندات، قطع من المصحف، أو المصحف كله، أو شيء من أحاديث المصطفى ﷺ، وهذه استهانة!! وهي إما عن جهل، وإما عن قلة إيمان. جاهل لا يدري ما الحُكْمُ، فَالْفَطْنُ لَا يَدْخُلُ بِشَيْءٍ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ أَسْمَائِهِ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ، لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَسْمَاءَهُ يَنْبَغِي أَنْ تُصَانَ وَأَنْ تُعْظَمَ، الْقُرْآنُ يُوضَعُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَمَاكِنِ الطَّاهِرَةِ، فَادْعُوا نَفْسِي وَإِخْوَانِي إِلَى تَعْظِيمِ كَلَامِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمِرَاقِبَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرَهُ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: الآية ٣٢]. وقد بلغ السلف الصالح في ذلك مبلغاً عظيماً.

إبراهيم بن أدهم: أحد الزهاد كان في أول حياته مُسْرِفاً عَلَى نَفْسِهِ فِي الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، لَكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ، بَعْضُ النَّاسِ يُسِيئُ وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ

الله... يُذَيِّبُ ولكنه يحبُّ الله ورسوله - نزل إبراهيم بن أدهم إلى السوق وهو مُسْرِفٌ على نفسه فوجد ورقة قرطاس مُلقاة على الأرض وقد كُتِبَ فيها اسم الله - تبارك وتعالى - والناس يطؤونها بأقدامهم، وهم داخلون إلى السوق، وخارجون ما يعلمون، فأخذ القرطاس، فنظر فإذا اسم الله فيه فبكى، وقال: سبحان الله يُهان اسمك هنا؟ لا والله، فرفع هذه الورقة وذهب بها وطيبها ورفعها في بيته، فلما أمسى سمع هاتفاً - وهذا ثابت عنه - يقول: يا مَنْ طَيَّبَ اسم الله وعَظَّمَ اسم الله لِيُعَظَّمَنَّ اللهُ اسمك. فهدهاه الله إلى التوبة النصوح، فأصبح من زُهاد الإسلام ومن عُبَاد الإسلام الذين لَمَّا توفي اجتمعت مدينته في جنازته أُلُوفاً مؤلِّفة: الأمراء، وقادة الجيش، والفقراء، والمساكين، حتى وصلوا المقبرة وقد تقطعت أحذيتهم من كثرة الزحام، لأن مَنْ يُعَظِّمُ اللهُ يُعَظِّمَهُ اللهُ وَمَنْ يَحْتَقِرُ شَيْئاً مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ أَوْ صِفَاتِهِ يُحَقِّرْهُ اللهُ، ويذلُّه اللهُ ويفضحه اللهُ - سبحانه وتعالى -.

مما ينبغي أن ننبه عليه كذلك، قضية السلام والتحية في الإسلام، وهي من تقديس وتعظيم هذا الدين، ومن معالمه التي نبه عليها القرآن ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيْقَةٍ فَاَحْسِنُوا بِاَحْسَنِ مِنْهَا اَوْ رُدُّوْهَا﴾ [النساء: الآية ٨٦]، ﴿بِحَيْثُتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٤].

**وتحية الإسلام:** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فمن تعظيم الله ألا نستبدل في مجتمعاتنا تحية أخرى بتحية الإسلام، وقد سمعنا مَنْ إذا لَقِيَ الناس قال: صباح الخير وترك السلام، أو قال: كيف حالكم، حياكم الله، وهذه جائزة وواردة وطيبية؛ ولكن بعد تحية الإسلام، بعد شِعَار الإسلام، نجد من الناس مَنْ يرفع الهاتف فلا يُسَلِّم ولا يردُّ السلام، وهذه أتتنا من عالم الحَوَاجَات، من عالم الوَثَائِيَات، من عالم الدَعَاة والانحطاط، ولم تأتنا من مكة أو المدينة من إرث محمد ﷺ... تحيتنا السلام نسلِّم ونتقبَّل السلام ليبقى شِعَارنا شِعَار الإسلام.

الله في المحافظة على شعائر السلام دخولاً وخروجاً واستئذاناً،  
وزيارة، لنبقى مسلمين، وهذه قضايا تطول وتطول... ولعلّ الله أن يهيء من  
الأوقات ما يسمح لنا بالتعرّف على شعائر الإسلام التي ينبغي لنا أن نحافظ  
عليها، لنكون مُعَظِّمين لله الواحد الأحد، مُعَظِّمين للإسلام وعمق الإسلام،  
وثقافة الإسلام، ودين الإسلام.

#### • عباد الله:

وصلّوا وسلّموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾  
[الأحزاب: الآية ٥٦]. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، واعرَضْ عَلَيْهِ  
صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ، اللَّهُمَّ وَقُنَا فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَالسَّيْرِ  
عَلَى مَنَهِجِهِ، اللَّهُمَّ أَرْضْ عَلَى أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ  
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## ضوابط محبة الرسول ﷺ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

ذكريات مع الرسول وشوق      يستشيرُ الشجونُ منه الأجلأ  
كلما مرَّ ذكره في فؤادي      قال قلبُ المُحبِّ أهلاً وسهلاً

حُبِّهِ ﷺ عبادة، حُبِّهِ طاعة مفروضة، حُبِّهِ إيمان وتصديق، يتقرب العبد به إلى الواحد الأحد.

### • والناس في حُبِّهِ ﷺ أقسام ثلاثة:

قسم: أحبه ﷺ حُبًّا عظيمًا، حُبًّا شرعيًّا، حُبًّا مسنونًا على الكتاب والسنة.

وقسم: جَفَا عن حُبِّهِ، وأَعْرَضَ عنه، وعاداه، ونصب له الحرب الشعواء.

وقسم: غَلَا في حبه، حتى ضلَّ الطريق، وربما خرج بذلك من الملة.

أما الذين جفوا عنه ﷺ، فقوم أطفأ الله بصائرهم، وأعمى أفئدتهم، قوم جعلوه ﷺ حامل لواء الشر في العالم، والمسؤول الأول عن تخلف المسلمين!! ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية ٥].

يأتي أحدهم، وهو رجل معتوه، فيصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه رجعي، وأنه بدوي متخلف، أساء إلى العرب، فهو لا يعرف علم الاجتماع، ولا علم النفس، ولا علم التربية، ولا العمران.

يا أيها المتكلم، عليك لعنة الله، أرسلونا ﷺ، لا يعرف التربية، ولا يعرف النفس، وهو الذي خرج الناس ببعثته من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الحجر والشجر، إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة!؟.

أتطلبون من المختار معجزةً يكفيه شعبٌ من الأموات أحياء

أبوك وجدك يا معتوه، كانوا في مقابر الإلحاد، وفي زنانات الشيوعية، وفي مقابض البغي والعدوان، حتى أخرجهم محمدٌ، عليه الصلاة والسلام، من الذلِّ والمهانة، إلى العزة والكرامة.

لا تَفْجَبَنَّ لِحَمُودٍ راح ينكرها      تجاهلاً وهو عينُ الحاذقِ الفهمِ  
قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رمد      وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سقمِ

وهذا دجال آخر يقول في كتابه: إن لأئمتنا مقاماً، لا يصل إليه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيُّ مُرْسَلٌ!! الأئمة عند هؤلاء، أرفع قدرأً، وأكثر تأثيراً في العالم، من الأنبياء والرُّسُل عليهم الصلاة والسلام.

أيُّ أئمة هؤلاء، أئمة الطقوس، والتمايم، والشعوذة، والسحر، والرَّشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، إنها الخيانة المطلقة، والانسلاخ الواضح، والضلال الميِّين؟!!!

وهذا شاعر الجنس والغرام والضَّياع، عابدِ المرأة والكأس والأغنية، لا رفع الله شامته، ولا قبل حجته، تهكَّم بالشرعية، واستهزأ بالدين، وسَخَرَ من الرسالة الخالدة، بينما أتى هذا المجرم، إلى أحد الأصنام والطواغيت فقال له:

ملأنا لك الأقداح يا مَنْ بحبِّه سكرنا كما الصوفي بالله يسكُرُ  
فأنت أبو الثوراتِ أنت وقودها وأنت لنا المهديُّ أنت المحرَّرُ

يقول هذا في رجل ضيَّع العرب والمسلمين، وتوالت علينا الهزائم والنكبات في عهده كالمطر.

ومن هؤلاء - ويا للأسف - أذئاب ونابته، يوجدون في بلادنا، ويشربون ماءنا، ويستنشقون هواءنا، هم أهل الحداثة، ناصبوا محمداً، عليه الصلاة والسلام العدا، واستهزؤوا بالقرآن، وسَخَرُوا بالسُّنَّة، وحاربوا شباب الصَّحوة المباركة، ووصفوهم بالتطرّف، والتخلّف، والرجعية، وأهل القرون الوسطى!!.

ونقول لهؤلاء، مرة، وثانية، وثالثة، ومائة، أشباب الصَّحوة هم أهل التطرّف، أم أنتم يا دُعاة الحداثة؟ يا مَنْ رُوِّجتم للفاحشة والزُّنا.

أنتم الذين صدّروا المخدرات إلى بلادنا.

أنتم الذين جلبوا كتب إستالين، وماركس، ولينين.

أنتم الذين أركب إسرائيل على ظهورنا.

أنتم مخبرات الصهيونية العالمية، والشيوعية، والإلحاد، فلا تتكلموا، ولا تنطقوا بعد هذا أبداً.

شباب الصّحوة، هم أهل القرآن والسُّنة، شباب الصّحوة هم أهل المساجد، هم أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه.

عُبَادُ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ      كَمْ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخَدِّ أَجْرَاهُ  
وَأَسَدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الجِهَادَ بِهِمْ      هَبُوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ  
يَا رَبُّ فابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَقْرَأُ      يَشِيدُونَ لَنَا مَجْدًا أضعناه

أما الفريق الثاني، ففريق غَلا في حب الرسول ﷺ، حتى أخرجته هذا الغلو، من دائرة عباد الله الموحّدين، إلى دائرة الشُّرك، والبدعة، والضلال المبين.

فالرسول ﷺ عبد الله، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، لا يشفي مريضاً، ولا يُعافي مُبتلى، ولا يرزق أحداً، وإنما هو عبد الله ورسوله.

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ      وأنه خيرُ خلقِ الله كلهم

جاءه ﷺ وفد من بني عامر بن صعصعة، فقالوا: أنت سيدنا، فقال لهم النبي ﷺ: «السيدُ الله تبارك وتعالى»، فقالوا: أنت أفضلنا فضلاً، وأعظمتنا طُولا، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يتَجَرَّبَنَّكُمْ الشيطان» (١).

جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقى لنا، فإننا نتشفع بك على الله، ونتشفع بالله عليك.

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤/٤) رقم: (٤٨٠٦).

فقال رسول الله ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول؟» وسيح رسول الله ﷺ فما زال يُسَبِّح، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك!! إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خلقه، شأنُ الله أعظم من ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويحذّر النبي ﷺ من الغلوّ فيه فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ في سَكَرات الموت: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد»<sup>(٣)</sup>.  
هذا كلامه ﷺ، وهذا تحذيره من إطرائه، والغلوّ فيه.

أما القبوريون، والمُشَعْوِذُونَ من عُلاة التصوّف، فما سمعوا كلامه، وما التزموا أوامره، حتى سلكوا في حبه طرقاتاً بدعية، لا توصل إلا إلى غضب الله وسخطه.

يقول البرعي، شاعر اليمن: ! صوفي، قبوري، غال، أتى إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة، فوقف عند القبر يبكي، ويطلب المغفرة من الرسول عليه الصلاة والسلام!! ويقول:

يا رسول الله يا مَنْ ذكره في نهارِ الحشر رَمَزاً ومقاماً  
فأقِلني عَشْرَتي يا سيدي في اكتسابِ الذَّنْبِ في خمسين عاماً

سبحان الله! مَنْ الذي يقيل العَثْرَاتِ إلا الله؟ وَمَنْ الذي يغفر الزَّلَّاتِ إلا الله؟ وَمَنْ الذي يُشافي ويُعافي إلا الله؟

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٢/٤) رقم (٤٧٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢/٤).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٢/١) رقم (٨٥) عن عطاء بن يسار مرسلأ، وأخرجه أحمد (٢٤٦/٢) عن أبي هريرة. قال الألباني في المشكاة (٢٣٤/١): وقد صحَّ موصولاً من حديث أبي هريرة. انظر: «تحذير الساجد» ص (١٧، ١٨).

﴿وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: الآية ٣].

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: الآيتان ٦٥ - ٦٦].

إن هؤلاء الغلاة، من المتصوفة القبوريين، جعلوا محبته ﷺ، نشيداً، ورقصاً، وطرباً، وتمايلاً، وشعوذة، ومراسيم ما أنزل الله بها من سلطان.

أذهب إلى المدينة، وانظر ماذا يفعلون في مسجد الرسول ﷺ، يحمل أحدهم مسبحة، لا يستطيع الحمار حملها!!، لا يعرف من الإسلام شيئاً يأتي إلى القبر، ويأخذ بالعدّ في مسبحة ويبيكي، ويتمتع بالجدران، ويُقبّل الحديد، جهل السنّة، وظنّ أن النبي ﷺ يغفر الذنوب، ويشفي المرضى، ويرفع الحاجات، ويكشف الضّر! وهذا فعله، كفعل أبي جهل تماماً.

النبي ﷺ، ميتٌ في قبره، وقد حزم الله على الأرض أن تأكل جسمه، لكنه لم يكن يملك لنفسه شيئاً في حياته، فكيف يملك لغيره بعد وفاته؟!.

يأتي البوصيري ويقول:

يا أكرم الرُّسُلِ ما لي من ألوذ به	سواك عند حدوثِ الحادِثِ المَمَمِ
إن لم تكن في قيامي أخذاً بيدي	فضلاً وإلا فقل يا زلّة القدم
ولن يضيقَ - رسول الله - جَاهُكَ بي	إذا الكريمُ تحلّى باسم مُنْتَقِمِ
فإن من جودك الدنيا وضرتّها	ومن علومك علمُ اللوحِ والقلمِ

فماذا أبقى البوصيري لله عزّ وجلّ؟ جلّ الله، وتعالى عما يقول المُبطلون علواً كبيراً ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية ٥].

لقد صرف هؤلاء الغلاة، الناس عن اتّباع السنّة، بمثل هذا الكلام، الذي هو شركٌ صُراح، فتجد أحدهم عند القبر، حليقاً، مبلّلاً، يلبس الذهب، يلبس

الحرير، مُعَنَّ، مُطْبَل، مزْمَر، دينه التَمَحَّ بالقبور، يتَبَرَّك بقبر البدوي تارة، وبقبر السيدة زينب تارة، وبقبر عبد القادر الجيلاني تارة، لا يعرف قرآنًا، ولا سُنَّة، ومع ذلك يزعم أحدهم أنه أعظم وليُّ الله تعالى، وأنه أشدَّ الناس حُبًّا للنبي ﷺ!.

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: الآية ٧٢].

أما الفريق الثالث، فهم أهل السُنَّة، قوم أنارَ الله بصائرهم، وفتح للحق قلوبهم، نسال الله أن يرفع قدرهم، وأن يُعلي منزلتهم، وأن يُكثِر سوادهم.

أحبَّوه عليه الصلاة والسلام وقالوا: عبد الله ورسوله، يُبَلِّغ عن الله، وهو أفضل الخلق، لكنه لا يكشف الضرَّ، ولا يشفي المريض، ولا يُجيب السائل؛ لأنه لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

أحبَّوه عليه الصلاة والسلام؛ لأن حبه كحلٌّ للعينين، وبَلَسَم للأرواح، وتشنيف للأذان، وتضويح للمجالس، وطيب للأثوف، . يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن أهل السُنَّة، يحبُّونه ﷺ حُبًّا جَمًّا، حُبًّا شرعيًّا، حُبًّا حقيقيًّا.

الإمام مالك ما ركب دابةً في المدينة احتراماً لثرى دُفِنَ فيه محمدٌ ﷺ.

يا مَنْ تَضَوَّعَ طِيبِ القَاعِ أَعْظَمُهُ      فُطَابَ مِنْ طِيبِ ذَاكَ القَاعِ وَالْأَكْمُ  
نَفْسِي الفِداء لِقَبْرِ أَنْتِ ساكنُهُ      فِيهِ العِفافُ وَفِيهِ الجِودُ وَالْكَرْمُ

يقرأ الإمام مالك كتابه «الموطأ» في أحاديث الرسول ﷺ، فتلدغه العقرب ثلاث عشرة مرة، فلا يقطع الحديث، فيقول له الناس: يا إمام، رأينا وجهك

(١) أخرجه البخاري (٩/١)، ومسلم (٦٧/١)، رقم (٤٤).

تغير مرآت كثيرة وأنت في المجلس، فقال: لدغتنى عقرب وأنا أقرأ الحديث، قالوا: فلم لم تقطع الحديث؟ قال: استحييت أن أقطع حديث رسول الله ﷺ من أجل نفسي!!.

يُسأل سعيد بن المسيب - رحمه الله - عن حديث، وهو في سكرات الموت، فيقول: أجلسوني. قالوا: أنت مريض. قال: أجلسوني، كيف أسأل عن كلام الحبيب ﷺ وأنا مضطجع!.

يحدث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنتكم إليها»، فقال بلال ابنه: والله لَمَنَعَهُنَّ! قال سالم: فأقبل عليه عبد الله، فسبّه سباً سيئاً، ما سمعته سبّه مثله قط. وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لَمَنَعَهُنَّ! وفي رواية: فضرب عبد الله في صدره، وقال: أهدتك عن رسول الله ﷺ، وتقول: لا (١).

هذا هو حبّ الرسول ﷺ، حبّه عليه الصلاة والسلام طاعته، حبّه عليه الصلاة والسلام أتباعه، حبّه عليه الصلاة والسلام تعظيم سنّته، وتحكيم شريعته. أما الذين لا يُقيمون للسنة وزناً، ولا للشريعة كياناً، فليس لهم من حبّه ﷺ نصيب.

كيف لا يحبّ أهل السنة محمداً عليه الصلاة والسلام، وقد أحبّه الجَمَاد، وبكى لفراقه، وشكى إليه الحيوان ما يجده من الظلم، وأهل السنة يروون ذلك.

كان ﷺ يقوم يوم الجمعة يخطب إلى جذع شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شتم»

(١) أخرجه مسلم (١/٣٢٧، ٣٢٨) رقم (٤٤٢).

فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة، صعد على المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ، فضمه إليه، تثنّ أنين الصبي الذي يُكُنُّ. قال: «كانت تبكي علي ما كانت تسمع من الذّكر عندها»<sup>(١)</sup>.

سمع ذلك أكثر من ألف من الصحابة، فكيف لا يحبّ أهل السنّة محمداً ﷺ؟! .

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمْرَةً<sup>(٢)</sup> معها فَرَحَانٍ، فأخذنا فرحَيْها، فجاءت الحُمْرَةُ فجعلت تفرّش<sup>(٣)</sup> فجاء النبي ﷺ فقال: «مَنْ فجّع هذه بولدها؟ رُدّوا ولدها إليها»<sup>(٤)</sup>.

جاءت إليك حمامةً مشتاقَةً تشكو إليك بقلبٍ صبٍّ واجفٍ  
مَنْ أخْبَرَ الورقاءَ أن مقامكم حرمٌ وأنك منزلٌ للخائفِ

يدخل النبي ﷺ مزرعة لأحد الأنصار، فإذا جَمَلٌ، فلما رأى النبي ﷺ، حنَّ وذرفت عيناه، فاتاه النبي ﷺ، فمسح ذفراه<sup>(٥)</sup> فسكت، فقال: «مَنْ ربُّ هذا الجمل، لِمَنْ هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها، فإنه شكى إلي أنك تُجيّعه، وتذئبه»<sup>(٦)</sup>.

هذا هو حبّه ﷺ، الذي شمل الإنسان والحيوان والجماد، فكيف لا يحبّه أهل السنّة، هذا من أسخف الزّعم وأبّين الكذب.

(١) أخرجه البخاري (١٧٣/٤).

(٢) حمرة: بضم الحاء وفتح الميم المشددة - طائر صغير كالمصفور.

(٣) تفرّش: أي ترفرف بجناحيها شاكية.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥/٣) رقم: (٢٦٧٥)، وأخرجه أيضاً (٣٦٧/٤) رقم (٥٢٦٨).

(٥) ذفراه: مثني ذفري، وهو العظم الشاخص خلف الأذن.

(٦) تدئبه: تتعبه. والحديث أخرجه أبو داود (٢٣/٣) رقم (٢٥٤٩).

هذا ولحبه عليه الصلاة والسلام علامات، وصفات، ومؤهلات، نعرض لها في الخطبة الثانية إن شاء الله.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العزيز الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين،  
وعلى آله وصحبه والتابعين.

• عباد الله :

إن من ادعى شيئاً، طُولِبَ بالبينة، فإذا لم يأت بها فهو كاذب.

والدعاوي ما لم يُقيموا عليها بينات أصحابها أدياء

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مَدِّيقِينَ﴾ [البقرة: الآية ١١١].  
وقد ادعى نفر من الناس، وفتام من البشر، محبة الرسول ﷺ، فطُويلوا بالبينة،  
فلم تكن لهم بينة، ولو أعطى الناس بدعواهم، لادعى الخليُّ حُرقة الشجي،  
ولذهب قوم بأموال قوم وبدمائهم. لكن جعل الله البينة على المُدعي واليمين  
على من أنكر. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨].

وقوم من أهل السُّنة، تابعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، ووافوا معه،  
وحكّموا شريعته، وقدموا سُنَّته، ولا يُطلَب من الإنسان أن يكون نسخة مكررة  
من النبي ﷺ، لأن ذلك مُحال، ولأن النقص من طبيعة البشر، وإذا بلغ الماء  
قلتين لم يحمل الخبث<sup>(١)</sup>.

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود (١٧/١) رقم: (٦٣). والترمذي (٩٧/١) رقم: (٦٧)، =

أما هؤلاء الذين يدعون المحبة والقربة، ثم تنظر في أحوالهم، فتجدهم لا سلوك لهم، ولا عبادة، ولا استقامة، ولا خشوع، إنما هو القول باللسان فقط، ويشهد الله على ما في قلبه، أنه كذب، ودجل، وخرافة!

إن نفراً من اليهود زعموا محبة الله عز وجل، إلا أنهم لا يتبعون النبي ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية ٣١]، فخرسوا، وما قامت لهم قائمة.

فمن علامات حبه ﷺ: اتباع سنته، واقتفاء طريقته، والسير على هديه، فمن لم يتبع سنته ﷺ، قولاً، وعملاً، وسلوكاً، وحالاً، وظاهراً، وباطناً، وسراً، وعلانية، فهو من أكبر الكذابين، وهو من أعظم الدجاجلة، إذا ادعى محبة الرسول عليه الصلاة والسلام، فمثل هذا لا تسمع له ولا تلتفت إليه، واعلم أنه خائن للشريعة، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يُزكّيه، وله عذاب أليم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

ومن علامات حبه ﷺ: الشوق إليه، والحنين إلى رؤياه، والمُسارعة إلى تنفيذ أوامره، ولو كلف ذلك فقد النفس والمال والولد.

ذكر ابن القيم وغيره من أهل العلم<sup>(١)</sup>، أن النبي ﷺ، أتى لينحر هذيه في حجة الوداع، فأخذ الجربة؛ لينحر التوق وكانت مائة، فأخذت تتسابق إليه

= والنسائي (٤٦/١) رقم (٥٢)، وغيرهم. وصححه محدثا الديار المصرية والشامية، أحمد شاکر، كما في «سنن الترمذي» (٩٨/١)، ومحمد ناصر الدين الألباني، كما في «إرواء الغليل» رقم: (٢٣).

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/٢٦١)، وانظر الرواية عند أبي داود (١٤٩/٢) رقم: (١٧٦٥). وجود إسنادها الأرنؤوط.

أيتها ينحر أولاً!! حُبُّ يَكْلُفُ النفسَ، ولكن لا ضَيْرَ ما دام المحبوب محمداً ﷺ.

وهذا الحب عرفه الصحابة رضوان الله عليهم، عرفه الصُّدِّيقُ، يوم هاجر مع النبي ﷺ، فأخذ يمشي أمامه تارة، وخلفه تارة، وعن يمينه تارة، وعن شماله تارة، حتى إذا كان هناك شيء أو خطر أصابه هو، ولم يُصَبِ النبي ﷺ بشيء!!.

وذكر ابن كثير في تفسيره، عن ابن جرير الطبري قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: «يا فلان، ما لي أراك محزوناً؟» فقال: يا نبيَّ الله، شيء فكَرْتُ فيه، فقال: «ما هو؟» قال: نحن نغدو عليك ونروح، ننظر إلى وجهك، ونُجالِسُك، وغداً تُرْفَعُ مع النبيين، فلا نصل إليك، فلم يردَّ عليه النبي ﷺ شيئاً، فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩]. فبعث النبي ﷺ إليه فبشره<sup>(١)</sup>.

يأخذ النبي ﷺ بيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيقول عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، قال عمر: فأنت الآن والله، أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر»<sup>(٢)</sup>، أي الآن استكملت الإيمان.

ومن علامات حبه ﷺ: عدم الاعتراض على شريعته، أو الاستهانة بشيء من سنته؛ كإماطة الأذى عن الطريق، أو تقصير الثياب، أو إعفاء اللحية، أو

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٤٩٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٠): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدی، وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري (٧/٢١٨).

الأكل باليمين، أو الشرب جالساً، أو دخول المسجد باليمنى، والخروج باليسرى، أو غير ذلك.

ومن استهزأ بشيء من سنته ﷺ، بعد أن علم أنها سنة عن النبي ﷺ فهو كافر، حلال الدم.

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَمَائِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهِبُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَمْنُوا فَمَا يَسْتَفْتُونَكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَلَلُونَ مِنْكُم لِيُحَذِّرَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التور: الآية ٦٣].

ومن علامات حبه ﷺ: كثرة الصلاة والسلام عليه، فالصلاة عليه نور، وإيمان، وبرهان لك عند الله يوم القيامة، فضوع بها مجلسك، وعطر بها لسانك، ونور بها قلبك.

نسبنا في وداؤك كلّ غالٍ	فأنت اليوم أعلى ما لدينا
نلأم على محبتكم ويكفي	لنا شرف نلأم وما علينا
ولمّا نلقكم لكنّ شوقاً	بذكّرنا فكيف إذا التقينا؟!
تلى الناس بالدنيا وأنا	لعمر الله بعدك ما صلينا

يأتي أبي بن كعب إلى النبي ﷺ، فيقول: يا رسول الله، إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي - يعني من دعائي - فقال: «ما شئت». قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٥٤٩/٤) رقم: (٢٤٥٧) وقال: حسن صحيح.

فأحسن الدعاء، ما مُزجَ بالصلاة والسلام عليه، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه، ما تعاقب الليل والنهار، وما سألت بوجه الأرض الأنهار، وما تهطلت من السماء الأمطار، وما فاحت في زياها الأزهار، وما ذكره الذّاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون.

• أيتها الناس :

صلّوا عليه، وأحيوا ذكره بالصلاة والسلام عليه، واتّباع سُنّته، ونشرها في الناس؛ تعليمًا، وتدريسًا، وفتيا، ودعوة، وتبليغًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر.

قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «نصّر الله امرئ سمع منا حديثاً فحفظه، حتى يبُلّغه، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه»<sup>(٢)</sup>.

فكتمان العلم، وعدم نشره في الناس، والبخل به، من شيم بني إسرائيل، وهم قوم غضب الله عليهم ولعنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللّٰعنون ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: الآية ١٥٩]. ﴿وَإِذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِنْنَا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٨٧].

هذه بعض علامات حبه عليه الصلاة والسلام، وإنما أفرزنا أهل السُنّة بحبه ﷺ، لأنهم الذين أحبّوه المحبّة الشرعية، أما العلاة والجفأة، فليسوا من

(١) أخرجه البخاري (١٤٥/٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢/٣) رقم: (٣٦٦٠)، والترمذي (٣٣/٥، ٣٤) رقم: (٢٦٥٧).

وقال: حسن صحيح، ورقم (٢٦٥٨). وصححه الألباني كما في «مشكاة المصابيح» (١/

أحبابه ﷺ، وليسوا من أتباعه عليه الصلاة والسلام، وإن زعموا ذلك بألسنتهم قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٣٠].

• عباد الله:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْضُ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاغْضُ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

\* \* \*

## الباحثون عن الحقيقة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرِّ  
أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له  
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأحزاب:  
الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهديِ هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ  
الأُمورِ مُحدثاتها، وكلُّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في  
النار.



فولاية الله عز وجل، لا تُنال بالنسب وإن اقترَب، وإنما تُنال بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان أكمل إيماناً وعملاً، فهو أعظم ولاية، سواء كان له نسب قريب، أو لم يكن.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه      فلا تترك التقوى اتكالا على النسب  
لقد رفع الإسلام سلمان فارس      وقد وضع الشرك النسب أبا لهب

أتى سلمان من أرض فارس، من وراء النهر، يلتمس الهداية، يطلب النور، يريد الحقيقة، وأبو جهل، وأبو لهب، وأبو طالب عند الركن اليماني، والحجر الأسود، يبغضون لا إله إلا الله، ويُعادون لا إله إلا الله، ويكيدون لـ: «لا إله إلا الله».

وانظر إلى قدر الله، وهداية الله، واصطفاء الله، كيف يقود الله سلمان من وراء جبال «سيحون وجيحون» ليكون من حُماة الإسلام؟! وكيف يطرد الله هؤلاء الشرذمة الحاقدة، وهم عند الحجر الأسود والركن اليماني، فيموتون على الكفر والضلال؟!.

كان سلمان يعبد النار من دون الله تبارك وتعالى، يتخذها إلهاً، ويتقرَّب إليها بإيقادها وإشعالها!.

وأصبح عابد النيرانِ قدماً      حُماة البيت والركن اليمانِ

يحكي سلمان قصته فيقول: كنت مع أبي، وكان أبي من سدنة النار للمجوس، يُوقدها لهم، ولا يتركها تخبو ساعة، فأمرني أبي ذات يوم أن أذهب إلى ضيعته فأطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورجبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، ثم قلت لهم: أين أضلُّ هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

وعُدت إلى أبي في المساء، فسألني أين كنت؟ فأخبرته الخبر، فحبسني، ووضع الحديد في رجلي - لأنه خاف أن ارتدَّ عن دين المجوسية، وهكذا حماسُ أهل الباطل، فأين حماس أهل الحق؟

وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِمَ عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم، قال: فأخبروني بقدمهم، فلما أرادوا العودة إلى بلادهم، ألقىت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قَدِمْتُ الشام، فلما قَدِمْتُها قلت: مَنْ أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجنَّته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، فأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئاً، كَنَزَهُ لنفسه، ولم يعطه المساكين!، حتى جمع سبع قِلال؛ من ذهب، وورق. قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات.

واجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء؛ يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، كَنَزَهَا لنفسه، ولم يُعْطِ المساكين منها شيئاً. فقالوا لي: وما عِلْمك بذلك؟ فأريتهم كنزَه، فاستخرجوا سبع قِلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاؤوا برجل آخر، فوضعوه مكانه. قال سلمان: فما رأيت رجلاً أفضل منه، فأحبته حباً شديداً، فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: إني قد كنت معك، وأحببتك حباً شديداً، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ فقال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به. قال: فلما مات وعُيِّب، لحقت بصاحب الموصل، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى،

فإلى مَنْ تُوصي بي، وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصبيين، وهو فلان فالحق به. فلما مات وغيَّب، لحقت بصاحب نصيين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فألى مَنْ توصي بي، وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا، أمرك أن تأتيه إلا رجل بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فائته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيَّب، لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت: بِمَ تأمرني، وإلى مَنْ توصي بي؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلمَ زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرّتين، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيَّب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث.

### • عباد الله:

إنها رحلة طويلة شاقّة، قضاها سلمان، وهو يبحث عن الحقيقة، يقطع المفاز، ويعبر القارّات، ليصل إلى الدين الحق، وقد عاش سلمان - كما قال أهل التاريخ - ثلاثمائة سنة، في المجوسية، والنصرانية، والإسلام، فهو شيخ مجرّب، ورجل مخضرم، استقرأ الحوادث والوقائع والأيام، وخرج بنتيجة واحدة، وهي أن الإسلام هو الدين الصحيح الذي رضي الله تعالى للناس.

ولم تنته رحلة سلمان بعد، ولكنه اقترب من الحقيقة، بعد أن هداه صاحبه الرابع إلى نبي سيخرج في أرض العرب، قد أظلمَ زمانه.

وتبدأ الرحلة من جديد للوصول إلى هذه الأرض البعيدة، يقول سلمان: ثم مرّ بي نفر من «كلب» تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه، وغنمتي هذه - وكان سلمان قد اكتسب في عمورية فحصل بعض الأموال من البقر والغنم - قال: فأعطيتهموها وحمّلوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى، قريباً من المدينة، ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً!! وانظر إلى عناية الله، كيف يقربه تبارك وتعالى من المدينة.

قال سليمان: فكنت عند هذا اليهودي، ورأيت النخل، فرجوتُ أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي.

فيينا أنا عنده، إذ قدّم ابن عمّ له، من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة!! فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، ولا أسمع له بذكر، مما أنا فيه من شغل الرّق، ثم هاجر إلى المدينة، وبيننا أنا في رأس نخلة لسيدي أعمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمّ له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة - وبني قيلة هم الأنصار - إنهم لمجتمعون الآن بقباء على رجل قدّم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني الرعدة، حتى ظننت أنني ساقط على يدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمّه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعتُ فيه بأمالي إلى الكذب  
حتى إذا لم يدغ لي صدقه كذباً شرقتُ بالدمع حتى كادَ يشرقُ بي

قال سلمان: وقد كان عندي شيء جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ - وهو بقباء - فدخلت عليه، فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة،

فرايتكم أحقّ به من غيركم، قال: فقزّيته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل. فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته وقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية، أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: قلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليه شملتان، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، عليّ أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رأني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنني أستبث في شيء وُصِفَ لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبتُّ عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحول»، فتحولت بين يديه، فقصصت عليه حديثي وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وشغل سلمان الرق، فلم يشهد مع رسول الله ﷺ غزوتي بدر وأحد، ثم أمره الرسول ﷺ بالمكاتبه، وأعاناه، وأمر الصحابة أن يعينوه حتى عتق. قال: فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حُرّاً، ثم لم يفتني معه مشهد<sup>(١)</sup>.

وصل سلمان الفارسي إلى الحقيقة، وسار في طريق الهداية، بعد رحلة مُضنية شاقة، لا تتحملها النفوس، ولا تصبر عليها الأبدان، فتوجّه رسول الله ﷺ بتاج «سلمان منا آل البيت»<sup>(٢)</sup>.

فهو من أهل البيت نسباً في التقوى، وهو من أهل البيت سلالة عريقة في النجابة، وفي الثُّبُل، وفي الجهاد، وهو من أهل البيت في العبادة، والطهارة، والتزاهة. ولذلك كان من أصدق الناس مع رسول الله ﷺ.

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨٩ - ٢٩١).

(٢) أخرجه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف. قال الألباني: ضعيف جداً، وقد صح موقوفاً عن عليّ رضي الله عنه انظر ضعيف الجامع رقم: (٣٢٧٢).

والذي يحرص على الهداية، ويلتمسها، ويبحث عنها، ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديه إلى سبيلها، يوفقه الله إليها، ويطلعها عليها، ويقربه منها وإن كان بعيداً.

والذي يُعرض عن الهداية، ولا يحرص عليها، ولا يسأل الله إياها، يطبع الله على قلبه، ويُنسيه ذكره، ويجعل الشيطان يستحوذ عليه ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: الآية ٥].

ويقول عز من قائل: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٣].

فيا مَنْ يريد الهداية، ابحث عنها، تلمسها، اسأل الله طريقها، وسوف تجدها، لأن الهداية لا تتعلق بنسب، ولا بمنصب، ولا بمال، ولا بجاه، ولكن إذا نظر الله إلى قلوب العباد، فرأى قلباً يستحق الهداية، قرب الله إليه هدايته، وأعطاه، واجتباها، واصطفاه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التكوير: الآية ٦٩].

ورجل آخر، ورائد ثانٍ من رواد الحقيقة، ومن الباحثين عن النور، إنه «الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه».

كان الطفيل يعيش في جبال «السراة» وكان سيداً مطاعاً شريفاً في

دوس.

قَدِمَ من «المرارة» من جبال «زهرا» إلى مكة للتجارة، فاجتمع به كفار قريش، وخافوا عليه من الإسلام، فحذروه من رسول الله ﷺ، ونهوه أن يجتمع به، أو يسمع كلامه، قالوا يا طفيل: أنت سيد في قومك، وعندنا رجل كاهن ساحر، إذا سمعت كلامه، فرّق بينك وبين زوجك وأولادك، وسحرك. قال: فوالله ما زالوا بي، حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى جعلت القطن في أذني، فرّقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة. قال: فقلت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً. فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفي عليّ الحَسَن من القبيح، فما يعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؛ فإن كان الذي يأتي به حَسَناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فدخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني حتى سددتْ أُذُنِي بكرسف<sup>(١)</sup>؛ لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وقرأ عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبيّ الله، إني امرؤ مُطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آية، تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: «اللَّهُمَّ اجعل له آية». قال: فذهبت إلى قومي، حتى إذا أقبلت عليهم، فإذا نورٌ قد وقع بين عيني مثل المصباح. فقلت: اللَّهُمَّ في غير وجهي، فإنني أخشى أن يظنوا بي مُثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول النور، فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يترأفون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق.

فلما وصلت إليهم، أتاني أبي - وكان شيخاً كبيراً - فقلت: يا أبي، أنت مني حرام، وأنا منك حرام، قال: ولمَ يا بني؟ قلت: لقد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ.

قال: أي بُني، فديني دينك، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قال: ثم أقبلت صاحبتني، فقلت لها مثل الذي قلت لأبي، فأسلمت. قال:

(١) الكرسف: هو القطن.

ثم خرجت على قومي فدعوتهم إلى الإسلام، فأبطثوا عليّ، وأعرضوا عني، فجئت إلى رسول الله ﷺ بمكة، فقلت: يا رسول الله، إني قد غلبني على دوس الزنا، فادعُ الله عليهم. قال: فرفع الرسول عليه الصلاة والسلام يديه، واستقبل القبلة، فقلت في نفسي: هَلَكْتُ دوس، هَلَكْتُ دوس، هَلَكْتُ دوس. فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دوساً، اللَّهُمَّ اهْدِ دوساً، اللَّهُمَّ اهْدِ دوساً»، ثم قال: «ارجع إلى قومك فادعهم، وارفق بهم»<sup>(١)</sup>. نعم! إنه الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، إنه الرؤوف الرحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

قال الطفيل: فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام، حتى أسلموا كلهم عن بكرة أبيهم، وشهدوا شهادة الحق.

واستأذن الطفيل رسول الله ﷺ أن يحرق ذا الكفين - وهو صنم لعمر بن حممة - فأذن له، فخرج إليه الطفيل، فجعل يُوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكَفَيْنِ لستُ من عبادكا      ميلادنا أقدمُ من ميلادكا  
إني حَشَوْتُ النارَ في فؤادكا

ويستمر الطفيل بن عمرو على وفائه وإسلامه وجهاده، بعد أن ارتد كثير من العرب، وخرج مع المسلمين لمطاردة المرتدين، حتى فرغوا من طليحة، ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، لمطاردة الدجال الكذاب مُيَلَمَة، وكان معه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا، فاعبروها لي؛ رأيت أن رأسي حلق، وإنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة، فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيتهُ حُجِسَ عني! قالوا: خيراً. قال: أما أنا، والله فقد أولتها، قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي، فيُقطع. وأما الطائر الذي خرج

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

من فمي، فروحي. وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها، فالأرض تُحْفَرُ لي، فأغيب فيها. وأما طلب ابني إيتاي، ثم حبسه عني، فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني.

وابتدأت المعركة، وقتل الطفيل بن عمرو شهيداً في سبيل الله، ومن أجل لا إله إلا الله، وجرح ابنه جراحة شديدة، ولكنه لم يموت، ثم قتل عام اليرموك - زمن عمر - شهيداً - رحمه الله - (١) ﴿وَلَا تَحْتَبِئَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَسَتَّشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ١٦٩، ١٧٥].

#### • أيتها الناس:

مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، والدار الآخرة، وفقه الله إليه، ودلّه على طريقه، ويسر له سبيل الاستقامة.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ، واستغنى عنه تبارك وتعالى، حرمه الله الهداية، وختم على سمعه وقلبه، وجعله من الأشقياء ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: الآية ٣٥]. يوفق الله لهديته مَنْ يَشَاءُ، يمنح الله عطاءه لِمَنْ يَشَاءُ.

فيا أيتها الجيل المسلم ويا أيتها الأمة المباركة. ويا أيها المؤمنون الصادقون، هلموا إلى الهداية، سابِقوا إلى النور والاستقامة، سارعوا إلى مغفرة من ربكم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [التخريم: الآية ٦].

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/٩٧، ٩٨). قال ابن كثير: هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسله بلا إسناد. ثم ذكر ابن كثير لها شواهد عند الإمام أحمد.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

obeykandali.com

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحنة الله على الناس  
أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

إن الهداية إلى الطريق المستقيم، أعظم النعم التي امتن الله بها على العبد،  
لأن الله عز وجل، حجب هذه الهداية عن ملايين من البشر، فلم يوفقهم إليها،  
ولم يهدهم سبلها، ولم يقربهم من طرقها.

وللهداية أسباب وعلامات ودلائل، تحصل الهداية غالباً لمن تعرّض  
لأسبابها، ولمن تلبس بدلائلها وعلاماتها.

ومن أعظم أسباب الهداية: الاعتناء بكتاب الله عز وجل؛ تلاوة، وسماعاً،  
وتدبراً، وعملاً بأحكامه وأدابه، فإن الله ذمّ قوماً فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ أَمْرٌ  
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد: الآية ٢٤]. فهذا القرآن من أعظم أسباب الهداية  
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٩]. وهذا القرآن من أعظم  
أسباب الشفاء والرحمة ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:  
الآية ٨٢]. فمن لم يهتد بالقرآن فلا هداه الله، ومن لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله.

ومن أسباب الهداية أيضاً: تعظيم سنة المصطفى ﷺ، والاهتداء بهديه،  
والاستنارة بنوره، والتخلّق بأخلاقه، وعدم التقدّم عليه؛ برأي، ولا مذهب، ولا

قول، ولا فكرة. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: الآية ١].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

ومن أسباب الهداية: كثرة ذكر الله، وكثرة الدعاء والابتهاال إلى الله الحي القيوم؛ أن يثبتك على الطريق المستقيم، وأن يُريك الحق حقاً ويرزقك اتباعه، وأن يُريك الباطل باطلاً ويرزقك اجتنابه، وأن يُصلح بينك وبناتك وأهل بيتك.

ومن أسباب الهداية أيضاً: التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل، بعد أداء الفرائض، لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذنه»<sup>(١)</sup>.

وأما موانع الهداية، أو الأسباب التي تحول بين العبد وبين الهداية، فهي كثيرة أيضاً، نذكر بعضاً منها:

**السبب الأول: الخبث:** خبث النفس، فإن بعض الناس، مُعرض عن الله، لا يريد الله، ولا الدار الآخرة، لا يذكر الله، ولا يقرأ كتاب الله، ولا ينظر في حديث رسول الله ﷺ، فإذا ذُكرَ الله في مجلس، أو ذُكرَ الرسول عليه الصلاة والسلام، اشماز قلبه، واحمرَّ وجهه، وساء حاله، فنعوذ بالله من هذا الخبث ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: الآية ٤٥]. وقد يقول قائل من هؤلاء الأغبياء؟ إنني لا أكذب الرسول ﷺ، ولكنني لا أتبعه، فلا أكذبه ولا أصدقه. فنقول: كذبت يا عدو الله، فعدم اتباعتك

(١) أخرجه البخاري (١٩٠/٧).

لِلرَّسُولِ ﷺ تَكْذِيبَ بَرَسَالَتِهِ، وَطَعْنَ فِي نَبْوَتِهِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣].

فما صرف الله من صرف عن الهداية، وما أضلَّ الله مَنْ أضلَّ، إلا لأنهم لا يريدون إلا الضلال، ولا يريدون إلا الكفر والإعراض، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٣].

السبب الثاني: مرض الشبهة والشك والإلحاد: وهو الذي ابتلي به كثير من شبابنا، حتى صار يشك في القدرة، ويشك في الإيمان، ويشك في الرسول ﷺ، وقد حوربنا بهذا المرض الخطير في هذه الفترة، وهي حرب شعواء، أعظم وأشد من حرب الطائرات والصواريخ؛ إنها حرب الإلحاد، حرب الرأي العفن المتخلف، رأي ماركس ولينين وإستالين، الذين اجتاحتهم المعمورة بهذا التخلف والعفن، واجتاحوا به أيضاً كثيراً من البلاد الإسلامية، فنشروا الشكوك، وأبرزوا الشبهات، واستخدموا كل وسيلة للدعوة إلى باطلهم وكفرهم، حتى ألحد كثير من الناس وتركوا دينهم، وانصرفوا عن المجد وتلاوة القرآن إلى جهنم وساءت مصيراً.

ولكن الله عز وجل يقول: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكْتُمُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَخْتَبِرُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: الآية ١٧]. فانتقم الله عز وجل منهم، وأزال دولتهم، ومحاهها من الوجود، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقٍ﴾ [الحاقة: الآية ٨].

والمسبب الثالث: مرض الشهوة: وهو التهالك، والتزاحم، والتقاتل، على الحطام.

فكثير من الناس، لا يعرف شيئاً في حياته، إلا أنه يجمع المال، ولا نقول إن جمع المال حرام؛ بل هو مطلوب، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم من أغنى الأغنياء، ولكن الحرام أن يعبد الإنسان المال من دون الله، أو أن يشغله عن طاعة الله، أو ينفقه في معصية الله، ولا يؤدي حق الله فيه.

وكثير من الناس ابتلوا بالفُحش؛ كالزُّنا، وشرب الخمر، وتعاطي السموم المخدرة، ذهبت عقولهم، فأعرضوا عن الله تبارك وتعالى، فتركوا الطاعات، وهجروا المساجد، وقاطعوا كتاب الله، وامتلات بهم المجون، فما نفعت معهم موعظة، ولا أثرت فيهم نصيحة.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يقربنا من أسباب الهداية، وأن يصرفنا، ويصرف شبابنا عن موانعها، حتى نكون كما أرادنا الله عز وجل ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠]. ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٣].

#### • عباد الله:

وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا مِثْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لَنَا وَسَلِّمُوا وَسَلَامُنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

## ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهّد الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

لما أرسل رسول الله ﷺ كتابه مشرقة ومغربة، تنشر لا إله إلا الله في أرجاء المعمورة، كان من ضمن من أرسله الرسول ﷺ الفارس الجعوار، والقائد

الخطير سيف الله المسلول، أبو سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه أرسله الرسول ﷺ إلى جبلي «أجا وسلمى»، حيث قبائل طيء فلما سمعت هذه القبائل بمقدم خالد بن الوليد، ارتعدت وقرت لا تلوي على شيء، ثم ذهبت إلى الشام ودخلت في النصرانية.

وكان ممن فر إلى هناك «عدي بن حاتم الطائي»، ابن كريم العرب، فر تاركاً أخته «صفانة» في بيته، فنزل خالد بن الوليد، وتمركز بجيشه هناك، ولم يجد أي مقاومة، فساق الغنائم والأسرى والسبايا، وقفل راجعاً إلى مدينة الرسول ﷺ، عاصمة الإسلام.

وكان من بين الأسرى، صفانة بنت حاتم الطائي، الكريم المشهور، فأنزلهم خالد بن الوليد حول المسجد، وقامت صفانة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وقالت: اشفع لي إلى ابن عمك، فقال علي رضي الله عنه: إنا لا نشفع عنده، ولكن إذا خرج للصلاة، فسوف ينظر إليكم، فتشفعي عنده، واذكري أباك، فإن رسول الله ﷺ أكرم الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس.

فخرج الرسول ﷺ إلى المسجد لصلاة العصر، وفي طريقه إلى المسجد، عرض له الأسرى، فقامت صفانة وقالت: يا رسول الله، إن أبي كان يحمل الكل، ويكرم الضيف، ويعين على نوائب الدهر، أنا بنت حاتم الطائي كريم العرب، فاعف عني، عفا الله عنك.

فالتفت ﷺ إلى أصحابه، وقال: «خلوا عنها، فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق»، ثم قال: «يا هنتاه، لو كان أباك مات مسلماً، لترحمنا عليه». ثم أكرمها ﷺ، وأعادها صينةً كريمة إلى ديار أهلها.

وهناك لقيت أباها عدياً، فقالت: يا قطوع، يا عقوق، تركتني وفررت، جئتك من عند رسول الله ﷺ حقاً، من عند أبر الناس، وأرحم الناس<sup>(١)</sup>.

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/٢٩٨ - ٣٠١).

فتهياً عديٌّ رضي الله عنه فلبس لباسه، ورُكِبَ صليياً من ذهب على صدره، وقصد المدينة، فتسامع الناس بقدم ابن حاتم الطائي كريم العرب، فخرجوا في استقباله .

قال عديٌّ: فأتيت رسول الله ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عديٌّ، اطرح عنك هذا الوثن». وسمعته يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا آجْرَهُمْ وَرُؤُسَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١].

ثم قال رسول الله ﷺ: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا له شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليه شيئاً حرّموه»<sup>(١)</sup>.

فبيّن له النبي ﷺ أن طاعة أي مخلوق في تحليل ما حرّم الله، أو تحريم ما أحلّ الله، هي عبادة لذلك المخلوق، فليس هناك عظيم إلا الله، وليس هناك من يستحقّ العبادة سوى الله، فلا يُعبَد إلا الله، ولا يُتوكّل إلا على الله، ولا يُحلف إلا بالله. فمن توكّل على الله كفاه، ومن توكّل على غير الله خذله وأزداه، ومن عظّم الله حفظه الله، ومن امتنّه أسماء الله امتنّه الله، وحقّره، وأذله، وخذله.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهود، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمّى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها، يقدّم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٩/٥، ٢٦٠) رقم: (٣٠٩٥). وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب. وغطيف بن أعين، ليس بمعروف في الحديث. والحديث حسنه الألباني في «غاية المرام» ص (٢٠).

زَجَّجَ<sup>(١)</sup> موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَلَقَّيْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلْتَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِي بِكَ. وَسَأَلْتَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِي بِكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أُبْعَثُ بِهِ الَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يُخْرِجُ إِلَى بَلَدِهِ.

فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر، لعلّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدّم الذي كان أسلفه، فأتى بالآلف ديناراً، فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب، لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالآلف الدينار راشداً<sup>(٢)</sup>.

### • عِبَادِ اللَّهِ :

إن كثيراً من الناس بجهلهم، يعظّمون غير الله، فلا يصدّقون الحالف، ولا يأتّمون يمينه، حتى يحلف بالطلاق، أو بالحرام.

وهؤلاء جهلوا عظمة الله، ولم يقدره حقّ قدره، وفي الطبراني بسند صحيح عن سلمان الفارسي، داعية الإسلام إلى أهل فارس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولهم عذاب أليم: أشميط زانٍ، وعائلٌ متكبرٍ، ورجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»<sup>(٣)</sup>.

(١) زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

(٢) أخرجه البخاري (٣/٥٦، ٥٧).

(٣) صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٧٢) وقد أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب.

أما قوله ﷺ: «أَشْنِمِطُ زَانٍ» فهو الشيخ الكبير، الذي اشتعل رأسه شيباً، واحدودب ظهره، ومع ذلك يقع في الكبائر، ويزني وهو في هذه السن، بعد أن وعظه الله بالشيب، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوَّلَ نِعْمَتِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧].

قال: النذير والله الشيب. وكفى بالشيب نذيراً.

ومرّ عمر - رضي الله عنه - برجل، وهو يترنم بقصيدة، يقول فيها:

كفى المرء بالإسلام والشيب ناهياً

فدمعت عيناه وقال: إي والله:

كفى المرء بالإسلام والشيب ناهياً

وأثر عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، أن الشيب لما ظهر في لحيته، نظر إلى المرأة، فقال: يا رب، ما هذا الشيء الأبيض الذي في لحيتي؟ قال: يا إبراهيم، هذا وقار. قال إبراهيم: اللهم زدني وقاراً.

فمن وقره الله - عز وجل - بالشيب، ثم يقع في الفواحش، ويفعل فعل المراهقين الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يُزكّيه، وله عذاب أليم؛ لأنه شيخ قد دنا من حُفرته، فكان الأجدر به أن يحفر قبره، ويستعدّ للموت، كما قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «يا من بلغ الستين سنة، خذ لك كفنًا على أكتافك، واحفر قبرك، فإنك بلغت من الموت قاب قوسين أو أدنى».

وأما قوله ﷺ: «وعائل متكبر»، فقير مُعَدَم، ومع ذلك يتكبر على عباد الله، كما قيل: «حَسَفًا وَسَوْءَ كَيْلٍ»، ليس عنده ما يدعو إلى التكبر، أو يجذبه إلى الزهو والغرور والعجب، ثم هو ينفخ صدره، ويمشي في الأرض مرحاً. فهذا ممقوت، منبوذ، ليس له قيمة عند الله عز وجل، لأن الله - عز وجل - إذا أراد أن يصحح نية العبد جعله من المتواضعين، كما قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ

الرَّحْمَنِ الَّذِيكَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾  
[الفرقان: الآية ٦٣].

ويُروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، أتدري لماذا اصطفتك على الناس، واخترتك على بني إسرائيل؟ قال: لا يا ربّي، قال: نظرت في قلوب بني إسرائيل، فوجدت قلبك يحبني أكثر من كل قلب، ورأيتك ما جلست مع أحد، إلا شعرت في نفسك أنك أوضع منه وأقل منه.

ومصدق ذلك في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(١)</sup>. وذلك لأن العظمة لله عز وجل، فلا ينبغي لأحد أن ينازع الله في ذلك، ولذلك نهى النبي ﷺ، عن الحلف بغير الله عز وجل، لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به، وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(٢)</sup>.

وصح عنه ﷺ، كما عند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: «أجمعتني لله عدلاً، بل ما شاء الله وحده»<sup>(٣)</sup>.

وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إليّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»<sup>(٤)</sup>.

وصح عنه ﷺ، أن أعرابياً قال: يا رسول الله! جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستقي الله لنا، فإننا نستشفع بك

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠١/٤) رقم: (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٣/٤، ٩٤) رقم: (١٥٣٥). وقال: حديث حسن. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٢٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٤/١، ٢٨٣، ٣٤٧).

(٤) قال الهيثمي في المجمع (١٨٠/٤) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول؟» وسبّح رسول الله ﷺ، وما زال يُسَبِّحُ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك!! إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خَلْقِهِ، شأن الله أعظم من ذلك»<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن هناك واجبات تجاه الأيمان، ينبغي أن نلتزم بها:

**أولها:** ألا نحلف إلا إذا اضطررنا إلى اليمين. قال الشافعي - رحمه الله - كما ذكر عنه الذهبي -: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً في حياتي؛ توقيراً لله تبارك وتعالى، وتعظيماً له.

وقال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير: عَظَّمُوا اللَّهَ تَعَالَى: لا يقول أحدكم لمولاه: أخزاك الله، أو قبحك الله.

وذكر ابن تيمية رحمه الله، أن محمد بن جعفر الصادق، كان إذا قال الرجل: لا والله، احمرَّ وجهه إجلالاً لله تعالى.

**ثانياً:** ألا نحلف إذا اضطررنا إلا بالله تعالى، فالذي لا يستكفي بالله عزَّ وجلَّ، فلا كَفَّاهُ اللهُ. والذي لا تشفيه اليمين بالله تبارك وتعالى، بأسمائه وصفاته، فلا شفاه الله، لأنه قد عَظَّمَ غير الله تعالى، وجعل غيره نداً له سبحانه.

ويدخل في ذلك أيضاً الحلف بالطلاق أو بالحرام، فإن هذا أيضاً تعظيم لغير الله، لأن لفظ الطلاق في الإسلام إنما وُضِعَ لِمُفَارَقَةِ الزوجة، لا لليمين. ومع ذلك فإن بعض الناس لا يتجيبون، ولا يصدقون، إلا إذا حلف الرجل بالطلاق أو بالحرام، وهذا لجهلهم، وعدم فقههم، وعدم توقير الله - عزَّ وجلَّ - في قلوبهم. قال رسول الله ﷺ: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٢/٤) رقم: (٤٧٢٦).

عيسى: أَسْرَقْتَ؟ قال: كَلَّا والذي لا إله إلا هو!! فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني<sup>(١)</sup>، وذلك تعظيماً لله تبارك وتعالى، واحتراماً لليمين لأنه حلف بالله - عزَّ وجلَّ -.

فعلينا ألا نُكثِر من الحلف والأيمان وإن كنا صادقين، لأن كثرة الحلف قد تؤدي إلى امتيهان اسم الله تعالى وعدم توقيره، كما يفعل بعض الناس في مجالسهم ومُنْتَدِيَاتِهِمْ، فيحلفون بالله عشرات المرات دون أدنى سبب، إذا قام أحدهم يحلف، وإذا جلس يحلف، وإذا شرب يحلف، فهذا دليل على عدم تعظيم الله عزَّ وجلَّ.

ثانياً: هناك بعض الناس، خاصة من أهل التجارات والبيع والشراء، لا يصرفون سلعهم إلا بالأيمان الكاذبة، وقد قال النبي ﷺ، في هؤلاء: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المَنَّانُ؛ الذي لا يُعطي شيئاً إلا مَنَّهُ، والمُنْفَقُ سلعته بالحلف الفاجر، والمُسْبِلُ إزاره»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ أيضاً: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم». وذكر منهم ﷺ: «ورجلٌ بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله، لأخذها بكذا وكذا، فصدقه، وهو على غير ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلْفُ مَنْفَعَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَنْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ»<sup>(٤)</sup> فلا يبارك الله في مال الفاجر، ولا في سلعته، ولا في تجارته.

(١) أخرجه البخاري (١٤٢/٤). ومسلم (١٨٣٨/٤) رقم: (٢٣٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢/١) رقم: (١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤/٨). ومسلم واللفظ له (١٠٣/١) رقم: (١٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٢/٣) واللفظ له، ومسلم (١٢٢٨/٣) رقم: (١٦٠٦).

رابعاً: ينبغي على المسلم إذا حلف على يمين، ثم رأى غيرها خيراً منها، أن يكفر عن يمينه، ويفعل الذي هو خير، ففي الصحيحين، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة، وكُلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة، أعتتَ عليها. وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، واثت الذي هو خير»<sup>(١)</sup>.

فبعض الناس يحلف ألا يفعل الخير، يحلف ألا يزور أقاربه، ولا يصل أرحامه، ولا يبرّ أباه، ولا يتصدق، ثم يندم على ذلك، ولكن يمنعه يمينه من فعل الخير، فالواجب على هذا أن يفعل الخير من صلة الرحم، وبرّ الوالدين، والصدقة، وأن يكفر عن يمينه، وأن يتقي الله عزّ وجلّ، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٤].

فاتقوا الله - عباد الله - واحفظوا أيمانكم، وراقبوا ربكم تبارك وتعالى.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/٨)، ومسلم (١٢٧٣/٣) رقم: (١٦٥٢).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وأشرف الخلق أجمعين، نبينا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

• أما بعد... عباد الله:

إن بعض الناس ابتدعوا ألفاظاً وأيماناً ما أنزل الله بها من سلطان، تعظيماً  
لأنفسهم، كقول بعضهم: وحياتي، وشرفي، وكرامتي، ونجاحي. ولو كان عنده  
شرف وكرامة، ما عظم إلا الله، وما كرم إلا الله، وما حلف إلا بالله ﴿يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

ذكر الذهبي وابن كثير أن الحسن بن هانئ الشاعر، وقد على ملك من  
ملوك الدنيا فمدحه قائلاً:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فانت الواحد القهارُ

يخاطب بهذا الكلام بشراً، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا يملك موتاً  
ولا حياة ولا نشوراً.

فابتلاه الله - عز وجل - بمرض عضال، أسهره الليل، وحرمه الطعام  
والشراب، وتتابع عليه الأطباء والحُكماء، فما نفعه ذلك، لأن الله - عز وجل -  
أراد أن يُريه من هو الواحد القهار!!

فأخذ يتقلب على فراشه، يبكي ويقول:

أَبْعَيْنِ مَفْتَقِرَ إِلَيْكَ نَظَرْتِ لِي فَأَهْنَتْنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالِقِي؟  
لَسْتُ الْمَعْلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي عَلَّقْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

فَمَنْ عَلَّقَ آمَالَهُ بِغَيْرِ اللَّهِ خَذَلَهُ اللَّهُ، وَمَقْتَهُ اللَّهُ، وَأَذَلَهُ اللَّهُ. وَهَنَّاكَ بَعْضُ النَّاسِ غَلَوْا فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ، حَتَّى أَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الشُّرْكَ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَالتَّلَفُّظُ بِالْفَاظِ كُفْرِيَّةٌ، سَوْفَ يَحَاسِبُهُمُ اللَّهُ - عِزَّ وَجَلَّ - عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَقَوْلِ الْبَرَعِيِّ يَخَاطِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا:

يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مَنْ ذَكَرَهُ فِي نَهَارِ الْحَشْرِ رَمِزًا وَمَقَامًا  
فَأَقْلَنِي عَثْرَتِي يَا سَيِّدِي فِي اكْتِسَابِ الذَّنْبِ فِي خَمِينِ عَامَا

وَالرَّسُولُ ﷺ لَا يَرْضَى أَنْ يُخَاطَبَ بِهَذَا الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ بَشَرٌ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَكَيْفَ يَمْلِكُ لِغَيْرِهِ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ، وَإِقَالَةَ الْعَثْرَاتِ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الاعْرَافُ: الْآيَةُ ١٨٨].

وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يُونُسُ: الْآيَةُ ٤٩].

وَقَالَ ﷺ مُحَذِّرًا مِنَ الْغَلْوِ فِيهِ: «لَا تَطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>.

• عِبَادَ اللَّهِ:

بَيْنَ اللَّهِ - عِزَّ وَجَلَّ - كَفَّارَةُ الْيَمِينِ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُهُمْ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٦/٨). وَمُسْلِمٌ (١٢٧٣/٣) رَقْمًا: (١٦٥٢).

أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْفُهُمْ أَوْ نَحْرِيرٍ رَقَبَةً فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْبِنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴿٨٩﴾ [المائدة: الآية ٨٩].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: يطعمهم وجبتين: غداء وعشاء.

والجمهور على أنه يطعمهم وجبة واحدة، لكل مسكين نصف صاع من طعام، ليبريء ذمته، ويرفع الإثم عنه، فإن شاء أن يكسوهم، فهو بالخيار، فيكسو كل مسكين، ما تجوز الصلاة فيه، وله أن يعتق رقبة إن أراد.

فإن عجز عن هذه الثلاث، فعليه بصيام ثلاثة أيام، يصومها متتابعات، وله أن ينذرهما في أي وقت شاء، والتعجيل بها أفضل، وقد مدح الله - عز وجل - الذين يوفون بالنذر فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: الآية ٧].

فاتقوا الله عباد الله، وعظّموا الله في نفوسكم، واحفظوا أيمانكم، تقبل الله مني ومنكم صالح العمل، وجئني وإياكم المعصية والزلل.

وصلّوا وسلّموا - رحمكم الله - على من أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\* \* \*

## الأمير العباسي الفقير

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

يا عامراً لخرابِ الدار مجتهداً بالله هل لخرابِ الدار عمرانُ

ويا حريصاً على الأموال يجمعها      أبصر فإن سرور المال أحزان  
 من يتق الله يُحمد في عواقبه      ويكفبه شر من عزوا ومن هانوا  
 فالزم يدك بحبل الله متصماً      فإنه الركن إن خانتك أركان

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: الآيات ١٥، ١٦].

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ شَاكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُورًا وَمِنْ عَطَاؤِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاؤُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: الآيات ١٨ - ٢١].

### • أيها الناس:

ما الدنيا؟ ما ذهبها؟ ما فضتها؟ ما قصورها؟ ما مناصبها؟ كل هذا لا يساوي شيئاً.

لعب ولهو، تفاخر وتكاثر، زهو ورياء، إعجاب وغرور، أما الحقيقة الثابتة، أما القضية المهمة، فهو الإيمان والعمل الصالح.

خرج علي بن المأمون، ابن الخليفة العباسي المأمون، إلى شرفة من شرفات القصر ذات يوم، ينظر إلى سوق بغداد، ينظر من البرج العاجية، طعامة شهية، ومركبه وطية، وعيشه هنيئ، يلبس أفخر الثياب، ويأكل ما لذ وطاب، ما جاع يوماً في حياته، وما ظمئ أبداً، وما مست الشمس وجهته.

فأخذ ينظر من القصر إلى الناس في السوق، هذا يذهب، وهذا يأتي، هذا يبيع، وهذا يشتري.

ولفت نظر الأمير رجل من الناس، يعمل حمّالاً بالأجرة، وكان يظهر عليه الصّلاح والنّسك، جباله على كتفيه، والجِمل على ظهره، ينقل الحُمولة من دكان إلى دكان، ومن مكان إلى مكان.

فأخذ الأمير يتابع حركاته في السوق، فكان هذا الحّمّال إذا انتصف الضّحى، ترك السوق، وخرج إلى ضيفاف دجلة، فتوضّأ وصلى ركعتين، ورفع يديه إلى الحيّ القيوم.

سبحان مَنْ يعفو ونهفوا دائماً ولم يزل مهما هفا العبدُ عفا  
يُعطي الذي يُخطي ولا يمتنعهُ جلالُهُ عن الخطأ لذي الخطأ

سبحان مَنْ اتصل به الفقراء والمساكين، سبحان مَنْ التجأ إليه الضعفاء والمظلومون، سبحان مَنْ عرفه البطءاء، وحُجب عنه كثير من الأغنياء والوُجّهاء.

عرفه الذي في الخيمة، وعلى الرصيف بيده كسرة الخبز، ولم يعرفه الذي في القصر الشاهق، والمنصب العالي، والمنزلة الرفيعة.

أخذ الأمير ينظر إلى هذا الرجل، فكان إذا صلى الضّحى، عاد إلى عمله، فعمل حتى قبيل الظهر، ثم اشترى خبزة جافة بديزهم، فبأخذها إلى نهر دجلة، فيأتي إلى النهر، فيبلّ كسرة الخبز بالماء، ويأكلها، ثم يشرب من الماء، ويحمد الله عزّ وجلّ، ثم يتوضّأ لصلاة الظهر، فإذا صلى، جلس فدعا الله عزّ وجلّ، وابتهل وبكى، وناجى الحيّ القيوم، ثم ينام ساعة، وبعد النوم ينزل إلى السوق، يعمل ويجتهد، ثم يشتري خبزاً ويذهب إلى بيته.

وفي اليوم التالي يعود إلى نفس العمل، وهكذا في اليوم الثالث والرابع، إلى أيام كثيرة.

فتعجّب الأمير من ذلك الرجل، وأصرّ على أن يعرف قصته، فأرسل جندياً من جنوده إليه؛ ليستدعيه في القصر، فذهب الجندي، واستدعى الحّمّال، فقال

الْحَمَال: ما لي وملوك بني العباس، ليس بيني وبين الخلفاء صِلَة، ليست لي قضية، ولا مشكلة، ولا مهمة، إن أشكَلْ عليَّ شيء رفعتَه إلى الحيِّ القَيوم، إن جُعت أشبعني الله، وإن ظمئت سقاني الله، ما عندي دار، ولا عقار، ولا أرض، فقال الجندي: أمرُ الأمير، لا بد أن تحضر اليوم في قصر أمير المؤمنين. فظنَّ المسكين أن الأمير سوف يحاسبه أو يحاكمه، فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]!!.

وهذه الكلمة سلاح الفقراء والمساكين، سلاح المظلومين والمضطهدين، بها تتكسر رؤوس الطغاة، وتحطم عروش الجبابرة، وتُسحق قلاع الظالمين. قالها إبراهيم عليه السلام، لما أتوا به، ووضعوه في النار المُحرقة، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وقالها موسى عليه السلام، لما طارده فرعون وجنوده، والبحر أمامه، والموت وراءه، فأخرج سلاحه وقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فنجاه الله.

وقالها محمد ﷺ، في بدر، وأُحد، والأحزاب، وتبوك، والمسلمون في قلة، وضعف، وفقر، فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فنصره الله، وهداه الله.

ذهب خالد بن الوليد إلى اليرموك، فرأى جيوش الروم كالجبال، والمسلمون قلة قليلة، فقال أحد الصحابة لخالد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اليوم نلتجىء إلى جبال «أجا وسلمى» فدمعت عينا خالد، وقال: بل إلى الله المتجأ، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾... فانصر.

ورأى سعدُ فارس الكفر والعمالة والجهالة، فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فداس رؤوسهم بقدميه.

وقالها صلاح الدين فانصر المسلمون وداسوا أهل الصليب بأقدامهم.

وقالها المجاهدون الأفغان، لما أتت روسيا بقواتها، وطائراتها، ودباباتها، وصواريخها، فخرج المسلمون الأفغان بأسلحتهم البسيطة، متوضئين، متوكئين على الله .

قال لهم الناس : التجثوا إلى القوى العالمية، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣].

قالوا لهم: اذهبوا إلى العواصم الدولية، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

قالوا لهم: الحل في واشنطن ونيويورك، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٧٤].

نصرهم الله عز وجل، وخذّل عدوهم، وأزال دولة الشيوعية من على خارطة الوجود!! .

دخل الفقير على ابن المأمون الأمير، فسلم عليه .

قال الأمير: أما تعرفني؟

قال الحمّال: ما أتيتك، وما رأيتك حتى أعرفك!! .

قال الأمير: أنا ابن الخليفة .

قال الحمّال: يقولون ذلك!! .

قال الأمير: ماذا تعمل؟

قال الحمّال: أعمل مع عباد الله، في بلاد الله!! .

قال الأمير: قد رأيتك أياماً، ورأيت ما أنت فيه من مشقة وعناء، وإني

أريد أن أخفف عنك .

قال الحمّال: وكيف ذلك؟

قال الأمير: ائتِ بأهلك، واسكن معي بالقصر، أكلاً، شارباً، مُسْتَرِيحاً، لا هم، لا غم، لا حَزَن.

قال الحمّال: يا ابن الخليفة، لا همّ على من لم يذنب، ولا غمّ على من لم يَغص، ولا حَزَن على من لم يُسيء!! أما من أمسى في غضب الله، وأصبح في معصية الله، فهو في الغمّ والهمّ والحَزَن.

فقال له الأمير: وهل عندك أهل؟

قال الحمّال: أُمِّي عجوز، وأختي عمياء، آتِي بإفطارهما قبل الغروب، فهما تصومان كل يوم، فنفطر جميعاً ثم ننام بعد العشاء.

قال الأمير: فمتى تستيقظ؟

قال الحمّال: إذا نزل الحيّ القيوم إلى سماء الدنيا، في الثلث الأخير من الليل!!.

قال الأمير: وهل عليك من دَين؟

قال الحمّال: ذنوب سَلَفَت بيني وبين الحيّ القيوم.

قال الأمير: ألا تريد أن تسكن معي القصر؟

قال الحمّال: لا والله.

قال الأمير: ولم؟

قال الحمّال: أخاف أن يقسو قلبي، وأن يضيع ديني.

قال الأمير: أنفضّل أن تكون حَمَلاً جائعاً عارياً، ولا تكون معي في

القصر؟

قال الحمّال: إي والله!!.

ثم تركه الحَمَامَ وانصرف، فأخذ الأمير يتأمل، وينظر إليه وهو مَشْدُوهُ، فقد أعطاه درساً عملياً في الإيمان والتوكل على الله، أملى عليه دروساً في التوحيد والعبودية، ألقى عليه كلمات نَفَذَتْ إلى قلبه، فأخذ يتابعه بظرفه، حتى اختفى عنه.

وفي ذات ليلة، استفاق الأمير من غفلته، وأفاق من غيبوبته وصحاً من نومه، وعَلِمَ أنه كان في سُباتٍ عميق، ونوم طويل، وأن الوقت قد حان للتوبة والتشمير.

تنبهوا يا رُقُودُ	إلى متى الجُمُودُ
فهذه الدارُ تبلى	وما عليها يجيدُ
الخيرُ فيها قليلٌ	والشرُّ فيها عَتِيدُ
والعمرُ ينقصُ فيها	وسَيِّئاتٌ تزيدُ
فاتكثرِ الزَّادِ فيها	إن الطريقَ بعيدُ

فاستيقظ الأمير وسط الليل، وقال لخدمته: إني ذاهب إلى مكان بعيد، فإذا أتى بعد ثلاثة أيام، فأخبروا والذي أني ذهبت، فسوف ألتقي أنا وإياه يوم الغرض الأكبر.

إن كان قد عَزَّ في الدنيا اللقاء ففي مواقفِ الحَشْرِ نَلقاكم ويكفينا

خرج الأمير في ظلام الليل، خلع ثيابه الفاخرة، ولبس لباس الفقير، ذهب واختفى، ولم يعلم أحد أين ذهب.

يقول أهل التاريخ: ركب إلى واسط، وغير هيئته، وصار مسكيناً من المساكين، وعَمِلَ أجيراً مع تاجرٍ من تجارِ الآجر، يعمل في صنْعِ الطُّوب والطِّينِ والبناء.

أصبح ابن الخليفة صَوَّاماً، قَوَّاماً، ذاكراً لله تبارك وتعالى، له أُرُود في الصباح والمساء، يحفظ القرآن، يصوم في شدة الهَجِير، يقوم الليل، يتصل

بالحي القيوم، ليس عنده من المال إلا ما يكفيه يوماً واحداً. ذهب همه وغمه وكربه وحزنه، ذهب عنه العجب والكبر والخيلاء والغرور.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّئِدٌ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢].

ثم جاءت سكرة الموت بالحق، أته الوفاة على هذه الحال، فأخبر التاجر أنه ابن الخليفة المأمون، وأوصاه إذا مات، أن يُغسله، ويكفنه ويدفنه، ثم أعطاه خاتمه ليُسلمه إلى المأمون بعد وفاته.

ومات الأمير، فغسله الرجل، وكفنه، وصلى عليه، ودفنه، ثم ذهب بالخاتم إلى المأمون، فلما رأى المأمون الخاتم شهق وبكى حتى ارتفع صوته، ثم سأل التاجر عنه: وماذا كان يفعل؟ فأخبره التاجر أنه كان عابداً، ناسكاً، أواباً، ذاكراً لله تعالى، ثم أخبره بموته، فضج الخليفة والوزراء وارتفعت أصواتهم بالبكاء والتحجب، وأيقنوا أن الأمير قد عرف طريق السعادة، وطريق النجاة يوم القيامة.

لكنهم ما مشوا معه في الطريق، وما أنابوا إلى الله كما أناب ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥].

• أيها الناس... عباد الله:

هذه قصة من قصص التائبين ذكرها أهل التاريخ في كتبهم، وأثبتوها، وحفظوها، ونقلت إلينا، نعتبر بها، ولنتعظ بغيرنا.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: الآية ١١١]، فهل من مُتدبر، وهل من عاقل يعلم أن السعادة في التذلل لله، في السجود لله، في تلاوة كتاب الله، في ذكر الله، في الالتجاء إلى الله، فوالله

ليست السعادة في الدور، ولا في القصور، ولا في الأموال، ولا في الحدايق، وإنما السعادة الحقيقية في طاعة الله الواحد الأحد.

قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً<sup>(١)</sup>، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ!! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»<sup>(٢)</sup>.

فكم من نعيم للمساكين عند الله، وكم من سعادة للعارفين بالله، وكم من شقاوة لمن جعل الدنيا همه، وقدم المعاصي والشهوات على طاعة ربه، فسوف يبكي ويندم، ولات حين مندم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَزَقْنَاكُمْ مِمَّا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أي يغمس غمسة.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٦٢) رقم: (٢٨٠٧).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلّم تحليماً كثيراً.

• أما بعد :

فصوّر اللجوء إلى الله، وصوّر التمكن لله، وصوّر عبودية الله، كثيرة جداً، عاشها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فدعوة الأنبياء تعيش مع الفقراء، وتحبّ المساكين، فهي انتصار للضعفاء، وترسيخ لمبدأ المساواة، وهذا المبدأ أرساه الإسلام بلا مُنازع.

«جليب» أحد المساكين من الصحابة الكرام، ليست له أسرة معروفة، ليس عنده مال، ولا منصب، ولا شيء.

يذهب إلى الرسول ﷺ في ثيابه الممزقة، بطنه جائع، ووجهه شاحب، وأعضاؤه هزيلة، فقال له النبي ﷺ: «يا جليبيب ألا تتزوج؟» قال: يا رسول الله، غفر الله لك، ومن يزوجني؟ ثم يلقاه النبي ﷺ ثانية، فيقول له: «يا جليبيب ألا تتزوج؟» فيقول: يا رسول الله، ومن يزوجني، لا مال ولا جمال. لأن كثيراً من الناس، لا يُزوّج إلا على الدراهم والدنانير، لا يُزوّج الرجل إلا إذا رأى عنده ممتلكات، وشاحنات، وسيارات، وقصور، فيبيع ابنته من ذاك الرجل، كما تُباع الناقة، أو السيارة في سوق المُزاوذة، لا ينظر إلى دينه، ولا

إلى صلاته، ولا إلى صدقه، ولا إلى أمانته، لا ينظر إلا إلى ماله، وداره، وعقاره.

وقد يكون هذا الرجل فاجراً سيئاً، قد يكون لعيناً طريداً بعيداً، ولكن أنساه ذلك كله مال هذا الرجل، ومنصب هذا الرجل، وسيارة هذا الرجل، وقصر هذا الرجل، فيبيع ابنته، ويقطع رحمها، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة.

ويلقى النبي ﷺ، جليبياً مرة ثالثة، فيقول: «يا جليبيب ألا تنزوج؟» فيقول: يا رسول الله ومن يزوجني، لا مال ولا جمال، فيقول ﷺ له: «اذهب إلى ذاك البيت من الأنصار، وقل لهم: رسول الله ﷺ، يبلغكم السلام، ويقول زوجوني ابتكم». هذا مرسوم من كلام محمد عليه الصلاة والسلام، فذهب جليبيب، فطرق الباب، قال أهل البيت: من؟ قال: جليبيب، قالوا: ما لنا ولك يا جليبيب! فخرج صاحب البيت قال: ماذا تريد؟ قال: الرسول ﷺ يبلغكم السلام، فارتج البيت فرحاً، ثم قال: ويأمركم أن تزوجوني ابتكم.

فقال الرجل: أشاور أمتها، فشاورها فقالت: لا لعمر الله، لا نزوجه، فسمعت البنت العابدة الناصحة الصالحة، فقالت: أتردان على رسول الله ﷺ أمره، ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: شأنك بها، فزوجها جليبياً<sup>(١)</sup>.

فأنشأ النبي ﷺ بيتاً، أساسه على الإيمان والتقوى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ قَوَايِمٍ مِّنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْتَهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: الآية ١٠٩].

(١) أخرجه بمعناه الإمام أحمد (٤/٤٢٢، ٤٢٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٧٠، ٣٧١): رجاله رجال الصحيح.

أَفَمَنْ أَدْخَلَ ابْنَتَهُ بَيْتاً مُسْلِماً، تَالِيّاً لِكِتَابِ اللَّهِ، مُسْتَقِيماً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، مُعَظِّماً لِحُدُودِ اللَّهِ، خَيْرٌ أَمَّنْ أَدْخَلَ ابْنَتَهُ بَيْتاً فِيهِ التَّبَرُّجُ وَالْغِنَاءُ، فِيهِ الْفُحْشُ وَالضَّلَالُ وَاللَعْنَةُ؟!!

وعاشت هذه المرأة في سعادة حقيقية، ليست كالسعادة الوهمية التي يتمناها البعض، أو يحلم بها البعض.

وفي إحدى الغزوات، وقد أفاء الله على نبيه فيها، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم؛ فلاناً، وفلاناً، وفلاناً. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم؛ فلاناً، وفلاناً، وفلاناً. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكني أفقدُ جليبيياً فاطلبوه»، فطلب في القتلى، فوجده إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ، فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»، فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له، ووضع في قبره<sup>(١)</sup>. وفي المسند أن النبي ﷺ، دعا لزوجته، فقال: «اللهم صب عليها الخير صباً، ولا تجعل عيشها كذاً كذاً». قال ثابت: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها<sup>(٢)</sup>!!.

هذا هو جليبيب الصحابي الفقير، يقول له النبي ﷺ: «أنت مني وأنا منك!!».

نَسَبَ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضَّحَى نوراً ومن فلق الصباح عموداً

فهنيئاً لك يا جليبيب، وهنيئاً للمخلصين، وهنيئاً للصادقين، السائرين إلى الله - عز وجل - .

تردَى ثيابَ الموتِ حمراً فما أتى لها الليلُ إلا وهي من سُندسٍ خُضِرُ

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩١٨، ١٩١٩). رقم (٢٤٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٢٢، ٤٢٥) قال الهيثمي في المجمع (٩ج/٣٧١): رجاله رجال الصحيح.

هنيئاً لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِمَنْ بَاعَ نَفْسَهُ وَرُوحَهُ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَقُبْحاً لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ رُكْبِ النِّجَاةِ، وَحَسْرَةً عَلَى الضَّالِّينَ.  
فِيَا مَنْ أَخَذَ بِأَيْدِي الصَّالِحِينَ، خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَنُورِ قُلُوبَنَا بِطَاعَتِكَ،  
وَعَمِّرْ بِيُوتِنَا بِذِكْرِكَ، وَاغْرِسْ فِي قُلُوبِنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَتُؤْتِيَ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ  
بِإِذْنِكَ يَا وَاحِدَ يَا أَحَدَ.

#### • عِبَادَ اللَّهِ:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ  
حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.  
فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

## الذين يستحقون اللعنة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أما بعد أيها الناس:

سوف أتلو عليكم بعد قليل وثيقة شرعية وقائمة نبوية بأصناف الذين لعنهم الله على لسان رسوله ﷺ، وكل أمرٍ ورد فيه اللعن من الله تعالى أو

من الرسول ﷺ فهو من كبائر الذنوب وعظائم الآثام، فنعوذ بالله من مَقْتِه وغضبه.

واللَّعْنُ هو الطُّرْدُ والإبعاد من رحمة الله عزَّ وجلَّ، فالملعون بعيد عن رحمة الله، بعيد عن كرم الله، بعيد عن عفو الله نسأل الله السلامة والعافية. وهذه الأحاديث التي سوف أسرِّدها - إن شاء الله - هي من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة التي ثبتت عن النبي ﷺ بالسند المتصل إلا في بعض الألفاظ، وسوف أنبئه عليها إن شاء الله، وتجنَّبت الروايات الضعيفة التي لم يصحَّ إسنادها عن النبي ﷺ.

وسوف أعود بعد سرِّد هذه الأحاديث فأعقِّب بشرح موجز على بعض ألفاظها تميماً للفائدة، ليسهل فهمها، وتوضح معانيها وفوائدها.

يقول النبي ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقِها، وبائعها، ومُبتاعها، وعاصِرَها، ومُعْتَصِرَها، وحاملها، والمحمولة إليه»<sup>(١)</sup>، رواه أبو داود وأحمد عن ابن عمر.

وقال ﷺ: «لعن الله الراشي والمرثي»<sup>(٢)</sup>، أخرجه الترمذي وأحمد.

وقال ﷺ: «لعن الله آكل الرِّبَا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه: هم فيه سواء»<sup>(٣)</sup>، رواه مسلم.

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٦/٣) رقم (٣٦٧٤) وأحمد (٩٧/٢) من حديث ابن عمر، وصحَّحه الحاكم (١٤٥/٤) من حديث ابن عباس وصحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٠٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣/٣) رقم (١٣٣٧). وأبو داود (٣٠٠/٣) رقم (٣٥٨٠). وابن ماجه (٧٧٥/٢) رقم (٢٣١٣). والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١١٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٩/٣) رقم (١٥٩٧).

وقال ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»<sup>(١)</sup>، رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»<sup>(٢)</sup>، رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي.

وقال ﷺ: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبنة المرأة والمرأة تلبس لبنة الرجل»<sup>(٣)</sup>، رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «لعن الله الرجلة من النساء»<sup>(٤)</sup>، رواه أبو داود.

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له»<sup>(٥)</sup>، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وقال رسول الله ﷺ: «لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة»<sup>(٦)</sup>.

وقال ﷺ: «لعن الله الواثيمات والمتوشيمات، والتامصات والمتمصصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»<sup>(٧)</sup>، رواه البخاري ومسلم.

(١) أخرجه البخاري (١٥/٨) كتاب الحدود. ومسلم (١٣١٤/٣) رقم (١٦٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥/٧) كتاب اللباس. وأبو داود (٦٠/٤) رقم (٤٠٩٧) والترمذي (٥/٩٨) رقم (٢٧٨٤) وأحمد (٣٣٩/١).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٠/٤) رقم (٤٠٩٨)، وأحمد (٣٢٥/٢) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٠٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٦١/٤) رقم (٤٠٩٩) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٠٩٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٢٧/٢) رقم (٢٠٧٦). والترمذي (٤٢٨/٣) رقم (١١٢٠) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٦٢٢/١) رقم (١٩٣٥) والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١٠١).

(٦) أخرجه أبو داود (١٩٤/٣) رقم (٣١٢٨)، وأحمد (٦٥/٣) والحديث ضعفه الألباني كما في الإرواء رقم (٧٦٩) وضعيف الجامع رقم (٤٦٩٠).

(٧) أخرجه البخاري (٦١/٧، ٦٢) كتاب اللباس. ومسلم (١٦٧٨/٣) رقم (٢١٢٥).

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُتَوَصِّلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»<sup>(١)</sup>، رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ»<sup>(٢)</sup>، رواه الترمذي وابن ماجه. وفي لفظ له ﷺ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ التَّبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»<sup>(٣)</sup>، أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد، وفي الجملة الثانية ضعف ولها شواهد تحسن بها<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعِنَ وَالذَّيْهَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبِحَ لغيرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»<sup>(٥)</sup>، رواه مسلم والنسائي وأحمد.

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ مَثَلَ بِالْحَيَوَانَ»<sup>(٦)</sup>، رواه البخاري.

وقال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَامِشَةَ وَجَهَهَا وَالشَّاقَةَ جَبِيهَا، وَالذَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورَ»<sup>(٧)</sup>، رواه ابن ماجه وصححه ابن حبان.

(١) أخرجه البخاري (٦٢/٧) كتاب اللباس. ومسلم (١٦٧٧/٣) رقم (٢١٢٤).  
 (٢) أخرجه الترمذي (٣٧١/٣) رقم (١٠٥٦) وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه (١/٥٠٢) رقم (١٥٧٦). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١٠٩).  
 (٣) أخرجه الترمذي (١٣٦/٢) رقم (٣٢٠) وقال: حديث حسن، والنسائي (٩٥/٤) رقم (٢٠٤٣). وأبو داود (٢١٨/٣) رقم (٣٢٣٦).  
 (٤) حَسَّنَ هَذَا الْحَدِيثَ التَّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ أَيْضًا - لَشَوَاهِدِهِ - الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَخْرِيجِهِ لِلتَّرْمِذِيِّ (١٣٧/٢) أَمَا الْأَلْبَانِيُّ فَقَدْ قَالَ: وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ فِي جَمَلِيَّتِهِ الْأَوَّلِيِّينَ، وَأَمَا (السُّرُجِ) فَلَيْسَ لَهَا شَاهِدٌ الْبَتَّةَ فِيمَا عَلِمْتُ، وَلِذَا لَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِتَحْسِينِ الْحَدِيثِ بِتَمَامِهِ؛ بَلْ بِاسْتِثْنَاءِ (السُّرُجِ). انظر الإرواء (٢١٣/٣).  
 (٥) أخرجه مسلم (١٥٦٧/٣) رقم (١٩٧٨). والنسائي (٢٣٢/٧) رقم (٤٤٢٢) وأحمد (١/١٠٨، ١١٨).

(٦) أخرجه البخاري (٢٢٨/٦) كتاب الصيد والذبائح.  
 (٧) أخرجه ابن ماجه (٥٠٥/١) رقم (١٥٩٥)، وابن حبان رقم (٧١٥٦) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٥٢١): هذا إسناد صحيح وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (٢١٤٧) والأرنؤوط كما في الإحسان (٧/٤٢٨).

## • أيها المسلمون:

فلنعد إلى بعض الألفاظ التي وردت في هذه الأحاديث النبوية الشريفة، لنستجلي صفات هؤلاء الملعونين والملعنات، ولنعرف أسباب لعنهم، حتى لا نسلك سبيلهم، أو نسير في طريقهم، فمعرفة سبيل أهل الضلال هدف رئيس من أهداف القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسَيِّئَنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٥]. فلا يستطيع العبد أن يسلك سبيل الحق والخير، إلا إذا عرف الشرَّ وطُرقه ومسالكه، وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشرِّ مخافة أن يدركه<sup>(١)</sup>. فنسأل الله تعالى أن يدرأ عنا سبيل غضبه ومقته ولعنته.

أما قوله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها». فهذا وعيد شديد لكل من تعامل في الخمر، فهي من أكبر الكبائر، وهي أمّ الخبائث لعن الله - عز وجل - فيها عشرة؛ لعنها أولاً، ولعن عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقبها، ومُسقاها، وأكل ثمنها<sup>(٢)</sup>. ويدخل في ذلك أيضاً كل من تعامل في تجارة المخدرات فهو ملعون أيضاً؛ لأن المخدرات مثل الخمر في إذهاب العقل، وتدمير المجتمعات وضياع الأموال، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من الأضرار التي تُرتكب بسبب الخمر والمخدرات.

وأما قوله ﷺ: «لعن الله الراشي والمرثي».

فالراشي: هو الذي يرشي المسؤولين والموظفين ليحصل على حق ليس له، ويصرف عن الناس حقوقهم، فمن دفع رشوة لمؤول أو لموظف أو لعامل، ليتوصل بذلك إلى شيء ليس من حقه فهو ملعون.

(١) أخرجه البخاري (٩٣/٨) كتاب الفتن. ومسلم (١٤٧٥/٣) رقم (١٨٤٧).

(٢) ورد ذلك في حديث عن أحمد في المسند (٧١/٢).

والمرتشي: هو الذي يأخذ الرشوة، فيأخذ مالا ليس من كسبه ولم يرثه عن أبيه أو أمه، ثم هو يأخذ أجراً وراتباً نظير القيام بعمله، فليس له الحق في أن يأخذ أموال الناس، حتى يُنهي لهم مُعاملاتهم ومصالحهم، فهذا أيضاً ملعون بلعنة الله - عز وجل - ورسوله ﷺ.

ورود في رواية فيها ضعف زيادة: «والرائش»<sup>(١)</sup> وهو الذي يُمير بين الراشي والمُرْتشي بالواسطة، يكلم هذا ويكلم هذا حتى تتم هذه الجريمة الشنعاء والفعلة النكراء فهذا أيضاً لعنه النبي ﷺ.

فالله الله... كم للرشوة من إفساد لمجتمعاتنا، وكم عطلت من حقوق، وكم منعت من بركات، وكم أحدثت من ظلم، وكم أفسدت من ذمم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأما أكل الربا فهو الذي يتعامل به، ويُزاوله.

وكاتبه: هو الموظف الذي يكتب عقود الربا ويُزاول العمل في مجاله.

وشاهداه: هما من يوقع على العقود والضكوك الربوية، ولا يكون العقد ماضياً إلا بتوقيعهما، فكل هؤلاء ملعونون على لسان محمد بن عبد الله ﷺ.

وقوله: «لعن الله السارق يسرق البيضة»، هي بيضة الدجاجة، ولما كانت البيضة لا قطع فيها كان ذلك من باب التحقير، أي لعن الله السارق الذي تُقَطع يده في شيء حقير، وأشياء الدنيا كلها حقيرة، فالدنيا لا تساوي عند الله - عز وجل - جناح بعوضة.

(١) حديث: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما» أخرجه أحمد (٢٧٩/٥) والحاكم (١٠٣/٤) والطبراني في الكبير رقم (١٤٩٥) والبزار رقم (١٣٥٣) وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف وشيخه أبو الخطاب لا يعرف. قال الألباني: ولم يرو هذه الزيادة غير ليث بن أبي سليم كما ذكر البزار، فهي زيادة منكرة لتفرد ليث بها وهو ضعيف لاختلاطه. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٢٣٥) وضعيف الجامع رقم (٤٦٨٤).

وقيل: البيضة هي التي يضعها المقاتل على رأسه، وهي شيء حقيق أيضاً.

ولما اعترض أبو العلاء المعري على قطع يد السارق وزعم أن هذا الحكم مخالف للعقل، فإن اليد في الإسلام قيمتها خمسمائة دينار، فكيف تُقَطَّع في ربع دينار، ردّ عليه أحد علماء الإسلام قائلاً:

عزّ الأمانة أغلاها... وأرخصها ذلك الخيانة فافهم حكمة الباري

فالأمانة والتقوى والخوف من الله - عزّ وجلّ - هو الذي أغلاها في الإسلام وجعلها تتحقّق هذا المبلغ الكبير، والخيانة والدّناءة هي التي أرخصتها وجعلتها تُقَطَّع في ربع دينار فافهم حكمة التشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأما لعن المُتَشَبِّهَات من النساء بالرجال والمُتَشَبِّهِينَ من الرجال بالنساء، فإن ذلك لمحاولة هؤلاء تغيير الفِطْرَةَ التي فَطَرَ اللهُ عليها عباده، فالرجل له صفات معينة، والمرأة كذلك فإذا مَثَّت المرأة مِثْيَةَ الرجل، ولبست لِبْسَ الرجال، وتكلّمت كالرجال، وزاوت أعمال الرجال، كانت ملعونة مطرودة من رحمة الله - عزّ وجلّ - لأنها بذلك تعترض على قدر الله - عزّ وجلّ - في أن جعلها أنثى، ولما في ذلك أيضاً من نُشْرِ الرذيلة وتحريك شهوات الرجال، وانتشار الشذوذ بين الجنسين.

ويدخل في ذلك أيضاً المُعْنِيَات والممثّلات والراقصات، فإنهن خرجن عن الحجاب والسّتر، واختلطن بالرجال الأجانب إلى غير ذلك من الأمور التي يعرفها كل إنسان، ولا داعي لأن نصرّح بها هنا.

وأما المُتَشَبِّهُونَ من الرجال بالنساء، فإنهم أيضاً ملعونون، وهم يُسَمَّون في الشريعة: المخشّون، وهم ملعونون بلعنة الله - عزّ وجلّ - إلا أن يتوبوا من هذا الفجور، ويكونوا رجالاً كما خلقهم الله - عزّ وجلّ -.

ويدخل في ذلك أيضاً مَنْ رَفَقَ صَوْتَهُ تَسْبُهَاً بِالْمَرْأَةِ، وَمَنْ تَثَّى فِي مَشِيئَتِهِ كَالْمَرْأَةِ، وَمَنْ اسْتخدمَ أَدْوَاتِ الزِينَةِ الَّتِي تَتَزَيَّنُ بِهَا الْمَرْأَةُ.

وقوله ﷺ: «لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

قال أهل العلم: لبسة الرجل، هو اللباس الخاص به في عُزْفِ النَّاسِ، ولبسة المرأة: هو اللباس الخاص بها في عُزْفِ النَّاسِ، والناس هنا هم المسلمون المؤمنون أهل التوحيد من أمة محمد ﷺ، فإنه لا اعتبار بأعراف الجاهلية ولا تقاليد الجاهلية، وإن كان أصحاب هذه الأعراف والتقاليد ممن يتسمون بأسماء إسلامية.

فَمَنْ لَبَسَ مِنَ الرِّجَالِ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَمَنْ لَبَسَتْ مِنَ النِّسَاءِ لِبْسَةَ الرَّجُلِ فَهِيَ مَلْعُونَةٌ.

وقوله ﷺ: «لعن الله المُحَلَّلَ والمُحَلَّلَ لَهُ». المُحَلَّلُ: هو الذي يأتي إلى المرأة المطلقة فيتزوجه وهي التي طُلِّقَتْ بِثَلَاثٍ وَأَمْضَتْ الْعِدَّةَ فَلَا تَجُوزُ لِلأَوَّلِ حَتَّى يَنْكِحَهَا زَوْجٌ آخَرَ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَأْتِي هَذَا الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِاتِّفَاقٍ مَعَ الزَّوْجِ الأَوَّلِ، لَا لِقَصْدِ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لَهُ، وَلَكِنْ لِيُحَلِّلَهَا لِلأَوَّلِ فَيَمُكِّتُ مَعَهَا فِتْرَةً مُتَّفَقاً عَلَيْهَا ثُمَّ يَطْلُقُهَا لِيَتَزَوَّجَهَا الأَوَّلُ، فَيَكُونُ نَيْسَاءً مُسْتَعَاراً، فَهَذَا مَلْعُونٌ وَذَلِكَ مَلْعُونٌ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِقَصْدِ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً ثُمَّ إِذَا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا فَيَطْلُقُهَا، وَعِنْدَهَا يَجُوزُ لِلأَوَّلِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ جَدِيدٍ.

فَمَنْ فَعَلَ الصُّورَةَ الأُولَى فَهُوَ مَلْعُونٌ بِلَعْنَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وقال ﷺ: «لعن الله النَّائِثَةَ»، والنائثة: التي تنوح في المأتم وتدعو بالويل والشبور، وتصيح في وقت المصائب والكوارث فإذا مات أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها رفعت صوتها وولولت وناحت وقالت: يا فلان بن فلان،

واظهرها!! واجبلها!! واكرماها!! واشجاعها!! فهي ملعونة، ويدخل في ذلك المستمعة. قال أهل العلم: هي التي تأتي بالنايحة وتدفع لها أجرة وتمهد لها وتدخلها بيتها فهي ملعونة. والسرّ أنهم لم يرضوا بقضاء الله، وتخطوا على حكم الله وأثاروا الهلع والجزع في عباد الله فهنّ ملعونات.

وقال ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات».

الواشمة: هي التي تضع الوشم في حدود النساء، والوشم كالحبر وكالصنغ الأخضر والأسود وما يدخل في حكمه، فهي تأتي بعقاقير معها وبمخاطط، وتصنع الوشم للنساء فمن فعلت ذلك فهي ملعونة.

والمستوشمات: وهنّ اللواتي يصنع الوشم لهنّ في حدودهنّ وعلى أنوفهنّ وتحت شفاههنّ فهنّ ملعونات، هذا الوشم حرام، الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتمصة ملعونات، والنامصة هي التي تفلع شعر حاجبيها، وتنتف شعر حاجبيها، لتزججه وتزققه، فهذه ملعونة. والمتمصة هي التي تستدعيه وتحبذه وتفعله بنفسها بواسطة هذه النامصة فهي ملعونة أيضاً بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ.

والمتفلجات: وهنّ اللواتي يوسعن ما بين أسنانهنّ وينشرن أسنانهنّ، ويُغيّرن خلق الله تعالى، فإنهنّ ملعونات؛ لأن ذلك يدلّ على خبث النفس، ومحبة الفتنة، وتحريك الشهوات.

والمغيّرات خلق الله: هنّ اللواتي يفعلن بأنفسهنّ ما يُغيّر خلق الله. ثم قال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

الواصلة: هي التي تصل شعر غيرها، فوصل شعر المرأة حرام، لا يكون إلا من أصل شعرها، أما الوصل بشعر خارجي فهو حرام.

والمستوصلة: التي تطلب ذلك وتدعو ذلك وتطلب من النساء أن يصلن شعرهنّ أو شعرها، فملعونة أيضاً بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ.

وهذه اللعنة وإن كانت خاصة بالنساء، إلا أنه والله الذي لا إله إلا هو لقد وُجِدَ من بعض الشباب الذين ضيعوا دينهم وعبثوا بأحكام شرعهم وجهلوا لا إله إلا الله، وضيعوا أصالتهم وكرامتهم وعزهم ونخوتهم، وُجِدَ من هؤلاء مَنْ وَصَلَ شعره وركب الباروكة على رأسه فهو حقيق باللعنة وأحقّ بها.

وللحديث بقية في الخطبة الثانية - إن شاء الله - نسأل الله أن يدرأ عنا وعنكم غضبه ولعنته، ونسأله رضوانه ورحمته، وأن يفقّهننا وإياكم في الدين، ويجعلنا وإياكم من الراشدين المَهْدِيِّين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وقدوة الناس إلى الله أجمعين وعلى آله وصحبه وسلّم تحليماً كثيراً.

• أما بعد:

فبقي من هذه الأصناف التي صَحَّتْ بَلَّغْنَهُمُ الأحاديث وحَسُنَتْ عن المصطفى عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ: «لَعْنُ اللَّهِ رُؤُورَاتِ الْقُبُورِ»، رواه أحمد كما أسلفنا وابن ماجه والحاكم.

ومعنى رُؤُورَاتِ: بصيغة المبالغة هن اللواتي يتعهذن القبور بالزيارة، ويكون لهن زيارة مُكثِّفَةٌ للقبور، فدائماً تراهن عند القبور، وحول القبور.

وقد نهى النبي ﷺ عن زيارة المرأة للقبور لما في زيارتها من فتنة وجَزَع وهَلَع وتَسَخُّط، ولأنها ضعيفة القلب قد لا تتحمل مشاهدة الموتى فتُصْرَع، وكذلك فهي مُتَعَرِّضَةٌ للعيون الضارية التي تتبعها حتى عند المقابر، فمَنع ﷺ زيارة المرأة، ولعن مَن اتخذ من النساء زيارة القبر عادة وأكثرَ منها، فمَن فعل ذلك من النساء فقد استحققت اللعنة. وفي لفظ: «لعن رسول الله ﷺ أو لعن الله زائرات القبور والمُتَخَذِينَ عليها المساجد والسُرج». قال بعض أهل العلم: لا تشملهنَّ اللعنة حتى يتخذن القبور مساجد، ويوقدن عليها السرج.

ولكن أبعد للزبنة، وأبعد للمعصية ألا تزور المرأة القبر بحالٍ من الأحوال، وإذا أتت على القبر فاتخذت مسجداً أو مصلى أو سراجاً أو بنتت بناءً، فإن اللعنة تشملها وتحيط بها، لأنها ضربت بأحكام الشريعة عرض الحائط، ولأنها خالفت أمر الله - عز وجل - وأتت بكبيرة من الكبائر، واستحدثت في دين الله - عز وجل - ما يمكن أن يؤدي إلى أكبر الكبائر وهو الشرك بالله - عز وجل -.

وقد رأينا في كثير من بلاد المسلمين أنه بسبب التساهل في هذا الباب أصبح الشرك أمراً عادياً فعكفت النساء على القبور، وعُبدت القبور من دون الله، وصُرفت لها جميع أنواع العبادة التي لا تجوز إلا لله - عز وجل - كالذبح والتذرع والدعاء والاستغاثة وغير ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله ﷺ: «لعن الله من لعن والديه». فهذا أيضاً من أصناف الملعونين، ولا يفعل ذلك إلا فاجر وقد وُجد من هذا الصنف كثير، بل أخبرنا كثير من الإخوة الثقات أن هناك شباباً ضربوا أمهاتهم ضرباً مبرحاً، وقد استدعني بعضهم إلى رجال الأمن في بعض المناطق بشكوى من أمه، ضربها سبع مرات، فلما أوقف أمام رجال الأمن بكى وأخذ يقبل رجلي أمه وقال: أتوب. قالت: لا والله اضربوه فإنه طالما أبكاني فإذا ضربت ويكى فقد ضربني وأبكاني مرات ومرات، فهذا فاجر وهذا ملعون؛ لأن الله عز وجل جعل حق الوالدين عظيماً وقرن شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٤]. حتى ولو دعاك والداك إلى الإشراف بالله فلا تُطعمهما في ذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: الآية ١٥].

ومن الكبائر أيضاً: أن يكون الإنسان سبياً في لعن والديه كما قال النبي ﷺ: «من الكبائر شتم الرجل والديه!! فاستغرب الصحابة ذلك وقالوا يا

رسول الله: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم؛ يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «ولعن الله من ذبح لغير الله»، وهي الذبيحة الشركية، التي تُذبح في النذور الشركية، وعند القبور، وعند الأصنام، وبأمر الكهنة والسحرة والمشعوذين؛ فيقولون: اذبح ذبيحة لونها كذا، وصفتها كذا، فمن فعل ذلك وأطاعهم فهو ملعون، وهذه الذبائح كثرت في هذا الزمن خاصة في البوادي والقرى، بسبب الكهنة والسحرة والعزافين والمشعوذين أعداء الله.

فليعرف المؤمن لمن يذبح ولمن ينسك ولمن ينذر، ومن يدعو ومن يعبد، فلتكن ذبيحته لله تعالى، وليكن نُسكه لله - عز وجل - وليكن نذره ودعاؤه وعبادته للواحد الأحد لا شريك له، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣].

وقوله: «لعن الله من آوى مُحدثاً». المُحدث: هو الفاجر المُنتهك لحدود الله تعالى الذي اشتهر فجوره، كالسارق الذي يسرق الناس وكقاطع الطريق الذي يتعرّض للناس ويشهر في وجوههم السلاح، وكالبُغاة الذين تمرّدوا على وُلاة الأمور وعلى حدود الله وشرعه، وكالمُرُوج للمخدرات، وكالفاجر الذي عرّف فجوره، فمن ستره وتستر عليه وحاول أن يخفيه عن أعين العدالة فهو ملعون؛ لأنه فعل كبيرة، وجرح شعور المسلمين؛ ولأنه سبّب في انتشار الجريمة والفاحشة في المجتمع المسلم.

«ولعن الله من غير منار الأرض». منار الأرض: هو الحدّ الذي يفصل الرجل عن الرجل في المزارع والحقول والديار والدُور، وهو يسمّى في اللغة العامية التي ليست بصحيحة «الوثن» ويسمى «الحدّ» فمن غيره على غير ما وُضِعَ

(١) أخرجه مسلم (٩٢/١) رقم (٩٢).

له فهو ملعون. ولا يفعل ذلك إلا أولئك الذين يغتصبون أموال الناس وحقوقهم وأراضيهم ويضعون أيديهم على ما ليس لهم، فهؤلاء ملعونون بلعنة الله على لسان رسوله ﷺ، نسأل الله العافية والسلامة.

وقال ﷺ: «لعن الله من مثل بالحيوان». أي: شوه الحيوان، أو قتله من غير مذبحه، كأن يقطع رجله وهو حي، أو يقطع ذيله، أو يصعقه صغقاً، أو يرميه برصاص وهو واقف مربوط، وكذلك إذا قطع أذنه، أو فقأ عينه فقد مثل به وارثك كبيرة من الكبائر، فذلك ملعون بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ.

«ولعن الله الخامِثَةَ وجهها» في المآثم وفي المعازي التي تخمش وجهها من الجزع والهلع. «والشاقة جيبها» في مناسبات الموت تشق ثوبها، وقد تظهر عورتها أمام الناس فهي أيضاً ملعونة.

وكذلك «الداعية بالويل والشبور». والداعية بالويل والشبور: هي التي تتسخط على القضاء والقدر، وقد سبق بيان ذلك في الناحية.

#### • فِيا عِبادِ اللَّهِ :

أخبروا أسركم بهذا، وأخبروا زوجاتكم وبناتكم وعماتكم وخالاتكم، وانشروا الخير في بيوتكم.

أخبروهم بمحارم الله وحدوده، وحذروهم من انتهاك حُرُماته؛ لأن في انتهاك حُرُماته لعنة وغضباً ومقتاً وبلاء. نسأل الله العافية والسلامة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [التخريم: الآية ٦].

#### • عِبادِ اللَّهِ :

صلوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ وَعَارِضِ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وأظننا مع أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكِرْمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## الرحلة في طلب العلم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:

الآيتان ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ  
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أما بعد عباد الله:

يقصُّ الله علينا قصة موسى ﷺ وهو يرتحل في البحر ليلقى  
الخضر ﷺ، فيتعلم منه علماً، ما كان له أن يعلمه لولا أن وفقه الله لسلك

المبيل الصحيح المُوصِل إلى هذا العلم، فلسان حال هذه القصة يقول: هكذا فليكن طلب العلم، رحلة طويلة، عناء ومَشَقَّة، بحث متواصل، نَفْسٌ طويلة وعزيمة قوية، بصرٌ حادٌ، ورؤية فاحصة.

وإذا كان موسى عليه السلام على سمو قدره، ورفعة مكانته يحرص على طلب العلم، فما بالنا نحن الضعفاء المحاوِجِج الجَهْلَةَ نُفَرِّطُ في طلب العلم، ولا نسلك السُّبُلَ المُوصِلَةَ إليه.

يشير الإمام البخاري في الصحيح إلى هذه القصة وإلى هذه الرحلة فيقول: باب ما ذُكِرَ في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام<sup>(١)</sup>، ثم يشير الإمام البخاري - رحمه الله - إلى هذه القصة وإلى سببها فرُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمارى هو والحرُّ بن قيس بن جِصْنِ الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس: هو خضر، فمرَّ بهما أُبَيُّ بن كعب فدعا ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيلَ إلى لُقَيْهِ هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيلَ إليه، فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فُقِدَت الحوت فارجع فإنك ستلقاه»<sup>(٢)</sup>. إلى أن لُقَيْهِ وكان من أمره ما كان.

قصة عجيبة يتجلَّى فيها شرف الرحلة في طلب العلم، وفضل العلم الذي يُضْحَى في سبيله بكل نفيس وغالٍ.

ولقد عرف السَّلَفُ الصالح هذا الفضل فسهروا الليالي الطويلة وأنفقوا الأعمار النفيسة، لأن العلم - بعد الهداية - شرف ما بعده شرف، وعبادة من أجل العبادات.

(١) صحيح البخاري (٢٦/١) كتاب العلم، باب (١٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٦/١، ٢٧) كتاب العلم، باب (١٦).

هو العضْبُ المهْتَدُ ليس ينبو      تصيب به مضاربٌ مَنْ أُرِدَتْ  
وكنزٌ لا تخاف عليه لَصًا      خفيف الحمل يوجد حيث كنت  
يزيد بكثرة الإنفاق منه      وينقص إن به كفاً شددت

رحل الصحابي الجليل جابر بن عبد الله مَسيرة شهر إلى مصر إلى مدينة العريش ليكتب حديثاً واحداً من عبد الله بن أنيس - رضي الله عنه - .  
ورحل الإمام أحمد شهرين كاملين من بغداد - دار السلام - إلى صنعاء اليمن ليأخذ عشرة أحاديث.

قال سعيد بن المسيب: والله الذي لا إله إلا هو إني كنت أرحل الأيام الطوال لحديث واحد!! .

فيا أيتها الأمة الواعية... ويا أيها الشباب الرائد... هكذا يُطَلَب العلم، وهذا طريق طلبه الصحيح.

ولنستمع الآن إلى القصة الرائعة التي ساقها ربنا - تبارك وتعالى - في كتابه، ففيها العِبْرَة، وفيها العِظَة، وفيها الدروس العظيمة والمواقف الجليلة.

موسى الآن يغادر أرض بني إسرائيل من فلسطين ليركب البحر بعد أن ألقى فيهم خطبة عظيمة وبعد أن انتهى قال له أحد بني إسرائيل: يا موسى: هل تعلم من الناس مَنْ هو أعلم منك؟ قال: لا والله لا أعلم أحداً أعلم مني، وقد صدق ﷺ فهو نبيّ الله ورسوله، وهو لا يعلم أحداً أعلم منه، ولكن الله - عز وجل - عاتبه من فوق سبع سموات وقال له: يا موسى: الخَضِرُ في مَجْمَع البحرين أعلم منك فارحل إليه وتزوّد منه علماً إلى علمك، قال: يا رب وكيف أعرفه إذا لقيته؟ قال: «يا موسى خذ حوتاً واجعله في مِكْتَل فإذا فقدت الحوت فقد لقيت الخَضِرَ، فأخذ موسى حوتاً مملوحاً وجعله في مِكْتَل وأخذ غلامه يوشع بن نون يحمل معه الغذاء في السفر، فسارا طويلاً وشقَّ عليهما السَّير عندئذ قال موسى لفتاه: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتَّبِعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾

[الكهف: الآية ٦٠]، أي لا أزال سائراً إلى صَجم البحرين وهو المكان الذي سوف أجد فيه مَنْ هو أعلم مِنِّي، حتى ولو سرت حقياً من الزمان: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: الآية ٦١]، سار موسى وفتاه حتى بَلَغَا مَجْمَعَ البحرين فنام موسى وفتاه من شدة التعب والإرهاق، أما الحوت فقد أصابه رشاش من ماء عين هناك تسمى عين الحياة فاضطرب وانتفض وقفز من المِكتل إلى البحر، فاستيقظ يوشع عليه السلام، وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء وهو ينظر إليه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ [الكهف: الآية ٦٢]، أي: المكان الذي نسيا الحوت فيه ﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنِنَا بَعْدَآنَا لَقَدْ لَئِينَا مَن سَفَرْنَا هَذَا فَاصْبِرْ﴾ [الكهف: الآية ٦٢]، أي: تعباً، فقد تعب عليه السلام، فأراد أن يستريح قليلاً حتى يستمر في مواصلة الرحلة المُضنية قال يوشع: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: الآية ٦٣]، فلا طعام ولا غداء، فالحوت الميت قد تحرك وانطلق إلى سبيله في مشهد عجيب ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ [الكهف: الآية ٦٤]، أي: هذا الذي نطلب، ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: الآية ٦٤]، أي: رجعا يقصان آثار مشيهما ويقفوان أثرهما، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية ٦٥]، وهذا العبد هو الخضر عليه السلام وجده موسى عليه السلام عند الصخرة مُجئ بثوب، فسلم عليه فقال الخضر: أتني بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قد أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً.

ووصف الله - عز وجل - الخضر بأنه آتاه الرحمة وعلمه العلم، وهذه هي الغاية التي لا يدركها إلا القليل، فَعَلِمَ بلا رحمة قسوة وجبروت، ورحمة بلا علم جهل وتردي، فجمع الله للخضر الاثنين؛ الرحمة والعلم، ليكون قدوة لموسى عليه السلام، قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَعَاكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: الآية ٦٦]، سؤال تَلَطَّف لا على وجه الالتزام، وهذا من حُسن أدبه عليه السلام، حيث أنزل نفسه منزلة التلميذ الذي يريد أن يتعلم من أستاذه،

فقال الخَضِرُ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٧]، مع أنه يعرف قوة موسى عليه السلام، وشدة عزمته في طلبه العلم، ثم قال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٨]، فأنا أعرف أنك سوف تُنكر عليّ ما أنت معذور فيه، لأنك لم تطلع على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت عليها أنا عليه السلام، فردّ موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩]، سوف أصبر على ما أرى منك من أمور ولن أخالفك في شيء أبداً، فعند ذلك شارطه الخَضِرُ عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٠]، إيتاك أن تسألني عن شيء قبل أن أبدأك أنا به، فاتفقا على ذلك، وانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى بلغا مجمع البحرين، ومرّ عصفور فنزل حتى شرب من الماء، ثم انطلق فقال الخَضِرُ لموسى عليهما السلام: كم ترى هذا العصفور نقص من هذا الماء؟ فأجاب موسى: ما أقل ما نقص!! فقال الخضر: يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما نقص هذا العصفور من هذا الماء.

وبينما هما يمشيان على ساحل البحر، إذ مرّت سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخَضِرُ بنوره ووقاره فحملوهم بغير أجر، فركبوا في السفينة، فكان أول ما فعل الخَضِرُ أن بدأ يقلع في ألواح السفينة مما يعرضها للغرق، فاندشم موسى عليه السلام، وقال مُنكراً عليه: ﴿أَحْرَقْنَهَا لِلنَّارِ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: الآية ٧١]، مع أنهم حملونا بغير نولٍ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧١]، شيئاً عجباً، فاعترض موسى عليه السلام؛ لأنه ما كان ليكت على هذا الأمر المُخالف لشريعته، ولكن الخضر عليه السلام، ذكره بالشرط الذي بينهما: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٢]، لأن ما فعلته من الأمور التي اشترطت عليك ألا تُنكر عليّ فيها، وهو أيضاً من الأمور التي تحتوي على مصلحة لم تعلمها أنت ولم تُحِط بها خبيراً. فقال موسى مُتجياً: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٣]، أي لا تضيق عليّ ولا تشدد عليّ وقد ورد أن هذه المرة كانت من موسى عليه السلام نسياناً.

خرج موسى والخضر، عليهما السلام، من السفينة وبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فتقدم إليه وصرعه على الأرض ثم أخذ رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فصرخ موسى: ﴿أَفَلَيْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٤]، أنتقتل نفساً صغيرة لم تعمل إثماً قطً بغير مُتَدِّ لقتلها، إن هذا الأمر مُنْكَرٌ ظاهر النكارة، فما كان من الخضر ﷺ، إلا أن أعاد عليه الشرط الذي بينهما ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٥]، فأتى بالجار والمجرور تأكيداً على التذكار بالشرط الأول، فاستحى موسى ﷺ، مرة ثانية وقال في هذه المرة ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٦]، أي: إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني بعدها، لأنك قد أعذرت إلي مرة بعد مرة، وهذه الثانية.

وتبدأ القضية الثالثة وفيها يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا﴾ [الكهف: الآية ٧٧]، مرَّ موسى والخضر على قرية بخيلة لا تطعم ضيفاً ولا تسقي ظمآن، ولا ترحب بوافد، ومن شدة بخل هذه القرية أن طلب موسى والخضر الطعام فأبوا وهذا من أعظم اللؤم وأشدَّ درجات البُخل:

إني نزلتُ بكذا بين ضيفهم      عن القرى وعن الترحال مطرود  
جود الرجال من الأيدي وجودهم      من اللسان فلا كانوا ولا الجود

امتنعت بيوت هذه القرية أن تضيف هذين الرجلين الصالحين ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآكَمَهُ﴾ [الكهف: الآية ٧٧]، نزلا في مكان، في سكة من السك، فوجدا جداراً مائلاً يكاد أن يسقط، فرده الخضر إلى حاله من الاستقامة، فعند ذلك قال له موسى ﷺ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٧]، إن هذه القرية أبت أن تضيفنا، فلا هم أطعمونا ولا سقونا ولا آوونا، ثم تأتي أنت فتبني جدارها مجاناً بدون أجر، أما الذين أركبونا في

سفينتهم بلا عطية ولا أجر فكان جزاؤهم أن عَمَدَتْ إلى تخريب سفينتهم، فقال له الخَضِرُ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: الآية ٧٨]، لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهذا فراق بيني وبينك، ﴿سَأْنِيذُكَ يَأْتِيهِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٨]، سوف أخبرك بتفسير ما أنكرته علي من أمور لتعلم أن هناك حِكْمًا باطنة لا تعلمها أنت، قد أطلعني الله - عز وجل - عليها.

وقبل أن نستمع إلى الخَضِرِ وهو يشرح لموسى عليه السلام، ما أشكل عليه من أمور وتصرفات، يحسن بنا أن نعيش بعض الدروس المُستفادة من هذه القصة:

الدرس الأول: موسى عليه السلام، على جلالته وعلو قدره يترك موطنه وقومه، ويذهب في رحلة طويلة لتعلم العلم النافع على الخَضِرِ، مع أن موسى عليه السلام، أفضل من الخَضِرِ بلا شك.

الدرس الثاني: العلم هو قال الله - تعالى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي مصنف يخلو من كلام الله - عز وجل - وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فضرره أكثر من نفعه، لأنه يفتقد إلى نور الكتاب والسنة.

دين النبي محمد أخبار      نغم المَطِيَّة للفتى آثار  
لا ترغبت عن الحديث وأهله      فالرأي ليل والحديث نهار  
\* \* \*

العلم قال الله قال رسوله      قال الصحابة هم أولو العرفان

الدرس الثالث: ما موقفنا نحن كأمة رائدة مُكَلَّفة بقيادة البشرية نحو معالم التوحيد والإيمان، فالكتب قد طُبِعَتْ في أواخر الطبقات، والأحاديث حُقِّقَتْ، وصُنِعَتْ الفهارس العلمية التي وفرت على الباحث زماناً طويلاً، كان يستغرقه في البحث عن مسألة أو حديث، فليس لدينا عُذْر في عدم الإقبال على العلم

الشرعي، وسوف يسألنا الله - تبارك وتعالى - عن تضييع زماننا وأوقاتنا في غير طلب العلم والرحلة في سبيله.

بقي الإمام أحمد يجمع مسنده أربعين سنة، لم يهدأ له بال ولم يرتاح له خاطر حتى أتمه، دخل مصر والعراق والشام وخراسان والحجاز وصنعاء اليمن، وجمع مسنده حديثاً حديثاً، وبحث في الأسانيد، والعجل والطرق، وها هو مسند الإمام أحمد يملأ الدنيا، وهو في أدرجنا وفي مكاتينا، وعلى الأرفق يزيناها، ولكن أين الذين يقرؤون المسند؟ أين الذين يعكفون على المسند دراسة وتحقيقاً، وبحثاً في الأحاديث التي تضمنتها هذا السفر العظيم؟.

كانوا يقرؤون في الشمس المحرقة، وفي البرد القارس، مع قلة الطعام والشراب، كان الإمام ابن الجوزي يأتي إلى نهر دجلة ومعه كسر الخبز اليابس، لأنه ما كان يستطيع أن يأكل هذا الخبز بغير ماء حتى لا يتجرح حلقه من شدة يئسه.

أما نحن فلا نقرأ مع أن الماء البارد أماننا، وأشهى الأطعمة من حولنا وأجهزة التبريد قد بددت حرارة الشمس الملتهبة، فرحّم الله علماء السلف.

إسحق الكوسج أحد العلماء، سافر إلى خراسان، وأتاه وهو في الصحراء مطر عظيم وهو يحمل كتبه معه التي جمعها في سنين طويلة، فقال: يا رب هذه كتبي تعبت عليها، وسوف يمحو هذا المطر المداد الذي كتبت به، يا رب أضيع كل هذا الجهد، وكل هذا التعب، يا رب لا تضيئني، فلما انقطع القطر وجف الغيث أخذ يبحث عن كتبه فما وجد حرفاً منها أصابه البلل، إلا أن الله - عز وجل - لم يضيعه، رآه الصالحون في المنام وقالوا: يا إسحق ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قالوا: بماذا؟ قال: بما حصل لي في تلك الليلة التي أصابني فيها المطر!!.

وهذا عبد الله بن المبارك، وقف مع شيخه من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر يُسأله حتى فصل بينهما المؤذن، فقال له تلاميذه: لو أنك أرخت نفسك؟ قال: والله لو وقفت شهراً كاملاً في مسألة ما أنصفتها!!.

أولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، يوم طلبوا العلم لوجه الله - عز وجل - لا لأجل أموال زائلة، ولا لأجل منصب دنيوي، ولا لأجل ثناء من الناس عليهم، فهذه الأمور جميعاً لا تساوي ساعة واحدة من تلك الرحلة الطويلة التي قضوها في البحث عن العلم وفي تحصيله من أهله.

• عباد الله:

«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>، هكذا قال ﷺ. مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يشرح صدره للإقبال على العلم، يعلمه المسائل الشرعية، ويُبصِّره بالأدلة القرآنية التي تُزيل عنه الغشاوة وتُنير له طريق الطلب، وتدله على أقصر الطرق للوصول إلى المطلوب.

وقفتني الله وإياكم لما يحبّه ويرضاه، وعلمني الله وإياكم العلم النافع، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٢٦/١) كتاب العلم، باب (١٣)، ومسلم (١٥٢٤/٣) كتاب الإمامة رقم (١٧٥).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس إلى ربهم، أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

وقبل أن يفارق الخضر موسى عليه السلام، وقف معه وقفة يخبره فيها بما أشكل عليه من تصرفات حدثت أثناء مسيرهما معاً، الأمر الذي تحير معه موسى عليه السلام، وجعله يحتج دائماً وينكر مراراً، حتى بعد أن أخذ على نفسه العهد بأن لا يحتج ولا يسأل ولا ينكر.

قال له الخضر: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية 78].

القضية الأولى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: الآية 79]. هذا تفسير القضية الأولى التي أشكلت على موسى عليه السلام، مما خفي عليه حكمته.

إن هذه السفينة كانت لبعض المساكين، وكانوا يعملون عليها، ويرزقون بسبها، وعند الشاطئ على الساحل ملك ظالم جبار، يقف لكل سفينة بالمرصاد، فهو يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها، ولذلك عمدت إلى هذه

السفينة فأخذتُ فيها عيباً بسيطاً لا يعطلها، ولا يضرّها، حتى لا يلتفت إليها هذا الملك الظالم ويتركها إذا شاهد العيب الذي فيها.

**القضية الثالثة:** ﴿وَأَمَّا الْفُلُكُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: الآية ٨٠]. وورد أن هذا الغلام طُبع يوم طُبع كافرًا<sup>(١)</sup>، وكان أبواه مؤمنين، فَخَشِيَ الْخَضِرُ أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبَّهُ عَلَى مَتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ. قال قتادة: قد فرح به أبواه حين وُلِدَ، وَخَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فَلْيَرْضَ كُلُّ امْرَأٍ بِقِضَاءِ اللَّهِ، فَإِنْ قِضَاءُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قِضَائِهِ فِيمَا يَحِبُّ قَالَ - تعالى - : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]، ثم علّل الْخَضِرُ قَتْلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: الآية ٨١]، أي: ولدًا أذكى من هذا الغلام وهما أرحم به منه، وقيل: لما قتل الخضر كانت أمه حاملًا بغلام مسلم.

**القضية الثالثة:** ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٨٢]. يقول الْخَضِرُ: إن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، فلو سقط الجدار لظَهَرَ هذا الكنز ولأخذته الناس، فهذا من حِفْظِ اللَّهِ - عز وجل - لأبناء العبد الصالح بعد وفاته، ولذلك قال الْخَضِرُ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، فانظر إلى تقدير رب العزة - سبحانه وتعالى - كيف حَفِظَ هؤلاء الأبناء بصلاح أبيهم، وفي الغالب أن الأب إذا كان صالحاً كانت ذرّيته كذلك، وإذا كان فاجراً غلب على ذرّيته الفجور والفسق. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾، وهنا أسند الإرادة إلى الله - عز وجل - تأدباً مع الله - عز وجل - حيث أسند ما هو خير محض إلى الله - عز وجل -

(١) أخرجه مسلم مرفوعاً من حديث أبي بن كعب (٤/٢٠٥٠) كتاب القدر، رقم (٢٩).

وكذلك بلوغ الغلامين الحُلُم لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - . أما في مسألة السفينة، فقال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]، فنسب الإرادة إلى نفسه لأن ظاهر الفعل الفساد، وإن كان حقيقته غير ذلك.

ثم بيّن الخَضِرُ بعد ذلك أنه ليس له من الأمر شيء فقال: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: الآية ٨٢]، إن هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، والغلامين اليتيمين، وما فعلته عن أمري ولكني أمرتُ به ووقفتُ عليه، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٨٢]، أي: هذا تفسير ما ضيقتُ به ذرعاً ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً.

### • أيتها المسلمون:

هذه هي الرحلة التي ارتحلها موسى عليه السلام لطلب العلم، باحثاً عن المعرفة، طالباً للحكمة، فهلاً حرصنا على طلب العلم، وحضور مجالس العلماء، وهلاً اجتهدنا في التفقه في الدين، والاسترشاد بأقوال أهل العلم من فقهاء الأمة الذين هم أهل الحل والعقد عند المسلمين.

### • عباد الله:

وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ، بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللهم صلِّ على نبيِّك وحبيِّك محمد صلى الله عليه وسلم، واعرض عليه صلواتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

وارضَ اللَّهُمَّ عن أصحابه الأظهار، من المهاجرين والأنصار، وعن  
التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومَنك يا  
أكرم الأكرمين.

\* \* \*

## حق المسلم على المسلم

إن الحمد لله، نحمده ونتعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾  
[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ مِّنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس:

إن من أعظم مقاصد الشريعة، ومن أجل أهداف الإسلام، أن يؤلف بين القلوب، وأن يجمع بين الصفوف، وأن يوحد الكلمة، وأن يرأب الصدع، وأن

يُزِيلُ أسبابَ الخِلافِ والتدابُرِ والتقاطِعِ، وإذا لم يتم ذلك في واقع المسلمين، وفي حياة الأمة، فيجب أن نعلم جميعاً أننا ما التزمنا بالإسلام، وما اهتدينا بنور القرآن، وما تشرفنا بالسَّيرِ على هَذي رسولِ الأنام ﷺ، يقول الله تعالى مُمتثلاً على هذه الأمة: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِئِكَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣]، فسبحان مَنْ أَلَفَ بين هذه القلوب وسبحان مَنْ وُحِدَ بين هذه الأجناس، وسبحان مَنْ جَمَعَ بين هذه الألوان واللغات والعادات.

جمع الله بين بلال الحبشي، وصُهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعليّ القرشي في وحدة وألفة وترابط أخوي لم يعرف التاريخ له مثيلاً.

والله تبارك وتعالى يأمرنا بالاعتصام بحبله جميعاً، وينهانا عن التفرُّق والتشرذم والتحزب، وعن موجبات ذلك من العصبية القبلية أو التعصب للزُن، أو الجنس، أو اللغة، فكلّ هذه العصبيات موضوعة في الإسلام، قد جعلها النبي ﷺ تحت قدميه.

فلماذا يبغض بعضنا بعضاً، ولماذا يحسُد بعضنا بعضاً، ولماذا يَغْتَبِ بعضنا بعضاً، ولماذا هَتَكَ الأعراض والتدابُرِ والتباغض، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].

### • أيها المسلم:

اعلم أنك لن تنال رضوان الله عز وجل، ولا رحمة الله تبارك وتعالى وعفوه ومغفرته، إلا بمحبتك لأخيك المسلم، وبرّه ومساعدته، فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وإن رحمة الله - عز وجل - تنزل بمساعدة الإخوان، وتقديم العون لهم، ومحاولة التيسير على المُعْصِرِينَ وأهل الحاجة،

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: الآية ٧٧]، ويقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»<sup>(٤)</sup>، وإفشاء السلام معناه التواضع لعباد الله، والمحبة لهم ومُسالمتهم، وعدم إضرار شيء في نفسه لهم، ويوم أن يتخلى الناس عن السلام، ويوم أن يستهينوا بهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين، فيمرّ بعضهم على بعض بلا سلام ولا تحية، تظهر الضغائن، ويتشر الحقد والحسد والبغض بين الناس، وهذا من فساد ذات البين الذي حذر منه نبينا ﷺ بقوله: «إياكم وفساد ذات البين، فإن فساد ذات البين العالقة؛ لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٩٨/٣) كتاب المظالم باب (٣). ومسلم (١٩٩٦/٤) كتاب البر والصلة رقم (٥٨).

(٢) «السلامي» أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٤/٣) كتاب الجهاد باب (٧٢، ١٢٨). ومسلم (٦٩٩/٢) كتاب الزكاة رقم (٥٦).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤/١) كتاب الإيمان، رقم (٩٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٥٧٢/٤) كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٨) قال أبو عيسى: حديث صحيح غريب. وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٢٦٨٣).

فعليك أيها العبد المسلم أن تُخرج من قلبك كلَّ حقد، وكل حسد، وكل بغضاء تجدها لأحد من المسلمين، إذا طرحت نفسك على الفراش، ووكّلت أمرك إلى خالقك فاسأل الله - عزّ وجلّ - أن ينزع من قلبك كل غشٍّ وضغينة، وحَسَدٍ وبغضاء.

### • عِبَادِ اللَّهِ:

أراد النبي ﷺ أن يُبين لأصحابه فضل محبة المسلمين وعدم إضرار شيء لهم وسلامة الصدر تجاههم فبيننا هو جالس مع أصحابه ذات مرة، إذ قال ﷺ لهم: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار، يتساقط ماء الوضوء من لحيته، وقد علّق نَعْلَيْهِ في شماله، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ، أتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال لذلك الرجل: إني خاصمت أبي فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاث ليالٍ، فإن رأيت أن تُؤويني إليك حتى تجلّ يميني فعلت، فقال: نعم، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليالٍ، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر، فيُسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أنني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ كدّتُ أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت آوي إليك فأنظر عملك، فلم أركَ تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فانصرفت عنه فلما وليتُ دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي غلاً لأحد

من المسلمين، ولا أحده على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله بن عمرو: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطبق»<sup>(١)</sup>.

### • أيتها المسلمون:

لينظر كلُّ منا في قصة هذا الرجل وليأخذ منها العبرة والعظة، ما الذي بلغ بهذا الرجل تلك المنزلة الرفيعة، ما الذي جعله من المشهود لهم بالجنة والفضل وهو لا زال يعيش على ظهر هذه الدنيا؟ ما أعماله؟ ما عبادته؟ ما جهاده؟

إن الذي بلغ بهذا الرجل تلك المنزلة هو سَلَامَةُ الصدر لإخوانه المسلمين، ينام وليس في قلبه غشٌ ولا حسد ولا بغضاء لأحد، وهذا ليس بالأمر اليسير ولذلك قال عبد الله بن عمرو: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطبق».

إن من الناس مَنْ يتصدَّق ولكنه حقود، ومنهم مَنْ يدعو لكنه حسود، ومنهم مَنْ يقوم الليل ويصوم النهار، ولكنه يؤذي جيرانه، ويأكل لحوم إخوانه المسلمين ويقع في أعراضهم.

### ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عبادَ الله إخوان

إن اليهود والنصارى والشيوعيين وأهل الحداثة والعلمانيين يختلفون فيما بينهم؛ ولكنهم يتفقون على حرب الإسلام والمسلمين، أما أهل الإسلام فمشارب وأساليب وأهواء وجماعات وأحزاب، ولا نراهم يتفقون حتى على حرب أعدائهم من أهل الإلحاد وفرق الكفر والزندقة.

الرسول ﷺ يبيِّن حقَّ الملم على الملم فيقول: «الملم أخو الملم» ولك أن تتصوّر حقوق أخيك عليك، وما يجب عليك تجاهه: «المسلم أخو

(١) أخرجه أحمد (١٦٦، ٣٥٦) والنسائي في اليوم والليلة رقم (٨٦٣) وابن السني في اليوم والليلة رقم (٧٥٤). قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/١٨٧): رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات: «بحب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»<sup>(١)</sup>.

ما أعظم تلك الحقوق، وما أجلّ هذه التوجيهات، لا يظلم المسلم أخاه، لأن عاقبة الظلم وخيمة ولذلك فإن الله - عز وجل - حرّم الظلم على نفسه، ولا يخذل المسلم أخاه بأن يترك إعانته ونصره والدفاع عنه في موطن يستطيع أن ينصره فيه، ولا يحقر المسلم أخاه بأن يستهزئ به ويستهيئ به ويستقله ويتصغر شأنه، فهذا كله ليس من أخلاق المؤمنين.

فيا مَنْ يجلس في مجالس الغيبة والتّميمة، ويا مَنْ يقضي وقته في هتك الأعراس والتفكك بالحُرُمات، أما تعرف أنك تحارب الله؟ أما تعرف أنك تعلن الحرب على جبار السموات والأرض، أما تعرف أنك تهدم في صرح هذه الرسالة الخالدة، اتق الله في نفسك، اتق الله في مصيرك، واعلم بأننا أمة واحدة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠]، واعلم بأن الله عز وجل سوف يقتصّ منك لا محالة، وسوف يأخذ من حسناتك لتجعل في موازين مَنْ اغْتَبَتَ وظَلَمْتَ وشتمت، حتى إذا فنيّت حسناتك أخذت من سيئاتهم لتجعل في ميزانك حتى تُطرح في النار<sup>(٢)</sup>: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: الآية ٣٨].

إن هناك مَنْ يتخذون أساليب في الدعوة والتربية تضر مسيرة الصحوة الإسلامية ضرراً بالغاً، إنهم يتحزبون ضدّ إخوانهم، ولا يلتصمون لغيرهم العذر، ويشككون في مصداقية الدعاة ونيّاتهم، مما يعمل على تفريق الأمة وتمزيقها إلى جماعات وأحزاب متعادية.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦) كتاب البرّ والصلة، رقم (٣٢).

(٢) ورد بذلك الحديث الصحيح. انظر صحيح مسلم (٤/١٩٩٧) كتاب البرّ والصلة رقم (٥٩).

كيف يتحد أهل الباطل ضدنا ويكونون صفًا واحداً في حربنا مع أنهم أعداء فيما بينهم، ثم نتعادى نحن ونتقاتل وتباغض!!.

• فيا عباد الله:

لقد تشبثت الأسر في مجتمعاتنا، يوم أن قطعنا أرحامنا وحصل الفساد فيما بيننا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [ممتد: الآية ٢٢].

إن من الأرحام من يحقد على رَجِمْه، ويتعرض له بالكَيْدِ والدَسائس، ولذلك فقد قَسَتِ القلوب، وجفَّت العيون، وقَلَّت الأرزاق، وذهبت البركة ولا حول ولا قوة إلا الله.

فأين نحن من قول النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطر فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعذه، وإذا مات فاتبغمه»<sup>(١)</sup>. وأين هذا من أناس جعلوا السلام على المعرفة والمكانة، فلا يُسلم أحدهم إلا على الكبار، والنبي ﷺ يقول: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه»<sup>(٢)</sup>!!

ويبين النبي ﷺ أن السلام لا يكون على المعرفة ولا يكون على المكانة، فروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعيم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»<sup>(٣)</sup>.

فالسلام هو شعار المحبة والود الذي أقامه رسولنا ﷺ وحث على إرسائه وتشبيته في قلوب أتباعه وأمته من بعده، وعند البخاري موقوفاً على عمار بن

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٥/٤) رقم (٢١٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٣١/٤) رقم (٥٢٠٠) قال الألباني: رواه بإسنادين أحدهما صحيح كما في المشكاة رقم (٤٦٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/١)، ومسلم (٦٥/١) رقم (٣٩).

ياسر أنه قال: «ثلاث مَنْ جمعهنَّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»<sup>(١)</sup>.

وبذل السلام للعالم - هنا - يتضمن تواضع العبد، وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، لَمَنْ عرف وَمَنْ لم يعرف.

ومن حق المسلم على أخيه أيضاً إجابة دعوته، ومن الدعوات ما تكون واجبة، ومنها ما تكون مُسْتَحَبَّةً، ومنها ما يحرم إجابتها، فأما التي هي واجبة فالدعوة إلى وليمة الزواج، ما لم يكن هناك منكر، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى وِلِيمَةٍ فَلْيَأْتِهَا»<sup>(٢)</sup>. والوليمة هي وليمة العرس، وفي لفظ في الصحيح أيضاً: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ، عَرَسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال أهل العلم: هذا الأمر للوجوب، أي يجب عليك أن تُجيب الداعي ما لم يكن هناك مُنْكَرٌ أو شيء يُخَالِفُ الشَّرْعَ.

#### • عِبَادَةُ اللَّهِ :

إن من الناس مَنْ يدعو إلى وليمته وطعامه عِلْيَةً القوم، وكبار الشخصيات، ويترك الفقراء والمساكين وهم أحق بالدعوة من هؤلاء وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُنَمَّنُهَا مَنْ يَأْتِهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ لَمْ يَأْتِهَا»<sup>(٤)</sup>.

فشرُّ الولائم التي للرياء والسُّمْنَعَةِ، يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ، وَيُمنَعُ مِنْهَا الْفُقَرَاءُ.

وهناك من الناس أيضاً مَنْ لا يُجِيبُ الداعي إلا إذا عَلِمَ أنه من الأغنياء وأنه سوف يذبح كذا وكذا، وسوف يقدم كذا وكذا، فهذا أيضاً مُخَالِفٌ لِهَدْيِ

(١) أخرجه البخاري (١٢/١) معلقاً، وقد وصله عبد الرزاق في المصنف رقم (١٩٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣/٦)، ومسلم (١٠٥٢/٢) رقم (١٤٢٩).

(٣) صحيح مسلم (١٠٥٣/٢) رقم (١٤٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٤/٦)، ومسلم (١٠٥٤/٢) رقم (١٤٣٢).

الإسلام، لأن النبي ﷺ وهو خير البشر كان يقبل دعوة كل أحد، وكان يقول ﷺ: «لو دُعِيْتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ أو كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيْتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لَقَبَلْتُ»<sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ أيضاً: «يا نساء المسلمات لا تَحْقِرَنَّ جارةً لجارتها ولو فِرْسِينِ شاةٍ»<sup>(٢)</sup>.

### • عِبَادَ اللَّهِ :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (١٢٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩/٣)، ومسلم (٧١٤/٢) رقم (٩٠) والفرسن: عظم قليل اللحم وموضع الحافر في الإبل.

## الخطبة الثانية

الحمد لله المعروف بالإحسان المحمود بكل لسان، الرحمن، علم القرآن، خَلَقَ الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والصلاة والسلام على رسول الإسلام، وهادي الأنام، أفضل من صلى وصام، وطاف بالبيت الحرام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تحليماً كثيراً، أما بعد:

### • عباد الله:

ومن حقوق المسلم على أخيه أداء النصيحة إليه، فالنصيحة واجبة عند أهل العلم، وقد قال ﷺ: «الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>.

والنصيحة من نصرة المسلم لأخيه وعدم خذلانه، وقد قال ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قلنا يا رسول الله: نصره مظلوماً، فكيف نصره ظالماً؟ قال: «ترده عن الباطل فإن ذلك نصره»<sup>(٢)</sup>.

فالواجب علينا أن نتناصح فيما بيننا، والإنسان لا يسلم من الخطأ والنسيان، ونحن جميعاً يعترينا الخطأ في كثير من تصرفاتنا، فالواجب على الأخ

(١) أخرجه مسلم (٧٤/١) رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٨/٣) من حديث أنس واللفظ له، ومسلم (١٩٩٨/٤) رقم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

الناصح إذا رأى أخاه قد أخطأ في قضية أو مسألة أو اجتهاد أو تصرف، أن يذهب إليه وينصحه، ولن يجد من أخيه إلا الحب والدعاء والبشر والاستقبال الحسن.

أما أن ينتقد إخوانه وينال منهم في المجالس، ويتعرض لأعراضهم، ثم يهرب من أداء النصيحة إليهم في وجوههم، فإن هذا من الغش لله ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين.

ومن علامة المؤمن، أنه يتلطف في نصحه، فيذهب إلى أخيه ويأخذه على انفراد ويُسِرُّ إليه بالنصيحة، ولا يُشهر به أمام الناس، لأنه لا يتبغي من وراء ذلك إلا رضى الله - عز وجل -.

وللنصيحة آداب منها: الإخلاص، ومنها الصدق في أدائها، ومنها الإسرار بها واختيار الأسلوب اللين الذي لا يجرح شعوراً ولا يسبب ضغينة. فالإسرار بالنصيحة من هدي النبي ﷺ؛ لأن النصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة وتشهير.

ومما يُروى عن الشافعي - رضي الله عنه - قوله:

تعمدني بنصحك في انفراد      وجئبني النصيحة في الجماعة  
فإن النصح بين الناس نوعٌ      من التوبيخ لا أرضى استماعه  
فإن خالفتني وعصيت أمري      فلا تجزع إذا لم تُغط طاعة

• عباد الله:

ومن حق المسلم على أخيه أن يشمته إذا عطر، فقد ورد في الحديث: «إذا عطر أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه: يرحمك الله، فإذا قال: يرحمك الله، فليقل: يهديك الله ويصلح بالك»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٢٥/٧) وأحمد (٣٥٣/٢).

وعن أنس أنه عطس عنده رجلان، فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتني، فقال: «هذا حميد الله، وأنت لم تحمد الله»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشتموه، فإن لم يحمد الله فلا تشتموه»<sup>(٢)</sup>. فإذا قال العاطس: الحمد لله، فواجب عليها أن تقول له: يرحمك الله، وإذا سكت فلم يحمد الله، فليس علينا أن نقول له يرحمك الله عملاً بهذا الحديث عن النبي ﷺ.

#### • أيتها المسلمون:

ومن حق المسلم على أخيه عيادته إذا مرض، وعبادة المرضى من الأمور التي تزرع المحبة والألفة بين المسلمين، ولذلك فقد جاءت الأحاديث الصحيحة مبيّنة فضل زيارة المرضى منها ما رواه مسلم عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عاد مريضاً لم يزل في خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»<sup>(٣)</sup>. وقد عاد عليه الصلاة والسلام أصحابه ودعا لهم منهم سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عادَهُ ﷺ ودَعَا لَهُ<sup>(٤)</sup>.

وعاد عليه الصلاة والسلام جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فوجده مُغْمَى عَلَيْهِ فتوضأ، عليه الصلاة والسلام، وصب عليه الماء فاستفاق<sup>(٥)</sup>.

وعاد عليه الصلاة والسلام أعرابياً جافياً ودعا له فأبى<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٢٥/٧)، ومسلم (٢٢٩٢/٤)، والترمذي (٧٨/٥) رقم (٢٧٤٢)، وابن ماجه (١٢٢٣/٢) رقم (٣٧١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢/٤) رقم (٢٩٩٢)، وأحمد (٤١٢/٤).

(٣) صحيح مسلم (١٩٨٩/٤) رقم (٢٥٦٨)، وخُرْفَةُ الْجَنَّةِ: بساكنها.

(٤) انظر: صحيح البخاري (٦/٧)، ومسلم (١٢٥٣/٣) رقم (١٦٢٨).

(٥) انظر: صحيح البخاري (١٤٩/٨)، وصحيح مسلم (١٢٣٤/٣) رقم (٥ - ٧).

(٦) أخرجه البخاري (٧/٧).

وهناك آداب لعيادة المرضى ينبغي على المسلم مراعاتها، منها عدم إطالة الجلوس عند المريض، وقد ذكر الذهبي في ترجمة سليمان بن مهران الملقب: «بالأعمش» أنه مرض مرضاً مُزْمِناً، فدخل عليه الناس، وتردّوا عليه كثيراً حتى أزعجوه، فكان من أمره أن كتب وَضَفَ مرضه وما يُعاني منه في ورقة، ووضعها تحت وسادته التي ينام عليها، فكان كلما سأله أحد عن مرضه أخرج هذه الورقة وقال له: اقرأ!! فلما كَثُرَ الناس عليه، قفز فأخذ المخدّة وجعلها تحت إبطه ووقف وقال للناس: شافى الله مريضكم!!.

فعلى المسلم أن يُراعي حال المريض في الزيارة، وعليه أيضاً أن يتحرى وقت العيادة بحيث يكون مناسباً للمريض، فلا يكون عند نومه، ولا عند طعامه، ولا عند صلاته، بل يجتهد في معرفة الوقت المناسب للعيادة.

ومن آداب العيادة، تهوين أمر المريض على المريض، وذلك باختصار الكلمات المناسبة التي تُدخِل عليه الفرح والسرور، وليس كما يفعل بعض الناس - هداهم الله - فإنهم يُشعرون المريض بأن مرضه خطير وحاله سيئة، وأنه يجب عليه أن يُوصي بماله، وأن يوزّع تركته، وكأن مَلَك الموت ينتظره عند الباب.

وهذا خطأ جسيم، فالحالة النفسية لها دورها في تعجيل الشفاء، ولذلك فإن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضاً قال له: «لا بأس ظهور إن شاء الله»<sup>(١)</sup>، كما فعل مع الأعرابي.

ولكن قال بعض أهل العلم: إذا وجدت رجلاً قد اشتدّ مرضه، وظهرت عليه علامات الموت، وأصبح قريباً من الآخرة، فحسّن ظنّه بالله، وبشّره بالجنة، وحسّن رجاءه في الله.

(١) أخرجه البخاري (٩٠/٢)، ومسلم (٦٥٢/٢) رقم: (٩٤٥).

## • أيتها المسلمون:

إن حقوق المسلمين على إخوانهم لا تنقطع ولا تنتهي حتى بعد الموت، فللمسلم حقوق على إخوانه حتى بعد أن يصبح جثماناً، وتصعد روحه إلى بارئها.

فمن حقوقه بعد وفاته: أتباع جنازته، والصلاة عليها، ومواصلته بالدعاء بالمغفرة والرحمة، فهذه هي أخوة الإسلام وهذا هو ميثاق الإيمان، وقد قال ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يَصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قَبْرًا، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قَبْرًا»، قيل: وما القبراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»<sup>(١)</sup>. وانظر إلى عِظَم الأجر وجزيل الثواب مع أن العمل بسيط والمشقة محدودة.

## • أيتها الناس:

إن حقوق المسلمين كثيرة، لا نستطيع في هذه الدقائق أن نستوعبها، وإذا لم يستطع أحد منا أن يقوم بكل ما عليه تجاه أخيه من حقوق، فعليه أن يكف شره عن عباد الله، فلا يَغْتَاب أحداً، ولا ينال من عِزِّ أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحُجْرَات: الآية ١٢].

وقد بلغ الحسن البصري أن رجلاً قد اغتابه، فأتى بطبق ووضع فيه رُطْباً ثم قال لخدمته: اذهب إليه وقل له: أهدى لنا حَسَنَاتِهِ، وأهدينا له رُطْباً!!.

وأتى رجل إلى جعفر الصادق، فسبَّ رجلاً من المسلمين في مجلسه، فقال له جعفر الصادق: أيها الرجل... أقاتلت الروم؟ قال: لا. فقال له: أقاتلت فارس؟ قال: لا. قال: أجاهدت الكُفَّار؟ قال: لا. فقال: سبحان الله!! يَسَلِّمُ منك الروم وفارس واليهود والنصارى، ولا يَسَلِّمُ منك المسلمون.

(١) متفق عليه.

فَاتَّقِ اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، فِعْرَضِ الْمُسْلِمِ أَمْرُهُ عَظِيمٌ،  
وَشَأْنُهُ خَطِيرٌ، فَكَيْفَ يُزَيِّنُ لَكَ الشَّيْطَانُ أَنْ تَتَحَدَّثَ فِي أَعْرَاضِ إِخْوَانِكَ، فَتَعْدُلَ  
هَذَا، وَتَجْرَحَ ذَاكَ، وَتَشْتَمَ هَذَا، وَتَسَبَّ هَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الَّذِي سَبَّبَتْ  
وَشْتَمْتَ أَفْضَلَ مِنْكَ وَأَتَقَى مِنْكَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - .

فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو فِي الْمُسْحَرِ لِسَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ،  
وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَقَدْ رَأَى ابْنَ الشَّافِعِيِّ فَقَالَ لَهُ: أَبُوكَ مِنَ الَّذِينَ أَدْعُو  
لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ!! .

وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ يَوْمَ عَاتَبَهُ بَعْضُ الْحَاقِدِينَ فِي زِيَارَتِهِ لِلْإِمَامِ  
أَحْمَدَ، وَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ تَزُورُهُ وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا؟ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا:

قَالُوا يَزُورُكَ أَحْمَدُ وَتَزُورُهُ      قُلْتَ الْفَضَائِلُ لَا تَغَادِرُ مَنْزِلَهُ  
إِنْ زَارَنِي فَلْفُضْلُهُ أَوْ زُرْتُهُ      فَلْفُضْلُهُ فَالْفُضْلُ فِي الْحَالِينِ لَهُ

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الدَّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بظَهْرِ الْغَيْبِ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِفْظِ عَوْرَاتِ  
الْمُسْلِمِينَ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي التَّنَاصُحِ وَالتَّكَلُّفِ وَالتَّأَزُّرِ.

• عِبَادَ اللَّهِ:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾  
[الْأَحْزَابُ: آيَةُ ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا  
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

## قصة عائد إلى الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيتان ٧٥، ٧٦].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

## • أما بعد أيها الناس :

ما أجمل العودة إلى الله - عز وجل - وما أروع التائب يوم يتذكر أن له رباً قادراً، يراه على حاله من الذنوب والمعاصي، فينتفض بدنه، ويخشع قلبه، ويندم ندماً عظيماً، ويعزم على التوبة والعودة والإنابة.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا وارحم إلهي ذنباً قد جنيناه  
 كم نطلب الله في ضرٍ يحلُّ بنا فإن تولتْ بلايانا نسيناه  
 ندعوه في البحر أن يُنجي سفينتنا فإن رجعنا إلى الشاطئ عسيناه  
 ونركب الجوّ في أمنٍ وفي دعةٍ فما سقطنا لأن الحافظ الله

## • عباد الله :

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ لَأَجْرُ اللَّهِ كَبِيرٌ وَمَنْ يَتَذَكَّرْ لَهُ فَإِنَّهُ عَلَىٰ شَرِّ ذُنُوبِهِ لَمَكِيدٌ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَرُ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ١٣٥، ١٣٦].

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزمر: الآية ٥٣].

هذه قصة أرويهها هذا اليوم؛ قصة عائد إلى الله، قصة تائب عرف طريقه المستقيم إلى الله، رجل يعيش ولا يزال يعيش على قيد الحياة، رجل نيف على الخمسين من عمره، عابد من العباد، ولي من الأولياء، نحبه كذلك والله حسيبه، لا أذكر اسمه، فقد سألتني بالله ألا أذكر اسمه للناس يوم أروي هذه القصة، يعيش في مدينة من مدن بلادنا، هذا الرجل قصته عجيبة تروي قصة الإنسان، يوم يعيش حياتين وفترتين ومرحلتين، يوم يعيش في أول عمره الضياع والهيام والضلال والشُرود والتمرد على أمر الله - تبارك وتعالى -: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢٤﴾﴾

[السُّرْقَان: الآيَة ٤٤]. ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ [البَّجَائِيَّة: الآيَة ٢٣]. هذا الرجل كان يعمل جندياً حارساً، يتولّى نوبته بينديقته، لكنه ما يعرف الله، يقول: مرّت بي تلك الفترة، والله ما سجدت لله سجدة إلا رياءً ومُجَامَلَةً للناس، كانت تمرّ به الأشهر الطويلة لا يغتسل من الجنابة، لا يركع ركعة، لا يتلو القرآن، لا يذكر الواحد الدِّيَّان، شارِدٌ على الله، ميت بمعنى الكلمة، ليلُهُ سهر مع الغناء الماجن، مع رِفْقَة السوء، مع شِلَل الإِجْرَام، مع عصابات التمزّق والفشل والانهازم، مع الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عِوَجاً، فإذا أدركه النوم نام بلا طهارة، كالبهيمة التي لا تعقل، ميت لا يعرف مواقيت الصلاة، لأنه لا يصلي، وإذا استيقظ استيقظ متى يريد بلا طهارة، بلا وضوء بلا عبادة، بلا ذِكْر. والعجيب أنه كان قويّ البنية، ضخّم الهيئة، لكنه ضعيف القلب مهزوم الإرادة، لا يعرف هدفاً للحياة، وكان يكره التدين وأهل الدين، حتى إذا رأى أهل الدين والالتزام، جعلهم <sup>محاً</sup> لا لاستهزائه وسخريته، لأنه يرى أن الإسلام رَجْعِيَّة، وأن الدين تخلف، وأن السُنَّة قد مضى عهدا ولم تعد صالحة للتطبيق.

ولطالما زاره الدعاة لما سمعوا من إجرامه وفساده، ووعظوه وحذروه وأنذروه، فكان يردّد كلمته المشهورة: «كفر صُراخ ولا دين مَخْشِخْش» يتهم بذلك أهل الدين بالتفاق وعدم الصدق، وأنهم مُدَاهِنُونَ مُتَمَلِّقُونَ، وهذا من آثار الغزو الفكري الذي يصدور المتدينين بصور التفاق والإرهاب والتطرّف.

هذا الرجل قاطع والديه وهما على بُعد ثلاثمائة كيلومتراً منه، هجرهم، وسبهم، وشتهم.

كان يجلس مع رفقة السوء فيستهزئ بالصالحين واللّحي والسُنن والعبادات والطاعات.

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُوا﴾ (٧) ﴿مِنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (٨) ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرُوا﴾ (٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا﴾ (١٠) [عبس: الآيات ١٧ - ٢٠]. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ (١١) ﴿وَلِسَانًا وَفَرْجَيْنِ﴾ (١٢)

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٥﴾ فَلَا أَفْجَمَ الْفَعْبَةَ ﴿١٦﴾ [البلد: الآيات ٨ - ١١]. ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا  
 غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾  
 [الانفطار: الآيات ٦ - ٨]. ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾  
 إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ  
 إِنَّمَا شَاكَرْنَا وَإِنَّمَا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان: الآيات ١ - ٣].

واستمرت السنوات تلو السنوات وهو يعيش في ظلام كما يعيش كثير من  
 الشباب المُعرض عن الله، يأكلون ويشربون ويطلبون ويزمرون ويرقصون، لكن  
 لا يعرفون الله.

مساكين الذين يتصورون الحياة دفاً وناياً ووتراً... مساكين الذين جعلوا  
 الحياة لذّة وشرباً وأكلًا كالبهائم، مساكين الذين ما عرفوا حلاوة وطعم ولذّة  
 الإيمان، واستمرت الليالي والأيام بهذا الرجل وهو في حراسته، يحمل بندقيته،  
 يسمع النداء الخافق العالي بالأذان، فلا يُجيب داعي الله، يرى الصالحين  
 يتوجهون إلى المجد فلا يشاركونهم أبداً.

وفي يوم من أعظم أيام عمره قيّض الله له داعية عملاقاً، لا أعرفه أنا وإنما  
 يعرفه كثير من العلماء وطلّبة العلم في هذه المنطقة وفي غيرها اسمه: محمد بن  
 حمّود اليميني، رجل ما ذكرته الكتب لكن ذكرته القلوب، وما عرفته الصُحف  
 ولكن عرفته الأرواح، وما سجّل في الجرائد لكن سجّله الله في الخالدين، حدّثنا  
 بتواتر عنه أنه كان يأخذ القلوب فيسافر بها إلى الله.

وأقف في قصة حدّثنا بها بعض الصالحين، قصة تتحدّث عن هذا الدّاعية.  
 يقول الرجل الصالح: رأيت في المنام رسول الله ﷺ رأيت كأنني في سوق، وقد  
 اجتمع الناس يتبايعون ويشترّون، في السوق وإذا برسول الله ﷺ بأبي هو وأمي  
 يرتقي إلى منبر السوق، وإلى مكان عالٍ في السوق فيعظ الناس ويبكي ويبكي  
 الناس، قال حتى رأيت بعض الناس سقطوا مغمى عليهم من التأثر، فرشوا بالماء  
 وحملوا من السوق - هذه رؤيا منام - قال: وفي الصباح نزلت إلى سوق البلدة

فوقفت مع الناس فلما حَمِيَّتِ الشمس وارتفع النهار، واجتمع الناس وإذا بهذا الداعية يصعد منبراً منصوباً في السوق، يكبرُ ويُهَلِّلُ وتتسابق دموعه قبل كلماته، قال: فرأيت الناس يتساقطون من التأثر به، ويُرْشُونَ بالماء ويَحْمَلُونَ إلى الظلِّ، فكان هذا تأويل رؤيائي من قبل، وعلمت أن هذا الداعية من الصالحين، وأنه يسير على هَدْيِ رسول الله ﷺ ويقتفي أثره في الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - ..

### • أيتها المسلمون:

نعود إلى قصة الرجل الأول، قال: وفي أثناء نوبتي في الحراسة أخذاً بندقيتي بجانب مسجد في هذه البلدة، والناس يتوافدون لأداء الصلاة، وأنا لا أعرف الصلاة، إذا بهذا الداعية يرتفع صوته بعد صلاة العصر مُنْذِراً وَمُحْذِراً وَمَذْكَراً وهو يتلو قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: الآية ١؛ الحج: الآية ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ سُلُوفُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢].

ثم أخذ يشرح الموقف والعرض الأكبر، ويصف الجنة والنار وقد سلم هذا الرجل قلبه لهذا الداعية، ووصل صوته إلى قلبه قبل أن يصل إلى أذنيه، لأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب. قال: فأسَرَ قلبي بين يديه: ﴿فَلَمَّا مَأَّ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاهُ حَتَّى نَفَعَ الْمَرْبُ أَرْزَاقاً﴾ [محمَّد: الآية ٤]. قال: وانتقلت من البلدة بروحي فما أدري ما أنا، وأصابني من الإعياء ومن البكاء ومن الإغماء ما الله به عليم حتى ما استطعت أن أتحمَّل على رِجْلَيْ، فجلست على الأرض، قال: وكان صوته ينفذ إلى القلب مباشرة، وهو يتحدث عن الحشر، وأحوال الناس فيه، والصُّحُف وتطايُرُها، فأخذُ بيمينه، وأخذُ بشماله. اللهم سلم سلم.

قال: وأخذت في البكاء إلى قبيل المغرب حتى سلمت نوبتي لزميلي، ودَّهَلَ الناس مني واجتمعوا عليّ، قالوا: ما لك؟ قلت: لا شيء، أتوب إلى الله، أستغفر الله، أعود إلى الله، اللهم اغفر لي اللهم ارحمني.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥].

وهكذا يفعل الداعية المخلص في القلوب، وهكذا يفتح مُدناً من القلوب بالكلمات، لا تفتحها الجيوش المُجيشة، ولا الجنود المجنَّدة، وقام هذا الرجل، وذهب فاغتسل من الجنابة، التي مكثت عليه أشهراً طويلة، وغير ملبسه؛ لأنه قد تغير قلبه، وقام يتغفر ويتوب ودموعه تتسابق مع قطر ماء الوضوء.

إذا اشبتك دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

قال وأول صلاة صلَّيتها صلاة المغرب، فلما صلَّيت وإذا أنا بالداعية فسلمت عليه، فهشّ وبشّ في وجهي، وكأنه اشتراني وأعتقني والله، وعانقه في نفس الوقت وهذا هو السحر الحلال، وهو تبسّم أهل الفضل وأهل الثبُل وأهل العلم ليشتروا القلوب بجنة عرضها السموات والأرض.

يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٦١﴾﴾ [القلم: الآية ٤]. ويقول له: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، قال: فذهب بي هذا الداعية إلى بيت يجاوز المسجد، وسألني لماذا أبكي؟ فقصصت عليه قصة حياتي فشاركني في البكاء، وقلت: الآن أولد مولداً جديداً.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]، وأخذ يحدثه عن الهداية، وعن طريق الجنة، وعن ثواب الله للصادقين، وعن جزائه للتائبين، وعن إقباله على المُقبِلين، قال: وسألني كم أحفظ من القرآن؟ قلت: لا أحفظ شيئاً، قال: سبحان الله!! كيف صلَّيت معنا آنفاً؟ قال: وقلت هكذا حتى الفاتحة ما أحفظها،

لأنه قد يبلغ بعض الناس التمرّد والإعراض إلى أن يفهم كل شيء إلا الإسلام، ويعرف كل شيء إلا القرآن، ويحب كل شيء إلا الدين، بل وُجِدَ في مجتمعاتنا وفي أوساطنا وفي مُدُننا، مَنْ يحفظ مئات الأغنيات، ولا يحفظ سورة واحدة من القرآن، هذا موجود وحاصل، وهو ثمرة من ثمار الإعراض عن الله - عزّ وجلّ - قال: فقام فعلمني الفاتحة وسُوراً صغيرة، ثم ألزمني برجل من أهل القرية عنده صلاح، وقال: حَفَظَ كتابَ الله، قال: والله الذي لا إله إلا هو - الرجل يروي قصته - ما أخذت أنام من الخوف - من خوف الله - في الأربع والعشرين ساعة إلا ساعتين، وحفظت القرآن حفظاً عن ظهر قلب، كلّ القرآن في أربعة أشهر، لأنه أحبّ القرآن، وأقبل على الواحد الدّيان وعرف طريقه إلى جنة الرضوان، هذا الرجل استمر في الهداية، وأصبح عابداً لله - عزّ وجلّ - وأعرف عنه أنه يقرأ القرآن ويختمه في كل ثلاثة أيام، ويصوم كثيراً من الأيام، ولا يتمالك عينيه إذا قرأ القرآن إلا أن ينهدّ باكياً، يحدث بقصته هذه فيبكي لأنها قصةٌ عجيبة تمرُّ بنا كثيراً، وهي قصة النجاة من النار، وقصة العودة إلى الواحد القهار.

في أولها حرمان، وفي آخرها رضوان، أولها لعنة وشقاوة، وآخرها رحمة وهداية، وإقبال على الواحد الأحد...

فيا مَنْ عاش حياة الإعراض، ويا مَنْ أدبر طويلاً في أيامه، ويا مَنْ جعل ليله ونهاره في المعاصي والمُخَالَفات، تُب إلى الله، أقبِل إلى الله، سِر في طريق محمد، عليه الصلاة والسلام، لِيَصِلَكَ اللهُ بالواحد الأحد.

### • أيتها الناس:

هذا أنموذج من حياة كثير من الناس وعندنا من هذا وعند كثير من الإخوة عشرات النماذج ممّن أعرضوا ثم أقبَلوا، من الذين عاشوا الحرمان والخذلان ثم عرفوا الطريق إلى الواحد الدّيان.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥].

أقول ما تمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين،  
فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين  
والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

• أما بعد:

أيها الإخوة الكرام فإن قصص التوبة والإقبال على الله - عز وجل - ملء  
التاريخ، ومن يقرأ سير الصحابة والسلف الصالح يجد أن كثيراً منهم قد مرَّ  
بفترتين؛ فترة الإعراض والظلام، وفترة الإقبال على الله.

ومما حُفِظَ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: لا بد  
لكل عبد أن يُولدَ ميلادين اثنين؛ المولد الأول: يوم أتت به أمه، وهذا يشترك  
فيه الناس جميعاً حتى البهائم، فإن كل مخلوق يمرّ بهذا المولد، ويعيش هذه  
الحياة، ويحسُّ بهذا الميلاد، الكافر والمؤمن، البهيمة والدابة، الطائر والحشرة،  
كلهم يولدون هذا المولد. وأما المولد الثاني: فلا يذوقه إلا المؤمن، ولا يحسنه  
إلا المؤمن، وهو الميلاد الذي ذكره - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا  
فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]، ما معنى ذلك: أنه كان ميتاً لا يتحرك ولا يأكل  
ولا يشرب؟ لا.

معناه أنه كان ميت القلب، ميت الإرادة، ميت العزيمة، ميت السير إلى  
الله، يأكل ويشرب ويطلب ويتمر ويغني ويتمرد ويفسق، لكنه ميت، قال الله:

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]، بالإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَمْ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]، نور العلم والإيمان، ﴿كَمْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]، فالميلاد الثاني كما قال ابن تيمية هو ميلاد الإنسان في الإسلام، يوم يخلع كلُّ شِرْكٍ وشُبُهةٍ ونِفَاقٍ ومعصية، ويأتي فيسَلِّمُ نفسه إلى الله، ويشترى نفسه من الله، ويعتق رقبتَه من النار، هذا هو المِيلاد الثاني، وهذا المِيلاد ذاقه الصحابة رضوان الله عليهم، ولا زال كثير من الناس يعيشونه في هذا العصر، وفي كل عصر، فسلام على التائبين الذين استنارت قلوبهم بالعودة إلى الله - عزَّ وجلَّ - والذين عرفوا الطريق إلى الله وإلى الهدية والتوفيق.

### • عِبَادِ اللَّهِ:

أحد العلماء في مدينة الرياض حدَّثنا بقصة وقعت لقريب له، هذا القريب كان جندياً من جنود إبليس الذين يقول قائلهم:

كنت امرئ من جنود إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي

يقول: كان متمرداً على الله بمعنى الكلمة، حتى وصل الحال به إلى أن دَعَت عليه أمه بالهلاك، وأن يُريح الله العباد والبلاد منه، يذهب في الليل فلا يأتي إلا في ساعة متأخرة، يأتي محمّواً من حبوب المخدرات، ومن المُكْر والخمر والعربدة، أما المسجد فما دخل المسجد أبداً، قال: واستمرت هذه الحال حتى تأذى منه جيرانه وشكّوه، وحاول بعض الدعاة معه مُحَاوَلَةً، فأوصلوه إلى بيته، ووعظوه بالله، وسألوه بأسماء الله الحُسنَى أن يتوب، أو على الأقل أن يكفَّ على الناس شرّه، وصل البلاء به مَبْلَغاً عظيماً، وما بقي إلا توبة نصوح، أو قاصِمة من الله تأخذه يوم يأخذ الظالم فلا يفلته أبداً. قال: وبينما نحن نَعْظُه بكى فظننا أنه تاب، وأنه أحسَّ بالعودة إلى الله، ولكن دون جدوى عاد كما كان؛ بل أمرٌ مما كان، وكان يستهزئ بنا ويسخر مِنَّا في رسائل وفي جلسات، وعند أصحاب يدعونه إلى الردى والغواية، قال: واستمر به الحال

على ذلك، كتبنا له رسائل، حاولنا معه بكل وسيلة، شفّعنا فيه أن يهتدي فرفض، وتذكّرنا طريقة مُبتَكِرَة للهداية، وهي طريقة ناجحة في الغالب، وهي طريقة إهداء الشريط الإسلامي، فانتقوا له مجموعة من الأشرطة الإسلامية المفيدة، والتي تتناسب مع حالته، فاشتروها له، ووضعوها في سيارته.

وقالوا: هذه المحاولة الأخيرة معه، فإن هداه الله، كان هذا ما نتمناه، وهو أحبّ الأمرين إلينا، وإن لم يَهْدِهِ دَعَوْنَا الله عليه أن يُرِيحَ العِبَادَ والبِلَادَ منه؛ لأنه تَعَبَّ في غَوَايَةِ كثير من شباب الحيّ. قال: وقدّر الله - عزّ وجلّ - هدايته، لِحِكْمَةِ يعلمها الله - عزّ وجلّ - ولذلك فإنه ينبغي على الدعاة ألا ييأسوا من هداية الناس وأن يتحلّوا بالصبر، ولا يستعجلوا أمر الله - عزّ وجلّ - فإن كل شيء بقدر، ولكل أجل كتاب: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التحل: الآية ١].

قال: سافر هذا الرجل إلى مدينة الدّمّام، وفي أثناء الطريق سمع الغناء حتى ملّ، وسمع البذاء والمسخط حتى كلّ وسئم، وقبل أن يصل إلى المدينة، نظر إلى هذه الأشرطة الإسلامية، وقرّر أن يسمع أحدها ليضحك على هؤلاء البشر السخفاء في نظره، الحُقراء في فكره، هل يعرفون الكلام مع الناس؟ هل عندهم شيء؟ فأخذ يستمع إلى أحد الأشرطة التي تتحدّث عن اليوم الآخر، والأهوال التي سوف تحدث في هذا اليوم. قال: وتأمل، وألقى سمعه، وتحدّث الشريط عن حياة الإنسان، وعن ضعف الإنسان، وعن موقف الإنسان يوم العرّض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقّة: الآية ١٨].

قال: وبدأ التآثر وانتهى الشريط، وأخذ شريطاً آخر يتحدّث عن الجنة وبدأ التآثر، وهجم عليه البكاء، فأخذ يبكي بقوة حتى أنه لم يعد يتحكّم في قيادة سيارته.

وظلّ على هذا الحال من البكاء والندم حتى وصل إلى مدينة الدّمّام، ومع دخوله المدينة، أدخل الله الهداية قلبه، فانطلق يبحث عن مكان يتوضّأ

فيه، فتطهر وتوضأ، ثم دخل المسجد وصلى ركعتين وأعلن توبته، وهو يبكي أمام الله، وصلى مع الناس، وعاد فأكمل سماع هذه الأشرطة التي زادته عمقاً وإيماناً وبصيرة، عاد إلى أهله بوجه غير الذي ذهب به، وجه الإيمان، وجه النور والهداية، وجه الإقبال على الله - عز وجل - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ١٠٦، ١٠٧].

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً  
أهدوك من نورهم ما يثجف الساري  
تزوي وتشبع من سيماء طلعتهم  
بوصفهم ذكرك الواحد الباري  
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم  
مثل النجوم التي يسري بها الساري  
وصل إلى بيته وأخبر والدته فانصدعت بالبكاء من الفرح ومن الفرح ما يبكي.

طفع السرور علي حتى إنني  
من عظم ما قد سرني أبكاني  
وأيام وإذا بالناس من الجيران يتوافدون عليه يهتئونه بهذه النجاة وهذا المستقبل.

وإذا برّب العباد يزرع محبته في قلوب الناس، فأحبته القلوب، واستأنس بصحبته الصالحون، ففي الصحيح: «أن الله - عز وجل - إذا أحب عبداً قال لجبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم يقول للملائكة: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه الملائكة، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً قال لجبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم يخبر أهل السماء فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٣٠) كتاب البر والصلة، رقم (١٥٧).

أحبه الناس؛ لأنه أحسن إليهم، وتغيّرت معاملاته معهم، فرجّم صغيرهم، ووقر كبيرهم، وتذّر نفسه لخدمتهم وحلّ مشاكلهم، وواصل مسيرته مع الله، ولا زال حيّاً وأصبح مثالاً وأسوة ﴿وَأَجَعَلْنَا لِلشَّقِيئِ إِمَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٤].  
 وهدى الله على يديه كثيراً من الناس ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: الآية ٢١].

• عباد الله:

جدّدوا توبتكم وإقبالكم على الله الواحد الأحد، أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، فإن ربكم غفور شكور.

• أيها الناس:

وصلّوا وسلّموا على مَنْ أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارضَ اللَّهُمَّ عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بِمَنِّكَ وكرمِكَ يا أكرم الأكرمين.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## مراتب الإحسان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْصَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

• أيتها المسلمون:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - وطاعته، واتباع أمره والوقوف عند حدوده ومحارمه، والحذر من مخالفته ومعصيته.

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: الآيات ١٨ - ٢٠].

فقد أمر الله - عز وجل - في هذه الآيات بالتقوى والمراقبة التي هي أعلى مراتب الدين ومنازله، وهي الإحسان الذي سأل عنه جبريلُ رسولَ الله ﷺ، بعد أن سأله عن الإيمان والإسلام، فقال: أخبرني عن الإحسان؟ فقال النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>. فهذه حقيقة الإحسان مأخوذة من مشكاة النبوة. والإحسان مراتب ودرجات:

أولها: مرتبة المراقبة والمشاهدة والخوف من الله - عز وجل - وخشيته.

وثانيها: مرتبة الحياء من الله - سبحانه وتعالى -.

وثالثها: مرتبة الأنس برب العالمين.

فأما مرتبة الخوف فهي أن يعبد الإنسان ربه على وجه الحضور وكأنه يرى الله - عز وجل - بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، والجزاء من جنس العمل، فمن عبَدَ الله على هذه الكيفية في الدنيا، كان جزاؤه أن ينظر إلى وجه الله الكريم عياناً في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيات ٢٢، ٢٣].

وكما أخبر عن المُحْسِنِينَ فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحْسَنُهُمْ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]، وعن صُهَيْبٍ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر

(١) أخرجه البخاري (١٨/١) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٧/١) رقم (٨).

إلى ربهم عز وجل، ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئِفٍ وَزِيَادَةٍ﴾<sup>(١)</sup> [يونس: الآية ٢٦].

أما المعرضون عن الله - عز وجل - أما أهل الكفر والتفارق، فإنهم محجوبون عن رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة، لأنهم كانوا لا يراقبون الله - عز وجل - في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجِبوا عن رؤيته في الآخرة، فلا بد للعبد أن يستحضر قُرب الرب - جلّ وعلا - منه وإطلاعه عليه، لأن ذلك يُوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويُوجب أيضاً التصح في العبادة وبذل الجهد في تحيها وإتمامها وإكمالها.

وأما المرتبة الثانية وهي مرتبة الحياء من الله - عز وجل - فهي ناتجة عن معرفة العبد بأن الله - عز وجل - يراه على أي حال، ويطلع عليه في كل أمر من أمره، فيستحيي العبد من خالقه أن يجده حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، فيكون بذلك قد جعل الله - عز وجل - أهون الناظرين إليه. كما قال تعالى: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ اللَّهَ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: الآية ١٠٨].

قال بعض الصالحين: خَفِ اللهُ على قَدْرِ قدرته عليك، واستحيي من الله على قَدْرِ قُربه منك.

وقد دلّ القرآن على قُرب الرب تبارك وتعالى من عباده وإطلاعه عليهم في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْفَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: الآية ٧]. وقال - عز وجل - : ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية ١٦].

(١) أخرجه مسلم (١/١٦٣) رقم (١٨١).

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالتدب إلى استحضار هذا القُرب في حال العبادات كقوله ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ بِصَلَاتِي فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبِيلَةِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «أَنَا هُنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي بِمَشْيِ أُنْتَبَهَ هِرْوَلَةً»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر المزني: مَنْ مَثَلَكِ يَا ابْنَ آدَمَ، خُلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمِحْرَابِ وَبَيْنَ الْمَاءِ كُلَّمَا شِئْتَ دَخَلْتَ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ.

والشاهد من ذلك أن مَنْ وَصَلَ إِلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْهُ وَأَطْلَاعِهِ عَلَيْهِ اسْتَأْنَسَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَطْمَأَنَّنَ قَلْبَهُ، وَلَمْ تَنَازِعْهُ نَفْسُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالتَّجَرُّؤُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمِرَاقِبَةَ يَتَوَلَّدُ عَنْهَا الْحَيَاءُ وَهَذَا الْحَيَاءُ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنْ مُقَارَفَةِ الْمَعْصِيَةِ وَمُوَافَقَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ عَلَيْهَا.

وأما المرتبة الثالثة التي يتضمنها الإحسان فهي مرتبة الأنس بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْإِطْمِئْنَانِ إِلَيْهِ وَالْفَرَحِ بِعِبُودِيَّتِهِ.

قال أبو أسامة: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ فَرَأَيْتُهُ كَأَنَّهُ يَنْقَبِضُ فَقُلْتُ: كَأَنَّكَ تَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى؟ قَالَ: أَجَلْ! فَقُلْتُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ؟ قَالَ: كَيْفَ اسْتَوْحِشُ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي.

وقيل لمالك بن مغفل وهو جالس في بيته وحده: أَلَا تَسْتَوْحِشُ؟ قَالَ: أَوْيَسْتَوْحِشُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟!.

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/١) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٩٠/١) رقم (٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧١/٨) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٠٦١/٤) رقم (٢٦٧٥).

وكان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول: مَنْ لم تقرّ عينه بك فلا قرّت عينه، ومَنْ لم يأنس بك فلا أُنس.

وقال غزوان: إني أصبت راحة قلبي في مُجالسة مَنْ لديه حاجتي.

وقال الفضيل: طوبى لِمَنْ استوحش من الناس وكان الله جليسه.

فهؤلاء القوم استأنسوا بالله - عزّ وجلّ - واطمأنوا إليه، فلم يَحوّجهم إلى غيره، بل جعل لهم من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية.

وقد بلغ نبينا ﷺ الغاية في ذلك، لأنه أكمل الخلق فما انقطع عن الناس، وما أغلق الأبواب، وما وضع الحُجّاب، وما سكن الجبال والكهوف ليختلي بالله - عزّ وجلّ - وإنما كان يُجالس أصحابه، ويمشي في حاجة الأرملة والمكين، ومع ذلك كان في أنس دائم بالله - عزّ وجلّ - وكان الحبل ممدوداً بينه وبين الله - تبارك وتعالى - قال عبد الله بن عمر: كُنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»<sup>(٢)</sup>. وهذا هو الكمال الحقيقي الذي أوتيّه النبي ﷺ حيث كان يقوم بحقوق العباد على أتم وجه وأكمّله، ويقوم بحقوق النفس والأهل كذلك، وهو في ذلك كله لا يفتر لسانه من ذكر الله - عزّ وجلّ - كان إذا أراد الصلاة قال: «أرْحنا بها يا بلال»<sup>(٣)</sup>. وقال

(١) أخرجه أبو داود (٨٥/٢) رقم (١٥١٦). والترمذي (٤٦١/٥) رقم (٣٤٣٠). وابن ماجه (١٢٥٣/٢) رقم (٣٨١٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصحّحه الحاكم في المستدرک.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧٥/٤) رقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٦/٤) رقم (٤٩٨٥، ٤٩٨٦)، وأحمد (٣٦٤/٥، ٣٧١) وصحّحه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢).

ابن مسعود رضي الله عنه : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء. قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه<sup>(١)</sup>.

ويحدثنا حذيفة رضي الله عنه عن طول قيام النبي صلى الله عليه وسلم، في الليل لله رب العالمين فيقول: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم، ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً<sup>(٢)</sup>، إذا مرَّ فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه<sup>(٣)</sup>.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٤)</sup>. فهكذا حصل للنبي صلى الله عليه وسلم الكمال في كل مراتب العبودية، وهذا ما عجز عنه غيره من البشر، فقد روي عن مسلم بن عابد - عليه رحمة الله - أنه قال: لولا صلاة الجماعة ما خرجت من بيتي أبداً. فأين عيادة المرضى، واتباع الجنائز، والسعي في حوائج المسلمين؟!.

والشاهد من ذلك كله أنه ينبغي للعبد أن يكون متصلاً بالله - عز وجل - ذاكراً له، مُستأنساً به - تبارك وتعالى - غير مستوحش من فقد الأُنس والجليس. فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لما سجنه أعداؤه، وأغلقوا عليه الأبواب، كان يُكثِر من قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لِمُ بَابٍ بِلُطْمٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ

(١) أخرجه البخاري (٤٥/٢) كتاب التهجد، ومسلم (٥٣٧/١) رقم (٧٧٤).

(٢) مترسلاً: الترسل: ترتيب الحروف وإعطاؤها حقها ومُتَحَقِّقًا.

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٦/١) رقم (٧٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤/٢) كتاب التهجد، ومسلم (٢١٧١/٤) رقم (٢٨١٩، ٢٨٢٠).

وَوَظَّهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿﴾ [الحديد: الآية ١٣]. وكان يقول: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أينما ذهبت فهي معي. أنا قتلي شهادة، وسجني خلوة، ونفسي سياحة، وكان عليه رحمة الله يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

### • أيها المسلمون:

أمر الله - عز وجل - بالإحسان فقال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُبْغِ الْمُتَعَبِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥]. وقال - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [التحل: الآية ٩٠].

فالله - عز وجل - أمر بالإحسان وحث عليه وبين فضائله، ولذلك فهو يحب المحسنين، ويبيهم ويدافع عنهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نُنْبِئُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: الآية ٣٠]. وكما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُتَحِينِ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩]، يكأهم، ويؤيدهم، وينصرهم على أعدائهم، ويقضي حوائجهم. قال - سبحانه وتعالى - في ثواب من أحسن: ﴿بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية ١١٢]. ولماذا يخاف والله معه؟! ولماذا يحزن والله ناصره ومؤيده؟! ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: الآية ٥١]. أما الذين أعرضوا عن الله، وتنكبوا الصراط المستقيم، وساروا في طريق الغي والضلال، فأولئك لهم الخزي في الدنيا والآخرة، فلا حظ لهم في الجنة، ولا حظ لهم من النظر إلى الله - عز وجل - وهذا من أعظم العقاب وأشدّه عليهم يوم القيامة، كما قال الله - عز وجل -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: الآية ١٥].

وسوف يصطرخون يوم القيامة، ويتمنون أن لو كانوا أحسنوا في الدنيا وقدموا لأنفسهم عملاً صالحاً: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ أو تقول لو أنك الله هديني لكنت من المؤمنين ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الزُّمَرُ:  
الآيات ٥٦ - ٥٨]، ولكن هيهات هيهات: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ  
لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للإيمان، وأن يجعلنا ممن بلغ  
مرتبة الإحسان.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب  
فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليق بجلاله وكما يكافئ إحسانه ونعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وعنا وعن عباد الله الصالحين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

### • أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله وأتباع أمره، واحترام محارمه، فإن تقواه وصيته للأولين والآخرين من خلقه. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ﴾ [النساء: الآية ١٣١].

### • أيها المسلم:

إذا عرفت فضل الإحسان وحقيقته ومنزلته وأجره وثوابه، فاعلم أنك مأمور بالإحسان في كل شيء، وفي كل عمل، وفي كل قول، وفي كل فعل، بل وفي كل خطرات قلبك وسكناتك، كما قال - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: الآية ٩٠].

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم عن شداد بن أوس قال النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسِنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسِنوا الذبحة وليُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُتْرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(١)</sup>. فهذا الحديث بَيَّنَّ النبي ﷺ أن الله - عزَّ وجلَّ - كتب الإحسان على كل شيء.

وأعظم ما يكون الإحسان؛ الإحسان في عبادة الله، الإحسان في توحيد الله - عزَّ وجلَّ - الإحسان في الاعتقاد، بأن يعتقد اعتقاداً سليماً، ويوحِّد توحيداً خالصاً، لا يشوبه شِرْكٌ في الربوبية، ولا في الألوهية، ولا إلحاد، ولا تعطيل من الأسماء والصفات، كما كان النبي ﷺ، وأصحابه والقرون المفضَّلة، فإن اتَّباع النبي ﷺ شرط الإحسان وصحَّة العمل كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٢] أي: حَقَّقَ التَّوْحِيدَ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: الآية ١١٢] أي: مُتَّبِعٌ لِلرَّسُولِ ﷺ ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية ١١٢].

كذلك أيُّها الملمون يكون الإحسان في العبادات، فالعبد مأمور بالإحسان في الصلاة، وذلك بأن يتكامل طهارتها، ويتحضر خشوعها، ويتكامل أركانها، ويستقصي واجباتها، ويحرص على أداء سُنَنِهَا، وأن يحرص على جماعة المسلمين، وبهذا يكون مُحِيناً في صلاته، فتكون حينئذ ناهية له عن الفحشاء والمنكر.

ومأمور أن يُحَسِّنَ في الزكاة، بأن يؤدِّيها عند حلولها طيبةً بها نفسه، من أطيب ماله وأحسنه.

ومأمور بأن يُحَسِّنَ في الصيام، بأن يحرص على إكمال صيامه، وإتمام عدته، وأن يُجَنِّبَ المحارم والتي تؤدِّي به إلى ذهاب الأجر والثواب. كالغيبية والنِّميمة وأكل الحرام وما أشبه ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٤٨) رقم (١٩٥٥).

ومأمور بالإحسان في الحج، بأن يحرص على أن يحجَّ من مال طيب حلال مُبارك، وأن يجتنب الرّفث والفسوق والعصيان، وأن يحجَّ كما أمره النبي ﷺ.

كذلك مأمور أن يُحسِن في كل عبادته، في جهاده لربِّ العالمين، وذلك بأن تكون نيّته سليمة خالصة لله، أن يجاهد كما جاهد النبي ﷺ، لتكون كلمة الله هي العليا، فمَن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو مُحسِن مُتَّبِعُ نبيِّه ﷺ، فلا بدّ من إحسان النية في الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

ومن ذلك أن يدافع عن بلاد المسلمين والمقدّسات، ضدّ أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملاحدة الوثنيين وغيرهم من أهل العِلْمَةِ والتَّفَاق.

فالجهد الشرعي هو أن يُجاهد المرء لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يُدافع عن مقدّسات المسلمين، وأن يُدافع عن راية لا إله إلا الله، وعن شريعة ربِّ العالمين سبحانه وتعالى.

والعبد مأمور بالإحسان في المُعامَلات أيضاً، مُعامَلاته للناس بقوله وفعله كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣]، وكما قال الله - عزّ وجلّ - : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥]. مأمور بالإحسان في معاملته ابتداءً من أقرب الأقربين والديه وذوي أرحامه، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣]. وهكذا مع جميع المسلمين حتى مع الكُفَّار لا يجوز له أن يظلم الكُفَّار؛ بل لا بدّ أن يعاملهم بالعدل في حدود ما شرع الله عزّ وجلّ، وبين رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه.

بل إن العبد أيها المسلمون مأمور بالإحسان حتى مع البهائم ولهذا نبّه النبي ﷺ على هذه النقطة اللطيفة ليبيّن أن الإحسان مطلوب في كل شيء قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسِنوا القتل وإذا

ذبحتم فأحسِنوا الذَّبْحَةَ وليحدِّ أحدكم شفرته فليبرح ذبيحته»<sup>(١)</sup>، حتى مع الحيوانات في حال القتل العبد مأمور بالإحسان، كيف لا وقد قال النبي ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا سقَّتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(٢)</sup>.

• يا عباد الله:

امرأة دخلت النار في هرة، كما أن امرأة بغية دخلت الجنة في كلب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يُطيف بِرَكِيَّة - أي بئر - قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقها - يعني خفُّها - فاستقَّت له به، فسقَّته إياه، فغفر لها به»<sup>(٣)</sup>.

والظاهر من هذا أنها تابت من الزنا.

امرأة دخلت الجنة في كلب، وأخرى دخلت النار في هرة.

• أيها المسلمون:

إذا كان الأمر كذلك فما ظنكم بالذين يُجيعون ويُعْطِشون الخَدَمَ والعمَّالَ، هؤلاء الظَّلَمَةُ الذين يمرُّ الشهر والشهران وعندهم عمَّال مسلمون ضِعفاء لا يستطيعون أن يصلوا إلى المحاكم، لا يستطيعون أن يُطالبوا بحقوقهم، فيمنعونهم حقهم شهوراً عديدة؛ بل ربما بعضهم سافر عامِله ولم يدفع له ريالاً واحداً، فذلكم أولى بالنار والعياذ بالله يقول النبي ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه»<sup>(٤)</sup>، أخرج ابن ماجه وغيره. ويقول ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته وذكر منهم: ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم

(١) تقدَّم تخريجه في نفس الخطبة.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢/٤) كتاب الأنبياء. ومسلم (٢٠٢٢/٤) رقم (٢٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٨/٤) كتاب الأنبياء، ومسلم (١٧٦١/٤) رقم (٢٢٤٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٨١٧/٢) رقم (٢٤٤٣). والبيهقي (١٢١/٦). والطحاوي في مشكل

الآثار (١٤٢/٤). والحديث صحيح صححه الألباني كما في الإرواء رقم (١٤٩٨).

يُؤَفِّهُ أَجْرَهُ»<sup>(١)</sup>. تِلْكَمُ وَاللَّهُ جَرِيْمَةٌ عَظِيْمَةٌ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ الْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْجُورِ وَالظُّلْمِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ الَّذِينَ يَتَعَاطُونَ هَذَا الْعَمَلَ.

كما أن العبد مأمور بالإحسان في ترك المحارم والبُعد عنها، لأن المُحْسِنَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَرَاهُ فَيَتَّحِي أَن يُقَدِّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ، وَلَا يَسْمَعُهَا بِأُذُنَيْهِ، وَلَا يَأْكُلُهَا، وَلَا يَتَعَاطَاهَا، وَلَا يَسْعَى إِلَيْهَا، فَكُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ وَقَدْ قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَذَرُوا ظِلْمَهُ الْإِنْتِزَاعَ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الْآذِينَ يَكْتَسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٠].

والحاصل أيها المسلمون أن الله أمر بالإحسان في كل شيء، وأن الإحسان داخل في كل شيء، في الاعتقادات، في العبادات، في المعاملات، في الأخلاق، في كل أمر من أمور الحياة، هناك عدل وإحسان، كما أن هناك أيضاً ظُلماً وبغياً.

### • أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ:

من القصص التي تُروى عن الإحسان في ترك المحارم ما روى البيهقي وغيره عليه رحمة الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يمشي ذات ليلة هو وواحد من عسقه في آخر الليل فسمع هو والرجل الذي معه سمع حواراً من داخل أحد البيوت سمع أمّا تقول لابنتها الصغيرة يا بُنَيَّةُ امزجي اللبن بالماء، فقالت البُنَيَّةُ: أما تعلمين أن أمير المؤمنين عمر نهانا أن نغش اللبن بالماء؟ فقالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يراك الآن!! فقالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا، والله ما كنت لأطيعه في المأ والأعصية في الخلاء، فوضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الباب علامة، فلما كان الصباح سأل عن البنت فعلم أنها لم تتزوج بعد، فجمع أولاده، فقال: يا بني هل لأحدكم حاجة ببنت تقيّة، فوالله لو

(١) أخرجه البخاري (٥٠/٣) كتاب الإجارة.

كان بأبيكم حركة للنساء ما سبقتموه إليها، فتزوجها أحد أولاده، وكان من نسلها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه وأكرم في الجنة مثواه.

ويُروى عن رجل أنه راوَدَ امرأة عن نفسها فقال: أغلقي الأبواب، فقالت: أغلقتها إلا باباً واحداً، قال: أغلقيه، قالت: والله لا أستطيع، قال: أنا أستطيع، فجاء ليغلقه قالت: أغلق باب السماء، قال: والله لا أستطيع فانزجر وازغوى وترك معصيته.

والقصة الثابتة في الصحيح<sup>(١)</sup> أن الثلاثة الذين آوؤا إلى الغار وحصل لهم ما حصل ذكر أحدهم في حاله - أنه لما جلس من ابنة عمه كما يجلس الرجل من زوجته بعد أن جاءت طائفة ومكثته من نفسها، قالت له وهي على تلك الحال: يا هذا أتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فأصابته رعدة، وقام عنها، وأعطاهما المال صدقة لله - عز وجل - فهذا هو الإحسان يا عباد الله، هذا هو الإحسان في ترك المحارم، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا ممن أحسن قولاً وعملاً، وأن يوفقنا للصالحات، ويرزقنا توبة ناصحة قبل الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلوا - رحمكم الله - على رسولكم وإمامكم فقد أمركم الله بذلك فقال الله تعالى قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(٢)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ التَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

\* \* \*

(١) انظر صحيح البخاري (٣/٥١) كتاب الإجارة. ومسلم (٤/٢٠٩٩) رقم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/٢٨٨) رقم (٣٨٤).

## شَهِيدُ القِسْطِ نِطِينِيَّةٌ !!

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

[آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النِّسَاءُ: آيَةُ ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الاحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيتها المُصَلِّونَ، أيتها الساجِدونَ، أيتها المؤمنونَ:

عنوان هذه الخطبة: «شَهِيدُ القِسْطِ نِطِينِيَّةٌ» مَنْ هُوَ هَذَا الشَهِيدُ؟ إِنَّهُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ وَوُلِدَ فِي الجَزِيرَةِ، وَقُتِلَ فِي الثَّمَانِينَ، وَقَدْ اشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا، قُتِلَ فِي سَبِيلِ

الله تحت أسوار القسطنطينية، والمسلم ليس له أرض واحدة، البلاد كلها بلاده، لأنها بلاد الله كما قال الشاعر:

أنا الحجازُ أنا نجدُ أنا يمنُ      أنا الجنوبُ بها دمعي وأشجاني  
بالشام أهلي وبغدادُ الهوى وأنا      بالرقمتين وبالفسطاطِ جبراني  
النيلُ مائي ومن عمّان تذكرتي      وفي الجزائرِ إخواني وتطواني  
فأينما ذُكِرَ اسمُ الله في بلدٍ      عددتُ ذاك الحِمَى من صُلبِ أوطاني

فَمَنْ هو هذا الرجل الشهيد؟ إنه الذي استقبل الرسول ﷺ يوم فرّ عليه الصلاة والسلام، من مكة من الإرهاب، فرّ من السيوف التي تقطر حقدًا ودمًا، باع أهل مكة أملاكه، وحاصروه وآذوه وشتموه، ووضعوا الشوك في طريقه، والسلا على ظهره، وضافت به الدنيا بما رَحِبَتْ، فخرج يحمل مبادئه ودعوته التي رفض أن يتنازل عن أي جزئية منها مهما كانت الظروف، ومهما كان حجم الإيذاء والحصار الذي تتعرّض له الفئة المؤمنة.

وانطلق ﷺ متوجّهاً إلى المدينة، إلى الإنصار، إلى أحباب الله، إلى كتيبة الإسلام.

أخذ، عليه الصلاة والسلام، عشرة أيام في السفر، تتلَهَّب أقدامه من حرارة الصحراء، وقد امتلأ جوعاً وتعباً وظمّماً وسهاداً ومشقةً، لكن كلُّها في سبيل الله، كانت الأنصار تخرج مع الظهيرة، يخرجون جميعاً عن بكرة أبيهم ليستقبلوا أعظم فاتح عرفه التاريخ، وأعظم رجل مشى على وجه الأرض، أما الرجال فكانوا يخرجون بالسيوف والرماح ليُحَيِّوا الزعيم المنتظر والرسول الكريم، وأما النساء فكنّ يصعدن على أسطح المنازل، عليهنّ يظفرن بنظرة واحدة إلى وجهه المُشرق بالنور واليقين، وأما الأطفال فكانوا ينتشرون كالدرر والجواهر على جنبات الطريق، يصفقون ويُشيدون ويردّدون:

طلعَ البدرُ علينا      من ثنبياتِ الوداع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا      مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ  
أَيْهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا      جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ  
جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَةَ      مَرْحَباً يَا خَيْرَ دَاعٍ

وفي ظهيرة اليوم الخالد الذي لا يُنسى أبداً، إذا بالصائح يصيح في قوّة وفرحة: قَدِمَ الرسول، عليه الصلاة والسلام فخرج الأنصار بسيوفهم، كأنهم خرجوا من المقابر، بُعثوا من جديد، وسألَ الحبّ في دمائهم من جديد، وعادت لهم الحياة من جديد، يقول أحد الناس في الرسول ﷺ:

سَافَرَتْ نَفْسُهُ الْكَرِيمَةَ فَيضاً      فالليالي محسودة بالليالي  
وعلى يثربِ أهازيجٍ نَصْرٍ      طلع البدرُ نفحةً الأطفالِ  
واستفاقت على صَبَاحٍ جَدِيدٍ      ملءُ آذانها أذانُ بلالِ

وصلّى عليه الصلاة والسلام على ناقته، يقول أنس: والله الذي لا إله إلا هو، ما كنت أظن أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيتُ الأنصارَ يبكون من الفرح، لمقدم الرسول، عليه الصلاة والسلام.

طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنْنِي      من عظيمٍ ما قد سرّني أبكاني

ووقف ﷺ يحيي القبائل قبيلة قبيلة، يأخذون زمام ناقته؛ ليكون ضيفهم، فيقول: «دعوها فإنها مأمورة»، أمرها الله، الله يأمر ناقته، الله يتولّى ناقته من فوق سبع سموات، اتركوا الناقة إذا نزلت الناقة في مكان فأنا معها، فيمرّ ببني بياضة، فيخرجون بالسيوف، يغمهم الفرح والغبطة لرؤية الرسول ﷺ.

فيقولون: أنت ضيفنا، قال: «دعوها فإنها مأمورة»، ويشير لهم، ويتبسم لهم، ويشكرهم، ويمرّ ببني عمرو بن عوف، وقد اصطفوا على جنبات الطرق يُحييونه، قالوا: أنت ضيفنا، قال: «دعوها فإنها مأمورة»، وتخترق الصفوف، وتسير إلى أن تأتي بني النجار، فيخرج أطفال بني النجار وطفلات

بني النجار، يقطن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمداً من جار

فيتبسم ﷺ، ويرفع له الأطفال على ناقته فيقبلهم، ويتركهم ﷺ، لكنه يأسر قلوبهم، فلا تعود لهم أبداً إلا بحبه وحب منهجه ودعوته ﷺ.

ثم أناخت الناقة في مكان مسجده الآن، ولما أناخت، انتظر قليلاً، ولم ينزل من على ظهرها، فقامت، ثم مضت قليلاً، ثم رجعت إلى مكانها، فأناخت وبركت، ونزل ﷺ ولما نزل سارع هذا الشيخ الذي قُتِل في أرض الروم، إلى متاع الرسول ﷺ، وإلى ملابسه، وإلى ما كان محمولاً على الناقة، فأخذه، فقال بنو النجار، عندنا يا رسول الله، أنت ضيفنا قال: «لا، الرجل مع رَحله»، فذهب وراء الشيخ، الذي هو أبو أيوب الأنصاري، ووصل معه إلى البيت، فقال: يا رسول الله، عندي هذا البيت، سُفلى وَعُلىة يعني طابقين، دورين اثنين، أنت يا رسول الله اسكن في الأعلى وأنا هنا، قال ﷺ: «أريد أن أكون قريباً من الناس، قريباً من المسجد، فأريد هذا»، يريد الأرضي، فأسكنه، وصعد أبو أيوب الأنصاري وزوجته الطاهرة النقية الشريفة إلى الدور الأعلى، وأتى النوم، فأخذ يتقلب أبو أيوب الأنصاري، كأنه يتقلب على الرمضاء لا ينام، قالت له زوجته: ما لك يا أبا أيوب لا تنام؟ قال: والله ما أتاني النوم، كيف أنام في العُلىة، والرسول ﷺ، ينام أسفل مني، وفي الصباح حاول أبو أيوب، مع الرسول ﷺ مرة أخرى فأبى.

كان الطعام يُقدّم لأبي أيوب، فيرفع يده، وترفع زوجته يدها، ويقولان: والله لا نأكل حتى يأكل الرسول، عليه الصلاة والسلام، فينزل بالقصعة، وينزل بالصحفة، ويقدم الثريد، ويشوي اللحم ويُضيف أحسن ضيافة عرفها التاريخ.

وفي ليلة من الليالي، يقوم أبو أيوب ليصلي، فيصطدم بجرّة الماء فتكسر، فينكب الماء على الأرض، فيأخذ شمّلتة لينشّف الأرض، لثلا يتصبّب

الماء على المصطفى، عليه الصلاة والسلام، ثم يقول: يا رسول الله، أسألك بالله، أن تصعد في العُلْيَةِ وأنا في السُّفلى، فصعد، عليه الصلاة والسلام.

قدّم له من الإكرام ما لم يُقدّمه تلميذ لشيخ، ولا مسلم لإمام عظيم، ولا مُضيف لضيف، كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يخرج، قدّم أبو أيوب حذاءه وألبسه في رجليه، كان يقف ليستقبله، ويقف ليودّعه، حوّل نفسه إلى طبّاخ في البيت، يقدّم جهده، وعزّقه، وكلّ ما يملك؛ ليُفي بالضيافة، وحفظها له، عليه الصلاة والسلام، ولم يضيّعها أبداً، كان يدعو له، وكان يتفقّده، وكان يرى أنه الشيخ المُبارك، الذي أصبح فيه كل شيءٍ أبيض، دينه، ولحيته، وقلبه، ومبادؤه.

وهذه قصة أذكرها وهي تدلّ على زهد النبي ﷺ، وصاحبيه في هذه الدنيا، وتدلّ أيضاً على فضل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكرمه.

يجوع ﷺ فلا يجد في بيته لقمة، ولا تمرّة، ولا شيئاً يُؤكّل، فيخرج إلى الطريق، وإذا بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فيقول لهما: «ما أخرجكما هذه الساعة؟» قالوا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من حاقّ الجوع<sup>(١)</sup>، قال ﷺ: «وأنا والذي نفسي بيده... ما أخرجني غيره، فقوما»، فانطلقوا فاتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً، فأبطأ عليه يومئذٍ، فلم يأتٍ لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعمل فيه.

فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت: مرحباً بنبيّ الله وبمَن معه، قال لها نبيّ الله ﷺ: «أين أبو أيوب؟» فسمعه أبو أيوب - وهو يعمل في نخل له - فجاء يشتدّ فقال: مرحباً بنبيّ الله، وبمَن معه، يا نبيّ الله ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه، فقال ﷺ: «صدقت». قال: فانطلق، فقطع عذقا<sup>(٢)</sup> من النخل

(١) حاقّ الجوع: أي صادقه.

(٢) العذق: هو الغصن من النخل.

فيه كلُّ من التمر، والرُّطْب، والبُسْر، فقال ﷺ: «ما أردت إلا هذه، ألا جنيت لنا من تمره؟» قال: يا رسول الله: أحبت أن تأكل من تمره ورطبه وبسره، ولأذبحنَّ لك مع هذا.

قال: «إن ذبحت فلا تذبحنَّ ذاتِ درءٍ»، فأخذ عناقاً أو جدياً فذبحه، وقال لامراته اخبزي واعجني لنا وأنتِ أعلم بالخبز، فأخذ نصف الجدي فطبخه وشَوَى نصفه، فلما أدرك الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه، أخذ من الجدي فجعله في رغيف، وقال: يا أبا أيوب، أبلغ بهذا فاطمة، فإنها لم تُصَب مثل هذا منذ أيام. فذهب أبو أيوب إلى فاطمة.

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز، ولحم، وتمر، وبسْر، ورُطْب، ودمعت عيناه، والذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

ولكن الرسول ﷺ يموت كما يموت البشر، لكن مبادئه لم تمت، ظلَّت مبادئه وأخلاقه عند أبي أيوب وغيره من أعلام الصحابة، بقي أبو أيوب شاباً وهو في الثمانين، وكان الرسول ﷺ قد أخبر أن أصحابه سوف يركبون البحر غزاة في سبيل الله. دخل ﷺ عند عجوز، هي أم حرام بنت ملحان<sup>(٢)</sup>، فنام عندها في الظَّهيرة، في القائلة، ثم استفاق ﷺ وهو يضحك، قالت: ما لك

(١) أخرجه الطبراني وابن حبان في صحيحه، وانظر حياة الصحابة (١/٢٨٨)، وأخرجه مسلم مختصراً (١٦٠٩/٣) رقم (٢٠٣٨) ولم يُسمَّ الرجل الأنصاري، وأخرجه الترمذي (٤/٥٠٤، ٥٠٥) رقم (٢٣٦٩)، ومالك في الموطأ (٢/٩٣٢) رقم (٢٨) بلاغاً، وعنده أن الرجل الأنصاري هو أبو الهيثم بن التَّيهان الأنصاري.

قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥/١٦٧): والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرّة مع أبي الهيثم ومرّة مع أبي أيوب - ﷺ.

(٢) اتفق العلماء على أنها كانت محرّماً للرسول، عليه الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو جدّه.

يا رسول الله! أضحك الله سنك؟ قال: «رأيت الآن أناساً من أمتي يركبون البحر غزاة في سبيل الله، كالمملوك على الأسيرة»، قالت: ادعو الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»<sup>(١)</sup>.

وتستمر الأيام، وينادي الصلمون كتائب الإسلام، أن تجاهد في سبيل الله؛ لتفتح القسطنطينية وتغزو بلاد الروم؛ لتوسع دائرة الإسلام.

ولما سمع أبو أيوب مُنادي الجهاد أخذ سيفه ورمحه، وركب بغلته وذهب إلى ساحة القتال، قال أبناؤه: أنت شيخ كبير في الثمانين، قال: لا.

حملت الثمانين الطوال مُجاهداً كأنك في العشرين تقرأ وتكتب

قالوا: عذرك الله، أنت شيخ كبير ومريض، ولا تستطيع القتال، قال: لا والله، إبن الله يقول: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٤١]. وأنا ثقيل، والله لأنفرن، وذهب إلى الجهاد.

وانظر إلى هذا العمر المُبارك، أين كثير من أهل الثمانين الآن، الذين حوّلوا آخر المطاف إلى شهادة الزور، واللهو واللعب، والظلم والجور والعياذ بالله.

ويقبح بالفتى فغلُ التصابي وأقبح منه شيخٌ قد تفتى  
إذا ما لم يفدك العلمُ خيراً فليتك ثم ليتك ما علمت

شيوخ كبار وما تابوا، والرسول ﷺ يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولهم عذاب أليم، أشمط زان، وعائل مُتكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»<sup>(٢)</sup>. شيخ كبير

(١) أخرجه البخاري (٧٣/٨)، ومسلم (١٥١٨/٣)، رقم (١٩١٢).

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب، عن سلمان، وصححه الألباني، كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٧٢).

ويزني، وثفاجاً بشيخ كبير ويسرق، وشيخ كبير ويحلف أيماناً غموساً، وشيخ كبير يقطع الأرحام، وشيخ كبير يؤذي الجيران، وشيخ كبير يمضي بالثيمة بين الناس.

أما أبو أيوب فجعل الثمانين طاعة لله، وركب مع الجيش، وصعد على السفينة، وعبرت به البحر، وهو ينشد نشيد الخلود: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وتبدأ المعركة، فيغتسل، ويلبس أكفانه، ويتطيب، ويتحفظ، ويقول للمسلمين: أسألكم الله، إذا قُتلت اليوم، فالتمسوا آخر أرض من أراضي المسلمين تجاه الروم، فادفوني تحت أسوار القسطنطينية، علّ الله أن يعثني يوم القيامة، مؤمناً بين كافرين.

الله أكبر يُعَثُّ يوم القيامة، وحيداً مؤمناً بين كافرين.

إذا قامت القيامة، وبُعِثَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، خرج أبو أيوب من قبره، ينفض التراب عن رأسه، وكأنني به وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك.

وبدأت المعركة، فقاتل قتالاً شديداً، وهو في الثمانين، وقطع رأسه الطاهر الذي طالما سجد لله - عز وجل - .

يا عابِدِ الحَرَمينِ لو أبصرتنا لعلمتَ أنك بالعبادة تلعبُ  
مَنْ كان يَخْضِبُ خَدَّهُ بدموعِهِ فنحورنا بدمائنا تتخضبُ  
أو كان يُتَعَبُ خيلَهُ في باطلٍ فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ

قَتَلَ رَحِمَهُ اللهُ، وهو مدفون هناك، مَنْ وصل منكم هناك، فليَسَلْ عليه، وليُبَلِّغْه سلام الأمة الإسلامية، وليقف على قبره طويلاً، وليشكره على حُسن الضيافة، وعلى حُسن الاستقبال وعلى حُسن الحياة، وعلى حُسن العطاء والفداء والتضحية، سلامٌ على أبي أيوب الأنصاري، من جزيرة العرب، وجزاه الله خير

ما جزى ولياً عن أمة محمد، عليه الصلاة والسلام، وأحسنَ الله إليه، كما أحنت إلينا، وجمعنا الله به في دار الكرامة.

ذلكم هو شهيد القسطنطينية، وهو من أجدادنا، ومَن أراد أن يسير على طريقه فما ذاك بعيد، وإنه لَيَسِير على مَن يسره الله عليه.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

### • أيتها الناس:

إنما وُضِعَ المنبر في كل جمعة؛ لتدارس أخطائنا، ولنعود إلى حساباتنا،  
ونعرض مشاكلنا أمام أعيننا، نحلها بكتاب الله - عز وجل - وبسنة رسوله، عليه  
الصلاة والسلام، وقد أخطأنا جميعاً خطأً اجتماعياً، مرت عليه سنوات، وقليل  
من يُتَّبَعُ عليه، وقليل من يستكره، وقليل من يلاحظه، حتى أصبح سائداً بين  
الناس، وكأنه من الكتاب والسنة، وقد أضرَّ هذا الخطأ العظيم بكثير من الناس،  
ألا وهو: الإسراف في الزواجات، ومن صور هذا الإسراف، الذي لا يرضاه  
الإسلام، الإسراف في صالات الأفراح، وفي الولائم التي يقوم بها الناس في  
وقت الزواج، وكيف جعلهم يستدينون أموال الناس، ليُنْفِقوها على هذه المظاهر  
الكاذبة، وهم كارهون، ولكن يرفض العزف الجاهلي، إلا البطر والرياء والسُمعة  
والإسراف.

تصوّروا... شابٌ مُقَدِّمٌ على حياة جديدة، وبيت جديد، راتبه زهيد،  
ودخله حقيق، يريد زوجة يسكن إليها، ويُنشئ بيتاً إسلامياً، فأول ما يواجهه من  
العقبات؛ صالة الأفراح، عشرون ذبيحة، إلى ثلاثين، إلى أربعين، إلى خمسين،

من أين يدفعها؟ يذهب إلى الناس؛ لِيَسْجِدِي من أجل العُزف الجاهلي، الذي ما أنزل الله به من سلطان، فأين العقلاء؟ وأين أهل الرأي؟ وأين أهل العلم؟ وأين القضاة؟ وأين الدعاة؟ وأين العلماء الذين يقفون أمام هذا الخطأ الفادح؟ إن هذا يجرُّ إلى أمور محظورة وخطيرة إلى الأمة، منها الإسراف الذي نهى الله عنه: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: الآيتان ٢٦، ٢٧]. ثلاثون ذبيحة تُرمى، والفقراء في البادية وفي تهامة، لا يجدون كسرة الخبز، ثلاثون ذبيحة تُرمى، والشعوب الإسلامية بعضها يأكل أوراق الشجر. ثلاثون ذبيحة تُرمى للقَطَط والكلاب، وكثير من المساجد لم تُعمر منذ عشر سنوات، أليس هذا هو البَطَر بعينه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٧].

في العطلة الماضية في أُنْهَا، وقع أكثر من اثنين وستين زواجاً، كلها مُغلاة، ومُفاخرة، ومُراءاة في صالات الأفراح، وعلمت عن كثير ممن تزوج، أنهم اقترضوا لإقامة الولائم وتأجير الصالات، وشراء الهدايا، وغير ذلك، فهل يرضى الإسلام بهذا؟ وهل يقَر ذلك المسلمون؟

إن العالم الكافر الآن، أصبح يتعامل بالعقل في أموره الاجتماعية، وأموره الاقتصادية، ويقنن مساراته، ويعرف دَخله وما يُنفقه، ويعرف أموره النافعة من الضارة، ونحن أمة الكتاب والسنة، منا العلماء، وأهل الرأي، والأخيار، والأبرار، ونسكت بالإجماع عن هذا الخطأ.

ثم إن ذلك يورث أيضاً، إحجام كثير من الشباب عن الزواج إذا كان المجتمع يصرُّ على هذه التكاليف، من الشرعة، والوليمة، وإيجار الصالة، وكثرة الذبائح، والحلي، والمهر، فمن يجمع هذا لهذا الشاب؟ حينها تقع العنوسة، ويتوقف الشباب، والشابات عن الزواج، وتقع أمور لا تُخمد، ولا يرضاها الله، فما هو الحل؟ الحل عند محمد، عليه الصلاة والسلام، أن نفعل كما فعل - بأبي

هو وأمي - فهو أغنى الناس، وأبَرّ الناس، وأخْلَم الناس وذلك بأن نقصد، ولا نُسَير الناس في أفكارهم، ولا في آرائهم، بل علينا بما يُرضي الله - عزّ وجلّ - ففي الحديث: «مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بَسَخَطَ اللَّهُ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسَخَطَ النَّاسَ بَرَضِيَ اللَّهُ، كَفَاهُ اللَّهُ مَوْوَنَةَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

أما الرسول ﷺ فتزوج تسعاً من النسوة أو أكثر، بعضهم لم يجد لها ذبيحة واحدة، وإنما قدّم زيبياً، وشيثاً من شعير، وشيثاً من سويق، فأكله الصحابة، وتمضمضوا وقاموا يصلّون، وزواج آخر، وجد ذبيحة واحدة، جمع عليها أكثر من ثمانين من الصحابة.

لماذا لا تُقام هذه الحفلات في البيوت، ولماذا نأخذ أموال الناس، ديناً في رقابنا، لنُباهي الناس، ونُرائي الناس، ونُفاخر الناس، أما تكفي الذبيحة والذبيحتان فحسب، أليس هذا هو العقل؟ أليس هذا هو الدين؟ أليس هذا هو الترشيده؟

ومَنْ عنده فائض من المال، فمشاريع الخير وأبواب الجنة ثمانية، يدخل بماله من أيّ باب شاء.

أما هذه الأموال التي يصرفها رياءً وسمعةً، فسوف تمنعه أن ينجو كفافاً، لا له ولا عليه، بل سيحاسب عليها عند الله يوم القيامة ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغَابُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٦].

#### • أيتها المسلمون:

كلّكم رشيد، أو الغالب منكم أهل العقل، والواجب أن يبدأ الرشيد، بعمل يُرضي الله - عزّ وجلّ - فإنه: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الحلية، عن عائشة، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٩/٤) رقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - .

أسأل الله أن يحفظنا وإياكم، من المتألف، ومن الأخطاء، ومن المخالفات الشرعية.

• عباد الله:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥١) [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاغْرُضْ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنْكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## شطر الإيمان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ  
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ  
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر  
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في  
النار.

## • أيها الملمون:

يا لسعادة أصحاب رسول الله ﷺ، وهو يحدثهم عن الجنة، وعن نعيم الجنة، وعن راحة الجنة؛ لأن من جعل هذه الدنيا داراً ومستقراً، فقد أصابه الله بالحرمان، وقد كتب الله عليه الخذلان.

يا متعبَ الجِسمِ كم تسمى لراحته  
أَتَعَبْتَ جِئَمَكَ فيما فيه خُسرانُ  
أقبل على الروحِ واستكمل فضائلها  
فأنت بالروح لا بالجِسمِ إنسانُ  
يا عامراً لخرابِ الدارِ مجتهداً  
بالله هل لخرابِ الدارِ عمرانُ

خرج عليهم ﷺ وهو يتحدث لهم عن نعيم الجنة، ثم قال: لبلال رضي الله عنه: «حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دُفَّ نَغْلِكَ بين يدي في الجنة». قال: ما عملت عملاً أرجى عندي؛ إني لم أتطهر طهوراً، في ساعة ليلٍ أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتبت لي أن أصلي<sup>(١)</sup>.

إن الوضوء مَعْلَمٌ من معالمِ هذا الدِّينِ، وليس في الدِّينِ قضايا بسيطة فرعية، بحيث يستخفُّ بها الإنسان، وليس فيه ظاهر وباطن، أو قشرٌ ولباب، بل كله أصلٌ ولبٌّ ووحْيٌ من عند الله عزَّ وجلَّ.

أعظم قضاياها لا إله إلا الله، وأيسرها إماطة الأذى عن الطريق، لكن من قصد بكل قضية وجه الله، أذخَّله الله الجنة، من أي أبوابها الثمانية شاء.

يقول عقبه بن عامر - رضي الله عنه وأرضاه -: كنا نتداول رغبة الإبل بيننا - وهذه رواية الإمام أحمد في المسند - فأصابني رعية الإبل، فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ، وهو قائم يحدث الناس، فأدركت من حديثه وهو يقول: «ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقوم، فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة، وغُفِرَ له». فقلت: ما أجود هذا!! فقال

(١) أخرجه البخاري (٤٨/٢)، ومسلم (٤/١٩١٠) رقم: (٢٤٥٨).

قائل: بين يَدَي التي قبلها يا عقبة أجود منها، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب. فقلت له: وما هي يا أبا حفص؟ قال: إنه قال قبل أن تأتي: «ما منكم من أحد يتوضأ، فيُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»<sup>(١)</sup>.

زاد الترمذي بعد الشهادة: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»<sup>(٢)</sup>.

فهنيئاً لكم أيها المتوضئون، وهنيئاً لكم أيها المتطهرون، أبشروا وأملوا في ربكم ما يسركم.

هنيئاً لكم... تتوضؤون وغيركم من الملايين، تمر عليهم السنوات لا يعرفون الوضوء.

وهنيئاً لكم الطهارة... تتطهرون وغيركم من الملايين، يعيشون عيشة الكلاب والخنازير لا يتطهرون.

وهنيئاً لكم... يعرفكم رسولكم ﷺ يوم القيامة بوضوئكم متطهرين، متجملين للعرض الأكبر على الله.

يقول أبو هريرة - رضى الله عنه وأرضاه -: أتى رسول الله ﷺ المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمك يا

(١) أخرجه أحمد (١٤٦/٤، ١٥٣). وصححه العلامة أحمد شاعر كما في تحقيقه لكتاب

«سنن الترمذي» (٧٩/١ - ٨٣). وأخرجه أبو داود (٤٣/١) رقم: (١٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٨/١) رقم: (٥٥). قال الترمذي: وهذا حديث في إسناده

اضطراب.

رسول الله؟ فقال: «أريت لو أن رجلاً له خيلٌ غرٌّ مُحَجَّلَةٌ<sup>(١)</sup> بين ظَهْرِي خَيْلٍ دُهِمٌ بِهِمْ<sup>(٢)</sup>، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنهم يأتون غُرًّا مُحَجَّلِينَ من الوضوء، وأنا فَرَطُهُم على الحوض»<sup>(٣)</sup>.

فالرسول ﷺ سيعرف أتباعه يوم القيامة، وسط الأمم التي هي كالذرة؛ أمة موسى، وعيسى، ونوح، وإبراهيم، يعرفهم ﷺ بعلامة الوضوء.

إذا رآك عرف أنك من أمته، ومن أهل حزبه ومِلَّته، وأنتك من الذين يَرُدُّون حوضه، ويشربون من كوثره.

إذا رأى وجهك يبرق كالقمر من آثار الوضوء، وقد امتلأت أركانك بالنور، علم أنك من أتباعه، فسقاك من يده الشريفة شربة هنيئة لا تظماً بعدها أبداً.

أما أهل التَّفَاق والضلال، الذين لم يهتدوا بهُذِيهِ ﷺ، أما الذين لا يتوضؤون، ولا يركعون، ولا يسجدون، فيقول ﷺ كما في تَمَّة الحديث السابق: «ألا لِيُذَادَنَّ<sup>(٤)</sup> رجالٌ عن حوضي كما يُذَادُ البعير الضالَّ. أناديهم... ألا هَلُمَّ<sup>(٥)</sup>! فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك. فأقول: سُحَقًا سُحَقًا<sup>(٦)</sup>».

فقل لبلال العزم من قلبٍ صادقٍ أرخنا بها إن كنت حقاً مُصلياً  
توضأ بماءِ التوبةِ اليومِ مخلصاً به ترقى أبواب الجِنانِ الثمانية

(١) الغرَّة: بياض في جبهة الفرس. والتحجيل: بياض في يديها ورجليها.

(٢) خيل دُهِمٌ بِهِمْ: أي سود، لا يخالط لونها لون آخر.

(٣) وأنا فرطهم على الحوض: أي متقدمهم عليه. قال ابن الأثير: يقال: فَرَطَ يفرط، فهو فارطٌ وفَرَطٌ: إذا تقدَّم وسبق القوم، ليرتاد لهم الماء. والحديث أخرجه مسلم (٢١٨/١) رقم: (٢٤٩).

(٤) يُذَادُ: يُطرد.

(٥) ألا هَلُمَّ: أي تعالوا.

(٦) سحَقًا سحَقًا: أي بُعداً بُعداً.

في الأثر أن الله - عز وجل - ينظر لعبده المؤمن، إذا قام من فراشه لصلاة الفجر، ينتفض خائفاً وِجلاً، فيعمد إلى الماء البارد، فيتوضأ به في شدة البرودة، ثم يأتي للصلاة، فيقول الله لملائكته: يا ملائكتي انظروا لعبدي المؤمن ترك فراشه الدافئ، ولحافه الوثير، وقام إلى الماء البارد يتوضأ، وقام إليّ يُناجيني ويتملّني، أشهدكم أنني قد غفرت له، وأدخلته الجنة.

فيا لعظمة المسلم، يوم يقوم من فراشه مع صلاة الفجر، وأهل التفاق، وأهل الفجور، وأهل الإعراض عن الله، وأهل الغفلة في فرشهم، متغمصون بنفاقهم وفجورهم، فيقوم إلى الماء البارد، فيتوضأ ويرفع سبّابته ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وفي حديث حسن أن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا من رجلين» - والله أن يعجب من عبده؛ يوم خلقه، ويوم سواه، ويوم رزقه، وعجبه سبحانه وتعالى يليق بجلاله - «عجب ربنا من رجلين؛ رجلٍ ثار من وطائه ولحافه، من بين جبّه وأهله إلى الصلاة، فيقول الله جلّ وعلا: انظروا إلى عبدي، ثار من فراشه ووطائه؛ من بين جبّه وأهله إلى صلاته؛ رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي. ورجلٍ غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى هُريق دمه، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع؛ رجاءً فيما عندي، وشفقاً مما عندي حتى هُريق دمه!!»<sup>(١)</sup>. فالله - عز وجل - يعجب من هذا العبد، الذي يقوم في الليل، يترك فراشه الوثير، ولحافه الدافئ، ويعمد إلى الماء البارد يتوضأ، وهو ينتفض من البرودة، ثم يصلي ما كتب الله له أن يصلي.

فأني عبد ذلك العبد!، وأني جزاء له يوم القيامة!!.

(١) أخرجه أحمد (٤١٦/١). وأخرجه أبو داود بعضه (١٩/٣) رقم: (٢٥٣٦). وأخرجه البيهقي (١٦٤/٩). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٢٩٧/٦، ٢٩٨) وصححه الأرنؤوط.

وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه وأرضاه - قال: قال رسول الله ﷺ:  
 «الطهورُ شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن  
 (أو تملأ) ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر  
 ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كلُّ الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو  
 موبقها»<sup>(١)</sup>.

وإنما ﷺ جعل الطهور شطر الإيمان؛ لأنه يتعلق بالطهارة الظاهرة وأما  
 الباطن فأمره عند الله، فإذا تطهر العبد باطنه فقد استكمل الإيمان.

فجعل ﷺ الطهارة أو الوضوء نصف الإيمان؛ لأنه علامة اليقين. والله،  
 ثم والله، ثم والله، لا يحافظ على الوضوء إلا المؤمن؛ لأنه سرٌّ بين العبد وبين  
 ربه، ولا يعلم السرّ وأخفى إلا الله.

ولا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إلا الله، ولا يعلم ما تضمّر  
 وتسرّ القلوب إلا الله؛ بإمكان الرجل أن يصليّ وعليه جنابة، فلا يعلم الناس  
 ذلك، وبإمكانه أن يدخل المسجد ويصلي بغير وضوء، ولكنه يعلم أن الله يراه،  
 وهو مُطَّلَع عليه، فيعمد إلى الوضوء، فإذا توضأ، حصل شطر الإيمان؛ لأنه  
 يراقب ربه في السرّ والعلانية.

يقول أبو هريرة - رضي الله عنه وأرضاه - قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما  
 يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المسجد، وانتظار  
 الصلاة بعد الصلاة. فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣/١) رقم: (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩/١) رقم: (٢٥١).

ومعنى إسباغ الوضوء على المكاره، أن تُسبغ وضوءك في شدة البرد، يوم ألا يمسّ المنافقون الماء البارد، ويتأذون من الماء البارد، فتقوم تشرشر بالماء البارد على أعضائك الدافئة؛ طلباً للفضل والأجر من الله، فيحطّ الله عنك الخطايا، كما تحات الشجرة ورقها في شدة البرد، أو في الرياح الهوج.

وقال أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ (أَوْ الْمُؤْمِنُ) فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ، مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ، مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»<sup>(١)</sup>، فهل يطلب المسلم أجراً بعد هذا أو يريد أكثر من هذا الترغيب لينشط للعبادة!

فيا مَنْ أَرَادَ نَعِيمَ الْجَنَّةِ، دُونَكَهَا أَبْوَابُ ثَمَانِيَةِ فَتَحَتْ لَكَ، فَتَوَضَّأَ، وَادْخَلَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَيْهَا شَتَّى، وَتَعَالَ إِلَى الْمَسْجِدِ طَاهِرًا مُطَهَّرًا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

فَمَا أَعْظَمَكَ أَيْهَا الْمُسْلِمُ، حِينَمَا تَطِيعَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَنِيئًا لَكَ يَوْمَ تَتَوَضَّأُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَهَنِيئًا لَكَ يَوْمَ تَتَطَهَّرُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، فَتَخْرُجُ خَطَايَاكَ مِنْ أَعْضَائِكَ، هَنِيئًا لَكَ يَوْمَ تَطْلُبُ رِضْوَانَ اللَّهِ وَجَنَّةَ اللَّهِ.

فاعمل لدارِ غدا رضوانِ خازنها الجارِ أحمد والرحمنِ بانيها

قصورها ذهبٌ والمِنكُ تربيها والزعفرانُ حشيشٌ نابتَ فيها

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢١٥/١) رقم: (٢٤٤).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتّقين، وحجّة الله على الناس  
أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد :

فإن أعظم نعمة منّ الله تعالى بها علينا؛ أن جعلنا مسلمين، وأن هدانا  
صراطه المستقيم.

فنسأله سبحانه كما رزقنا وإياكم الإسلام، أن يسترنا وألا يفضحنا، وأن  
يُصلح بواطننا وظواهرنا، وأن يعمر قلوبنا بالتقوى والمراقبة.

• عباد الله :

إن النعيم كلّ النعيم؛ أن نتلذذ بطاعة الله، بذكر الله، بالوضوء لأداء  
فرائض الله، بتلاوة كلامه سبحانه وتعالى، بالصيام له، بمُنَاجاته في غطش  
الليل، بالصدقة، بطلب مرضاته، بخُمن الخلق لرفع الدرجات عنده.

ولقد كان العلم عند السلف الصالح سهلاً يسيراً، كان العلم عند أصحاب  
محمد عليه الصلاة والسلام، يقصد منه العمل والتقرب إلى الله، ما عرفوا هذا  
التنظير العلمي، الذي شغل أوقاتنا، وهذا الجدل العقيم، الذي ضيّع ساعاتنا،  
علمهم سهل، يعلمون المسألة، فيعملون بها، فيرزقهم الله علماً إلى علمهم.

يُرَوَّى أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»<sup>(١)</sup>.

ولذلك دعا عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - أصحاب محمد ﷺ، فاجتمعوا إليه فجلسوا خارج المسجد. أتدرون لماذا دعاهم؟ هل أراد أن يُلقني عليهم محاضرة تستغرق الساعات الطوال، فيحدثهم عن مسائل غامضة لا يمكن أن يعملوا بها؟ لا، إنما دعاهم ليعلمهم قضية سهلة من قضايا الإسلام دعا عثمان بإناء، فأفرغ على كفيه ثلاث مرات، فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء، ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً. ثم قال: رأيت النبي ﷺ، يتوضأ نحو وضوئي هذا، وقال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو الإسلام، وهذا هو العلم، وهذه هي طريقة الصحابة في عرض العلم والإسلام على الناس، لا تكلف، لا تنطع، لا تفلسف، وإنما تكليف عملي، وتدريب ميداني، وهكذا كانوا في كل أمورهم - ﷺ - .

ولذلك يقول سيف الله المتضى، أبو الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:  
إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه، استحلفت، فإذا حلف لي، صدقته، وإنه حدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يُذنب ذنباً، ثم يقوم فيطهره، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر

(١) وهذا الحديث يُرَوَّى مرفوعاً عن النبي ﷺ، ولا يصح. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/

١٥) ثم قال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة، أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨/١، ٤٩). ومسلم (٢٠٤، ٢٠٥) رقم: (٢٢٦).

له<sup>(١)</sup>، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥].

وهذا الحديث صحيح فاستبشروا به، فإذا ألم أحدكم بخطأ، أو بفاحشة، أو بظلم كبير، فليذهب إلى الماء البارد، وليتوضأ بالماء البارد، وليطفىء نار الذنب، ونار الخطيئة، وليصلي ركعتين، ثم ليستغفر الله؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولا يستر العيوب إلا الله، ولا يتجاوز عن السيئات إلا الله، ولا يعفو عن الزلات إلا الله. فهو الذي يغفر للعبد، ويرحم العبد، ويستر العبد، ويهدي العبد، لا إله غيره ولا رب سواه. ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: الآية ٥٣].

فاستبشروا بسنة الوضوء، واستصحبوا السواك إذا توضأتم، ثم ارفعوا سبابتكم إلى الحي القيوم، وأعلنوا الوجدانية قوية حية، وقولوا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله؛ يفتح الله لكم أبواب الجنة الثمانية، وتسلم عليكم الملائكة، ويدعو لكم المقربون، ويشهد لكم الأنبياء والرسل.

فسلام على كل من توضأ، وأتى إلى بيت من بيوت الله منيباً، وسلام على من تطهر لله ظاهراً وباطناً.

اللهم فاجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين.

اللهم كما طهرت أعضائنا بالماء البارد، فطهر قلوبنا من النفاق والكفر، ومن الغش والكبر ومن الحقد والحسد، ومن الرياء والغل يا رب العالمين.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٣/٥) رقم: (٣٠٠٦). وابن ماجه (٤٤٦/١) رقم: (١٣٩٥). وأحمد (١٠/١).

وقد صحح هذا الحديث الحافظ المزي، وجوّد إسناده ابن حجر. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢٢٧/١، ٢٢٨) عند ترجمة: أسماء بن الحكم الفزاري.

اللَّهُمَّ كما سترت ظواهرنا من العيوب، والجروح، والأمراض، فاستر  
بواطننا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ كما أضعفت علينا لباس الستر في الدنيا، فلا تفضحنا على رؤوس  
الأشهاد، يوم نأتيك حفاة عُرَاة غُرُلًا.

• عِبَادِ اللَّهِ:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾  
[الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي  
هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

## الوقت والحياة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَكَانَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُمُ الْغَافِرُونَ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾﴾ وَأَنْبِئُوا

إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا  
أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا  
تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ  
السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ  
تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَاتِي  
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ [الزمر: الآيات ٥٣ - ٥٩].

### • أيها الناس :

لقد ودعنا عاماً قد انصرم، واستقبلنا عاماً جديداً قد أتى، ودعنا عاماً  
بحسناته وسيئاته، بأفراحه وأتراحه، ربح فيه من ربح بطاعة الله - عز وجل -  
وخسر فيه من خسر بمعصيته تبارك وتعالى.

وإذا كنا قد نسينا ما فعلناه في هذا العام من حسنات وسيئات، فإن ربِّي لا  
يضل ولا ينسى، ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَلَنَّا مَا لَ هَذَا أَلَكُتَبِ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا  
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

فالواجب على المؤمن المُبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها،  
وقبل أن يُحال بينه وبينها إما بمرض أو موت أو شغل أو غير ذلك. ويُروى أن  
النبي ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال سبعا: هل تنتظرون إلا فقراً شديداً، أو غنى  
مطغياً، أو مرضاً مُفْسِداً، أو هزماً مُفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشرُّ غائب  
ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب معلّقاً على هذا الحديث: والمراد من هذا أن هذه  
الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه، إما في خاصة الإنسان  
كفقره وغيته ومرضه وهرمه وموته، وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال،

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٨، ٤٧٩) رقم (٢٣٠٦) وقال: حسن غريب وضعفه الألباني كما  
في السلسلة الضعيفة رقم (١٦٦٦).

وكذلك الفتن المزعجة، وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيهَا إِيْمَانَهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: الآية ١٥٨].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير، ومتى جيل بين إنسان والعمل لم يبق له إلا الحررة والأسف عليه، ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمانة<sup>(٣)</sup>.

فيا أيها الإنسان:

دقات قلب المرء قائمة له      إن الحياة دقائق وثوان  
فارفع لنفسك قبل موتك ذكراها      فالذكر للإنسان عمر ثان

وقال بكر المزني: ما من يوم أخرجه الله إلى الدنيا إلا ويقول: يا ابن آدم اغتصني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلة إلا تنادي: ابن آدم اغتصني لعله لا ليلة لك بعدي.

(١) أخرجه البخاري (١٩١/٧) كتاب الرقاق، ومسلم (١٣٧/١) رقم (١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٨/١) رقم (١٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ص (٣٣٦، ٣٣٧).

وينادي الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة: ﴿قَالَ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٢]. كم مكثتم على هذه الأرض؟ كم عمرتم في هذه الدنيا؟ كم أكلتم؟ كم شربتم؟

﴿قَالَ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ﴾ [١١٣] قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ [١١٤] قَدْ قَالَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١١٤] أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [١١٥] فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ [١١٦] [المؤمنون: الآيات ١١٢ - ١١٦].

هذا هو عمر الإنسان وهذه هي حياته كلها، عمر قصير يمرّ مَرَّ السحاب، وهذا العمر هو رأس مال العبد، إن أحسن فيه كان من أهل النعيم، وإن أساء كان من أهل الجحيم، قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]. أولم نمهلكم، أولم نترككم، أولم نجعل لكم فترة من العمر؟ فما بالكم أعرضتم، وما بالكم اتخذتم حياتكم لهواً ولعباً، وعبثاً وتفلتاً على شرع الله وأمره.

الآن تتندّمون؟ الآن وتبكون وتقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَنَا فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٧].

وتقولون: ﴿يَلَيْسَ لَنَا مِن شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٣].

ولكن الأمر كما قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨].

إنهم لكاذبون في دعواهم أنهم إذا رُدُّوا فسوف يعملون الصالحات، لأن نفوسهم خبيثة، وقلوبهم منطوية على الكفر والنفاق، مُنَافِقُونَ حتى وهم في جهنم، كَذِبَةٌ حتى وهم يَصْلُونَ ناراً تَلْطَى.

## • عباد الله :

إن الوقت من أكبر النعم التي أنعم الله بها علينا، فماذا عملنا في أوقاتنا، وبماذا شغلنا أنفسنا؟

هل شغلنا أنفسنا بطاعة الله - عز وجل - والسعي في مرضاته؟ أم جعلنا أوقاتنا تضيع في اللهو واللعب والأغنية والمسلسل؟

إن نبي الله ﷺ، كان أحفظ الناس لوقته، فكانت حياته كلها ذكراً لله - عز وجل - وطاعة له، فقد قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «كنا نعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إنه ليغناؤ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»<sup>(٣)</sup>.

فالرسول ﷺ مع ما كان فيه من انشغال بأمر الأمة، ومصالح المسلمين، كان لا يفتر عن ذكر الله - عز وجل - وكان إذا عرض له عارض بشري فشغله بعض الشيء عدّ ذلك ذنباً وفزع إلى ساحة الاستغفار، والتوبة إلى الله - عز وجل - فأين نحن من هذّي النبي ﷺ في حفظ الوقت واستغلال العمر فيما يقربنا من الله - عز وجل - .

(١) أخرجه أبو داود (٨٥/٢) رقم (١٥١٦). والترمذي (٤٦١/٥) رقم (٣٤٣٠). وابن ماجه (١٢٥٣/٢) رقم (٣٨١٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب وصححه الحاكم في المستدرک.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧٥/٤) رقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥/٧) كتاب الدعوات.

يقول النبي ﷺ: «نعمتان منبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ»<sup>(١)</sup>.

فكثير من الناس لا يستغلون أوقات الشباب والقوة، في التقرب إلى الله عز وجل بأنواع القُرْبَات؛ كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله، والسعي في مصالح المسلمين.

وكذلك لا يستغلون أوقات الفراغ وما أكثرها في حياة المسلمين، فلا يعمرّون أوقاتهم بذكر الله - عز وجل - والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حثّ النبي ﷺ على المُسَارَعَةِ إلى الطاعات والمُتَابَقَةِ إلى فِعْلِ الخيرات فقد روى الترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هَرَمِكَ، وصحتك قبل سِقَمِكَ، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»<sup>(٢)</sup>.

كان الربيع بن خثيم يكتب كلامه من الجمعة إلى الجمعة، ويحاسب نفسه مساء كل يوم سبت!!.

وقال المنذر: سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه: ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر، ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر، حتى كثر ذلك ستين مرة أسمعها ولا يراني.

وكان الحسن يقول: المبادرة المبادرة، فإنما هي الأنفاس لو حُبِسَتْ انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله - عز وجل - رَجَمَ اللهُ امراً نظراً

(١) أخرجه البخاري (١٧٠/٧) كتاب الرقاق.

(٢) أخرجه الحاكم، والبيهقي في الشعب. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (١٠٧٧). وقال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن. انظر: الإحياء (٤/

إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مریم: الآية ٨٤]. يعني الأنفاس: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك.

### • أيتها الناس:

إنَّ هناك أناساً يرتكبون في اليوم الواحد جباً من الخطايا، وتللاً من الذنوب ومع ذلك لا يهتمون لها، ولا يتأسفون عليها، فتراهم يلعبون ويمرحون، ويضحكون ولا يبكون، وكأنهم سوف يخلدون في هذه الدار، وكأن الموت بمعزل عنهم، وكأنهم لن يعرضوا على الله - عز وجل - ليس بينهم وبينه حجاب ولا تزجمان، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: الآية ٥].

قيل لسفيان الثوري: اجلس معنا نتحدث؟ فقال: كيف نتحدث والنهار يعمل عمله!!.

نروح ونغدو لحاجتنا      وحاجة من عاش لا تنقضي  
تموت مع المرء حاجاته      وتبقى له حاجة ما بقي

ولذلك شكى وبكى الصالحون والطلحون ضيق العمر، وبكى الأخيار والفجار انصرام الأوقات.

أما الأخيار فبكوا لأنهم تمثوا أن كانوا قد ازدادوا من فعل الخيرات والطاعات والقربات.

وأما الفجار فندموا على أنهم لم يستعدوا للآخرة، ولم يتزودوا لها بالعمل الصالح.

حضرت الوفاة نوحاً، عليه السلام، قيل له: يا نوح كم عشت؟ فقال عليه السلام: ألف سنة. قالوا: كيف وجدت الحياة؟ قال: والذي نفسي بيده ما وجدت الحياة إلا كبيت له بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر!!.

فيا أبناء المتين والسبعين ماذا تنتظرون؟ إنكم لن تعمروا كما عمّر نوح عليه السلام، ولا قريباً من ذلك، فكيف تصرفون هذا العمر القصير في الغفلة والمعصية، في انتهاك حدود الله، وفي التجرؤ على محارم الله.

استعدي يا نفس للموت واسعي لنجاةً فالحازمُ المستعدُّ

ذكروا عن الجُنَيْدِ بنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَغَشَتْهُ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، أَخَذَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَبْكِي، قَالُوا لَهُ: تَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَأَنْتَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ أَحْوَجَ مِنِّي بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ أَنْفَاسِي مَعْدُودَةٌ؟

• عِبَادِ اللَّهِ:

اعلموا أن جميع المعاصي محاربة لله - عز وجل - قال الحسن: ابن آدم: هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سَمَى اللهُ تَعَالَى أَكَلَةَ الرُّبَا وَقُطَّاعَ الطَّرِيقِ مُحَارِبِينَ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ؛ لِعِظَمِ ظُلْمِهِمْ لِعِبَادِهِ، وَسَعِيهِمْ بِالْفَسَادِ فِي بِلَادِهِ.

وكذلك من عادى أولياء الله تعالى - أهل الإسلام - من العلماء وطُلابِ العلم والصالحين والدعاة وأهل الفضل فهو مُحَارِبٌ اللهُ - عز وجل - مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ»<sup>(١)</sup>، فَهَلْ تَقْدِيرُ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَسْكِينُ عَلَى مُحَارَبَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ هَلْ تَجْرؤُ عَلَى أَنْ تَكُونَ خَصْمًا لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -؟

فيا من انصرم عمره في الغفلة والضَّياع، ويا من ضاعت أوقاته في اللهو واللعب، ويا من انقضت ساعاته في الغيبة والثَّميحة، ويا من آذى أولياء الله وحارب العلماء والدعاة والصالحين، إن أبواب التوبة مفتوحة، وإن ساعات

(١) أخرجه البخاري (٧/١٩٠) كتاب الرقاق.

الإجابة كثيرة، وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [آل عمران: الآيتان ١٣٥، ١٣٦].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

• أما بعد أيها الناس :

احتجّت النار والجنة، فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلا الجبارون  
والمتكبرون، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين، فقال الله  
- عزّ وجلّ - : «أنت عذابي أعذب بك مَنْ أشاء»، وقال للجنة: «أنت رحمتي  
أرحم بك مَنْ أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»<sup>(١)</sup>.

فالله - عزّ وجلّ - خلق الخلق وجعلهم قسمين، فريق في الجنة، وفريق  
في السعير، وأخبر ﷺ عن أهل الجنة وصفاتهم وأهل النار وأحوالهم.

فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى. قال:  
«كل ضعيف مُتَضَعِّفٍ»<sup>(٢)</sup> لو أقسم على الله لأبره»، ثم قال: «ألا أخبركم بأهل  
النار؟» قالوا: بلى. قال: «كل عُتْلٍ»<sup>(٣)</sup> جواظ مُتَكَبِّرٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦/٤) رقم (٢٨٤٦).

(٢) متضعف: متواضع متذلل لإخوانه.

(٣) العتْل: الجافي الشديد الخصومة بالباطل. والجواظ: الجموع المنوع.

(٤) أخرجه البخاري (٧٢/٦) كتاب السير، ومسلم (٢١٩/٤) رقم (٢٨٥٣).

فعلى العاقل أن لا يأمن مكر الله - عز وجل - فهو سبحانه وتعالى يحول بين المرء وقلبه، وقد أخبر النبي ﷺ أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء<sup>(١)</sup>.

وأخبر ﷺ أيضاً: «أن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول: والله لو كانت إحدى قدمي في الجنة ما أمنت مكر الله.

ولشدة هذا الأمر أخبر النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، أن أول من تُسعر بهم النار ثلاثة: عالم، ومتصدق، ومجاهد.

فقد دخل شفي المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، قال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلاً، قلت له: أنشدك بحق وبحق لما حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلتُه وعلمته. فقال له أبو هريرة: أفعل، لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ عقلتُه وعلمته، ثم نشغ<sup>(٣)</sup> أبو هريرة نشغة، فمكث قليلاً ثم أفاق، فقال: لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق فمكث وجهه فقال: لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ، وأنا وهو في هذا

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤) رقم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨/٨) كتاب التوحيد. ومسلم (٢٠٣٦/٤) رقم (٢٦٤٣).

(٣) نشغ نشغة: أي شهق حتى كاد يغمى عليه، ويحصل ذلك للإنسان إذا اشتد أسفه على فانت.

البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق ومسح وجهه فقال: أفعال، لأَحَدُتُّكَ حديثاً حَدَّثَنِي رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة جديدة، ثم مال خازراً على وجهه فأسندته عليّ طويلاً، ثم أفاق فقال: حَدَّثَنِي رسول الله ﷺ «أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأولُ مَنْ يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يُقتلُ في سبيل الله، ورجل كثيرُ المال، فيقول الله للقاريء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يُقال إن فلاناً قارئٌ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرِّجَم وأتصدَّق، فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمِرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتِلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يُقال فلان جريء فقد قيل ذاك». ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسمر بهم النار يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

فدخل سُفْيَى على معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالكٌ. وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشرّاً، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥١٠ - ٥١٢). رقم (٢٣٨٢) وقال: حسن غريب. وهو عند مسلم مختصراً (٣/١٥١٤) رقم (١٩٠٥).

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: الآيتان ١٥، ١٦].

• فيا عباد الله:

لقد بكى الصالحون يوم تذكروا العرض على الله - عز وجل - وتطايير الصُّحُف، فأخذ يمينه وأخذ بشماله، بكوا أنهم لا يعلمون مصيرهم هل سيؤمر بهم إلى الجنة أو تكون الأخرى.

ونحن والله أحقّ منهم بالبكاء، لأننا لم نقدّم مثل ما قدّموا، ولم نجاهد جهادهم، ولم نُنْفِقْ إنفاقهم، ومع ذلك إذا صلى أحدنا بعض الركعات ظنّ أنه مُسْتَحَقٌّ للفردوس الأعلى، وأن منزلته لا تقلّ عن منزلة ﴿النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩].

أما الصالحون فقد بكوا لأنهم لم يأمنوا مكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: الآية ٢٨].

بكى سفيان عند الموت وجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا!!

وحكّي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي، فإن رأيتني متّ على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزًا وسكرًا، وانثره على صبيان أهل البلد، وقل: هذا عرس المنقّلت، وإن متّ على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك، حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحبّ على بصيرة.

وكان أصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم النفاق ومن هؤلاء عمر بن

قال الحسن: لو أعلم أنني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

وكان حذيفة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قد خَصَّ بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول: إنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة.

فهؤلاء هم سادات القوم من الصحابة والتابعين وغيرهم كانوا يخافون على أنفسهم الفتنة مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم، فكيف لا نخاف نحن على أنفسنا، مع تفريطنا وتضييعنا لحدود الله وأوامره، ألا نعلم أن الله أخرج آدم من الجنة بسبب معصية واحدة، وأبعد إبليس عن رحمته بسبب معصية واحدة، وقرب الملائكة إليه من غير وسيلة، وأنه يوم القيامة سوف يقول: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي!

فالله الله في أوقاتنا أن تضيع هباءً منثوراً، فإن الوقت هو الحياة، وإن العمر قصير، يضيع بين التسويف والانشغال، فالسعيد من خاف «ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»<sup>(١)</sup>.

#### • عباد الله:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشرًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٥٤٦/٤) رقم (٢٤٥٠) قال الترمذي: حسن غريب وصححه الألباني بشواهد كما في السلسلة الصحيحة رقم (٢٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاغْرُضْ عَلَيْهِ  
صَلَاتِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ  
الْأَطْهَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا  
مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَمَنِّكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## الراحمون يرحمهم الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - واعلموا أن رحمة الله - تبارك وتعالى - عمَّت الكائنات، وعنايته سبحانه وتعالى تحفظنا ليلاً ونهاراً، واعلموا

كذلك أن الرحمة من أعظم صفات المولى - عز وجل - فهو الرحمن الرحيم، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

تتوسل الملائكة إلى ربها تبارك وتعالى، وتُثني عليه بالرحمة فتقول: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية ٧].

فرحمته تبارك وتعالى تبلغ ما بلغ علمه، تصيب رحمته التملة في جحرها، والحوث في البحر، والجنين في بطن أمه، وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعاً وتسمين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسمين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، فتأمل رحمك الله، كيف شمل هذا الجزء الواحد من رحمة الله تعالى جميع المخلوقات من إنسان، وحيوان، وطائر، حتى الحشرات وغيرها من المخلوقات التي لا تُرى بالعين المجردة، فإن رحمة الله - عز وجل - تدركها وعلمه يُحيط بها.

حتى أهل الذنوب والمعاصي لا تفارقهم رحمة الله - عز وجل - ولولا ذلك لانتقم منهم عند أول ذنب، وإنما يُمهلهم ويؤخرهم لعلمهم يتوبوا، لعلمهم يرجعوا، لعلمهم يستحيوا من الله الكبير المتعال، وهو - عز وجل - يغضب على

(١) البخاري (٥٧/٧) كتاب الأدب باب (١٩)، ومسلم (٢١٠٨/٤) كتاب التوبة، رقم (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٨/٤) كتاب التوبة، رقم (١٩).

أهل المعاصي، ويغار على حرمانه أن تنتهك ولكن رحمته تبارك وتعالى تسبق غضبه كما قال النبي ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»<sup>(١)</sup>، فالله - عز وجل - أرحم الراحمين، وخير الراحمين كما قال: ﴿وَقُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٨].

ولذلك فقد حث - تبارك وتعالى - عباده أن يكونوا رُحَمَاءَ ومدح حزبه المتقين بأنهم: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥٤].

وصفة الرحمة كما هي من أعظم صفات الباري - تبارك وتعالى - فإنها أيضاً من أعظم صفات المؤمن، فينبغي على المؤمن أن يكون رحيماً بعباد الله، شفوفاً عليهم، مُجَبِّاً لهم، يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فالله - عز وجل - لا يحبُّ الجبارين ولا المتكبرين، ولا الذين يحملون قلوباً قاسية، لا تشفق ولا ترحم ولا تلين، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: الآية ١٦].

قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بِأَكْلِ الرِّبَا، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بِالزُّنَا وَعَقُوقِ الْوَالِدِينَ، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بِالتَّنَاحِرِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ، ولذلك قال الله فيهم: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣].

قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ هَذَا السَّبْيِ تَبْحَثُ عَنْ ابْنِهَا، امْرَأَةٌ حَائِرَةٌ قَلْقَةٌ وَالِهْيَةَ، ضَاعَ ابْنُهَا فَأَخَذَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَجَدَتْهُ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلِذَا

(١) أخرجه البخاري (٢١٦/٨) كتاب التوحيد، باب (٥٦)، ومسلم (٢١٠٧/٤) كتاب التوبة، رقم (٢١٤، ١٥، ١٦) من حديث أبي هريرة.

في النار؟ قالوا: لا والله، فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(١)</sup>.

ومن رحمة الله - عز وجل - أن يرى العصاة الفجرة الجبارين المتكبرين، يعصونه ليلاً ونهاراً، يسفكون الدماء، ويأكلون الأموال ظلماً وعدواناً، يهتكون الأعراض ويغتصبون الحقوق، ومع ذلك كله فإن رحمته سبحانه وتعالى لا تزال تغشاهم، وستره لم يكشف بعد عنهم، وكنفه يحيط بهم، وهو سبحانه لم يغفل عنهم، بل مُطَّلِع على خططهم ومؤامراتهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهُ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِئِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: الآيتان ٤٢، ٤٣].

والرسول ﷺ يعلمنا أن الرحمة لا تكون بين الناس فحسب؛ بل بين الكائنات الأخرى من غير بني البشر، يخبر النبي ﷺ عن رجل اشتد عليه العطش وهو يمشي في طريق وعرة، فوجد بئراً فنزل فيها وشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملاً خُفَّهُ ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له».

فتعجب الصحابة من ذلك وسألوا: يا رسول الله! وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال ﷺ: «في كل كبد رطبة أجر»<sup>(٢)</sup>.

وحديث آخر صحيح كالشمس، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية»<sup>(٣)</sup> قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من

(١) أخرجه البخاري (٧٥/٧) كتاب الأدب، باب (١٨)، ومسلم (٢١٠٩/٤) كتاب التوبة، رقم (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٧/٧) كتاب الأدب، باب رقم (٢٧)، ومسلم (١٧٦١/٤)، كتاب السلام، رقم (١٥٣).

(٣) الركية: البئر.

بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها<sup>(١)</sup>، فاستقت له به، فمقته إياه ففقر لها به<sup>(٢)</sup>.

### • أيها الناس:

هذه رحمة الإسلام بالحيوان، فكيف بحقوق الإنسان في هذا الدين، وإني لأتساءل ماذا فعلت منظمات حقوق الإنسان؟ وماذا فعلت الهيئات التي تُدافع عن الإنسان؟ هل حققت دماء الإنسان؟ هل أزاحت الظلم من على كاهله؟ أما الإسلام فقد جعل للحيوان البهيم حقوقاً، ونهى عن ظلمه وتعذيبه وتجويعه.

وهذه قصة أخرى يرويها عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ، قال: «عُذِّبَت امرأة في هرة؛ سجننتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض»<sup>(٣)</sup>.

فهذه المرأة كانت تحمل قلباً غليظاً، قلباً نُزِعَتْ منه الرحمة والشفقة، قلباً لا يحسّ بآلام الآخرين، فاستعرضت هذه الغلظة وذلك الجفاء على قطة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، فحبستها في البيت، وليتها أطعمتها وسقتها، ولكن أجاجعتها حتى الموت، فعاقبها الله - عزّ وجلّ - الذي لا تخفى عليه خافية وعذبها في جهنم.

وبعض الناس لا تظهر شجاعته إلا على عالم القِطَط والكِلاب، فتراه يجد لذّة في تعذيبها، يدوسها بسيارته فيقتلها، ويحسّ بذلك أنه انتصر نصراً عظيماً وفاز فوزاً مُبيناً، وهذا من خِفة العقل وانتكاس الفِطرة والعباد بالله.

(١) موقها: أي خُفها.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨/٤) كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، ومسلم (١٧٦١/٤) كتاب السلام، رقم (١٥٤، ١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢/٤) كتاب الأنبياء، باب (٥٤). ومسلم (١٧٦٠/٤) كتاب السلام، رقم (١٥١، ١٥٢). وخشاش الأرض: هوامها وحشراتهما.

تَكَفُّ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فيفزع إلى الصلاة، ويُطيل القيام والركوع والسجود، حتى إذا كان في آخر سجدة من الركعة الثانية، جعل ينفخ ويبكي ويقول: «لم تُعَذِّبني هذا وأنا فيهم... لم تُعَذِّبني هذا ونحن نستغفرك»، ثم رفع رأسه وانجلت الشمس، فقام رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله - عز وجل - فإذا رأيتم كسوف أحدهما فاسعوا إلى ذكر الله عز وجل». ثم قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لقد أُذِنَت الجنة مني حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطفها، ولقد أُذِنَت النار مني، حتى لقد جَعَلْتُ أَتْقِيهَا خَشْيَةً أَنْ تَغْشَاكُمْ»، والعجيب هو ما رآه ﷺ في النار، قال: «حتى رأيت امرأة من جنِّير تُعَذِّبُ في هِرَّةٍ؛ ربطتها فلم تدعها تأكل من خَشَاشِ الأرض، فلا هي أطعمتها ولا هي سَقَّتْها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشها إذا أبلت، وإذا ولَّت تنهش ألبتها»<sup>(١)</sup>.

فما أعظم هذا الدين، وما أروع هذه الشريعة التي أقامت العدل وأزست دعائمه بين بني البشر، ولم تكتف بذلك، بل بلغت من العدل والإنصاف أن رفعت الظلم عن الحيوان البهيم؛ لأنه يحس ويتألم بمرارة الظلم إذا وقع عليه.

ولما أراد الله - عز وجل - أن يمدح رسوله ﷺ، وصفه بالرحمة فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

وقال أيضاً: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

وهذا الذي يعيش فيه الملمون الآن من الفرقة والتباغض والتحاسد فيما بينهم، إنما هو أولاً وقبل كل شيء بسبب غياب هذه الصفة، ولذلك اختار العليم الحكيم رسوله محمداً ﷺ، ليجمع هذه الأمة الهمجية المبعثرة التي لا

(١) أخرجه النسائي (١٣٧/٣) كتاب الكسوف، رقم (١٤٨٢)، وأحمد (١٥٨/٢).

قانون لها ولا نظام، فجمعها محمد ﷺ، ووحدتها رسول الهدى ﷺ، وجعلها أمة قوية، تعمل لها الأمم ألف حساب، بل صارت خير أمة أخرجت للناس، بعد أن كانت أمة مُشَاغِبَة، أمة نائرة، أمة بلا حضارة ولا ثقافة، فأتى رسول الله ﷺ بدين هو أعظم الأديان وبشريعة هي أفضل الشرائع، وبحضارة من أروع الحضارات.

جمع نبينا ﷺ هذا الشتات على لا إله إلا الله، أدبهم بآداب لا إله إلا الله، فأتت ثمارها جيلاً فريداً طائعاً عابداً لله - عز وجل - : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

فكانت دعوته ﷺ تمتاز بالرحمة واللين وعدم العنف والشدّة.

يأتي الرجل يحمل من الحقد والحسد والضغينة للرسول ﷺ الشيء الكثير فما إن يرى ذلك الوجه الأنور والجبين الأزهر والبسمة المُشْرِقة حتى يعود ورسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين: ﴿أَدَقَّ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ٣٤].

يمشي عليه الصلاة والسلام في سِكَك المدينة فيمِرّ على الأطفال فيسلم عليهم ويتبسّم لهم ويقبلهم؛ لأنه رؤوف رحيم.

وكثير من الناس اليوم جتار متكبر يرى أن من المهانة أن يدنو من الأطفال ويمسح على رؤوسهم وَيَقْبَلَهُمْ، أما الرسول ﷺ فقد كان رحيماً بالأطفال، فكان، عليه الصلاة والسلام، يصلّي بالمسلمين وهو ينوي الإطالة، فإذا سمع بكاء الأطفال تجوّز رحمة بهم وبأمهاتهم.

فإذا رحمت فأنت أمّ أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته	فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة	في الحق لا كِبْر ولا ضغناء

ومن رحمته ﷺ، أن يأتي إليه شابٌ فيسأله ﷺ شيئاً، أتدرون ماذا يسأل؟ قال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا!! فأقبل الناس عليه فزجروه ووبَّخوه، ولكن المصطفى، عليه الصلاة والسلام، قال له: «ادنه...» فدنا منه قريباً حتى جلس بجواره ﷺ، فقال له المعلم الأكبر: «أفتحبه لأمك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداءك - قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله - جعلني الله فداءك - قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداءك - قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداءك - قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداءك - قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحضن فرجه»<sup>(١)</sup>، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء، أصبح لا يفكر في الزنا، صار الزنا أبغض شيء إلى قلبه، إنها رحمة المصطفى ﷺ، إنه التعليم بالبسمة، والتوجيه بالبشر وإشراق الوجه، وهذا الذي استطاع به محمد ﷺ أن يجمع عليه القلوب، وأن يوحد به الصفوف، وأن ينقل به هذه الأمة من جماعات متفرقة متناحرة مشتتة، إلى أمة قوية تقيّة وصفها ربها تبارك وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس.

ومن رحمته ﷺ أن يأتي الحسن أو الحسين فيرى الرسول ﷺ ساجداً في صلاة العشاء فضاقت عليه الدنيا إلا من ظهر المصطفى، عليه الصلاة والسلام، فصعد على الظهر الشريف، فأطال النبي ﷺ في السجود، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يُوحى إليك قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني»<sup>(٢)</sup> فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»<sup>(٣)</sup>.

(١) المسند (٥/٢٥٧).

(٢) ارتحلني: اتخذني راجلة بالركوب على ظهري.

(٣) أخرجه النسائي (٢/٢٢٩، ٢٣٠) كتاب التطبيق، رقم (١١٤١)، وأحمد (٣/٤٩٤).

هكذا كان يتعامل ﷺ مع الأطفال، فأين هذا من تعاملنا نحن معهم، إننا نتعامل مع الأطفال بالضرب والشتم والمطاردة في المسجد، حتى أصبح كثير من الأطفال يخافون من دخول المسجد لما يرونه من تهديد مستمر ووعيد دائم.

قال أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «أبا عمير ما فعل النُّغَيْر»<sup>(١)</sup>؟ والنُّغَيْر: طائر صغير كان يلعب مع الصبي، فكان النبي ﷺ يدخل عليه الفرح والسرور بسؤاله عن ذلك الطائر، وكأنه ﷺ متفرغ لهؤلاء الأطفال ومبعوث إليهم خاصة، مع أن هموم البشرية جميعاً كانت تحيط به، فهو ﷺ رحمة للعالمين، للإنس والجن، للصغير والكبير، للرجل والمرأة، للشيخ والشاب.

#### • أيتها الناس:

إن النبي ﷺ كان يحب التيسير في كل شيء وكان يكره التشديد في كل شيء؛ أرسل أبا موسى ومعاذاً داعيين رسولين مبشرين مُنذرين إلى اليمين، وكان آخر ما أوصاهما به أن قال: «يسراً ولا تعسراً، وبشراً ولا تنفراً»<sup>(٢)</sup>.  
فديننا دين يُسر وسهولة، دين رحمة ومحبة، ولذلك دخل إلى القلوب، وتعشقت الأرواح، وافندته المهج والنفوس.

كان ﷺ أشجع الناس، ومع ذلك كان يتأثر بالموافق، فتدمع عيناه وينجرح فؤاده.

وإذا لقيت كتيبة يوم الردي      أدبت في يوم الردي أفعالها  
وإذا نطقت وقيت فيما قلته      لا من يكذب قولها أفعالها

(١) أخرجه البخاري (١٠٢/٧) كتاب الأدب، باب (٨١)، ومسلم (١٦٩٢/٣) كتاب الآداب رقم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٨/٥) كتاب المغازي، باب (٦٠)، ومسلم (١٣٥٩/٣) كتاب الجهاد، رقم (٧).

يدخل النبي ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناه ﷺ تذرغان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأقرع بن حابس يُبصر النبي ﷺ وهو يُقبل الحسن فيقول: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يرحم لا يرحم»<sup>(٢)</sup>.

• عباد الله:

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٨٥/٢) كتاب الجنائز، باب (٤٤)، ومسلم (١٨٠٨/٤) كتاب الفضائل، رقم (٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥/٧) كتاب الأدب، باب (١٨)، ومسلم (١٨٠٩/٤) كتاب الفضائل، رقم (٦٥).

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً، ومُبَشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

فقد كانت مدرسة النبي ﷺ تتميز بالرحمة، وتنفرد بالرأفة والمحبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: الآية 128].

علم ﷺ أصحابه الرحمة، حتى صار أشدهم وأقساهم قلباً من أرحم الناس، فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لولا هداية الله له، ما كان يعرف الرحمة، وما كانت عيناه تعرف الدموع ولا اللين، كان ﷺ من أقسى الناس في الجاهلية، كان سفاكاً فتاكاً لا يعرف المهادنة ولا يعرف الحوار ولا السهولة واللين، فلما سكب، عليه الصلاة والسلام، إناء الرحمة في قلبه، كان من أرحم الناس وأرق الناس.

وقف - رضي الله عنه - على المنبر يوم الجمعة فغلبته عيناه فلم يستطع أن يتكلم، يأتي ليصلي بالناس فلا يسمع الناس قراءته من شدة البكاء، كان في خديه خطان

من أثر البكاء، فَمَنْ الذي جعل في قلبه هذه الرحمة؟ وَمَنْ الذي جعله شَفِوقاً حليماً وَدُوداً؟

قال مرة لأسلم مولاة: أتنام الليل؟ قال: نعم، قال عمر: والله ما نمتُ منذ ثلاث، فقد جعل الله في عنتي الأرملة، والمكِين، والشيخ الكبير، والعجوز، واليتيم!!.

عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول في عام الزمادة: والله لا أبتلّ في سَمْن ولا أكل سميناً حتى يجلي الله الكربة عن المسلمين.

يأتي يوم الجمعة ليصلي بالناس فيقرقر بطنه من الجوع، فيضرب على بطنه، ويقول: قرقر أو لا تقرقر، والله لا أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

حسبي وحب القوافي حين أروها      أني إلى ساحة الفاروق أهديها  
يا رب هَب لي بياناً أستعين به      على حقوق العلاء قد نام راعيها

لقد بلغ من رحمته - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه كان يسأل عن أطفال المسلمين؛ ماذا أكلوا، وماذا شربوا، وكيف ينامون، إنها الرحمة التي علّمها رسول الله ﷺ أصحابه، وَمَنْ لا يرحم الناس لا يرحمه الله، وَمَنْ نسي حقوق الناس، وآلام الناس، ومشكلات الناس، عَرَض نفسه للغضب والمَقْت من الله - عز وجلّ -.

فمن الناس مَنْ يشبع وجاره جائع، ومنهم مَنْ يلبس أفخر الثياب وجاره لا يجد ما يستر به عورته، ومنهم مَنْ يسكن القصور الشاهقة، والناس ينامون على الأرضفة، فهل هذه هي الرحمة التي أتى بها النبي ﷺ؟ وهل هذا هو منهج الإسلام في التعامل مع الآخرين؟... يقول النبي ﷺ: «مَثَل المؤمن في توأدهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمى»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٧/٧) كتاب الأدب، باب (٢٧) ومسلم (٤/٢٠٠٠) كتاب البر والصلة، رقم (٦٧).

فلا بد أن يكون المسلم رحيماً ودوداً، يفرح لفرح إخوانه المسلمين ويتألم لآلامهم.

ومن صور الرحمة التي يريدتها الله - عز وجل - أن يرحم الرجل أهل بيته، وأن يُشبعهم، ويكسوهم، ويكفيهم، ويقدم لهم الخير، وقبل ذلك كله أن يقودهم إلى الجنة، ويُعرفهم أبوابها وسبلها، ويحذّرهم من طرق الضلال التي تقودهم إلى جهنم والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾ [التحریم: الآية ٦].

أيظن الإنسان أن الله - عز وجل - لن يسأله عن أهله ومن يقول؟

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: الآية ٣٦]، بلا أمر ولا نهى ولا

سؤال ولا حساب، بل إن الله - عز وجل - يقول لابن آدم مُعَاتِباً:

«يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مريض فلم تغده، أما علمت أنك لو غدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»<sup>(١)</sup>.

• أيها الناس:

كيف يهنا المرء بطعام وهو يعلم أن جاره جائع أمسى طاوياً يتلوى من الجوع، ترى الفقراء والمساكين يملؤون السُّكَّ والطَّرِقات لا يجدون كسرة

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٠) كتاب البر والصلة، رقم (٤٣).

الخبز، بينما تُرمى أشهى الأطعمة في صناديق القمامة، ولا تُقدَّم إلى الأكباد الجائعة والبطون الخاوية.

الفقراء يمرضون السنوات الطويلة ولا يجد أحدهم دواءً، المساكين يُطرحون في المستشفيات على الأسيرة كالموتى ولا يجدون مَنْ يُعوّدهم لأنهم مساكين، أما إذا كان رجل ذا منصب وشُهرة وجاء، فإنك ترى الناس أفواجاً على بابه حتى تتكسر عتبات داره من كثرة الزوّار، لا لشيء إلا لأنه من الأغنياء الوُجّهاء كما قال الشاعر:

ترى الناس أفواجاً على باب داره يطوفون عن تلك الديار وسلموا

لقد أصبحت دعوات الناس وزياراتهم للوجاهة والتفاخر لا لوجه الله - عز وجل - يُدعى للولائم وُجّهاء الناس وكُبراءهم ويُترك الفقراء وأهل الحاجة مع أنهم أحقّ وأولى من غيرهم بهذه الدعوة، وقد قال النبي ﷺ: «شُرُّ الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء»<sup>(١)</sup>.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الرحماء، وأن يكسونا ثوب الرحمة، وأن يغرس في قلوبنا شجرة الرحمة تُشْمِر الصدق واليقين والمحبة والإخاء.

#### • عباد الله :

وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أَمَرَكم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٤٤/٦) كتاب النكاح، باب (٧٢) ومسلم (١٠٥٤/٢)، كتاب النكاح، رقم (١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَمَتِّكْ وَكْرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## يوسف في الجب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ إذ قال يوسف لإبيه يتأبى

إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْضُ رِءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْرَتِكَ فَبِكَيْدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْعَلُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَوَىٰ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلنَّاسِ الْآيَاتِ ٣ - ٧].

يدخل عمر رضي الله عنه وأرضاه مسجد رسول الله ﷺ فيجد قاصًا يقص على الناس، وواعظًا يعظهم بأخبار الجاهلية، فيسأل عمر: من هذا؟

قالوا: هذا قاص يقص علينا، فيعلوه عمر بالذرة - وهي عصا غليظة - ويضربه ويقول: أتقص يا عدو الله، والله يقول: ﴿يَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصِصِ﴾ [يوسف: الآية ٣]؟! ومن أحسن القصص قصة يوسف عليه السلام، وبطلها يوسف عليه السلام، يمر بأربعة مشاهد:

مشهد الفراق من أبيه ومن ذويه أربعون سنة؛ لا يرى أباه، ولا يرى إخوانه، ولا أهله، ولا بيته، ولا جيرانه.

ومشهد الفتنة؛ امرأة العزيز تتعرض له، وهي من أجمل خلق الله!!.

ومشهد السجن؛ يُجَنُّ في ذات الله، ويُحصص ليخرج برضوان الله.

ومشهد ملك مصر؛ يملك الدولة بأسرها، ويتحدث من مركز القوة، بعد الفراق والسجن والعناء.

يقول الله في أول السورة: ﴿الر﴾ [يوسف: الآية ١] من هذه الحروف نتكلم، ومن هذه الحروف نصوغ قرآنا، ومن هذه الحروف تتكلمون، وتكتبون الشعر والنثر والبلاغة؛ فيا أيها الفصحاء، يا أهل البلاغة والبيان، يا قريش العربية والفصاحة، إني أتحداكم أن تأتوا بسورة واحد من مثل هذا القرآن!! والتحدي ماضٍ إلى يوم القيامة!!.

المادة موجودة، والخام معروف، والحروف لم تتغير، ولكن أتى لكم أن تصوغوا قرآناً كهذا القرآن!! ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي﴾ ﴿١﴾ ﴿يُوسُفُ: الآيَة ١﴾.

كتاب مُبين جَلِيٍّ واضح، ولكن ماذا يحوي؟ أي شيء فيه؟ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿يُوسُفُ: الآيَة ٢﴾.

فيا مَنْ نام وما استيقظ، استيقظ بهذا القرآن، ويا مَنْ غفل ولم يتذكر، تذكر بهذا القرآن، ويا مَنْ فَقَدَ عقله، اعقل بهذا القرآن، وتدبر بهذا القرآن، وابحث في أسرار هذا القرآن.

ثم يقول الله تبارك وتعالى مقدماً للقصة المذهلة المرعبة، التي ما سمع الناس بمثلها، وممهّداً لأحداثها بخطوط عريضة، في وصف القصص القرآني: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ﴿يُوسُفُ: الآيَة ٣﴾. أصدق القصص، وأروع القصص، وأطيب القصص. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿يُوسُفُ: الآيَة ٣﴾.

كنت أُمياً لا تقرأ ولا تكتب، كنت في صحراء مع أمة جاهلة تعبد الصنم والحجر، ما عندها قصص، ما عندها علم، ما لديها كتاب، فاستمع إلى قصصنا، فإن فيه العبرة، والعظة، والذكرى.

ثم ينتقل بنا القرآن إلى يوسف عليه السلام، وإلى أبيه يعقوب، إلى الأنبياء المطهرين المُشرفين، إلى الأسرة العريقة في الكرم، وفي الجود، وفي التقوى، وفي الورع.

وما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل  
وהל يُنبئ الخطي إلا وشيجه وتُغرس إلا في مغارسها النخل

يصحو يوسف عليه السلام ذات يوم، وهو غلام فيما يقارب العاشرة، وفي الصباح يجلس أمام أبيه، ومن أعجب الأعاجيب عند الطفل، أن يرى في

النوم ما يرى، ولذلك تجد الأطفال يرتاحون أيما ارتياح، إذا ما رأوا في نومهم شيئاً يقضونه على آباتهم، لو رأى أحدهما خيالاً، أو طائراً، أو جبلاً، لزاد عليه، ولزخرف فيه ونمق، حتى يخبر أهله بذلك في الصباح.

وأما يوسف عليه السلام، فما زخرف وما زاد، يجلس أمام أبيه ويقول: يا أبتاه، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [يوسف: الآية ٤].

رأيت أحد عشر نجماً في السماء، والشمس والقمر، ولو سكت لما كان في القصة عجب، كلٌّ يرى أحد عشر كوكباً، وكلٌّ يرى الشمس والقمر، ولكن ما هو المذهل يا ترى؟ إن سرَّ الحلم والرؤيا ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: الآية ٤]. رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر هبطوا من السماء، وسجدوا لي في الأرض.

ولمخ يعقوب عليه السلام، وهو نبي أعطاه الله من العلم، ومن الإدراك، ومن الفطنة والفهم، أن ابنه هذا سوف يكون له شأن عظيم، وأنه سوف يكون وارثه في النبوة، فخاف أن يخبر إخوته بهذه الرؤيا، فيأتي الشيطان، فيحول بينهم وبينه، وهذا ما حدث فقال: ﴿يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: الآية ٥]. حذارٍ حذارٍ أن يسمعوا منك هذه القصة، لا تخبرهم بذلك أبداً.

ولكنه ما حفظ وصية أبيه، وما نفذها، لأنه كان يحب إخوته، وما شك فيهم طرفة عين.

فالإخوان، الأشقاء، الرّحماء، الأصفياء، المتحابون، كيف ينقم بعضهم على بعض، وكيف يحسد بعضهم بعضاً، وكيف يبغى بعضهم على بعض، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ كما في الصحيح؛ أن إذا رأى أحدنا رؤيا طيبة، ألا يقضها إلا على من يحب<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري (٨/٨٣)، ومسلم (٤/١٧٧٢) رقم: (٢٢٦١).

فأتى يوسف عليه السلام إلى إخوته، وجلس معهم، وهو من أصغرهم، وقصّ عليهم القصة، فثار الحقد في قلوبهم، والحمد في نفوسهم، وأصبح الخلاص من يوسف عليه السلام أمراً مؤكداً لا حيدة عنه، ولا مفرّ منه، وعلم يعقوب عليه السلام أن الإخوة علموا بأمر الرؤيا، فسقط في يديه، وأيقن أن المؤامرة سوف تُدبر، وأن المكيدة أوشكت.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: الآية ٦]، بهذه الرؤيا وبغيرها ﴿وَعَلَّمَكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: الآية ٦]، تفسر للناس الرؤى وتعبّرها لهم، فضلاً من ربك ﴿وَوَيْتَهُ نِعْمَةً عَلَيْكَ﴾ [يوسف: الآية ٦]، نعمة الرسالة، نعمة الاستقامة، نعمة الولاية، ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [يوسف: الآية ٦]. وبدأ به، لأنه أفضل ﴿وَوَسَّعْنَا إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٦].

وينتهي هذا المشهد، ثم ينتقل بنا القرآن إلى مشهد آخر، ينتقل بنا إلى أصل القضية، والباعث على المؤامرة التي سوف تُدبر، والجريمة التي سوف تُنفذ.

يقول الله - عزّ وجلّ - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِفِينَ﴾ [يوسف: الآية ٧]. عِظَاتٍ وَعِبْرٍ لِّلْمُعْتَبِرِينَ، إخوانٌ ينقمون على أخيهم!! إخوان يريدون قتل أخيهم!! ينفونه من بيته!! يحرّمونه من أبيه!!.

اجتمع إخوة يوسف، وهو ليس معهم، بل معهم الشيطان فقال قائلهم: ﴿لِيُؤْسِفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: الآية ٨]. ونحن جماعة في بيت واحد، ومن أب واحد ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: الآية ٨].

لقد أخطأ أبونا، حيث قدّم أخانا علينا، لماذا يفضّله علينا ونحن أكثر منه؟ لماذا يقبله أكثر مما يقبلنا؟ لماذا يجلسه بجانبه ولا يجلسنا بجانبه؟ وهذا مما توهموه وإن كانت الحقيقة غير ذلك. وهذا أيضاً درس في التربية لمن كان عنده أبناء، فلا ينبغي أن يميّز أحدهم على الآخر، فإن هذا يُورث الضغينة، والحقد،

والتحاسد بينهم، إلا أن يكون طفلاً صغيراً، فله أن يميّزه، لأنه ضعيف، وإخوانه أقوياء، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يُوسُف: الآية ٨] فما هو الحلّ يا ترى عند هؤلاء الإخوة؟

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: الآية ٩]، مكيدة ما سمع التاريخ بمثلها، فتّى بريء، طفل صغير، تقىّ ورع، يتأمر عليه إخوانه، وينقم عليه أحبابه، ويكيد له من تربوا معه في بيت النبوة.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يُوسُف: الآية ٩]، أو اذهبوا به إلى أرض بعيدة بعيدة، وألقوه فيها ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ [يُوسُف: الآية ٩] سوف تستأثرون بأبيكم، وتنفردون بحبه، وظننوا أن هذا سوف يحدث ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٩] ثم تتوبون من هذا الخطأ، وتستغفرون من تلك الجريمة، وسوف يتوب الله عليكم لأنه غفور رحيم!!.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نَوَّوْا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الذَّنْبِ. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠]. والقائل أكبرهم على قول بعض المفسرين، رأى أن القتل شديد، وأنه من أكبر الكبائر، وأنه جريمة نكراء، فتحرّكت في قلبه بعض الرحمة، وبعض الشفقة، وقال: لا تقتلوه وإنما ﴿وَالْقُوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ أي في بئر مُغَيَّبَةٍ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ مُصَمِّمِينَ عَلَى هَذِهِ الْفِعْلَةِ.

واجتمعوا على هذا الرأي، وأجمعوا أمرهم على تلك المكيدة، ولكن كيف يأخذون يوسف من بين يدي يعقوب عليه السلام، ما الحيلة التي يحتالون بها على يعقوب؛ لإخراج يوسف من بيته؟

لقد جاؤوا إلى أبيهم مُتَوَسِّلِينَ؛ يا أبانا، لماذا لا تستأمننا على أخينا يوسف؟ هل صدر منا شيء تجاهه؟ ألا تعرف أننا نحبه كثيراً!! هل ضربناه؟ هل أسأنا إليه؟ هل حسدناه على شيء!! ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا

لَمْ لَنْصَحُونَ ﴿١١﴾ [يُوسُف: الآية ١١]. نحن نحبّه والله، وننصح له، ولا نريد له إلا الخير، ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِعْ وَيَلْمَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [يُوسُف: الآية ١٧].

دعه لنا غداً يرعى معنا الغنم، وسوف نتركه يلعب، ويجري، ويمرح، إلا أن أعيننا سوف تكون عليه، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فأجابهم يعقوب عليه السلام بلسان الأب الحنون، وبقلب مطمئن بصير ﴿إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يُوسُف: الآية ١٣]. لقد شككوه في أنفسهم، فبين لهم أن ذهابهم بيوسف يُحزنه، وأنه يجد لفراقه وحشة، لأنه صغير، ولأنه يرى فيه النبوة والاصطفاء.

ثم أضاف يعقوب عليه السلام سبباً آخر فقال: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل لهم: أخاف أن يأكله الذئب، ما كانوا قالوا في الأخير: لقد أكله الذئب، لأن هذا الأمر لم يكن في أذهانهم، ففتح لهم يعقوب عليه السلام طريقاً، وأوجد لهم عذراً لم يدر بخلدهم، دون أن يدري.

ولذلك ففي بعض الآثار أن الله عاقب يعقوب عليه السلام، بسبب هذه الكلمة، فَقَدَ ابنه أربعين سنة، وأوجي إليه، قال: يا يعقوبُ خفتَ الذئبَ ولم تذكرَ حِفْظِي!!.

قلت: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾، وما قلتَ كما قلتَ في الأخير: ﴿قَالَ اللَّهُ حَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٦٤].

ثم بدؤوا في تنفيذ جريمتهم، ذهبوا بيوسف إلى المرعى في الصحراء، ذهبوا به والسعادة تملأ قلبه، لأنه سوف يلعب مع إخوته، وسوف يقضي معهم وقتاً طيباً، ذهبوا وقلوبهم تغلي حقدًا، وتنفطر حسداً لهذا الأخ الحبيب القريب الصغير، فأخذوه أول ما وصلوا، ما تركوه يرتع كما قالوا، ويلعب كما زعموا،

وإنما قيّده بحبل، وأنزله في البئر، فأخذ يستغيث ويظن أنهم يمزحون، وقد خيروه بين القتل وبين أن يلقى في البئر.

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا  
تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا أو عدواً مُداويا

فأنزله وهو يتشبث ويبيكي، فيقول له أخوه وهو يستهزئ به، ويتهكم عليه كما في بعض الآثار: هذه أحد عشر كوكباً، وهذه الشمس والقمر يجدون لك!! فأخذوا يُنزلونه بالحبل، وذكر ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» أنه لما نزل أخذ يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]، وأخذ يقول: سبحان الله، سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

قال ابن عباس وهو يبكي حينما قرأ سورة يوسف.

هدأت الحيتان في البحر من التسيح، ولم يهدأ يوسف عليه السلام من التسيح، فأنزلوه، ولما نزل قطعوا عنه جبالهم، فبقي في حفظ الله، وفي رعاية الله وفي أمن الله.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالحوادث كُلُّهنَّ أمانٌ

\* \* \*

يا واهب الآمال أنـت حفظتني ومنعتني  
وعدا الظلوم عليّ كي يجتاحني فحميتني  
فانقاد لي متخشعاً لِمَا رآك نصرتني

قطعوا الحبل وتركوه في البئر، وهو يلهج بذكر الله، في صحراء شاسعة، وحيداً ليس معه إلا الله، لا خبز، ولا ماء، لا طعام، ولا أهل، لا جيران ولا أحيّة، لا أحد يمز، ولا مؤنس يؤنس، وإنما الذئب يعوي في صحراء مدوية، ثم رجعوا إلى أبيهم باكين!!.

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكذت أطيروا  
ولم يكن الشر متأصلاً في إخوة يوسف عليه السلام، ولذلك نجدهم  
أخطؤوا في حبك هذه القصة من أوجه ثلاثة:

الوجه الأول: لو أرادوا مكيدة لتركوه إلى غير هذا اليوم ولعادوا به سالماً،  
ليطمئن أبوه إليهم، ولكن هكذا في أول يوم يأكله الذئب!! ما هذا الذئب الذي  
ينتظر يوسف في الصحراء، وكأنه يرقب متى يخرج حتى يأكله!؟.

الأمر الثاني: أنهم أتوا بثوبه فخلعوا قميصه ولم يمزقوه، والذئب لا يعرف  
خلع القميص، الذئب لا يفك الأزرار، وإنما يمزق الثياب تمزيقاً، وهم فكروا  
الأزرّة، وخلعوا الثوب بهدوء، ثم جعلوه في دم شاة ليحتالوا على أبيهم.

والأمر الثالث: جاؤوا إلى أبيهم وقالوا: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا  
صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٧].

كاد المريب أن يقول خذوني، يقولون: إنك لا تصدقنا وهذا علامة على  
أن في الأمر شيئاً.

ولكن ماذا فعل يوسف عليه السلام؟

أظلم عليه الليل، قال أهل العلم: أنزل الله عليه جبريل يكتنه تلك الليلة،  
وأخبره ربه أنني معك أسمع وأرى، فلا تفتّر لسانك من ذكري، فإني جليس من  
ذكرني، فبدأ يوسف عليه السلام يذكر الله سبحانه وتعالى، فلما استأنس قال: يا  
جبريل، استأنست بجلوسي مع الله، فإن شئت فاذهب، فأوحى الله إلى يوسف:  
﴿لَتُنَبِّئَهُنَّ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٥]. سوف تمر الأيام،  
وتخبرهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون!!.

﴿وَجَاءَ وَرَأَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٦]. رجعوا إلى أبيهم في

العشاء، لماذا لم يأتوا في المغرب، أو في العصر؟

أولاً: لِيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ تَأَخَّرُوا فِي مُصَارَعَةِ الذُّبِّ، وَفِي مَلَاَحِقَتِهِ، حَتَّى يُخَالِصُوا أَخَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أُنْيَابِهِ!! وَلِذَلِكَ تَأَخَّرُوا إِلَى الْعِشَاءِ.

والأمر الثاني: حتى لا يرى أبوهم الدم في الثوب فيميز بين دم يوسف ودم الشاة. وانظر إلى المكيدة... أتوا يتباكون!! ﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٦]. لقد تركوا كل شيء، وعمدوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وهم في حالة سيئة من البكاء والنحيب!! ماذا حدث؟ يا لهذه الرحمة التي أبكتهم!، ما هذه الدموع الساخنة الحارة على فرقة يوسف عليه السلام، فسألهم أبوهم: ما الخبر؟ قالوا: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: الآية ١٧]. ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، تجارينا وتسابقنا ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ﴾ إشفاقاً عليه ﴿عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ لأنه أخبرهم قبل ذلك أنه يخاف أن يأكله الذئب، ثم قالوا: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٧]. أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: الآية ١٨]. إن كنت لا تصدقنا، فهذا دليل صدقنا، هذا قميصه ملطخاً بالدماء، هذا ثوبه جثنا به؛ لتعلم أننا صادقون!!.

أخذ يعقوب عليه السلام الثوب، وضحه إليه، وسألت عينه بالدموع، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [يوسف: الآية ١٨]. لقد كدتم مكيدة، ودبرتم مؤامرة، والله المستعان على ما تصفون.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: الصبر الجميل؛ الذي لا شكوى فيه، والصبر الجميل، أن لا تُظْهِرَ الْفَقْرَ وَلَا الْمَكَّةَ لغير الله، والصبر الجميل، أن تتجمل أمام خلق الله.

قيل لأحد العباد: ما هو الصبر الجميل؟ قال: أن يتقطع جملك قطعة قطعة، وأنت تبسم!! وقال آخر: الصبر الجميل، أن تُبْتَلَى وقلبك يقول: الحمد لله.

ثم تولى يعقوب يبكي حتى ابيضت عيناه على ما سوف يأتي، وفي بعض الآثار، أن الملائكة بكت على بكاء يعقوب عليه السلام.

وكان أبو بكر - رضي الله عنه وأرضاه - يقرأ سورة يوسف في صلاة الفجر، فإذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: الآية ١٨]، بكى وبكى الناس معه.

وحُرِّمَ يوسف من أبيه يعقوب عليه السلام أربعين سنة واستوحش يعقوب، وخالَت الدار، وأظلم كل شيء، وبكى يعقوب حتى ذهب عيناه، ولسان حاله يقول:

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا	شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا
تَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا	يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
إِنْ كَانَ قَدْ هَزُّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ فَمَي	مواقف الحشر نلقاكم ويكفيينا

وللحديث بقية: أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس  
أجمعين، ومحجة السالكين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً  
كثيراً.

• أما بعد:

ففي هذا المقطع السابق من سورة يوسف عليه السلام فوائد ودروس،  
منها.

الأمر الأول: أن هذا القرآن مُعْجَزٌ وأنه معجزة رسولنا ﷺ، قال تعالى:  
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨].

الأمر الثاني: في الرؤيا حقٌ وباطلٌ؛ فإن كانت من رجل صالح، وكانت  
صالحة، ولم تكن في أمر مستحيل، فإنها من المبشرات.

الأمر الثالث: على المسلم إذا رأى رؤيا صالحة ألا يخبر بها إلا من  
يحب، لا يخبر بها كل أحد، أما إذا رأى رؤيا سوء فلا يخبر بها أحداً، سواء  
يحبّه أو لا يحبّه. فرؤيا سوء لا يُخبر بها أحد.

وبعض الناس إذا رأى رؤيا مؤذية، مضرّة، مكروهة، أخبر بها، فتقع عليه. وفي حديث عنه عليه السلام وهو صحيح: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبّر، فإذا عبّرت وقعت»<sup>(١)</sup>.

**والأمر الرابع:** أن الحسد مركوزٌ في فطر الناس، قال الحسن - رحمه الله -: ما خلا جسد من حسد، ولكن المؤمن يدفعه، ويعتقد أن الحسد من أكبر الخطايا والذنوب، وأنه من أقبح السيئات، وأنه يأكل الحسنات، وأنه ينحل الجسم، وأنه يُذهِب بالتقوى والورع، وأنه يُغضب الرب على العبد.

أقل لمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله سبحانه لأنك لم ترض لي ما وهب

فمن حسد فقد أساء الأدب مع الله، وقد اعترض على القضاء والقدر، وقد ضيَع نفسه، وقد كره فضل ربه على الناس. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: الآية ٥٤].

فالحسد مقيت، وهو أول ما عُصِيَ به الله في الأرض، نعوذ بالله منه.

وواجب الحاسد أن يتوب إلى الله، وأن يراجع حسابه مع الله، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يُحِمِّن إلى المحسود، وأن يهدي له، وأن يستغفر له، وأن يدعو له، وأن يعلم أنه ارتكب خطيئة ما بعدها خطيئة.

**والأمر الخامس:** أن المِحَن تقع بين الإخوة، إذا فُضِّل بعضهم على بعض، فمن حُسن التربية أن يُساووا في القسمة، وفي الحب، وفي التقبيل، وفي الجوائز، فلا يُقدِّم أحدهم على الآخر، ولو كان أحدهم متفوقاً، أو ناجحاً، أو قدّم عملاً، فلا ينبغي أن يُفَضِّل على إخوانه. قال النعمان بن بشير: ذهب بي أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ميّزني بشيء من القسمة فقال صلى الله عليه وسلم: «أفعلت

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٨٨/٢) رقم: (٣٩١٤)، وأحمد (١٠/٤).

هذا بولئك كلهم؟ قال: لا يا رسول الله، قال: «فلا تُشْهِدني إِذَا فإني لا أشهد على جور»<sup>(١)</sup>، أو قال: «فأشهد على هذا غيري»<sup>(٢)</sup>، أو قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»<sup>(٣)</sup>. فمن الظلم كل الظلم أن يُقَدِّم أحد الأبناء، وأن يُؤَخِّر الباقيون، إنه سبيل إلى الإحباط، وإلى البغض، وإلى الانتحار، وإلى المَكيدة والعداوة بين الأبناء، نسأل الله العافية. فهذا من الأدب في التربية.

والأمر السادس: أن الحافظ هو الله، وأن المانع من السوء هو الله، وأن الرقيب والحيب هو الله الحي القيوم، فيوسف عليه السلام لما أُلْقِيَ في الجُب نسي كل شيء إلا الله، فذكر مولاه، فحفظه، ورعاه وتولاه وأيده وسدده وآواه، وأصبح ملكاً على مصر، وآتاه النبوة، وشرفه بالرسالة، ومنحه العلم والدعوة.

وكذلك يحفظ الله مَنْ يحفظه ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٦٤].

وهكذا تستمر سورة يوسف، بمشاهدها التي سوف تأتي إن شاء الله، وبحديثها الشائق، وبروعتها في الأداء، وأخذها بأطناب القلوب.

نسأل الله فقهاً في كتابه، وتدبراً لآياته، وعملاً بمواعظه وأحكامه، إنه على كل شيء قدير.

• عِبَادِ اللَّهِ:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

(١، ٢، ٣) أخرج هذه الألفاظ جميعاً مسلم في «الصحیح» (٣/١٢٤٣، ١٢٤٤) رقم (١٦٢٣).

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## يوسف في بيت العزيز

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

• أيها الناس:

فلنستمع إلى القرآن وهو يواصل معنا عرض قصة يوسف عليه السلام، في إبداع عجيب، وفي تصوير مشرق رائع، بعد أن تركناه في الجب وحيداً، ولكن

الله معه، غريباً؛ ولكن الله يؤنسه فالله سبحانه وتعالى يقول: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»<sup>(١)</sup>. فمن ذكره فهو معه سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥٢].

اذكرونا مثل ذكرانا لكم      ربُّ ذكري قرَّبت من نزع  
بك استجير ومن يجير سواك      فأجز غريباً يحتمي بحماكَ  
إني ضعيف أستمع على قوى      جهلي ومفصيتي ببعض قواكَ

يقول الله سبحانه وتعالى تكملةً للقصة المذهلة المدهشة: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عَلَّمَ وَأَسْرُوهُ بِضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِشَرْبٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَدَدْنَاهُ آتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَثْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِؤُوهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتْلَخِينَ ﴿٢٤﴾ [يوسف: الآيات ١٩ - ٢٤].

تُرك في البئر وحيداً، وعاد إخوته ليكون بكاء الكذب، ويعرضون دم الكذب على قميصه، تركوه وحيداً، ولكن من كان الله جليسه فلا يستوحش أبداً. قال أهل العلم: لما أنزل يوسف عليه السلام في الجُبِّ، أخذ يذكر الله، ويكبر الله، ويهلل الله، قال عز من قائل: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾. إنه في صحراء مدوية، في بيضاء شاسعة لا يجرؤ أحد على خوض غمارها، لكن الله أتى بقافلة، بموكب عظيم ليخلص يوسف عليه السلام من الجُبِّ.

(١) أخرجه البخاري (١٧١/٨)، ومسلم (٢١٠٢/٤) رقم: (٢٦٧٥).

ضَلَّتِ الْقَافِلَةَ طَرِيقَهَا، أَتَتْ مِنَ الشَّامِ تَرِيدُ فِلَسْطِينَ، فَضَلَّتْ، وَسُوفَ تَعْتَرِضُ مِصْرَ فِي طَرِيقِهَا، ذَهَبَتْ إِلَى تِلْكَمُ الصَّحْرَاءِ؛ لِحِكْمَةِ أَرَادَهَا اللَّهُ.

وعناية الله تحفظ من يريد الله حفظه، ورعاية الله تحفظ العبد في كل طرفة عين، وفي كل لحظة، وفي كل مكان، وفي كل زمان. يقول ابن الجوزي في «صِفَةِ الصَّفْوَةِ»، وهو يتحدث عن رعاية الله وعنايته: يقول أحد الصالحين: رأيت عصفوراً يأتي بلحم، ويذهب به إلى نخلة في الصحراء، فتتبعته، فوجدته كل يوم يأخذ من المذبللة لحماً وخبزاً، ويذهب به فيضعه في تلكم النخلة، قال: فصعدت لأرى، وعهدي بالعصفور أنه لا يعشش في النخل، فرأيت حيّة عمياء، كلما أتتها هذا العصفور بهذا اللحم، فتحت فاهاً وأكلت، فمن ذا الذي سخر لها العصفور، إنه الذي سخر تلك القافلة ليوسف عليه السلام، فأخذته من البئر.

وأدلى واردهم دلوه في البئر، والقرآن عجيب في العرض، رائع في الأداء، بديع في التصوير، لم يقل: أدلى دلوه، ثم تعلق يوسف بالدلو، ثم سحب الوارد الدلو، ثم أخرجه، فقال: من أنت؟ ثم ذهب به إلى أصحابه. بل جاء بالفاء التعقيية، لأن عنصر المفاجأة في الآية يقتضي ذلك ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يُوسُفُ: الآية ١٩]، فأتى بالفاء ﴿فَأَدَلِّي دَلْوَهُ قَالِ يَبْشُرِي هَذَا غَلْمٌ﴾ [يُوسُفُ: الآية ١٩]، أدلى دلوه، فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو، ثم سحبه الوارد، فرأى يوسف عليه السلام، غلاماً صبيحاً، أوتى شطر الحنن، فقال لأصحابه: ﴿يَبْشُرِي﴾، وقرأ أهل الشام «يا بشراي» ﴿هَذَا غَلْمٌ﴾، أي: خادم وعبد أبيعته وأتفع بثمرته.

﴿وَأَسْرُوهُ يَضَعَةً﴾ [يُوسُفُ: الآية ١٩]، قيل: أخذاه بعضهم عن بعض، وجعلوه بضاعة، وقيل: أخفوه عن الناس، خوفاً من أن يجدوا أباه، أو أهله، أو إخوانه، وما علموا أن إخوانه هم الذين تركوه، وهم الذين طرحوه، وهم الذين هجروه وأبعدوه. ﴿وَأَسْرُوهُ يَضَعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يُوسُفُ: الآية

[١٩]. الله يُتَابِع سِيْرَةَ هذا النبي، وقصة هذا الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام. ذهبوا به ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٠]. وشري هنا بمعنى باع، باعوه بثمن بخر، ولو دفعت الدنيا وما فيها في مثل يوسف عليه السلام لكانت ثمناً بخساً، ولكانت غبناً، ولكانت خسارة.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٠] لم يقل موزونة، وإنما قال معدودة؛ لأن المعدود دائماً أقل من الموزون، فلو قال: موزونة، لكانت كثيرة، وإنما قال معدودة؛ لبيّن أنها دراهم قليلة.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٠] لا يرغبون فيه، لا يريدون أن يكون معهم، ومن الذي اشتراه يا تُرى؟ إن الذي اشتراه هو عزيز مصر!! ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢١] ولم يذكر سبحانه وتعالى العزيز باسمه هنا لأمرين:

الأول: لأن بطل القصة يوسف عليه السلام، فما كان لعنصر ثانٍ أن يتدخل في القصة.

ثانياً: لأن كلمة العزيز لا يستحقها؛ لأن العزيز مَنْ أَعَزَّهُ اللهُ بطاعته، والشريف مَنْ دخل عبودية الله.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدث بأخمصي أطأ الشرباً  
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوِيَّ﴾ [يُوسُف: الآية ٢١]. وهذا مُبالغة في الإكرام، أي: أحسني طعامه، وشرابه، وكسوته، ونومته ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [يُوسُف: الآية ٢١]، فيخدمنا في أغراضنا، ويقرب لنا بعض حوائجنا ﴿أَوْ نَنْخَذُهُ وَكَذَلِكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢١]. وكان العزيز حصوراً لا يأتي النساء، وكانت امرأته عقيماً، فأراد أن يتخذها هذا الغلام ولداً، يترعرع بينهما، وينشأ في بيتهما، وما عَلِمَا أن الله قد قضى شيئاً آخر، وأنه سوف يكون نبياً من الأنبياء ورسولاً يحمل

رسالة السماء، وداعية إصلاح يحرّر الشعوب ويقود الأجيال إلى الله، فكيف يُباع الحرّ في مصر؟! وكيف يسود العبد هناك؟! أبيع الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم!!

عجبت لمصر تهضمّ اللبّ حقه وتفخر بالسُّنُورِ ويحك يا مصر!!  
سلام على الدنيا سلام على الوري إذا ارتفع العصفور وانخفض التسرُّ

بيع عليه السلام، ومكث في قصر العزيز، تقياً، عابداً، متألهاً، متصلاً بالحي القيوم.

وتمرّ الأيام، ويزداد حُسنًا إلى حُسنه، وجمالاً إلى جماله، وتأتي الطامة الكبرى، تُراوده المرأة عن نفسه فيا للفتنة العظيمة، ويا للمحنة الأليمة.

شابّ أعزب غريب، شابّ في هيجان الشهوة، وأعزب ليس له أهل يعود إليهم، وغريب لا يخشى على نفسه من السمعة القبيحة، كما يخشى المقيم وسط أهله وجيرانه.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَلِكَةُ وَرَوَّدَتْهُ الْمَلِكَةُ وَقَالَتِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ لَغَلَقْتُ أَلْبَابَ الْمَلَكُوتِ لَأَخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ الْغُلُوقَ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَغَلَقْتُ أَلْبَابَ الْمَلَكُوتِ﴾ [يُوسُفُ: الآية ٢٣]. تعرّضت له كثيراً، وتجمّلت له دائماً؛ لأنها ذات منصب وجمال، ملكة في قصر ملك، ولكن الله معه يحفظه ويسدّده. وفي يوم من الأيام؛ غلقت الأبواب، وكانت سبعة أبواب، ﴿غلقت﴾ كل باب، ولم يقل: أغلقت، وإنما ﴿غلقت﴾ زيادة في المبنى، ليزيد المعنى، ﴿وَعَلَّقْتَهُ فِي الْمَقْبُورَةِ﴾ [يُوسُفُ: الآية ٢٣] للتكثير، فلما غلقت الأبواب، خلّت هي وإياه، ولكن الله سبحانه وتعالى يراهما، ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشعراء: الآيتان ٢١٨ - ٢١٩]. راودته المرأة ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يُوسُفُ: الآية ٢٣]، تهيأت لك، تجمّلت لك تزيّنت لك!! ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رِجْ مِثْوَى إِنَّهُ لَاقْتُلُوكُمْ وَالْغُلَامُ الْبَارِعُ﴾ [يُوسُفُ: الآية ٢٣]. ولكن المرأة أصرّت على الفاحشة، ولم تعد ترى إلّا جمال يوسف.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٤]، اقتربت منه وتعرضت له ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾ [يُوسُف: الآية ٢٤]. لولا أن أدركه الله بعنايته وحفظه ورعايته لهلك ولارتكب الفاحشة.

وإذا خلوت بريسة في ظلمة      والنفس داعية إلى الطغيان  
فاستحي من نظر الإله وقل لها      إن الذي خلق الظلام يراني  
يا مَنْ سترت مثالي ومعايبي      وجمعت كل الناس كالإخوان  
والله لو علموا قبيح سريرتي      لأبي السلام علي من يلقاني

﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾. أصابه شيء من حظ النفس البشرية، انتابه شيء من النقص البشري، دارت بخلده المعصية، ولما يفعل؛ لأنه من عباد الله المُخْلِصِينَ ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾. فما هو هذا البرهان؟ استمعوا إلى أقوال المُفسِّرين، وأعرضها عليكم ثم نخرج بالصحيح الراجح إن شاء الله:

قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: لما همَّ يوسف بها، سمع هاتفاً يهتف يقول: يا يوسف، إني كتبتك في ديوان الأنبياء فلا تفعل فِعْلَ السَّفْهَاءِ.

قال السُّدِّيُّ: سمع هاتفاً يهتف يقول: يا يوسف اتقِ الله، فإنك كالطائر الذي يُزِينُهُ ريشه، فإذا فعلت الفاحشة نفت ريشك.

وقال بعض المُفسِّرين كما أورد ابن جرير الطبري: رأى لوحة في القصر مكتوب عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّينَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٢٢] ﴿[الإسراء: الآية ٣٢]. وقال غيرهم: رأى كفاً قد كُتِبَ عليه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٦] ﴿[الانفطار: الآية ١٠]، إننا نحفظ حركاتكم، وسكناتكم، وتصرفاتكم، إننا نراكم، إننا نشاهدكم.

وفي رواية عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: قال: لما همَّ يوسف عليه السلام، رأى يعقوب أباه في طرف الدار، قد عضَّ على أصبعه ويقول: يا يوسف اتقِ الله. أوردتها ابن جرير وابن كثير.

وقال بعض أهل العلم من المفسرين أيضاً: لما همت به وهم بها، قالت: انتظر، قال: ماذا؟ فقامت إلى صنم في طرف البيت، فسترته بجلباب على وجهه. صنم لا يتكلم، لا يسمع، لا يُبصر، لا يأكل، لا يشرب، قال: ما لك؟ قالت: هذا إلهي، أستحي أن يراني!! فدمعت عيناه وقال: أتسحين من صنم لا يسمع ولا يُبصر ولا يملك ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا أستحي من الله الذي بيده مقاليد الأمور؟!

والصحيح في ذلك ما قاله ابن تيمية شيخ الإسلام، وغيره من أهل العلم؛ أن برهان ربه الذي رآه: واعظ الله في قلب كل مؤمن، تحرك واعظ الله، والحياء من الله، والخجل من الحي القيوم، في قلب يوسف عليه السلام، فارتدت عن المعصية وعاد منيباً إلى الله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التازعات: الآيات ٤٠، ٤١]. تذكر الوقوف بين يني الله يوم يحشر الناس حفاة عراة.

فبرهان ربه؛ واعظ الله في قلبه يعظه بالتوحيد ويُنَادِيهِ بالتقوى.

فهل آن لشباب الإسلام أن يتحرك واعظ الله في قلوبهم؟ وهل آن للمسلمين أن يجعلوا من يوسف عليه السلام قدوة لهم؟ فيا من يطلع على عورات المسلمين، أليس لك في يوسف عليه السلام قدوة؟! ويا من يعامل ربه بالمعاصي، ويرتكب الجرائم، ويحرص على الزنى، أما رأيت يوسف، وقد خلا بامرأة جميلة ذات منصب، فتذكر واعظ الله في قلبه؟ ويا من يدعو إلى تبرج المرأة، وإلى الاختلاط، أرايت ماذا تفعل الخلطة والتبرج؟!.

يوسف نبئ معصوم، كاد أن يزل، وأن يهلك، وأنت تنادي المرأة أن تتبرج، وتُسْفِرَ عن وجهها، وتُخَالِطَ الرجال، فأين الواعظ إذن؟ وأين التقوى إذن؟ وأين مراقبة الله؟

يقول عليه الصلاة والسلام: «ألا لا يَخْلُونُ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»<sup>(١)</sup>. ويقول: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليت لك الثانية»<sup>(٣)</sup>.

فيا شباب الإسلام، أما رأيتم ماذا فعل يوسف عليه السلام؟  
ثم قال الله له: ﴿كَذَلِكَ نَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٤]، لنعمر مستقبله باليقين لنجعله من ورثة جنة رب العالمين، مع المؤمنين الخالدين الصالحين. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٤]. وإذا أخلص العبد لله، حماه الله من الفتن، ووقاه المحن، وجنبه الشرور.

يقول سعيد بن المسيب - رحمه الله -: إن الناس في كنف الله، تحت كنفه وظله، فإذا أراد أن يفضح أحدهم، رفع ستره سبحانه وتعالى عنه.

فيا شباب الإسلام، ويا معاشر المسلمين، انظروا إلى هذا التقى الورع، انظروا إلى من راقب الله فأسعده الله، ونجاه الله، وحفظه الله.

يا واهب الآمال أن ت حَفِظْتَنِي فَمَنْعْتَنِي  
وهذا الظلوم علي كفي يجتأحني فَمَنْعْتَنِي  
فانقاد لي متخشعاً لما رآك نَصَرْتَنِي

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٤/٤) رقم: (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٦/٨): رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري، وهو متروك.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٦/٢) رقم: (٢١٤٩)، والترمذي (٩٤/٥) رقم: (٢٧٧٧) وقال: حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم: (٧٩٥٣).

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
رسول رب العالمين، وقدوة الناس أجمعين، وهداية السالكين، صلى الله عليه،  
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

ثم كان من أمر يوسف وامرأة العزيز أن قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾  
[يوسف: الآية ٢٥]، هو يهرب من الفاحشة، وهي تلاحقه، ويا للفتنة، يهرب إلى  
الله، يفر إلى الحي القيوم، وهي تلاحقه ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ﴾  
[يوسف: الآية ٢٥]. شقت قميصه وهي تلاحقه، وتدعوه إلى نفسها، وهو يلتجئ  
إلى الله، ويصيح بأعلى صوته، وصوته يدوي في القصر ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيَ  
أَحْسَنَ مَثْوَى﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾. قال جهم  
غفير من المُفسِّرين ﴿إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾، أي: إنه سيدي زوجك، أحسن  
استقبالي وضيافتي، فكيف يكون جزاء معروفه، وردّ جميله أن أخونه في أهله.

قال السُّدِّيُّ: ﴿إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾ إنه إلهي الحي القيوم، اجتبانني  
ورباني وعلمني وحفظني وحمّاني وكفّاني وآواني، فكيف أخون الله في أرضه؟  
وكيف أعصي الله؟! وكيف أنتهك حرّمات الله؟! فيا من أراد أن يفعل الحرّمات،  
ويتعدّى الحرّمات، تذكر معروف الله عليك، وقل: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ

مَثَوَاتٍ ﴿٢٥﴾، قل: معاذ الله، لا أعصي الله؛ فإنه رباني ورزقني وكفاني وآواني ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْقَالِمُونَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، ﴿وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: الآية ٢٥].

إن هذه القصة مذهلة، إنها مذهشة كلها مفاجآت وقضايا ولقنات ومباغطات، ﴿وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾، وإذا بمييدها، برجلها، بزوجها عند الباب، فتح الباب، فإذا يوسف وامرأته واقفان عند الباب، في وضع مُريب، وانظر إلى كيد النساء، وانظر إلى مكر المرأة، تسبق يوسف بالكلام، تضرب وتبكي، وتظلم وتشتكي، تقول: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٢٥]. هذا أراد بي السوء، وغلق عليّ الأبواب، ودعاني لنفسه، فما هو جزاؤه عندك؟ لا بد أن يُسْجَنَ، أو يُعَذَّبَ عذاباً أليماً.

قال ابن عباس: يُضْرَبُ بِالسَّيَاطِ، فقال يوسف بلسان الصادق، الناصح، الأمين، التقي، الورع، الزاهد، العابد: ﴿هِيَ زَوْدَتِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: الآية ٢٦]. وصدق والله ﴿هِيَ زَوْدَتِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: الآية ٢٦]. فَمَنْ هُوَ هَذَا الشَّاهِدُ يَا تُرَيُّ؟

قيل: رجل من أبناء عمومته شهد عليها، وقيل: ابن خالها، وقيل: رجل من الخُدَّام. وقيل الشاهد: طفل صغير، كان بالغرفة، لا يتكلم، فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء.

أتوا إلى الطفل في المهده، لا يتكلم ولا ينطق، فقال: صدق يوسف، وكذبت المرأة، هي التي همّت به، هي التي راودته، هي التي دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا. ولذلك من «مسند أحمد»، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣١٠/١) موقوفاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٠/١): رواه أحمد =

وهذا سند جيد. فشَهِدَ هذا الشَّاهِدُ، وعرضُ أمراً يستطيعون به تعرّف الصادق منهما.

قال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يُوسُف: الآيَة ٢٦]. وبدأ بتصديقها؛ لأنها ملكة؛ ولأنها صاحبة منصب؛ ولأن التهمة بعيدة عنها ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [يُوسُف: الآيَة ٢٧]. فلما عاينوا قميصه، وأطلعوا عليه، رأوه قد قُدَّ من دبرٍ، فصَدَّقوه، وأعلنوا براءته، واستخلصوه، ووقفوه حقّه من التَّجِيلِ والإِكْرَامِ إلَّا في بعض الأمور التي سوف تأتي بإذن الله تعالى.

ثم قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [يُوسُف: الآيَة ٢٩]، لا تتكلم بذلك في المجالس، لا تتحدَّث به، لا تنشره.

وكثير من الناس يتبجَّح في المجالس بالمعصية، قال بعض المفسِّرين: إن العزيز هو القائل: ﴿أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [هُود: الآيَة ٧٦]، يعني لا تتحدَّث إلى الناس بهذه الواقعة.

ثم قال لامرأته: ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يُوسُف: الآيَة ٢٩]. إنه انتصار ما بعده انتصار، انتصار على النفس الأتَّارة بالسوء، وهل النصر العجيب إلَّا أن ينصرَك الله على نفسك!! وأن يُعلي حَظَّكَ، وآلَا يَخِيبُ ظَنَّاكَ، وأن يحفظك من الفتن، ومن المِحْنِ ومن المعاصي ﴿فَأَلَّلهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: الآيَة ٦٤].

فيا مَنْ حفظ يوسف عليه السلام، احفظنا بحفظك، ويا مَنْ رعاه ارعنا برعايتك يا ربَّ العالمين، ويا مَنْ حرسه بعينه، احرسنا بعينك التي لا تنام. ويا مَنْ آواه إلى كنفه، آوينا إلى كنفك الذي لا يُضام إنك على كل شيء قدير.

= والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة، ولكنه اختلط.

## • عباد الله:

وصلُّوا وسلِّموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦)  
[الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ اعْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

## كيف نعلم الناس؟

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

## • أيها الناس :

نحن على مشارف عام دراسي جديد تفتح فيه الجامعات والمعاهد والمدارس أبوابها... ويخرج شبابنا وكريماتنا لتلقي العلم النافع... الذي يقربهم من الله - عز وجل - ويبعدهم عن طريق الضلال والغي.

والسؤال: ما هو موقفنا من العلم؟ وما هو العلم الذي نريده؟ وما هو واجب العلم علينا؟ وما هي مسؤولية الأساتذة الأخيار والمعلمين الأبرار تجاه شباب الأمة وكريمات الأمة وأجيال الأمة؟

غداً يرسل الأب فلذة كبده إلى الأساتذة والمعلمين... فماذا يفعلون بهذه الأمانة وبهذه المسؤولية التي جعلها الله في أعناقهم؟

أولاً: - أيها الأبرار - نادى الله بطلب العلم، ومدح العلم، وأثنى على العلماء وبجلهم وذكرهم في كثير من الآيات، وذم صنفاً آخر من العلماء ومقتهم وندد بهم وذمهم وذم مسعاهم.

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله في أول طريق الدعوة وخطواتها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمّد: الآية ١٩]. قبل أن تبدأ في الدعوة... قبل أن تبدأ في الحياة... قبل أن تبدأ في الميرة عليك بطلب العلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ اصلاً قلبك بالإيمان... اصلاً جوارحك باليقين... كُن عبداً لله قبل أن تتعلم العلم.

ثم يقول له مُمتنّاً عليه - يوم أخرجه من بين جبال مكة ووهادها وشعباتها، ما تعلم في مدرسة، ولا دخل جامعة، ولا تلقى العلم على شيخ ولا أستاذ وإنما كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ١١٣]. مَنْ علمك؟ مَنْ هم شيوخك؟ مَنْ هم أساتذتك؟! الله الذي علمك... والله الذي فقّهك... والله الذي نور بصيرتك، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

واستشهد الله بالعلماء وبطلبة العلم على أكبر شهادة في الدنيا، وعلى أكبر شهادة عرفتها الإنسانية... وهي شهادة التوحيد، فقال عز من قائل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: الآية ١٨]، فانظر كيف جعلهم شهداء على وحدانيته، وشهداء على ألوهيته! لعظم قدرهم.

ووصف الله طلبة العلم بأنهم يخشونه تبارك وتعالى، وبأنهم يقفون عند حدوده، وبأنهم لا ينتهكون حُرُماته، وبأنهم يُراقبونه في السرِّ والعلَن... فالذي لا يراقب الله ليس بطالب علم، والذي لا يخشى الله ليس بطالب علم، والذي لا يتقي الله ليس بطالب علم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٢٨].

ووصف الله طلبة العلم بأن عندهم من الفهم للدعوة، والفهم للدين والاستنباط من النصوص شيئاً كثيراً، فقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]... هذه الرسالة الخالدة... هذه المبادئ الأصيلة... هذه الأهداف الجليلة لا يعقلها إلا من يفهم عن الله أمره ونهيه.

ولم يأمر الله رسوله ﷺ بالتزود من شيء إلا بالتزود من العلم، فقال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤]... لا يكتفي بعلم ولا يقف عند حد، وإنما همته تمرّ مرّ السحاب كل يوم في ازدياد... وكل ليلة في تحصيل... وكل ساعة في مواصلة، مع هذا الصّرح العظيم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. فهذا هو العلم الذي يغبط عليه صاحبه...

والله - عز وجل - قد حكم بين طلبة العلم وبين غيرهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: الآية ٩]. وسكت عن الجواب للعلم به، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: الآية ١١].

فيا أيها المسلمون... يا أبناء من تعلموا العلم النافع الذي أوصلهم إلى الدرجات العليا في الجنة... إن أبناءكم إذا لم يتعلموا العلم النافع ويطلبوه لمَرْضاة الواحد الأحد فأقليل به من علم! ويا لحررة صاحبه ويا ندامته ويا خسارته... علم لا يجعلك تشهد أن لا إله إلا الله، ولا يجعلك تعظم الله ليس بعلم، علم لا يجعلك تحافظ على الصلوات الخمس في جماعة ليس بعلم، علم لا يجعلك باراً بالديك... وُضُولاً لرحمك... صادقاً وفيئاً... خاشعاً مُنيباً... متقياً سُنِّيّاً... ليس بعلم، العلم ليس حفظ النصوص، فمن الناس من يحفظ القرآن... ولكنه فاجر يلعنه القرآن وتلعنه السُنَّة، ومن الناس من يدهده بالكلمات... ولكن قلبه ما عرف الله.

ثم العنصر الثاني: كيف حوّل ﷺ الجزيرة العربية من جزيرة يكنها بدو ورُحْل... جزيرة لا تفهم شيئاً... ولا تفقه شيئاً... ولا تَعِي شيئاً... أهلها قَتَلَة نَهية... سَلْبَة سَرقة... زُناة كَذْبَة، إلى خير أمة أخرجت للناس.

ويدعي القوميتون أن العرب لهم مجد قبل الإسلام، أي مجد؟! مجد الإبل والبقر والغنم؟ مجد القتل والنهب؟ مجد الحقد والضغينة؟... لا والذي رفع السموات بلا عمد، ما بدأ مجدنا ولا تاريخنا ولا عظمتنا... ولا ارتفعت رؤوسنا إلا برسالة المصطفى ﷺ.

أتى عليه الصلاة والسلام للأمة الضائعة الأمة المسكينة... الأمة الضالة فهداها إلى الله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: الآية ٢].

لكن كيف علمهم؟ أعلمهم بالسوط والسيف؟ أعلمهم بالحبس والسجن؟ أعلمهم بالحديد والنار؟... لا والله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، لو كنت سفاكاً ما اجتمعت عليك القلوب، ولو كنت قتالاً نهاباً ما أحببتك الأئمة... لكن كما قال تعالى: ﴿بِمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ لَتَكْفُرُنَّ بِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

عَلَيْهِ مَا عَسَيْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ [التوبة: الآية ١٧٨]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: الآية ٤].

أتى المصطفى إلى العرب الذين يتقاتلون من أجل مورد الشاة ومرطب الناقة، فأتى بالخلق... بالبسمة... باللين... بالرفق... بالنصيحة، فانقادت له القلوب، فحررها من وثنيها ومن شركياتها، وقادها إلى الله.

إن الدعاة الذين يحاولون اليوم أن يُصلحوا بالتجريح والعنف، وبالتعريض بالناس، وبالحملات العشوائية على بعض العلماء الذين لهم زلات انغمرت في بحار حسناتهم... هؤلاء لا يفقهون... هؤلاء لا يعلمون... هؤلاء يُفسدون أكثر مما يُصلحون، وسوف يعلمون النتيجة.

يرسل الله موسى وهارون إلى فرعون السفّاك... فرعون المجرم، ثم يقول لهما سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَكُمُ الْعِلْمُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخَشِي﴾ [طه: الآية ٤٤]. قال سفيان الثوري - كما في تفسير ابن كثير -: القول اللين: كُنْيَاهُ أَي نَادِيَاهُ بِالْكُنْيَةِ وَكُنْيَتُهُ أَبُو مَرْة - مَرَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي النَّارِ - فَأَخَذَ مُوسَى يَقُولُ: يَا أَبَا مَرْة إِذَا أَسْلَمْتَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِمُلْكِكَ وَصَحَّتْكَ وَشَبَابُكَ.

فالرسول عليه الصلاة والسلام، جاء إلى هؤلاء البدو الرُّحْلَ الذين لا يتفاهمون إلا بلغة الهَرَوات والعِصِي، أتى إليهم بالهدوء واللين حتى قاد قلوبهم إلى الله... إنها معجزة!! إذ استطاع أن يؤلف بين غطفان وبنو تميم، ويؤلف بين قريش والأوس والخزرج، ويؤلف بين هوازن وفزارة، حتى أصبحوا إخواناً مُتَحَابِّينَ مُتَصَافِينَ مُتَقَارِبِينَ.

أتاه عليه الصلاة والسلام، بدويّ جلف لا يفهم شيئاً... تربى مع التيس والكلب، قال أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق النبي ﷺ وقد أقرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال:

يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ «فضحك ثم أمر له بعتاء»<sup>(١)</sup>.

هكذا بكل بساطة يأمر له بعتاء، ولا يحاسبه على تعذيب السافر وإيذائه له بالقول والفعل.

فسبحان من علمه! وسبحان من ثبته! وسبحان من سدده أفلا يأخذ الأساتذة الأخيار والمُعَلِّمون الأبرار دروساً من هذا الأسلوب الراقى في مُعاملة شباب المسلمين. لقد أخطأ كثير من الأساتذة والمُدْرِّسين يوم استخدموا السوط والعنف مع أبناء المسلمين، إن العنف لا يُؤلِّد إلا عنفاً، وإن البغض لا يأتي إلا ببغض يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانه وما نُزِعَ من شيء إلا شانه»<sup>(٢)</sup>.

الدَّابة... الجمل إذا رأى منك صلفاً ورأى منك حِدَّة قطع جباله، وغضب عليك، وأضمَرَ لك العداة، فكيف بالأجيال... كيف بأبناء المسلمين؟! كيف بالإنسان الذي يحس ويشعر ويتألم.

والرسول ﷺ كان في تعليمه يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأستاذ الابتدائي ليس كأستاذ الجامعة، فالواجب عليه أن يصلَ إلى عقول هذا النشء... إلى أفهامهم، فلا ينبغي عليه أن يكبر عليهم المعلومات أو يضخم عليهم القضايا لكن يخاطبهم بقدر عقولهم.

في صحيح البخاري أنه ﷺ سمع أن أحد الأطفال المسلمين - أخو أنس - اسمه عمير أو أبو عمير كان له نغر «طائر يلعب به» فمات الطائر فأراد ﷺ أن

(١) أخرجه البخاري (٤٠/٧) كتاب اللباس، باب (١٨)، ومسلم (٧٣١/٢) كتاب الزكاة، رقم (١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٤/٤) كتاب البر والصلة، رقم (٧٨).

يُشارك هذا الطفل آلامه وأحزانه، فذهب إليه في بيته وأظهرَ الأسي له وقال: «يا أبا عمير ما فعل الثغير»<sup>(١)</sup>.

قال أهل العلم: فيه درس عظيم على أن الناس يُخاطَبون على قدر عقولهم، وأن المعلومات تصلهم على قدر عقولهم.

كان عليه الصلاة والسلام إذا كلم الأعراب البدو الرُّحْلَ خاطبهم بكلام يفهمونه... بكلام على مستواهم وعلى ما تبلغ فهمهم، فإذا أتى إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ - جلة الصحابة - كلمهم في القضايا الكبرى التي تؤثر في مسيرة الأمة.

كان عليه الصلاة والسلام ينهج في التعليم طرقاً شتى، منها: التعليم بالقدوة في نفسه، والله ما قال كلمة إلا عمل بها، والله ما دعا الناس إلى خير إلا كان أول من يقودهم إليه... كان متأثراً بما يقول... واثقاً من نفسه، يدعو إلى الصدق وهو صادق، يدعو إلى الصلاة وهو مُصَلٌّ، يدعو إلى الخشية وهو يخشى الله.

أما الذي يدعو وهو كاذب فلن يجعل الله في دعوته خيراً، ولن يكون لها تأثير. يدعو بعض الناس - ونعوذ بالله أن نكون منهم - إلى برِّ الوالدين... ويعتق والديه، يدعو إلى صلة الرُّحْم... ويقطع رحمه... فلا يجعل الله لكلامه نوراً ولا لدعوته تأثيراً ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٤٤]، أما تتحون؟! تكلمون كلاماً جميلاً وتُحاضِرُونَ وتدرسون وتألّفون... ولكن الأفعال تكذب الأقوال. وهذا والله عار وخيبة لمن يفعل ذلك إن لم يتب إلى الله - سبحانه وتعالى -.

(١) أخرجه البخاري (١٠٢/٧) كتاب الأدب، باب (٨١) ومسلم (١٦٩٢/٣) كتاب الآداب رقم (٢٩).

فكان عليه الصلاة والسلام، يربّي بالقدوة يرونه المعلم... يراه من ينفد عليه ساعة من الزمن فيهندي بمرآه، لأنه يراه صادقاً أميناً مخلصاً... مُجِبّاً للخير... قائداً إلى البرّ وإلى التعاطف.

وكان يربّي عليه الصلاة والسلام، بالتطبيق، فهل وَعَى الأساتذة هذا المبدأ؟! كان إذا أراد أن يعلم الناس الصلاة قام فصلّى أمامهم.

إن كثرة الحصص النظرية والمُحاضرات بلا تطبيق معناه إدخال المعلومات في الأذن وخروجها من الأذن الأخرى.

ولقد كان منهج النبي ﷺ في التعليم مبنياً على القدوة والأسوة، وليس كما يفعل الذين لا يُجيدون إلا التنظير وليس لهم في جانب التطبيق نصيب.

ففي «الصحيحين» عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت رسول الله ﷺ صلى على أعواد منبره وكبّر وهو عليها، ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقري فسجد في أصل المنبر ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي»<sup>(١)</sup>.

فهذا هو الأسلوب الصحيح في التعليم، تلك هي القدوة الحسنة، والمنهج التربوي السليم في التوجيه، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فهل فكر أحد من الأساتذة أن يقف بدل أن يكتب على المبتورة معلومات لا تنفع أطفال المسلمين... هل فكر أن يُريهم الوضوء؟! أن يُريهم الصلاة... أن يُريهم كيف يسبح الله - عزّ وجلّ -... أن يُريهم هيئة صلاة الكسوف والاستمقاء وصلاة الخوف؛ ليكون علم التطبيق نافعاً محفوظاً مُجدياً وكان عليه الصلاة والسلام، يضرب الأمثال المذهلة التي تبقى في النفوس فلا تزول.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠/١) كتاب الجمعة، باب (٢٦)، ومسلم (٣٨٧/١) كتاب المساجد رقم (٤٤).

أراد أن يصف لهم فضل الصلوات الخمس، فماذا قال؟ وما طريقته في بيان ذلك؟

قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات أبقى من درنه شيء؟»

فقالوا: لا يا رسول الله. قال: «فذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»<sup>(١)</sup>. ذهب عليه السلام مع الصحابة إلى السوق، فرأى جدياً أسك أي صغير الأذنين وهو مع ذلك ميت، فرفعه بيده الشريفة وقال لأصحابه: «من يشتري هذا بدرهم؟» قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم»، قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت، فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو التعليم... وهكذا يكون وضوح المناهج.

والعلم علمان: علم ضار لا ينفع، وهو العلم الذي يسلب الشاب من مبادئه، ومن دينه، ومن تقواه، ومن خشية الله، فيخرج يحمل شهادة... وهو فاجر، ويحمل مؤهلاً علمياً... وهو فاسق، لا يعرف من الدين قليلاً ولا كثيراً. فهذا هو العلم الضار: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: الآية 1٠٢]، علم لا يصل إلى القلوب... علم لا تدمع منه العينان... علم لا يدلُّك على كثرة الذكر والتلاوة وكثرة النوافل ويجعلك داعياً... ليس بعلم.

والعلم النافع سبق تفصيله، وللحديث بقية.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري (١٣٤/١) كتاب المواقيت، باب (٦)، ومسلم (٤٦٢/١) كتاب المجاهد رقم (٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٢/٤) كتاب الزهد رقم (٢).

## الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً مُنيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومُبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

أيها الأخيار... فإنني أدعو كل معلّم وأستاذ أن يتقي الله - عز وجل - في أجيال المسلمين، وأن يُخلص النيّة؛ وأن يصدق مع الله - عز وجل - في تعليم شباب المسلمين.

ولا يظن أنها مجرد وظيفة واستلام راتب وقضاء وقت، لا والله... الأمر أعظم من ذلك... الأمر رسالة خالدة واتباع للرسول عليه الصلاة والسلام.

إن المعلّم كاد أن يكون نبياً من الأنبياء، فإن أتباع الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وورثة الأنبياء هم الدُّعاة إلى الله والأساتذة والمُعَلِّمون... فأدعو كل أستاذ أن يكون مُرَبِّياً، وأن يكون متقياً لله، وأن يعلم أن هذه البلاد تختلف تماماً عن كل البلاد - أقصد من غير بلاد المسلمين - في التعليم وفي التوجيه، فنحن لسنا في فرنسا ولا أمريكا ولا الصين... نحن في مَهبط الوحي... وفي قِبلة المسلمين... وفي بلاد الحَرَمين... نحن في بلاد انبعثت منها:

لا إله إلا الله، وانطلقت منها الدعوة الخالدة، وسرّحت منها الكتاب التي فتحت بلاد الدنيا.

فعلّمنا موصول بالله - عز وجل - علمنا يُؤخذ من فوق سبع سموات... كتاب وسنة. ونحن لا نتعلم - ونسأل الله ألا نتعلم - لغير الأغراض التي يريدنا الله - عز وجل -.

فيا أيها الأستاذ... مهما كان تخصصك - تاريخاً أو جغرافياً أو رياضيات أو تربية أو علم نفس - أنت معلّم من الماجورين المشكورين في الإسلام. اجعل هذه المادة مادة عبادة... مادة صلة تصل الشباب بربهم - سبحانه وتعالى - فإنك والله مسؤول عن هذا الدرس وعن هذه المادة - التي تقدّمها - عند الله.

لقد أزرى الله - عز وجل - وندد ببني إسرائيل يوم تعلّموا علماً وما استفادوا منه غضب الله عليهم ولعنهم ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِئْتَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْبَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣]. وبعدها: ﴿وَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣].

تقول: ما للبركة في أرزاقنا قلت؟ ما للشباب - إلا من رحم الله - فسد؟ وما للأجسام أصابها المرض؟ ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِئْتَقَهُمْ﴾ لو اتقينا الله في تطبيق العلم رحمتنا الله - عز وجل - وأنزل علينا البركة من السماء.

ووصف الله بني إسرائيل بأنهم كالحمير... تعلّموا علماً لكن ما استفادوا به... حمارٌ عليه مجلدات... حمارٌ على ظهره مصنفات... هل يتفيد الحمار؟! دماغه دماغ حمار، تُكلّم الحمار ليفهم... ما يفهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: الآية ٥]. الآيات تُقرأ في الفصل صباح مساء، والأحاديث... ولكن ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨].

يا شباب الإسلام... هذا القرآن وهذه السنة وهذه الجامعات وهذه المعاهد وهذه المدارس ما أقيمت إلا لتقودكم إلى جنة عرضها السموات والأرض.

أما الخواجات فيتعلمون للدنيا ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٧]، الخواجات ينتهي علمهم إلى المادة... لكن ما وراء عالم الشهادة يخفقون فيه ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: الآية ٦٦]، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِرِينَ﴾ [١٧٥] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَلْبًا إِذَا حَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: الآيات ١٧٥ - ١٧٦]، هذا مثل لعالم السوء، لطالب العلم الفاجر.

رجل من بني إسرائيل اسمه بلعام بن باعوراء تعلم العلم، فلما تعلم العلم أراد الله أن يرفعه بالعلم ولكنه ما ارتفع... خيس!

جعل مكان التلاوة أغنية ماجنة! جعل مكان المصحف مجلة خليعة! جعل مكان الدروس وحلقات العلم رفقة السوء في المقاهي والملاهي! الليالي الحمراء... الليالي السوداء في تاريخ الإنسان.

فما اهتدى، قال عز من قائل: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا﴾. سبحان الله! يريد الله أن يكرم الإنسان فيأبى الإنسان، ويريد أن يلبسه ثوب الستر فيخلع ثوب الستر، ويريد أن يرفعه من الطين، ومن الرذيلة، ومن الفاحشة، فيأبى الإنسان. فماذا مثله؟ كالكلب يلهث... إذا أدخلته الظل أخرج لسانه ولهث واضطرب نفسه، وإن أخرجته في الشمس لهث وأخرج لسانه... الظل والشمس عنده سيان.

ولذلك بعض الناس - نسأل الله أن لا نكون منهم - يتعلم ويسمع المواعظ والخُطْب والنصائح فما تُغَيِّر في حياته ذرة.

﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْقَاوِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٥]، أغوى الناس لأن الناس يقولون هذا في كلية الشريعة وأصول الدين وهو فاسق... أعظم الناس زلة: العالم، فالعالم إذا زلّ زلّ به فثام كثير من الناس.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٦]. لو علم الله منه صدقاً ونصحاً لرفعه... لكنه ما ارتفع!.

فيا أيها الأساتذة: أروا الله من أنفسكم الصدق، ويا طلاب المسلمين أروا الله من أنفسكم التصح وطلب العلم لوجهه، والقوة في التحصيل.

إن هذه الدعوة تُقام على علم، وإن مَنْ يهُون من شأن العلم أو يقلل من شأن الحلقات والدروس والتحصيل معناه أنه يضرب في صميم الإسلام، معناه أنه يهدم ببعوله حُصن الإسلام.

الإسلام ما بُنيَ إلا على علم، الإسلام ما أتى إلا على قال الله وقال رسوله ﷺ. فماذا ندعو الناس؟ أنصّف لهم كلمات وحسب؟ أنجعل لهم خُطْباً إنشائية رثانة طئانة، لا علم ولا توجيه... لا نصوص ولا أدلة؟! فهذا نفعه قليل وفائدته محدودة.

#### • أيها المسلمون:

يبدأ هذا العام، ونسأل الله أن يكون عاماً حافلاً بالخير... حافلاً باليمن... حافلاً بالصدق والتصح، وأن يتقي أساتذتنا ربهم - جلّ وعلا - وأن يحملوا الأمانة بصدق، وليعلموا أن الله سوف يسألهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨٨، ٨٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الأنعام: الآية ٢٧] ﴿يَا لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ

فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: الآيات ٢٧ - ٢٩].

• عباد الله :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ وَاغْرُضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ... مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## إمام أهل السنة والجماعة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يَضِلَّ اللهُ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدُه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُطِيعُ لَكُمْ أَمْرًا لَكُمْ وَيَعْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيتها الناس:

فسيِّرُ الصالحين مدرسة أسماها القرآن، ووَاعْتَهَا السُّنَّةَ وحفظتها كتب التاريخ. ومعنا في هذا اليوم، عَلَّمَ من الأعلام، وصالح من الصالحين، وإمام

من الأئمة، بل إمام الدنيا، وحافظ العصر، من أحفظ أمة محمد ﷺ للحديث الشريف، حفظ التاريخ سيرته وأحبته القلوب لصلابته في السنة، ودفاعه عنها، وما أظن أن هناك مسلماً يصلي خمس صلوات في اليوم والليلة إلا ويعرف هذا الإمام، حتى أعداؤه من الكُفَّار والمُنافقين يعرفونه إلى قيام الساعة، إنه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، إمام السنة، الواقف يوم المحنة، الزاهد فيما سوى الله، المُتقن للحديث، فمن هو الإمام أحمد؟ علنا نفتدي بشيء من سيرته، فإن لم نستطع فلنحبه في الله، فإن المرء مع من أحب يوم القيامة<sup>(١)</sup>، «والرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل»<sup>(٢)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ يَتِمُّ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ﴾ [الطور: الآية ٢١].

أحبُّ الصالحين ولستُ منهم لعلِّي أنالَ بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سواة في البضاعة

وُلِدَ الإمام أحمد في آخر القرن الثاني، وعاش في بيت فقير، مات أبوه وهو طفل فتكفَّلت أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة بتربيته، وهذا دور المرأة يوم أن تكون سالحة، يوم أن تكون ذاكرة لله - عز وجل - يوم أن تكون مستقيمة على أمر الله، ينشأ أطفالها على لا إله إلا الله، فيحبون الله، ويحبون رسول الله ﷺ، ويحبون كتاب الله، ويتعلقون ببيوت الله.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: فحفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات، حفظ كتاب الله واستوعاه في صدره، ففرزت الوسوس والشياطين من صدره، فأصبح عابداً لله، مُحافظاً على أوامره، مُنتهياً عن نواهيه، علَّمته أمه الفضيلة، وربَّته على التقوى.

(١) حديث: «المرء مع من أحب»، أخرجه البخاري (١١٢/٧)، ومسلم (٢٠٣٤/٤) رقم (١٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٩/٤) رقم (٢٣٧٨)، وأبو داود (٢٥٩/٤) رقم (٢٨٣٣)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٤٥).

قال أحمد - رحمه الله -: كانت أُمِّي تُلبِسنِي اللباس، وتُوقِظُنِي، وتحمي لي الماء قبل صلاة الفجر، وأنا ابن عشر سنوات، وكانت تختمر وتتغطي بحجابها وتذهب معي إلى المسجد؛ لأن المسجد بعيد؛ ولأن الطريق مُظلمة. فانظر إلى هذه المرأة الصالحة، وما تبذله من جهد وتعب حتى يصبح ولدها من عباد الله الصالحين وليس ممن استهوته الشياطين في الأرض حيران.

عاش الإمام أحمد في هذا الجوّ الطاهر، وفي هذه الأجواء النقيّة، في بيت كلِّ هَمٍّ أن يعبد الله - عزّ وجلّ - وأن يكون هذا الغلام عبداً خالصاً لله، قال: فلما بلغت السادسة عشرة من عمري، قالت لي أُمِّي: اذهب في طلب الحديث، سافر فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد. قال: فأعطتني متاع السفر، أتدرون ماذا أعطته من الزاد؟ كم أعطته من الألوف؟ كم أعطته من الدراهم والدنانير؟ ما كانت تملك شيئاً... صنعت له ما يقارب عشرة من أرغفة الشعير، عشرة من الأقراص اليابسة، ووضعتها في جراب من قماش وأعطتها إياه، ووضعت معه صُرّة ملح وقالت: يا بني إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه أبداً، أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، فذهب من عندها من بغداد، من عاصمة الدنيا، من دار السلام، لماذا ذهب؟ أذهب للسّياحة كما يفعل اللاهون الّلاغون؟ أم ذهب إلى تسليّة الأوقات والتزحلق على الثلج في عواصم بلاد العُهر والفُجور؟ لا إنما ذهب يبحث عن حديث رسول الله ﷺ يجوب الدنيا من أجل ميراث محمد عليه الصلاة والسلام ذهب إلى حيث ميراث المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة.

مَنْ زار بابك لم تبرح جوارحه      تروي أحاديث ما أوليت من مَن  
فالعين عن قرّة والكف عن صلة      والقلب عن جابر والسَّمع عن حسن

فذهب - رضي الله عنه - وأرضاه - قال: مضيت من بغداد إلى مكة فضعت في الطريق ثلاث مرات، فكنت كلما ضعت استغفرت الله ودعوته، وقلت: يا دليل الحائرين دُلّني، قال: فوالله ما أنتهي من كلامي إلا ويدلّني دليل الحائرين على الطريق!!.

مَنْ هو دليل الحائرين؟ إنه الله، مَنْ هو ملجأ الخائفين؟ إنه الله، مَنْ هو مناص العارفين؟ إنه الله، فكان كلما ضاع في الصحراء التجأ إلى الله، ما عنده علامات ولا خرائط، ما هناك مواصلات ما هناك نقل ولا خطوط، صحراء يبيد فيها كل شيء، ويضيع فيها الذكي قبل البليد، فضاع الإمام أحمد؛ ولكن الله لم يضيعه، هداه إلى الطريق؛ لأنه توجه إليه بالدعاء والتضرع، احفظ الله يحفظك، فلما حفظ الله، حفظه الله في سمعه وجوارحه ودينه ومستقبله وسُمعته إلى يوم القيامة، وحفظ الله اسمه للملايين، عند مُسلمي الصين واليابان والملايو والعراق والجزيرة ومصر وسوريا والجزائر ومُسلمي أمريكا، كلهم يسمعون بأحمد بن حنبل، لأنه حفظ الله، ثم وصل إلى مكة، فأخذ حديث مكة، وبعدها سافر إلى اليمن، إلى صنعاء اليمن إلى عبد الرزاق بن همام الصنعاني يطلب الحديث، وبينما هو في طريقه، ضاع مرة رابعة قال: وانتهت نفقتي من الخبز، أما الدراهم فما كان عندي درهم، فماذا فعل؟ قال نزلت إلى قوم أهل مزارع يحصدون ويصرمون، فأجرت منهم نفسي ثلاثة أيام، يا سبحان الله! إمام الأئمة، الذي يحفظ ألف ألف حديث، كما يقول الذهبي وابن كثير، يحفظ مليون حديث، بل ما حفظ من الأمة أبداً أحدٌ كما حفظ ابن حنبل يُؤجّر نفسه من الحُصّادين، فيحصدُ معهم، ووصل بحفظ الله إلى صنعاء، وأخذ الأحاديث النبوية، وكتبها، كان يسهر الليل حتى الفجر، ويصوم النهار حتى الغروب، قال ابنه عبد الله: كان أبي يصلي من غير الفرائض في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة!! انظروا تذكرة الحُفّاظ للذهبي، وسيّر أعلام النبلاء له أيضاً، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر كلها أجمعت على أنه كان يصلي من غير الفرائض في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة، وكان يسرد الصوم إلا في بعض الأيام.

وصل إلى صنعاء، فقُدّم له جوائز من السلطان ومن الأغنياء، فرفض وأبى وقال: أعمل بيدي، فاشتغل في بعض الصناعات بيده، حتى أعطاه الله بعض الأسباب، وبعض النقود، ثم عاد إلى بغداد.

أما علمه - رحمه الله - فهو البحر: وَحَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢].

العلم ليس بالمؤسسات، ولا بالشهادات، ولا بالجامعات، العلم تقوى الله، العلم من الحي القيوم، يقول عز من قائل عن نبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤]، وقال الله في الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية ٦٥]، ويقول عن سليمان: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]. فالفهم من الله، والعلم من الله، والفقه من الله، والذكاء من الله، فإيا من اغتر بشهادته، أو بمستواه، أو بمنصبه، والله ما تُغني هذه الأمور عند الله جناح بعوضة، العلم أن تتعلم وتعمل وتعلم الناس، سواء كانت عندك شهادة أو لم يكن، سواء تعلمت في مدرسة أو لم تتعلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾. فعلم الله الإمام أحمد فحفظ ألف ألف حديث مع القرآن، مليون حديث يتحضرها متى شاء، وقد كتب «المسند» من حفظه، أربعين ألف حديث أكبر مسند في الدنيا، هو بين أيدينا ولكن من يقرأ «المسند»؟ ومن يُطالع «المسند»؟! ومن يعيش مع «المسند»!؟.

لقد أعرَضَ الناس عن «مسند الإمام أحمد»، واتجهوا إلى مُطالعة الصُحف اليومية، والمجلات الأسبوعية، والقصص التافهة، والكتب التي لا تُساوي المداد الذي كُتِبَتْ به، إلا من رحم الله - عز وجل -.

أصبح «المسند» مطبوعاً طبعة فاخرة، وغيره من كتب الحديث.

وأصبح معروضاً لنا عرضاً جيداً، ولكن الناس أعرَضوا عنه واشتره الكثيرون ليكون ديكوراً وزينة في البيوت، لاستكمال مظاهر البذخ والترف الذي يعيش فيه كثير من الناس.

فيا أمة محمد من يقرأ «مسند الإمام أحمد»!؟!!.

إن من يقرؤه سوف يجد التقوى، والزهد، والرُفعة، والخوف من الله، والتوكل على الله - عز وجل -.

أفتى الإمام أحمد في ستين ألف مسألة وكان حجته فيها: قال الله، وقال رسول الله ﷺ، ذم المنطق، وذم الرأي، وذم الفلسفة والجدل، وقال: نحن قوم مساكين لم يأمرنا الله - عز وجل - بذلك.

أما تواضعه فنقطع النظر، وطالب العلم والمسلم والعالم والمسؤول إذا لم يكن متواضعاً لله فاعلم أن الله قد مقلته من فوق سبع سموات، وقد سقط من عين الله، قد باء بخزي من الله إن لم يثب.

كان متواضعاً جد التواضع، قال بعض الحفاظ: رأينا الإمام أحمد نزل إلى سوق بغداد، فاشترى حزمة من الحطب، وجعلها على كتفه، فلما عرفه الناس، ترك أهل المتاجر متاجرهم، وأهل الدكاكين دكاكينهم، وتوقف المارة في طرقهم يسلمون عليه، ويقولون: نحمل عنك الحطب فهز يديه، واحمر وجهه، ودمعت عيناه، وقال: نحن قوم مساكين، ولولا ستر الله لافتضحنا.

والعجيب في الإسلام أن العبد كلما زاد تواضعاً لله، كلما زاده الله رفعة، وكلما ارتفع، كلما زاده الله حقارة ومهانة ومدلة جزاء وفاقاً. قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد لما أرسله إلى اليرموك، أخذه بتلابيب ثوبه وهزه وقال: يا أبا سليمان فر من الشرف يوهب لك الشرف، واطلب الموت توهب لك الحياة، وصدق - ﷺ - وأرضاه - .

أتى رجل يمدح الإمام أحمد، فقال له الإمام أحمد: أشهد الله أنني أمقتك على هذا الكلام، والله لو علمت ما عندي من الذنوب والخطايا لحتوت على رأسي بالتراب!! انظر إلى الإمام، انظر إلى العابد.

جاءه قوم فقالوا: يا أحمد بن حنبل إن الله قد نشر لك الثناء الحسن، والله إننا نسمع ثناءك في كل مكان، حتى في الثغور مع الجيش وهم يقاتلون العدو، يدعون لك وقتما يرمون بالمنجنيق فدمعت عيناه وقال: أظن أنه استدراج من الله - عز وجل - .

أما زهده في الدنيا، فقد رفعه عن كثير ممن عاش معه وعنده الملايين،  
أنته الدنيا راغمة إلى باب بيته فأبى، طُولِبَ منه أن يتولَّى القضاء فامتنع أبداً،  
وقال: إن تركتموني وإلا فوالله لأهاجر إلى مكان لا تجدوني فيه أبداً!! كان  
دَخَله كما يقول الذهبي وابن كثير في الشهر: سبعة عشر درهماً وقال: هذه  
تكفيني. قال أبناؤه: يا أبته ما تكفيني هذه، قال: أيام قلائل، وطعام دون طعام،  
ولباس دون لباس، حتى نلقى الله الواحد الأحد!!.

يقول ابنه عبد الله بسند صحيح إليه: بقيت حذاء أبي في رجله ثمان عشرة  
سنة، كلما خُرِمَتْ خصفها بيده، وهو إمام الدنيا.

أرسل له المتوكل ثمانية أطقم من الذهب والفضة حملها الوزراء على  
أكتافهم مع سرية من الجيش بعد المحنة، فردّها وقال: والله لا يدخل بيتي منها  
درهم ولا دينار.

وأما خُلِقَه فمن أحسن الناس خُلُقاً؛ لأن من يُصاحِب القرآن، من يدرس  
القرآن، من يشتغل بحديث رسول الله ﷺ سوف يتأثر بذلك ولو بعد حين وذلك  
في الغالب؛ لأن هناك من يتعلّم لغير الله - عزّ وجلّ - ليُصيب به عرضاً من الدنيا  
قليلاً، فإن هذا من أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة.

وإذا لم نأخذ أخلاقنا وآدابنا من كتاب الله تعالى ومن سُنّة رسوله ﷺ  
فمن أين نأخذها؟ ومن أين نتعلّمها؟ أمِنْ ديكارت وكُنْت؟ أم من أصحاب  
المدرسة النفعية الذين يقولون إن الأخلاق والقيّم والمبادئ كلها أمور نسبية  
تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان، وأن المصلحة هي التي تحدّد هذه المبادئ  
والقيّم!!.

متى كان هؤلاء الفرسان أساتذة لنا؟ متى كانوا معلّمين؟ إنهم أحقر الناس،  
إنهم أخبث الناس، إنهم أضلّ الناس، إنما يُتعلّم من وحي السماء الذي تربّى  
عليه محمد ﷺ وغيره من أنبياء الله - عزّ وجلّ -.

يقول الإمام أحمد: رحم الله أم صالح يعني زوجته وقد توفيت، صاحبتي ثلاثين سنة، والله ما اختلفت أنا وإياها في كلمة واحدة... زوجته في بيته، صاحبه ثلاثين سنة ما اختلف معها في كلمة واحدة. أتاه رجل من أتباع السلطان المعتصم، فسب الإمام أحمد أمام الناس وشتمه وانتقصه أمام الجماهير، فقال الناس: يا أبا عبد الله يا أحمد زد على هذا السفه، قال: لا والله، فأين القرآن إذن؟! يقول الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣]، هذا هو أتباع القرآن، هذا هو العمل الحقيقي بكتاب الله - تبارك وتعالى - .

كان يجلس الناس إليه - ﷺ وأرضاه - فيتعلمون منه، وينظر إليهم، قال ابنه عبد الله: دخلت على أبي وهو جالس في البيت مترتب مستقبل القبلة، ودموعه تنهمر على خديه، فقلت: يا أبتاه ما لك؟ قال: تذكرت في هذه الغربة موقفي في القبر وحدي لا أنيس إلا الله، قال: فأراك متربعا، لماذا لا تتكىء وتريح نفسك - لأنه شيخ كبير - قال: أستحي أن أجالس الله وأنا متكىء .

دخل عليه الأديب الكبير ثعلب، فقال له الإمام أحمد: ماذا تحفظ من الأدب والشعر؟ قال: أحفظ بيتين، قال: ما هما؟ قال: قول الأول:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فوضع الإمام أحمد الكتاب من يده وقام وأغلق على نفسه باباً وبقي في الغرفة، قال تلاميذه: والله قد سمعنا بكاءه من وراء الباب وهو يردد البيتين .

كان يتمنى أكبر الأمنية في حياته أن يتقدم الصفوف مجاهداً في سبيل الله، نظر إلى قدميه وقت الوفاة وبكى، وقال: يا ليتها جاهدت في سبيل الله .

لكن والله جاهد جهاداً من أعظم الجهاد، بذل علمه، بذل جاهه، بذل ماله، بذل نفسه، بذل كل ما يملك في رفع راية لا إله إلا الله، فكان إمام الدنيا بحق. قال يحيى بن معين: والله ما رأيت أحداً كأحمد بن حنبل، والله

ما أستطيع أن أكون مثله ثلاثة أيام. وقال علي بن المديني: لو كان الإمام أحمد في بني إسرائيل كان نبياً من الأنبياء. وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - خرجت من بغداد وسكانها ألفاً ألفاً - يعني مليونين اثنين - فوالله ما خلفت رجلاً أتقى الله وأعلم بالله وأزهد لله وأورع أن تنتهك محارم الله، ولا أحب إلي من أحمد بن حنبل.

رَجِمَ اللهُ الإمام أحمد وأسكنه فسيح جنّاته، وحشرنا في زمرته يوم يوفى الصادقون بصدقهم، يوم يتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون. وللحديث بقية إن شاء الله.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التّوّاب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله . . . الحمد لله وليّ الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس  
أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا  
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾  
[العنكبوت: الآيات ٢، ٣].

ويقول عزّ من قائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمَبْتَلُونَ  
أَنْجَبَارِكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [محمد: الآية ٣٦]. لما قرأ الفضيل بن عياض - رحمه الله - هذه  
الآية بكى، وقال: اللهم لا تبلونا فتفضحنا، فنحن في ستر الله نسأل الله ألا  
يفضحنا، وألا يفتنا، وأن يجعلنا في عافية وستر حتى نلقاه، لكن للفتنة نتائج  
طيبة يجعلها الله للصابرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ  
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: الآية ٢٤]. والفتنة التي  
تعرض لها الإمام أحمد رواها أهل التاريخ جميعاً، سمعت بها الدنيا شرقاً  
وغرباً، وشمالاً وجنوباً، مُسَطَّرَةٌ إلى قيام الساعة، وهي مِحْنَةٌ خلق القرآن، أو  
الفتنة التي أورثها المأمون في الأمة.

وملخص هذه الفتنة: هو أن المأمون كان مفتوناً برأي منطقي معتزلي فلسفي، ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ.

والمأمون هو الخليفة العباسي بن هارون الرشيد قال: إن القرآن مخلوق وكذب على الله، فالقرآن كلام الله - عز وجل - والله يتكلم بما شاء متى شاء ولم يزل متكلماً - سبحانه وتعالى - .

يقول - عز من قائل -: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، والأمر هنا القرآن فقال هذا الخليفة: إن القرآن مخلوق واستخدم السيف ليثبت هذه القضية في الأمة، وقتل ما يقارب ألفاً من العلماء الكبار، من علماء الأمة من أساتذة وتلاميذ وزملاء الإمام أحمد، وملا السجون من العلماء وطلاب العلم، فبعضهم أجاب خوفاً من السيف، وبعضهم رفض وقال: لا أجيب فقتل في الحال، ومُنِعَ التدريس في المساجد، ومُنِعَتِ الخطابة إلا للمعتزلة وانتشر الشر الكثير وعمت البدعة، فنصر الله الإسلام بالإمام أحمد بن حنبل، وقف وحده وقال: لا والله، القرآن كلام الله، فاستدعيني، قال الإمام أحمد: أُخِذْتُ من بيتي وسط الليل، وأنا أصلي، فوُضِعَ الحديد في يدي وفي رجلي، حتى كان الحديد أثقل من جسمي، القيود التي سُلِّيلَ بها أثقل من وزنه - ﷺ - ووُضِعَ على فرس، قال: فلما وُضِعْتُ على فرسٍ لم أتمالك نفسي فكادت أسقط ثلاث مرات، كل مرة أقول اللهم احفظني، فكان الله يرُدني حتى أستوي على الفرس: نعم: «احفظ الله يحفظك»<sup>(١)</sup>، وكان الجندي الذي معه يضرب الفرس، عَلَّ الإمام أحمد يسقط على وجهه، قال: فلما أُدخِلْتُ السجن سُجِنْتُ على وجهي فنزلت، قال: كنت أستغفر الله، فنزلت في آخر الليل، قال: فلا أدري أين القبلة، ولا أدري أين أنا، في ظلام وفي وحشة، لا يعلمها إلا الله، فكنت أقول: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦)، وأحمد (٢٩٣/١) عن ابن عباس. قال الترمذي: حسن صحيح.

العرش العظيم، قال: فمددت يدي فإذا بماء بارد، فتوضأت منه وقمت أصلي إلى الفجر.

انظر إلى حفظ الله، حتى في الساعات الحرجة، لا ينسى ربه - تبارك وتعالى - لأنه يعلم أن دعوة المظلوم تخرق السبع الطباقي حتى تصل إلى الله - عز وجل - فيقول الله - تعالى - لها: وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين.

فالنزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانته أركان

قال: فلما أصبح الصباح، حُمِلْتُ على الفرس ثانية، وما طَعِمْتُ طعاماً، وكدت أسقط من الجوع، فأذخَلْتُ على المعتصم الخليفة الثاني، الخليفة العسكري صاحب عمورية الذي تولّى بعد المأمون، قال: فلما دخلت عليه هز الحيف في وجهي وقال: يا أحمد والله إنني أحبك كابني هارون، فلا تُعْرَضْ دمك لنا، فقال الإمام أحمد: آية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله ﷺ.

حاول الخليفة معه أن يُجيب، وأن يقول القرآن مخارقاً فرفض فدُعِيَ بالجلادين، ودُعِيَ بجبار من الجبابرة، رئيس الحرس الذي يتكوّن من خمسين ألفاً، واسمه عُجَيْب، فقال له المعتصم: اضرب هذا الرجل - يعني الإمام أحمد - قال: فجَلَدُهُ مائة وستين سوطاً حتى عُشِيَ عليه، ثم استفاق قال: فكان يقول: لا إله إلا الله، حسبي الله ونعم الوكيل؛ لأنها أقوى الكلمات، إنها قوة هائلة، إنها قوة فتاكة، حسبي الله ونعم الوكيل، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: قالها إبراهيم فنجاه الله من النار، وقالها محمد فنجاه الله من كَيْد الكفار، ورفض الإمام أحمد أن يُجيب حتى ظهرت أخايد الدماء المتجمدة في ظهره من كثرة الضرب الذي تعرّض له، فزُفِعَ على الفرس وأعيد، وبقي في السجن ثمانية وعشرين شهراً، وهو في السجن سرد الصيام، لم يفطر يوماً واحداً كما ذكر ابنه عبد الله؛ لأن كل يوم يمرّ كان يظنّ أنه سوف يموت فيه، وكان يحب أن يلقى الله - عز وجل - صائماً.

يُعرض عليه الطعام والشراب، واهتمّ الخليفة بأمره فكان يقول: لا تأتوني بالعشاء حتى تعرضوه على أحمد، فيعرضون له المائدة ليأكل فيقول: والله لا أكل لهم لُقمة، والله لا أشرب لهم شُرْبَة، ماذا كان يتغذى عليه؟ كان عنده جِراب من سويق، إذا اقترب من المغرب أخرج كُفاً منه ثم وضعه في الماء وشربه، فهذا غذاء الإمام أحمد في ثمانية وعشرين شهراً، ثم في الأخير عُرِضَ على السيف مرّات ولكنه رفض أن يُجيب، فلما أعجزهم وأكلهم وأمّ لهم أعادوه إلى بيته، فأنزلوه وهو جريح، يقول ابنه عبد الله: دخل أبونا علينا في الليل بعدما أُطْلِقَ من السجن، قال: فأنزلناه من على الفرس، فوق من التعب ومن الإعياء ومن الضعف والهزال والمرض على وجهه، وقال: فبقي أياماً ثم تولى الخلافة المتوكل، فنصر الله به السُّنَّة، وأتى بالمال والذهب إلى الإمام أحمد، فبكى الإمام أحمد وقال: والله إنني أخاف من فتنة التَّعْمَة أكثر من فتنة المصيبة والمِحْنة فرفضه وما أخذ شيئاً.

وبقي على هذه الحال وكان يقول: يا ليتني ما عرفت الشُّهرة، يا ليتني في شُعب من شُعب مكة ما عرفني الناس فلما أراد الله أن يرفع ذِكْرَه قبضه إليه في يوم من أسعد الأيام، مرض تسعة أيام، ومحصّ الله ما بقي عليه من خطايا ومن ذنوب ومن سيئات لا يخلو عنها البشر في هذه التسعة الأيام، وفي اليوم الأخير سمع الخليفة أنه مريض، فأمر الناس بزيارته فانتقلت بغداد العاصمة، عاصمة الدنيا، دار السلام، صاحبة المليونيين إنسان، انقلبت ظهراً وبطناً متّجهة في طوابير وفي كتائب إلى بيت الإمام أحمد لتزوره في اليوم الأخير، قال أبناؤه: والله لقد أغلقت المتاجر حول بيوتنا، ولقد توقّف الباعة، ولقد وقف حَرَس المتوكّل من ممّر الثكنات إلى بيتنا من كثرة الناس، فرفض الإمام أحمد أن يُدخّل عليه إلا الصبيان والمساكين، فأدخلوا الأطفال عليه، فأخذ يبكي ويقبلهم، ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، ثم أُدخِلَ عليه الفقراء فأخذ ينظر إليهم ويقول: اصبروا فإنها أيام قلائل لباس دون لباس، وطعام دون طعام، حتى تلقى الله.

وفي سَكَرَاتِ الموت التفتت إلى طرف بيته، إلى طرف غرفته فقال: لا بَعْدُ. لا بَعْدُ، فقالوا: ما لك؟ قال: تصوّر لِي الشيطان ورأيتَه يَعْضُ على أصبعه ويقول: فُتني يا أحمد، فُتني يا أحمد، يعني هربت مني، فتنّت الناس إلا أنت، فيقول الإمام أحمد: لا بَعْدُ، يعني انتظر فإني أخاف على نفسي، فقبضه الله - عزّ وجلّ - واستودع أبناءه، وأوصاهم بوصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه: أَلَا يُشْرِكُوا بِاللّهِ شَيْئًا، وَأَنْ يُقِيمُوا فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَتَخَلَّقُوا بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ.

أندرون ماذا كان آخر كلماته؟ قال: اللَّهُمَّ اعْفُ عَمَّنْ ظَلَمْنِي، اللَّهُمَّ اغْفُ عَمَّنْ شَتَمَنِي، اللَّهُمَّ سَامِحْ مَنْ ضَرَبَنِي، اللَّهُمَّ سَامِحْ مَنْ سَجَنَنِي، إلا صاحب بَدْعَةٍ يَكِيدُ بِهَا دِينَكَ، فلا تسامحه. عدوّ الإسلام لا تسامحه، أما عدوّي الذي عاداني لِنَفْسِي وشخصي فسامحه واغفُ عنه. وَقَبِضَتْ رُوحَهُ - ﷺ وأرضاه - فماذا كان؟

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقه كذباً شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

فلما توفي أعلن المتوكل في الناس أن عليهم أن يُشَيِّعُوا الجنازة ففتّحت الشكنات العسكرية لجيش الخليفة، وحُمِلَت الجنازة صباحاً فما وصلت إلى المقبرة إلا عصرًا، لكثرة الزحام، فقد شيّعه كما يقول أهل العلم مليون وثلاثمائة ألف: (ألف ألف وثلاث مائة ألف). وتوقّف اليهود والنصارى من بيعهم ذاك اليوم، وهبّت رياح على بغداد حتى ظنّ بعض الجَهْلَةَ أن القيامة قد قامت، وخرج الجيش وقوامه تسعون ألفاً في مقدمة الناس يرتّبون الصفوف، وبَكَت بغداد عن بكرة أبيها فراق هذا الإمام الزبّاني، ووصلت جنازته حتى قال بعض أهل التاريخ: كانت تذهب الجنازة على رؤوس الناس تُحْمَلُ على الأصابع وتعود إلى المؤخرة، وتذهب وتأتي، فلما وُضِعَتْ ارتفع البكاء وقام الناس يصلّون عليها ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٧٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٨٠﴾﴾ [الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠]. دُفِنَ جسده ولكن ما دُفِنَ

علمه، ولا تواضعه، ولا زهده، ولا ذكْره الحَسَن، أبقى الله له ذِكْرًا حَسَنًا في قلوب أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، من أهل السُّنَّة والجماعة نَصَّر الله وجوههم.

قال ابن كثير: رآه كثير من الصالحين تلك الليلة التي توفي فيها فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: ناداني فقال: يا أبا عبد الله الحق بأبي عبد الله، وبأبي عبد الله، وبأبي عبد الله، قلت: مَنْ هم؟ قال: الشافعي، وسفيان الثوري، والإمام مالك، كلهم أبو عبد الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَنِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ١٦].

#### • أيها الناس:

وفي سيرته - ﷺ - دروس:

أولها: أن الرُّفْعَةَ من الواحد الأحد، وأن مَنْ يحفظ الله يحفظه الله.

الدرس الثاني: أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لعنها الله وهو خالقها، وما التفت إليها منذ خلقها.

الدرس الثالث: أن العلم النافع، العلم الصحيح، العلم القويم، كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

الدرس الرابع: أن مَنْ أراد الرُّفْعَةَ وَمَنْ أراد المنزلة وَمَنْ أراد المكانة عند الله فعليه أن يتواضع، عليه أن يذلّ نفسه لإخوانه عليه أن يُلغِي اعتباراته ليرفعه الله.

الدرس الخامس: أنك كلما سجدت لله سجدةً رفعك بها درجة؛ ولذلك كان الإمام أحمد يصلي ثلاثمائة ركعة كل يوم غير الفرائض؛ لأن كل سجدة بدرجة عند الواحد الأحد.

الدرس السادس: أن في سِيرِ هؤلاء أثراً للقلب، وتربية للروح وهداية إلى الواحد الأحد، فطالعوا أخبارهم، وتلمحوا سِيرَهم، وكونوا متشبهين بهم، علَّ الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل.

• عباد الله :

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، اللَّهُمَّ اعْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وارضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## الإنسان المُبتلى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

• عباد الله أيها المسلمون :

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: الآيات ١، ٢]. قضية

الإنسان في القرآن قضية كبرى، والله - عز وجل - يلاحق حياة الإنسان قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن يكون نطفة، وقبل أن تضعه أمه على الأرض، ناشئاً وصبيّاً، ثم طفلاً، ثم شاباً قوياً، ثم رجلاً، ثم كهلاً، ثم ينتقل إلى الله .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، هذا هو الميثاق الغليظ أخذه الله على الناس وهم في أصلاب أبيهم آدم فدلّهم على التوحيد. مَنْ هو ربكم؟ مَنْ هو إلهكم؟ مَنْ القادر الذي يخلقكم؟ مَنْ الذي يستحق العبادّة؟ أيها الإنسان تأمل كيف تحملك أمك في بطنها تسعة أشهر فإذا الله - عز وجل - يرعاك ويحفظك، ويجري لك الطعام والشراب وأنت في بطن أمك، ثم إذا وضعتك أمك، أجرى لك في ثديها لبناً دافئاً في الشتاء بارداً في الصيف، وألقى في فِطْرَةِ أمك وأبيك حُباً لك، فلا يناما حتى تنام، ولا يستريحا حتى تستريح .

وأول ما يُولد الإنسان يكون باكياً، ولم نسمع في تاريخ الإنسان أن ذكراً أو أنثى وُلِدَ وهو ساكت إلا عيسى ابن مريم عليه السلام، فما بكى، أما نحن جميعاً فقد بكينا يوم أتت بنا أمهاتنا، قال بعض الفلاسفة: بكى الإنسان؛ لأنه خرج من السّعة إلى الضيق، وقال آخر: بكى الإنسان من هُزُلِ الابتلاء ومن عِظَمِ المشقة التي سوف يجدها من الضيق والغم والهَمِّ والحزن. وقال آخر: بكى الإنسان؛ لأنه سوف يرى التكاليف أمام عينيه ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: الآية ٧٨]، أبكم أصم أعمى لا يأكل ولا يشرب ولا ينطق فتولاه الله ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: الآية ٧٨] .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً      والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا      في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

يقول عليه الصلاة والسلام في «الصحیح»: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»<sup>(١)</sup>، فِطْرَةَ اللَّهِ فَمَا هِيَ تِلْكَ الْفِطْرَةُ؟ أَيُّوَلَّدُ مَعْنِيًّا مُطْبَلًّا؟ أَيُّوَلَّدُ مَا جِئْنَا مُمَثِّلًا؟ أَيُّوَلَّدُ مَسْرُوحِيًّا مُعْرَبِدًّا؟ أَيُّوَلَّدُ كُرُوبِيًّا لَاهِيًّا؟ أَيُّوَلَّدُ فِي يَدِهِ الْكَأْسَ فِي اللَّيَالِي الْحَمْرَاءِ؟ لَا... إِنْمَا يُوَلَّدُ عَلَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَقَعُ رَأْسُهُ وَهُوَ مُتَّجِهٌ بِفِطْرَتِهِ إِلَى اللَّهِ ﴿فِطَّرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الرُّومُ: الْآيَةُ ٣٠]، وَلَكِنْ مَنْ الَّذِينَ بَدَّلُوا خَلْقَ اللَّهِ وَفِطْرَةَ اللَّهِ؟ إِنَّهُمْ الْعُمَّاءُ، إِنَّهُمْ الْخَوَنَةَ، إِنَّهُمْ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ، بَدَّلُوا الْإِنْسَانَ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَى كَلْبٍ، وَمِنْ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ إِلَى خَنْزِيرٍ، وَمِنْ عَبْدٍ صَالِحٍ إِلَى بَهِيمَةٍ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الْفُرْقَانُ: الْآيَةُ ٤٤]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَمْ تَلُوبْ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: الْآيَةُ ١٧٩]، كَقُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ تَمَامًا يَحْفَظُونَ وَيَقْرَءُونَ وَيَدْرَسُونَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ، وَيَفْهَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ﴿وَلَمْ يَأْتِيَنَّهَا أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَمْ يَأْتِيَنَّهَا أَسْمَاعٌ يَلْصِقْنَ بِهَا وَلَمْ يَأْتِيَنَّهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: الْآيَةُ ١٧٩].

ويقع الإنسان ويتناوله الإسلام منذ اللحظة الأولى، فَيَمَسُّ أَنْ يُؤذَّنَ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ الْيُمْنَى كَمَا أُذُنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ أَوَّلَ مَا أُتَتْ بِهِ فَاطِمَةُ الْبَتُولِ الزَّهْرَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُذُنٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أُذُنِهِ، لِمَاذَا؟ لِيُنشَأَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، أَخَذَ أُذُنَهُ الضَّعِيفَةُ الرَّقِيقَةُ فَاقْتَرَبَ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ...»، حَتَّى أَكْمَلَ الْأَذَانَ؛ لِيَقَعَ الْأَذَانُ فِي قَلْبِهِ، لِيُنشَأَ عَبْدًا مُصَلِّيًّا صَائِمًا عَابِدًا ذَاكِرًا خَيْرًا، لَكِنْ لَمَّا أُتِيتِ التَّرْبِيَةَ الْمَعْكُوسَةَ، وَوُلِدَ الْإِبْنُ عَلَى الْمَوْسِيقَى الْإِيطَالِيَّةِ، لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْمَجَلَّةَ الْخَلِيعَةَ، وَالسُّهْرَةَ الْمَاجِئَةَ، يَنْشَأُ وَيَشَبُّ وَهُوَ يَحْفَظُ مِنَ الْأَغْنِيَاتِ الْعَشْرَاتِ، وَلَا يَحْفَظُ مِنَ الْآيَاتِ الْيَمِينَاتِ شَيْئًا؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الْإِنْفِطَارُ: الْآيَةُ ٦].

(١) أخرجه البخاري (١٠٤/٢) كتاب الجنائز، باب (٩٣)، ومسلم (٢٠٤٧/٤) كتاب القدر

من الذي خدعك بهذه الطغمة الفاجرة والجُلساء السوء، الذين حرّفوك عن منهج الله؟ من زين لك أن تحيد عن صراط الله المستقيم، وأن تتبع سبيل المغضوب عليهم والضالين؟

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: الآيات ٦ - ٨].

لكنه يوم شبّ وقوي وكبر كاهله نسي القرآن، وأصبح مُعربداً لا يعرف رباً ولا رسولاً ولا كتاباً.

أتى العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، والعاصي هذا كما يدلّ عليه اسمه عاصٍ لله، فاجر رعديدي، عدوّ الإسلام، ليله خمر، ونهاره سُكر، عريضة وإلحاد وزندقة وانحراف وعداوة أكيدة ل: لا إله إلا الله، ولرسول الله ﷺ، أتى بعظم قديم وجعله في يده وفقته وقال: يا محمد أتزعم أن ربك يُعيد هذا العظم مرة ثانية؟ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، أتى يقول للناس: إن هناك حساباً، وإن هناك عقاباً، وإن هناك يوماً آخر، وإن هناك مصيراً محتوماً نقف كلنا أمام الله فيه.

فقال: أتزعم أن ربك يُعيد هذا العظم، ثم فقته الفاجر ونفخه في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال عليه الصلاة والسلام: «نعم، يبعث الله هذا؛ يُميتك ثم يُحييك ثم يُدخلك نار جهنم»<sup>(١)</sup>. وفي الجواب زيادة «ويُدخلك النار» لأنه عدوّ الله، واسمع إلى رد الله على هذا المجرم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [يس: الآية ٧٨]، ولم يُسمّه؛ لأنه تافه حقير، بعض الناس حقير ولو كان عظيماً في عيون الناس فكلُّ من انحرف عن منهج الله فهو حقير ذليل صغير ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٢٩/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ ﴿٧٩﴾ [يس: الآيتان ٧٨، ٧٩]  
 إنك أيها المجرم لو نظرت إلى خلقك وأنت نُطفة، ثم نزلت ثم صرت طفلاً،  
 ثم شاباً، ثم كبرت، ثم أصبحت كهلاً، لأيقنت أن الله هو الخالق، هذه مراحل  
 الإنسان، ومن صور اعتناء الإسلام بالطفل منذ ولادته، أنه حثَّ على حُسن  
 اختيار اسمه حتى لا يصير الطفل أضحوكة بين أصحابه وزملائه، لأننا ندعى يوم  
 القيامة بأسمائنا وأسماء آبائنا.. . اسم جميل عبد الله، عبد الرحمن، أحمد،  
 محمد، ليست الأسماء الدخيلة التي حوّلت أجيالنا إلى جيل رخيص لا يحترم  
 نفسه ولا دينه ولا قيمه ولا تاريخه ولا ثقافته، جيل مهزوم مهزوز إلا ما رحم  
 ربك، ينشأ ويأكل ويشرب في بلادنا وأرضنا، ثم يحمل أشد العداوة للإسلام  
 والمسلمين، يحمل اسماً غريباً، أتى اسمه من لندن وباريس ولم يأت من بلاد  
 الإسلام من بلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام:

من بلادي من بلادي يطلب الفهم ولا يطلب العلم من الغرب الغبي  
 وبها مهبط وحي الله بل أرسل الله بها خير نبي

ويصل الطفل إلى السابعة فيقول عليه الصلاة والسلام: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ  
 بِالصَّلَاةِ لَسَبْعِ وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(١)</sup>.

ويصل إلى الأربعين فإذا الله - عز وجل - يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ  
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: الآية ١٥]  
 الأربعون تمام العقل، وتمام القوة، وتمام الإرادة والعزيمة، الأربعون رقي في  
 الفهم، ونضوج في الإدراك والمعرفة.

يقول بعض العلماء: إذا بلغ ابنك الأربعين ولم يهتد فاغسل يديك منه؛  
 لأن الله يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾، لكن بعد أن

(١) أخرجه أبو داود (١٣٣/١) كتاب الصلاة، رقم (٤٩٥)، وأحمد (١٨٠/٢)، (١٨٧) وحسنه  
 الألباني - رحمه الله - كما في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٦٨).

يصل الأربعين ثم لا يهتد، ثم لا يتعرّف على بيوت الله، ولم يسجد لله، ولم يكن عبداً لله ولم يخلص لله، فاعلم أنه هالك إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمته.

ويصل القرآن مع الإنسان فإذا شبيه قد أنذره، قال ابن عباس وهو يقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ نُنعِمِكُمْ مَا يَدَّكُرُ فِيهِ مَنْ تَدَّكُرُ وَجَاءَكُمْ التَّنذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٢٧]، قال النذير هو الشيب. مَنْ شَابَ رَأْسَهُ، أَوْ شَابَتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَادِعٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنذَرٌ وَوَاعِظٌ، فاعلم أنه رجل مخذول أصابه خذلان. يقول الإمام أحمد إمام أهل السنة لما رأى الشيب في لحيته في المرأة: والله ما وصفت الشيب إلا كشيء كان في الشباب والله ما وصفت الشباب إلا كشيء كان في يدي ثم سقط.

يقول أبو العتاهية:

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يُغْنِ البكاء ولا النحيب  
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

أتدرون ماذا فعل المشيب؟ الآن الذين هم منا في السبعين والثمانين كَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ، وَضَعُفَتْ أَسْمَاعُهُمْ، وَاحْدُوذِبَتْ ظُهُورُهُمْ، وَمَلَّوْا الْحَيَاةَ، لَا نَوْمَ وَلَا هَدْوً وَلَا لَذَّةَ لِلطَّعَامِ، إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ - عز وجل -.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: الآية ٦٨]، وَمَنْ يُعْمَرُ فِي الْحَيَاةِ يَعُودُ فَيَصْبِحُ عَقْلُهُ كَعَقْلِ الطِّفْلِ، وَإِدْرَاكُهُ كِإِدْرَاكِ الطِّفْلِ، وَفَهْمُهُ كَفَهْمِ الطِّفْلِ.

يقول أحد الشعراء:

إذا الرجال ولدت أولادها وأخذت أسقامها تعنادها  
وكثرت من مرض عوادها فهي زروع قد دنا حصادها

إذا الرجال ولدت أولادها: إذا أتى لأولادك أولاد وأصبحت جداً فانتظر

الموت، وانتظر لقاء الله.

قال سفيان الثوري: مَنْ بَلَغَ السِّتِينَ فَلْيُشْتَرِ كَفَنًا.

نام قيس بن عاصم عنده عشرة أبناء، وكان أغنى العرب، لكن كل شيء له دواء إلا الهَرَمَ، وكل شيء له علاج إلا كِبَرُ السِّنِّ، كان عنده عشرة من الأبناء وهو سيّد قبيلة بني تميم، وعنده من الذهب ومن الفضة والإبل والبقر والغنم ما الله به عليم، لكن ما كان ينام الليل كان عمره ثمانين، إذا أتى لينام أتاه السُّعال والزَقَرَاتُ والهَمُّ والغَمُّ فيقول له أبناؤه: أزعجتنا ما تركتنا ننام، فنظم قصيدة يقول:

قالوا أنينك طول الليل يُزعجنا فما الذي تشتكي قلت: الثمانين

أشتكي الثمانين وأبكي من الثمانين سنة. لكن ما هو حُسن الخِتام وما هو التاج الذي يمكن أن يُتَوَجَّ به الإنسان في حياته؟ إنه العمل الصالح.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٤]، ويأتي الإسلام فيقول للإنسان: إذا أتتك سَكَرَاتُ الموت فاحرص على أن تموت على لا إله إلا الله، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>، حديث صحيح.

لكن كيف؟ لا يثبت على لا إله إلا الله إلا المؤمن.

ولا يقولها في سَكَرَاتِ الموت إلا مؤمن.

(١) أخرجه أبو داود (١٩٠/٣) كتاب الجنائز رقم (٣١١٦) والحاكم (٣٥١/١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قال الألباني: وهو كما قالنا، ورجاله كلهم ثقات غير صالح بن أبي عريب، وقد روى عنه جماعة من الثقات ووثقه ابن حبان وقال ابن مندة: هو مصري مشهور. انظر تعليقه على المشكاة (٥٠٩/١).

﴿يَشِئْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٧٧] [إبراهيم: الآية ٢٧].

ذكر الذهبي المحدث الكبير أن أبا زرعة المحدث - رحمه الله - حضرته  
سَكَرَاتِ الموت فأغمي عليه فأراد تلاميذه أن يذكره بـ: لا إله إلا الله وهو  
مُغْمَى عليه ولكن استَحْيُوا أن يقولوا له قل: لا إله إلا الله؛ لأنه شيخ إمام  
المسلمين أبو زرعة، قالوا: نتذاكر سند حديث: لا إله إلا الله فإذا ذكرناه السند  
سوف يتذكر المتن؛ لأنه محدث، ولكنهم هم من هَوْلِ المصيبة وهَوْلِ الكارثة  
نسوا السند فقال أحدهم: حدثنا فلان عن فلان ثم سكت، وقال الثاني: حدثنا  
فلان عن فلان عن فلان ثم انقطع، فقال أبو زرعة: حدثنا فلان عن فلان حتى  
أتم السند عن معاذ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ  
الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup> ثم مات - رحمه الله - .

وأما ابن القيم فيحكي عن العابثين الماجنين السفهاء وهم في سَكَرَاتِ  
الموت فيقول:

قيل لفيه مُعْرَبِدٌ وهو في سَكَرَاتِ الموت: لا إله إلا الله، قال: أين  
الطريق إلى حمام منجاب؟! قال: فمات عليها لأنه عاش عليها وَمَنْ شَبَّ عَلَى  
شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ وَمَاتَ عَلَيْهِ. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ  
الْحُسَيْنِ﴾ [التكوير: الآية ٦٩].

وقيل لأحدهم وهو في سَكَرَاتِ الموت: قل لا إله إلا الله، فأخذ يردد ما  
كان يسمع إليه في الدنيا من الأغاني فيقول: هل رأى الحبُّ سُكَارَى مثلنا!! .

﴿يَشِئْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٧٧].

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٤٧٩). وهو الحديث  
السابق نفسه فانظر تخريجه.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين  
فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

obeykandani.com

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

في بعض المقررات الدراسية كلمة هي من الإلحاد كلمة زندقة، والإسلام منه بريء، وهو تصادم العقيدة مُصادمة كاملة مطلقة عامة، وهي قولهم في عبارتهم التي يحفظونها ويدرسونها: «المادة لا تُسْتَحَدَّث ولا تَفْنَى» ويشرحون عليها قانوناً في الكيمياء ويؤصلونه على هذا المبدأ وهذه تعارض عقيدة أهل السنة؛ بل أهل الإسلام قاطبة بما فيهم المبتدعة - المادة لا تُسْتَحَدَّث ولا تَفْنَى - ومعنى لا تُسْتَحَدَّث أنها قديمة وأنه لم يخلقها أحد - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الصفات: الآية ٩٦]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: الآية ٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧].

ومقصودهم من هذا أن الإنسان إذا مات فقد انتهى، قالوا: أرحام تدفع وأرض تبلغ، وقالوا: إذا انتهى الإنسان عفى عليه النسيان، ولكن الله يقول: لا، والقرآن يقول: لا، ومحمد عليه الصلاة والسلام يقول: لا.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: الآية ١٠٢]، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا

تَخَفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة: الآية ١٨]، ﴿قَالُوا يَوَيْلًا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: الآية ٥٢].

إنها الحياة الآخرة، وإنها الحقيقة الكبرى التي ينكرها أهل الإلحاد والزندقة.

يقول سبحانه وهو يسأل الناس يوم القيامة خاصة الغافلين: ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٢]، كم مكثتم، كم لكم من فترة، يا أهل الثمانين ويا أهل المائة؟

بعض الصُّحُف المحلية تُلقِي مقابلة مع بعض الناس قالوا: بلغ مائة وأربعين سنة، لكن تعال وابحث عن المحصول من مائة وأربعين سنة، لا شيء يسألونه ماذا يفطر في الصباح، وما هي وجبة الغذاء، وماذا يُجيد من العروض الشعبية، والمُسامرات والقصائد النبطية، ولكن لا آية، ولا حديث، ولا نافلة، ولا صيام، ولا ذُكر، ولا قيام ليل، ولا صِلَة رحم، كل هذه ما تعرض في الأسئلة، ولا يسألونه ما هو أثره على مجتمعه وأسرته، أو على نفسه، ولا يسألونه ما هي آماله عن اليوم الآخر وما هي تطلعاته، إنما هي هذه الأسئلة.

فيقول لسان الحال: ليت هذا العمر الطويل لشيخ الإسلام ابن تيمية أو للإمام أحمد: ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٧﴾﴾، الله يعلم كم لبثوا.

﴿قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٣]، يقولون: لبثنا يوماً واحداً في الحياة فأدركهم الورع وخافوا أن يكذبوا، فقالوا: بعض يوم، نصف يوم ليس يوماً كاملاً ﴿فَسْئَلُ الْعَادِينَ﴾ يقولون لله: اسأل الملائكة والكتّبة نحن لا ندري. قال الغزالي: من دهش الموقف ما دروا كم لبثوا، لا إله إلا الله إذا بلغ بك الحال يوم القيامة أنك لا تعرف عمرك فيا له من يوم ما أشده وما أهوله، فقال سبحانه: ﴿قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَفَحَبِئْتُكُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:

الآيتان ١١٤، ١١٥]، والإنسان جحود يقول عليه الصلاة والسلام: «نسي آدم فسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته»<sup>(١)</sup>. والسبب أن آدم عليه السلام نثر الله ذريته أمامه كُلُّنا نُثِرنا أمام آدم كصورة الذرّ فرأى داود ابنه، عليه السلام وهو يزهو أمام هذا الذرّ قال: يا ربي مَنْ هذا؟ قال: ابنك داود، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة، فزاده الله.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الزّعد: الآية ٣٩]، فلما حضرت آدم الوفاة عجل الله وفاته قبل أربعين قال: يا ربي بقي من عمري أربعون سنة، قال: أولم تعطها ابنك داود؟ فقال ﷺ: «فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطيء آدم فخطئت ذريته»<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٤]، ﴿عَبَسَا وَأُكْرِمُوا إِلْتِنَا لَا تُرْحَمُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥]، ﴿الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١١٤ - ١١٦].

ولكن أمام نسيان الإنسان وجحود الإنسان يخرج الله له كتاباً منذ أتت به أمه إلى أن يموت.

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: الآية ١٤]، ولا يقرؤه غيره، الأُمِّيّ والمتعلّم، والجامعي والتاجر، والفلاح وراعي الغنم، كلهم يقرؤون.

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٤]، فيقرأ الإنسان يوم كذا فعلت كذا وكذا، ويوم كذا قلت كذا وكذا، فيطوي الإنسان كتابه ويقول: ﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

(١) و(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٩/٥) كتاب التفسير، رقم (٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٩٩/١، ٣٧١).

• أيها الناس :

من هذه الخطبة ناخذ دروساً :

أولها: أن الإسلام معك وأنت في بطن أمك حتى تدخل الجنة أو تدخل النار والعياذ بالله من النار.

الأمر الثاني: إنك لست متروكاً هماً ولا سدى؛ بل معك وحي من الله، لا تسير خطوة، ولا تنام، ولا تستيقظ، ولا تأكل، ولا تشرب، ولا تتحدث، إلا والوحي معك. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٦٢].

الأمر الثالث: أن الذي لا يضبط حركاته وسكناته مُهْتَدِياً بالوحي فهو سفیه؛ لأنه أَعْرَضَ عن الرسالة الخالدة، والتمس العز في غير هدي محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَدْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: الآيات ١٣٠ - ١٣٢].

الأمر الرابع: أننا لسنا في حاجة لأي مبدأ، أو أي قانون أو أي رسالة أو أطروحة غير رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

فيا أيها المسلمون: فلنعد إلى القرآن والسنة، ولنستهدي بهدي الله الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، فإن كل قلب ملعون إلا قلب أشرفت عليه شمس الرسالة، وكل أرض مغضوب عليها إلا أرض هيمن عليها هذا الدين، ومن اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدي الله الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أيها الناس صلوا وسلموا على رسول الهداية وعلى مُعَلِّمِ البشرية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تليماً كثيراً.

• عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب: الآية ٥٦].

\* \* \*

## عقدة البقرة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب:

الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر  
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيتها الناس:

تعنت العقل البشري أمام الوحي، وخاصم الإنسان الفاجر ربّه، واعترض  
على خالقه، واستكبر عن عبادة سيده ومولاه.

ومعنا اليوم صورة من صور اعتراض البشر الضعفاء على الله القوي، صورة من صور الاستكبار والطغيان، صورة من صور تعنت بني إسرائيل على أنبياء الله ورسله.

نتحدث اليوم عن «عقدة البقرة» وهي العقدة التي تعقد بها بنو إسرائيل، واضطرب حالهم فيها، وسألوا، وناقشوا، وجادلوا، وشددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم.

الله - عز وجل - تكلم في القرآن عن عالم النبات؛ لأنه خالق النبات وتكلم عن عالم الطيور، وعن عالم الحيوان، وعن عالم الحشرات؛ لأنه خالقها ورازقها ومُدبّر أمورها.

وكان ﷺ يقرأ السور التي فيها هذه الكائنات، فسورة النمل، وسورة النحل، وسورة العنكبوت، وسورة البقرة، وسورة الفيل، وغير ذلك من السور التي فيها مخلوقات الله تعالى، فكبر ذلك الأمر على المشركين، فقال كفار قريش: إن محمداً يستهزئ بكم، يأتينا بكلام يزعم أنه وحى، يتكلم فيه عن عالم الحيوانات والعجماوات والطيور والحشرات، فما دخل الذباب والعنكبوت والكلاب والحمير بهذا الوحي، وما بالها تُذكر في القرآن، فردّ الله عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٦].

فالذي خلق البعوضة هو الله، والذي خلق الذباب هو الله، والذي جعل الفيل على هيئته هو الله، والذي صور البقرة هو الله، والذي ركب الطير هو الله، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - أن من الناس من هم على ضروب الحيوانات وصفاتها وأخلاقها.

ففي الناس من طبيعته كطبيعة الخنزير تماماً، لا يقع إلا على القاذورات، ليس عنده غيرة على محارمه، لا يسمع إلا الفحش من القول، وإذا سمع

الجميل فكانه لم يسمع: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۝٥﴾ [فُضِّلَتْ: الآيَة ٥].

ومن الناس مَنْ هو على صفة الذباب لا يقع إلا على الجرح، يذهب إلى نقاط الضعف ويتصيد أخطاء الآخرين، أما المحاسن فلا يذكرها ولا يلتفت إليها.

ومن الناس مَنْ هو على هيئة الجمل في حلمه، وصبره، وقوة تحمله في الشدائد، وقطع المفاوز والقفار.

والمقصود أن الله - عز وجل - يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۝٥﴾ [البقرة: الآيَة ٢٦] وَمَنْ يَمْنَعُهُ - تبارك وتعالى - أن يتكلم بما شاء، مَنْ يَمْنَعُهُ أن يضرب الأمثال؟ مَنْ يَمْنَعُهُ ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: الآيَة ٢٦]؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: الآيَة ٢٦] وهم حزب الله من أهل التوحيد، ومن حَمَلَةٌ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: الآيَة ٥] أهل الوضوء والصلاة والصيام، أما هؤلاء فيعلمون أن كل ما عند الله - عز وجل - هو صدقٌ وحقٌ وعدلٌ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآيَة ٢٦]، ولذلك تراهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: الآيَة ٧]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُغِضِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُغِضِلُ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة: الآيَة ٢٦]، ثم يقص الله علينا قصة البقرة، وسُميت أكبر سورة في القرآن باسم البقرة، فتُعَرَّفُ بين الناس بهذا الاسم من أجل آيات خمس، فلا يعرف المسلمون هذه السورة إلا بسورة البقرة.

وهذه السورة فيها نسب وإبادة لبني إسرائيل، وفيها أحكام شرعية كثيرة، وقواعد عقلية، وآداب وتوجيهات، يصلح بها الفرد والمجتمع وتهتدي بنورها الأمم والشعوب.

أما قصة البقرة فذلك ما قال الله - عز وجل - فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الجهليل ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا  
يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا  
لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْبَعْ لَوْثَهَا تَسْرُ النَّظِيرُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَدْعُ  
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَنْ  
جِئْت بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ [البقرة: الآيات ٦٧ - ٧١].

### • عباد الله :

هذه هي قصة البقرة كما حكاها القرآن العظيم مصوراً تعنت بني إسرائيل  
وجدلهم البغيض لأوامر الله - عز وجل - واستكبارهم عن طاعة نبي الله موسى  
عليه السلام، وهذا شأن هذه الفئة الضالة في كل زمان وموضع، ﴿وَإِذْ قَالَ  
مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبْحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٦٧].

لماذا يأمرهم الله - عز وجل - بذلك؟ وما الحكمة في ذبح هذه البقرة؟ وما  
وجه التكليف في هذا الأمر؟

قال العلماء: قدم الله قصة البقرة ثم ذكر بعد ذلك سبب الأمر بذبحها  
وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٧٢﴾  
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّيْمِينَ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾  
[البقرة: الآيتان ٧٢، ٧٣].

قال أهل التفسير: كان رجل من بني إسرائيل غنياً ثرياً فعدا عليه ابن أخيه  
في الليل فذبحه!! اغتيال رهيب، وقتل للنفس التي حرم الله إلاً بالحق، وبعد  
هذه الجريمة الشنعاء ذهب هذا القاتل المجرم إلى موسى عليه السلام؛ ليخفي  
جريمته، ويُبَعِدَ التُّهْمَةَ عن نفسه فبكى بين يدي موسى عليه السلام، قال: ما  
لك؟ قال: قُتِلَ عَمِّي الْبَارِحَةَ، ولا أعرف مَنْ قتله!! وأنت نبي الله فسَلْ رَبَّكَ مَنْ  
قتله؟

فجمع موسى بني إسرائيل وقال: مَنْ قتل عمّ هذا الرجل؟ فقالوا: لا ندري عن ذلك يا موسى، وإن كنت نبيًا فسل ربك يخبرك.

فقام موسى مُبْتَهَلًا إلى الله - عزّ وجلّ - وأخذ يدعو الله ويبكي قائلاً: اللَّهُمَّ أخبرنا خبر هذا الرجل. فأوحى الله إليه يا موسى مُرّ بني إسرائيل أن يأخذوا بقرة فيذبحوها، ثم يُؤخَذَ عضو منها فيضرب به الميت، فسوف يحيا بإذني ويتكلّم ويُخبر عن قاتله.

فقال موسى: اذبحوا بقرة... أمر يسير، لا تعقيد فيه ولا مشقة... اذبحوا بقرة. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «لو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم»<sup>(١)</sup>، ولكنهم تعتوا وتنطعوا وجادلوا في ذلك، قالوا: ما هي البقرة، ما لونها، ما صفتها، ما سنّها؟

الله - عزّ وجلّ - يأمرهم بأمر يسير من كلمتين اثنتين: ﴿تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٦٧] فجادلوا في ذلك، وأظلمت عقولهم عن إدراك هذا الأمر، وهذه عادة بني إسرائيل.

أنزلهم الله وإد فيه مَنْ وسلوى - حمام مشوي وعسل مُصَفَّى - وقال: كلوا من هذه الطيبات، فماذا قالوا؟ قالوا: لا ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْآرَضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: الآية ٦١].

أخرجهم من البحر وأقدامهم مُبْتَلَّة بالماء، فلما خرجوا ذهب موسى يكلم ربه فعبدوا العجل من دون الله!!.

قالوا: ظمئنا أين الماء؟ فضرب موسى عليه الصلاة والسلام الحجر بالعصا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا.

قالوا: أين ربك؟ قال: أكلمه. قالوا: اذهب فكلمه، فذهب، فعبدوا العجل، فلما رجع وجدهم يركعون له ويسجدون، فبكى موسى منهم وقال:

(١) «تفسير الطبري» (١/٣٨٩).

يا رب ما توبة بني إسرائيل؟ قال: خذ من خيارهم سبعين رجلاً، واذهب بهم إلى طور سيناء، وادعوني لأتوب عليهم، قال ابن عباس: وكان فيما دعوا قالوا: اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا قَبْلَنَا، وَلَا تُعْطِهْ أَحَدًا بَعْدَنَا، فَكَّرَهُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ دَعَائِهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائْتِيَّ أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾<sup>(١)</sup> [الأعراف: الآية ١٥٥].

وقال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً من خيارهم، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، أي: من عبادة العجل، سلوا الله التوبة على ما تركتم من الأموال والأولاد، وصوموا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، فقال السبعون رجلاً لموسى عليه السلام: اطلب لنا أن نسمع كلام الله؟! فقال: أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله؛ ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنا القوم حتى إذا دخلوا وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلمه ربه يأمره وينهاه، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم، فقالوا: يا موسى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٥٥]، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائْتِيَّ﴾، رب قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بسببهم<sup>(٢)</sup>؟

هؤلاء هم خيار بني إسرائيل فما بالك بعائتهم، وما ظنك بشرارهم؟

### • أيها الناس:

نعود إلى «عقدة البقرة» والتي تبدأ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْخِذْنَا هُرُوءًا﴾ [البقرة: الآية ٦٧]، وهذه كلمة أبي جهل، وكلمة الخونة العملاء أمام الدعاة والعلماء، تتكرر هذه الكلمة في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿أَلْخِذْنَا هُرُوءًا﴾

أتضحك علينا؟ أَتَضَلَّلْنَا؟ نسألك عن القتيل فتقول: اذبحوا بقرة!! ﴿قَالُوا أَلَنُحَدِّثَا هُرُوقًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: الآية ٦٧].

قال العلماء: مَنْ سخر من الوحي فقد جهل، وَمَنْ عبث في التعليم فقد جهل، وَمَنْ أتى بالهزل في موطن الجدّ فقد جهل، ونبي الله موسى عليه السلام، مُبرّأ من هذا كله.

قال بنو إسرائيل: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِّئْنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: الآية ٦٨]، ألا يعلمون ما هي؟ أم هو الجدال بالباطل والغي والضلال!!.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: الآية ٦٨]، أي: ليست بالكبيرة المُسِنَّة ولا بالبكر الصغيرة، وإنما هي بين البكر والهرمة، ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ﴾ [البقرة: الآية ٦٨]، على وجه المُسَارَعَةِ والفور. ولكنهم أتوا بتعنتٍ آخر فقالوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِّئْنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: الآية ٦٩]؟ وهذا من التشدد والتنطع؛ لأن الله - عز وجل - لم يحدّد لوناً معيناً ولم يُلزمهم بالبحث عن ذلك، ولكن العقول الخربة والقلوب الميتة هي التي تشتغل بما لم تُوَمَّر به وتُعْرِض عما أُمِرَت به.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٦٩]، فهي بقرة صفراء صافٍ لونها، ليس فيها سواد ولا بياض، تعجب الناظرين إذا رأوها. ولكنّ بني إسرائيل لا يعجبهم أن تنتهي القضية عند هذا الحدّ، فرجعوا إلى موسى وقالوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِّئْنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٠].

قال أبو العالية: لو أن القوم حيث أمروا أن يذبحوا بقرة، استعرضوا بقرة فذبحوها، لكانت إياها، ولكنهم شدّدوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما هُدُوا إليها أبداً<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْعَى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٧١]، أي: إنها بقرة لم يذلها العمل، فهي ليست بذلول تثير الأرض، وكذلك فهي لا تسقي الحرث، أي: لا تعمل في الحرث وإنما ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾، أي: سالمة من العيوب ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، أي: لا بياض فيها، أو أي بقعة تخالف اللون الأصفر.

﴿قَالُوا أَتِنَّآ الْتَنَ جِنَّتٍ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: الآية ٧١]، وانظر إلى تعدي بني إسرائيل على نبي الله موسى عليه السلام، وكأنه قبل ذلك لم يأتهم بالحق، كأنه قبل ذلك كان يلعب معهم، أو يضحك عليهم، أو يستهزئ بهم كما ظنوا في بادئ الأمر. ﴿فَذَجَبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧١]، ومما ورد في ذلك أنهم لم يجدوا هذه البقرة إلا عند عجوز تقوم على يتامى وهي القيمة عليهم، فلما علمت أنه لن تُجزئهم غير هذه البقرة ضاعفت عليهم الثمن، فقال موسى: إن الله قد خفف عليكم فشدتكم على أنفسكم فأعطوها ما تريد، ففعلوا واشتروها بملء جلودها ذهباً!!.

فقل للعيون الرمد للشمس أعين تراها بحق في مغيب ومطلع  
وسامخ عيوناً أطفأ الله نورها بأبصارها لا تفتيق ولا تَع

قال بعض العلماء: مثلُ بني إسرائيل الذين تشددوا في معرفة أوصاف هذه البقرة فشدد الله عليهم حتى غرِموا وزنها ذهباً، مثلهم كمثل بعض هذه الأمة من الذين ثقلت عليهم التكالف الشرعية الميسرة والعبادات التي فرضها الله - عز وجل - فكان جزاؤهم جهنم وبئس المصير، ولقد رأى النبي ﷺ قوماً توضؤوا على عَجَلٍ فلم يمسّ الماء أعقابهم فقال عليه الصلاة والسلام: «ويلٌ للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٩/١)، ومسلم (٢١٤/١) رقم (٢٦).

قال أهل العلم: فَمَنْ لم يتحمل مشقة الماء البارد في إسباغ الوضوء حمّله الله نار جهنم في عقبه؛ لأنه تهاون في تنفيذ أوامر الله - عزّ وجلّ - وضيعها فضيعة الله يوم القيامة.

﴿فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧١]. فلما ذبحوها أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القاتل فلما فعلوا رجعت إليه روحه بإذن الله وقام ينتفض، فسأله موسى: مَنْ قتلك؟ قال: ابن أخي هذا، ثم خرّ ميتاً كما كان. فجاء موسى بالقاتل المجرم فقتله على جريمته قصاصاً.

#### • أيها الناس:

هذه قصة البقرة كما ذكرها أهل التفسير، والبقر في الرؤية بشرى خير، فإذا رُئيت ربما كان ذلك دليلاً على شهادة في سبيل الله، أو على الخير والصلاح والإيمان، ولا يؤخذ من الرّؤى أحكام شرعية؛ وإنما ذلك للاستئناس فقط.

وقد ورد في «الصحيحين» عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب ولفي<sup>(١)</sup> إلى أنها اليمامة أو هَجْر<sup>(٢)</sup>، فإذا هي المدينة يثرب<sup>(٣)</sup>، ورأيت في رؤياي هذه أنني هزرت سِنْفاً، فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أُحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها أيضاً بقرأ<sup>(٤)</sup>، والله خير، فإذا هم النفر المؤمنون يوم أُحد...» الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) ولفي: ظني واعتقادي.

(٢) هجر: مدينة معروفة، وهي قاعدة البحرين.

(٣) يثرب: هو اسمها في الجاهلية فسماها الله تعالى: المدينة، وسماها الرسول ﷺ طيبة وطابة.

(٤) قال النووي: قد جاء في غير مسلم زيادة في هذا الحديث: «ورأيت بقرأ تنحر»، وبهذه الزيادة يتم تأويل الرؤيا بما ذكر، فنحر البقرة هو قتل الصحابة - رضي الله عنهم - الذين قتلوا بأحد.

(٥) أخرجه البخاري (١٨٣/٤) كتاب المناقب، ومسلم (١٧٧٩/٤) كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٧٢).

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَمَرُوا بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ اعْتَرَضُوا وَجَادَلُوا وَنَاقَشُوا، أَمَا أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ قَدَّمُوا أَنْفُسَهُمْ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَمِعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١١].  
فَقَالُوا: رِبْحُ الْبَيْعِ... رِبْحُ الْبَيْعِ، لَا نُقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ.

يَأْتِي عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ فَيَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَقَدْ دَنَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ بَدْرٍ: «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَعْنُ أَنَا حَيَّتْ حَتَّى آكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٌ!! فَرُمِيَ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ<sup>(٢)</sup>.

هُؤَلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَرُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ رَأْيِي الْعَيْنِ فِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَذَا هُوَ الصَّنْفُ الْخَالِدُ الَّذِي قَدَّمَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْبَشَرِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: الآية ٣٣].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

لَقَدْ صَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ، وَأَوَاهُ حِينَ طَارَدَهُ قَوْمُهُ، وَوَأَسَاهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حِينَ تَخَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ.

(١) كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) أخرجه مسلم (١٥١٠/٣) كتاب الإمارة، رقم (١٠٩١).

(٣) ذكره السيوطي في «الذر المنثور» (٦١٥/٥)، وعزاه لابن جرير، والبارودي في «معرفة الصحابة» وابن عساکر.

إن هناك مدرسة اسمها: «مدرسة أبي بكر الصُّدِّيق هذه المدرسة تسمع كلام الله، وتلتزم أحكامه، وتصدق بالوحي فلا تفعل إلا ما يُرضي الله - تبارك وتعالى -.

وهناك مدرسة أخرى هي مدرسة: «أبي جهل» وهذه المدرسة أسَّسها المارقون وأهل التُّفَّاق والْعَلَمَنَّة، وأصحاب عقدة البقرة من الذين طمس الله بصائرهم.

والقائمون على هذه المدرسة يعملون على التَّكْذِيب بالوحي، فلا يريدون للوحي أن يتدخَّل في حياة الناس لِيُنِيرَ لهم الطريق، فهم يَحْوُلُونَ دون سماع صوت الوحي أو نشره، أو فهمه، أو تدريسه، أو تربية الأجيال عليه، أو كتابته، أو التَّأْلِيف فيه.

إن هذه الفئة، فئة أبي جهل، وأهل الضلال من أصحاب عقدة البقرة، ليقفون حجر عثرة في وجه أتباع موسى ومحمد عليهما السلام، وجميع الأنبياء والمرسلين: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣١].

### • عِبَادَ اللَّهِ:

وَيُسْتَفَاد من قصة بني إسرائيل أمور ثلاثة:

الأول: لا يحق للعقل أن يعترض على الوحي، ويوم يبدأ بالاعتراض والتشكيك تبدأ اللعنة تنصب من السماء، فإما أن يرجع عن غيِّه وضلاله، وإما الهلاك المحتوم والمصير المظلم.

الثاني: على المسلم أن يتلقَّى هذه الرسالة، وأن يتوجَّه إلى الله بالانقياد والرِّضَا، وأن يُسَلِّمَ قيادته لرسول الله ﷺ وأن يسجد لله - عزَّ وجلَّ - وأن يعلن انكساره وفقره أمام خالق السموات والأرض.

الثالث: فضل الأمة المحمدية التي سارت على منهج النبي المصطفى ﷺ يوم قالت لرسولها ﷺ: لو استعرضت بنا عُزْصَ البحر لَخُضْنَا معك، اذهب

أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، وليس كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ  
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: الآية ٢٤].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين  
فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه  
والتابعين.

وبعد: ففي العالم اليوم أطروحة تسمى: أطروحة التعايش السلمي بين  
الأمم والشعوب، وهذه الأطروحة تدعو إلى نَبذ الأديان التي تعمل على التفرقة  
بين البشر بسبب اختلاف الدين. قالوا: إن سبب النزاع والصراع بين الناس هو  
الدين، فيجب نبذه والتخلص منه، ليعيش الناس في محبة وسلام تحت مظلة  
الإنسانية التي تجمع الناس جميعاً بزعمهم.

وهذه هي مبادئ الماسونية، وهي في صورتها تعمل على نَبذ جميع  
الأديان لتنتشر المحبة بين الناس، ولكنها في حقيقتها دعوة خاصة ليتخلى المسلم  
عن عقيدته ويتبرأ من انتمائه للإسلام، فينما صدق كثير من المنتسبين للإسلام  
هذه الدعوى، نجد أن الأمر على النقيض من ذلك بين أصحاب الديانات  
الأخرى، فاليهود يحاولون الرجوع إلى أصولهم المخرّفة، والنصارى في عودة  
مستمرة إلى دينهم الباطل، والمسلمون ينتظرون حلول مشاكلهم بتطبيق النظام  
العالمي الجديد!! ويستسلمون لقوى البغي والعدوان بدعوى التعايش السلمي  
المزعوم.

والله - عز وجل - يحذرننا بعد قصة البقرة من هذا الخداع، ويقطع علينا خط الرجعة حتى لا نطمع في بني إسرائيل، فاليهود هم اليهود في كل عصر ومصر.

إن العَصَا من هذه العَصِيَّة لا تَلِدُ الحَيَّة إلا حَيَّة

ولو نسيت الكلاب نباحها، والخيول صهيلها، والغنم تغاءها، والحمام هديره، ما نسي اليهودي عداؤه للرسول ﷺ، فالخيانة مكنونة في دماهم، والحقد والحد أصل من أصولهم، وعداؤهم ل: - لا إله إلا الله - طبع من طباعهم، يتشربونه في طفولتهم، وفي مدارسهم وجامعاتهم ومُنْتَدِيَاتِهِمْ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَنْظَلْمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٧٥]، ﴿أَنْظَلْمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾، أتظنون أنهم سوف يُسَالِمُونَكُمْ، ويؤمنون لمبادئكم ويكونون إخوة لكم؟ ﴿أَنْظَلْمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾؟ لا، لا تطمعوا في ذلك، فهي قلوب قست، وأفئدة أظلمت، وأبصار عميت، وأذان أصابها الوقر، وعقول خراب: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: الآية ٧٤]. والقلب الذي هو كالحجارة، أو أشد قسوة لا يطمع في إخبائه، ولا يرجي إيمانه!!.

إن الله - عز وجل - قد أنعم على بني إسرائيل بنعم لا تحصى، أطعمهم المن والسلوى، وأنقذهم من فرعون الطاغية، وأراهم الآيات، وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، فماذا قالوا؟ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِئْمَانًا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: الآية ٦٤]. وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمُ﴾ [آل عمران: الآية ١٨١].

فقابلوا البعثة بالجحود والكفران، فضربت عليهم الدلة أينما ثقفوا، وأصابتهم اللعنة أينما حلوا ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كانوا لا

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: الآيات ٧٨، ٧٩].

### • أيتها الناس :

وفي قصة البقرة لطائف أذكرها للاستصلاح كما ذكرها أهل العلم، وكما نبه عليها المفكرون.

الأولى: قالوا لإمام أهل السنة والجماعة أبي عبد الله أحمد بن حنبل: أتذبح البقرة أم تُنحر، ما السنة في ذلك؟ فقال الإمام أحمد: بل تُذبح. قالوا: وما الدليل؟ قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: الآية ٦٧]، وقد بَوَّبَ الإمام البخاري في «الصحیح» في كتاب الحج، قال: باب ذبح الرجل البقر<sup>(١)</sup>.

والمقصود من ذلك هو بيان فقه أئمتنا وعلمائنا، هذه العقول المُدْرِكَة، والأذان الواعية والقلوب الثَّيْرَة التي رفعت مستوى الثقافة والإدراك والفهم عند المسلمين، حتى صار المسلمون أمة مرهوبة الجانب، قوية الأركان، صلبة المراس فشرَّفنا أحمد بن حنبل، وتاريخنا ابن تيمية، ومجدنا مالك، وفخرنا الشافعي، وسُوددنا أبو حنيفة، هذا ميراثنا، علم نافع موصول بمشكاة النبوة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوِّرُّ عَلَى تُوِّرٍ﴾ [التور: الآية ٣٥].

أما ميراثُ العملاء، أما تاريخ الحَوْنَة، أما مجد المُنَافِقِينَ والعلمانيين، إما وَتَرَ، أبو بلوت، أو موسيقى حَالِمَة، أو ضِيَاع، أو مُجُون، ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [التور: الآية ٤٠].

الثانية: جواز بيع السَّلْم: وانظر إلى عقل الإمام مالك كيف حلق به في سماء الاستنباط، فاستنتج من قصة البقرة أن مَنْ باع غرضاً بصفة كصفة بقرة بني

(١) انظر «صحیح البخاري» (١٨٤/٤) كتاب الحج، باب (١١٥).

إسرائيل جاز بيعه بصفة معلومة؛ لأن هذه البقرة وُصِفَتْ لهم من الله - عز وجل - فبحثوا عنها فوجدوها.

الثالثة: أنه لا ينبغي للمسلم أن يتشدد، أو يتعنت أمام المسائل الشرعية، ولا ينبغي أيضاً أن يسأل العلماء على وجه التعنت والإفحام، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلوطات<sup>(١)</sup>. بل ينبغي على طالب العلم أن يكون سؤاله للعلم لا للترف الذهني، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا جِئْنَا بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [المائدة: الآيتان ١٠١، ١٠٢].

الرابعة: ويُؤخذ من هذه القصة أيضاً أن الدين يُسر، وأن الله إذا أمر بأمر فينبغي أن يُؤخذ على ظاهره حتى يثبت خلاف ذلك، فعلى المسلم أن يُسارع إلى تنفيذ هذا الأمر دون جدال أو تنطع.

الخاصة: ويُستفاد من هذه القصة أيضاً أن مَنْ سارع في تنفيذ الأمر في أول وقته هو المأجور، فمَنْ صَلَّى الصلاة في أول وقتها كان أجره أعظم من الذي أخرها عن وقتها، قال ابن مسعود: يا رسول الله أي العمل خير؟ قال: «الصلاة على وقتها»، هذه عند البخاري<sup>(٢)</sup>، وعند مسلم<sup>(٣)</sup>، «الصلاة لوقتها»، وعند الترمذي<sup>(٤)</sup>: «الصلاة على مواقيتها».

وكذلك مَنْ حج في أول عمره، ومَنْ تاب في أول عمره، أفضل ممن ترك الحج أو التوبة حتى بلغ الستين، أو السبعين.

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١/٣) كتاب العلم رقم (٣٦٥٦)، وأحمد (٤٣٥/٥) والغلوطات: بفتح الغين المعجمة وضم اللام، وهي المسائل التي يُغالط بها العلماء ليزلوا بها فيحصل بذلك شرٌّ وفتنة. وقال الأوزاعي: هي شِدَاد المسائل وصعابها.

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٤/١) كتاب المواقيت، باب (٥).

(٣) «صحيح مسلم» (٨٨/١) كتاب الإيمان رقم (١٣٥).

(٤) «سنن الترمذي» (٣٢٦/١) رقم (١٧٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

تفرُّ من الهجير وتثقيه      فهلاً من جهنم قد فررتا  
وتشفق للمصير على الخطايا      وترحمه ونفسك ما رحمتا  
ويقبُح بالفتى فعلُ التصابي      وأقبُح منه شيخ قد تفتنا

ولذلك فإن من أحر التوبة، وسوف بها، وفعل الأفعال الشنيعة، فإنه قد أساء إساءتين؛ إساءة المعصية، وإساءة عدم الإعذار من الله، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم، ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم»، وذكر منهم: «الشيخ الزاني»<sup>(١)</sup>.

فإن مثل هذا يأتي يوم القيامة ولا حجة له. قال عليه الصلاة والسلام: «أعذر الله إلى امرئ بلغه ستين سنة»<sup>(٢)</sup>. ومعنى الحديث أن الله - عز وجل - قد قطع عليه الحجة والعذر فلا حجة له ولا عذر عنده، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ نَعَمَّرَكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧].

قال ابن عباس: النذير الشيب، والمقصود: البدار البدار، لا نصبح كبنی إسرائيل نسمع الموعدة فلا نتأثر، ولا نُلقي لها بالاً، وإن تأثر البعض فتأثر وقتي سرعان ما يزول.

إن المطلوب هو الإسراع في صعود سفينة النجاة، ومخالفة أصحاب الجحيم من اليهود والنصارى وسائر ملل الكفر، وقد أمرنا الله - عز وجل - أن نتبرأ منهم ونستعيز من طريقتهم في كل ركعة من أي صلاة فنقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: الآيتان ٦، ٧].

والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

(١) أخرجه مسلم (١٠٣/١) كتاب الإيمان رقم (١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٧١/٧) كتاب الرقاق.

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: مَنْ فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، وَمَنْ فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، والأمة اليوم فيها مدرسة تشابه مدرسة اليهود والنصارى؛ في أفكارها، والتّوائها، ومحاربتها لدين الله - عزّ وجلّ - يظهر ذلك في أطروحاتها المقدّمة، وفي أعلامها العميلة التي تهدم الأخلاق وتحارب الفضيلة وتعمل على تَنجِيَةِ الهويّة الإسلاميّة لهذه الأمة واستبدالها بغيرها من آراء وأفكار اليهود والنصارى.

نسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يُجَنِّبنا جميعاً صراط المغضوب عليهم والضّالّين.

• عباد الله:

صلّوا وسلّموا على مَنْ أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

## ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٧].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصِغِرْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس:

إن علم الله - عز وجل - محيط بالكائنات، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَآخَفَى﴾ [طه: الآية ٧]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَلَّغَ فِي الْأَرْضِ وَمَا

يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿[الحديد: الآية ٤]﴾ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿[الأنعام: الآية ٥٩].

يا مَنْ يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل  
ويرى نياطَ عروقها في مخها والمخ في تلك العظام الشحل  
اغفر لعبدٍ تاب من زلاته ما كان منه في الزمان الأول

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٦﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: الآيات ٦٢ - ٦٤]، مَنْ هو الله؟ ما هي أسماؤه؟ ما هي صفاته؟ ما هي آثاره في الأرض؟! ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْعَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَن كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾﴾ [الرؤم: الآية ٥٠]. سئِلَ موسى عن ربه فقال: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية ٥٠]. وسئِلَ إبراهيم عن إلهه وخالقه ورازقه فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذِّبِّ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: الآيات ٧٨ - ٨٢].

وأنزل الله على نبيه وحبيبه محمد ﷺ سورة عظيمة، يعرفه فيها نفسه، ويذكره فيها بإحاطته لجميع المخلوقات وقيوميته على هذا الكون الفسيح فيقول تبارك وتعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَاهِدْ بِأَقْوَالٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَآخَفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه: الآيات ١ - ٨]، الله يُعَرِّفُ رسوله ﷺ بنفسه أنه الله الذي لا إله إلا هو.

﴿هَلْ تَقَارُوْا لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: الآية ٦٥]، هل تعلم له ندا، هل تعلم له نظيراً، وهل تعلم له شبيهاً، وهل تعلم له كفواً؟ كَلَّا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، فمن آثاره، ومن دلائل خلقه، هذا الكون، كل الكون، السماء تشهد أن لا إله إلا الله، والأرض تشهد أن لا إله إلا الله، والجبال والزهرة والغدير والجدول والشجر والهواء، والضياء وغير ذلك من مخلوقات الله، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَكُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ وَالْدَّوَابَّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: الآية ١٨].

فالله يقول: ﴿طه﴾ [طه: الآية ١] ما معناها؟ حرفان مقطعان، وليس اسماً من أسمائه ﷺ فهما حرفان بُدِئَتْ بهما السورة كما بُدِئَتْ سورة البقرة بـ ﴿المر﴾ [البقرة: الآية ١]، وكما بُدِئَتْ الشعراء بـ ﴿طس﴾ [الشعراء: الآية ١] والنمل بـ: ﴿طس﴾ [النمل: الآية ١]، وكأن المراد بهذه البدايات - والله أعلم -: من هذه الحروف أنزلنا القرآن، ومن هذه الحروف تألف القرآن، وهي حروف معروفة لديكم تتكلمون بها، وتكتبون بها، وتنظمون منها أشعاركم وبياناتكم، فتعالي آيتها الأمة المجيدة في البيان والفصاحة، ويا أيها العرب العرباء، ويا أيها الفصحاء والبُلغاء والشعراء والحكماء، إنني أتحدّاكم جميعاً أن تأتوا بسورة واحدة كسورة ﴿طه﴾، والتحدّي ماضٍ إلى يوم القيامة، والمعجزة باقية إلى قيام الساعة، قرآن كريم، وقرأه الطفل الصغير، والشيخ الكبير، والشاب الطرير ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾ [القمر: الآية ١٧]، ثم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: الآية ٢]، إن هذا القرآن لم ننزله لكي تشقى به، وإنما هو كتاب رحمة وهداية، أنزلناه لتُخْرِجَ به الناس من الظلمات إلى النور، أنزلناه ليكون دليلاً على صدقك ومعجزة تشهد بنبوّتك إلى قيام الساعة، أنزلناه لنرفع به رؤوسكم، ونجعلكم أمة رائدة بعد أن كنتم أمة ضالّة تائهة، تحجّد للوثن، وتعبّد الصنم، وتقدّس الخرافة، وتحْيِي الوثنية، وتؤمن بالكهانة وتصدّق بالسحر والشعوذة.

أنزلنا عليك القرآن لتسعد، لينشرح صدرك، ويستنير قلبك، وتزداد يقيناً فوق يقين بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

وكل مخلوق لا يقتدي بهذا القرآن فهو مظلم القلب، خائن الضمير، فاشل الإرادة، مهزوم العقيدة، متخلف الركب، يتردى في نار جهنم.

قلب بلا إيمان كتلة لحم ميتة، وعين بلا إيمان مُقَلَّة عمياء، وأذن بلا إيمان إشارة خاطئة، ومجتمع بلا إيمان قطع من الضأن.

كنا أمة عربية ضائعة لا تعرف شيئاً، تعرف الوثن، تعرف الصنم، تعرف الزنا، السرقة، الغدر، الخيانة، الفحش، التفلت من شرع الله، فاتى محمد عليه الصلاة والسلام، بالقرآن فبعثها من جديد.

أنتطلبون من المختار معجزةً يكفيه شعب من الأموات أحياء

أتى ﷺ بمكارم الأخلاق، أتى بالدعوة إلى عبادة الواحد، أتى ليقول: الربا حرام، الزنا حرام، الكذب حرام ضياع الوقت حرام، الانهزام حرام، التخلف والتبعية لأعداء الله حرام، إعطاء الولاء لغير الله حرام، فماذا فعل ﷺ؟ في خمس وعشرين سنة ترك أمة رائدة يرفع علمها ويرفرق على المحيط الأطلنطي بقيادة عقبه بن نافع، وعلمها الآخر يدخل كابل مع قتيبة بن مسلم، والثالث محمد بن القاسم في الهند والسند، والرابع طارق بن زياد في أسبانيا، ما الذي تغير؟! ما الذي حوّل هذه الأمة الضائعة اللاهية إلى أمة مرهوبة الجانب تخشاها الأمم، وتتساقط على أقدامها التيجان والعروش؟!.

ما الذي حوّل أمة الإبل والبقر والشاة إلى خير أمة أخرجت للناس؟! إنه دين الله وشرعه، إنه هذا القرآن المجيد. ولذلك كان هذا القرآن تذكيرة لمن يخشى، ولكن من الذي يخشى؟ أهم الذين يسهرون على الأغنية ولعب البلوت؟ أم هم الذين يذهبون إلى الشواطئ الدافئة هناك في بلاد الجنس؟ إن الذي يخشى هو الذي يقرأ في كتاب الله، ويتدبر في أحكام الله، وينظر في دلائل الألوهية وآيات الربوبية في هذه الكون الواسع.

إن الذي يخشى ربه لا يعرف المجلة الخليفة، ولا الساعات الحمراء، ولا الأفلام الهابطة، ولا صحبة السوء من شباب متخلف لا يعرف هدفاً له في الحياة.

إن الذي يخشى هو الذي نظر بعين البصيرة، وتعرف على سنن الله في الأمم السالفة، وكيف دمر الله عليها فلا نرى لهم من أثر ولا باقية، فأخذ من ذلك العبرة، وتجنب طرق هؤلاء حتى لا يكون مصيره كمصيرهم، وحتى لا يصيبه ما أصابهم.

فما هذا القرآن: ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لِّمَن يَخْشَى﴾ ﴿٤﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ [طه: الآيتان ٣، ٤].

فيا أيها الناس... تعالوا، هلموا، أقبلوا على نجاتكم وفلاحكم...  
تعال يا من حاله في وبال ونفسه محبوسة في عقال  
يا راقداً لم يستفق عندما أذن في صبح الليالي بلال  
روض النبي المصطفى وارف وأنتم أصحابه يا رجال

فما قيمة جيل لا يعرف الله، لا يعرف القرآن، ولا يحفظ من القرآن شيئاً، تلاوته الأغنية الماجنة، مصحفه المجلة الخليفة، سواكه السجارة، يتشبه بأعداء الله الكفرة، بأذنان الشعوب، بأقزام البشرية ومدمريها، فكيف يسعد هذا الجيل وقد أعرض عن ذكر ربه؟! وكيف تنتصر الأمة، وقد حادت عن طريق عزها ومجدها؟! ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ [طه: الآيات ١٢٤ - ١٢٦].

فيا من أراد النجاة يوم القيامة! أقبل على كتاب ربك، ويا من أراد الفوز والسعادة، الزم سنة نبيك ﷺ، ويا من أعطاه الله العقل والفهم والتمييز! هذا كتاب الفضاء يشهد بالوحدانية ويقر بالعبودية، ألا سألت الأرض من خلقها،

والسما من رفعها<sup>١</sup> الجبال من أرساها، والزهرة من جمّلها، والنهر من أجراءه،  
والليل من كساه، والتل من غطاه، الكل يشهد بالجلال والعظمة، الكل يعترف  
بالعجز والتقصير، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ  
﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر:  
الآيات ١٥ - ١٧].

يقول الله لرسوله ﷺ في أول سورة: ﴿أَقْرَأْ﴾ [العلق: الآية ١]، وهل كان ﷺ  
يعرف القراءة؟ وهل تعلّم ﷺ أن يقرأ؟ قال بعض أهل العلم: المعنى: اقرأ في  
كتاب الكون، اقرأ في السماء المرتفعة بلا عمد، اقرأ في الأرض المنبسطة،  
اقرأ في الشمس المتوهجة، اقرأ في النجوم المتلألأة، اقرأ في الجدول، في  
الغدير، في الشجر، في الجبل، في الثمر: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾  
[العلق: الآية ١].

فيا عجباً كيف يُعصَى الإله أم كيف يجحده الجاحد  
وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: الآية ٥]، عقيدة ربّانية يقرّها القرآن  
ويطلب من الناس أن يؤمنوا بها، عقيدة لا تعقيد فيها ولا أحاجي لا ألغاز فيها  
ولا صعوبات، عقيدة سهلة كسهولة الماء، عقيدة مُيسّرة يفهمها العامّي والعالم،  
عقيدة واضحة فلا تحتاج إلى فلسفة ولا كلام.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ فلماذا يأتي متحذلق ليمتحن عباد الله،  
فيقول: كيف استوى؟ متى استوى؟ لماذا استوى؟ فهذا لم يخض فيه أحد من  
الأمّة في القرون المفضلة، فما وسعهم يسعنا، وما سكتوا عنه نكث عنه،  
حتى لا تنتهي بنا الحال إلى الحيرة والضلال، نسأل الله السلامة.

إن الذي يعلم نيتك وخطراتك وسكّناتك على العرش استوى، والذي يعلم  
صدّقك ويرى نظرتك، وتحزّك على العرش استوى، والذي يعلم صدق

الصادقين وخيانة الخائنين، وربا المُرابين وزنا الزُّناة، وكذب الكاذبين، وغشَّ العَشَّشة على العرش استوى.

جاء عُمير بن وهب فذهب إلى صفوان بن أمية وكانا جاهِلين مُشركين قبل أن يسلمما، فجلسا عند الكعبة تحت الميزاب، والرسول ﷺ في المدينة النبوية، فماذا كانا يفعلان عند الكعبة؟ يدبران جريمة اغتيال المصطفى عليه الصلاة والسلام!! أكبر جريمة في تاريخ الإنسانية، جلسا تحت الميزاب عند الكعبة يتشاوران في قتله ﷺ، ولكن الذي على العرش استوى مُطَّلِع عليهما، يعلم ماذا يدبران له ﷺ، والله كفيل بأن يُدافع عن نبيِّه وحبِيبه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، عَلِمَ اللهُ تلك المُوامرة الخبيثة؛ لأنه هو الذي على العرش استوى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: الآية ٧]. سمع مقالهم، سمع خطتهم، كَشَفَ مخططاتهم، وأخبر رسوله ﷺ بتفاصيل تلك الجريمة النكراء؛ ليأخذ حذره، ويضع خطه لذلك.

قال ابن إسحاق: جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحَجْر بيسير، وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قُريش، وممن كان يُؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عَناء وهو بمكة، وكان ابْنُه وهب بن عُمير في أسارى بدر.

فذكر عُمير أصحاب بدر ومُصابهم، فقال صفوان: والله إن ليس في العيش بعدهم خيراً؛ قال له عُمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْنٌ عَلَيَّ ليس له عندي قضاء، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبَلَهُم علة: ابني أسيرٌ في أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان، وقال: عليَّ دَيْنُكَ، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يصعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عُمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل.

قال: ثم أمر عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فَشَجَذَ<sup>(١)</sup> له وَسَمًّا، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة؛ فبينما عمرُ بن الخطاب في نَقَرٍ من المُسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمرُ إلى عُمَيْرِ بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمَيْرِ بن وهب، والله ما جاء إلّا لشرّ، وهو الذي حرّش<sup>(٢)</sup> بيننا، وحرّزنا<sup>(٣)</sup> للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمرُ على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله عُمَيْرِ بن وهب قد جاء متوشّحاً سيفه؛ قال: «فأدخله علي»، قال: فأقبل عمرُ حتى أخذ بِجِمَالَةِ سيفه في عُنْقِهِ فلبّبه بها، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث؛ فإنه غيرُ مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

فلما رآه رسولُ الله ﷺ، وعمرُ أخذ بِجِمَالَةِ سيفه في عُنْقِهِ قال: «أرسله يا عمر، اذنُ يا عُمَيْر»، فدنا، ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمَيْر، بالسلام: تحية أهل الجنة»، فقال: أما والله يا محمّد إن كنتُ بها لحديث عهد، قال: «فما جاء بك يا عُمَيْر»؟ قال: جئتُ لهذا الأسير الذي في أيديكم فأخمينوا فيه، قال: «فما بال سيف في عنقك»؟ قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت عتاً شيئاً! قال: «اضدقني، ما الذي جئتُ له»؟ قال: ما جئتُ إلّا لذلك، قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دينُ عليّ وعيالُ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله

(١) وقوله: فَشَجَذَ له: معناه أحذه يقال: شحذت السيف والسكين إذا أحددتهما.

(٢) وقوله: حرّش بيننا: أي أفسد، والتحريش: الإفساد بين الناس وإغراء بعضهم ببعض.

(٣) وقوله: حرّزنا: معناه قَدَّر عددنا، يقال: محزره ألف، أي تقديره ألف.

حائل بينك وبين ذلك»، قال عُمَيْر: أشهد أنك رسول الله، قد كُنَّا يا رسول الله نكذِّبُك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وهذا أمرٌ لم يحضِرْهُ إِلَّا أنا وَصَفْوَانُ، فوالله إني لا أعلم ما أتاك به إِلَّا اللهُ، فالحمْدُ لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المَسَاقَ، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرَبُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ» ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نَوْرِ اللهِ، شَدِيدَ الْأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي، فَأَقْدَمَ مَكَّةَ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ، لَعَلَّ اللهُ يَهْدِيهِمْ، وَإِلَّا أَذَيْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا كُنْتُ أُوذِي أَصْحَابِكَ فِي دِينِهِمْ؟ قَالَ: فَأِذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ، يَقُولُ: أَبْشِرُوا بِوَقْعَةِ تَأْتِيكُمْ الْآنَ فِي أَيَّامٍ، تُنْصِيكُمْ وَقَعَةً بَدْرَ، وَكَانَ صَفْوَانُ يُسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ، حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلَامِهِ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يَكَلِّمُهُ أَبَدًا، وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعِ أَبَدًا.

قال ابن إسحاق:

فلما قَدِمَ عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي مَنْ خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ<sup>(١)</sup>.

• أيتها الناس:

وفي هذه القصة أمور:

أولاً: أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يحفظ نبيّه ﷺ، ويحميه من كل شرٍّ فقد أخبره بالمؤامرة قبل أن تتم وأطلعه على تفاصيلها، كما أخبره بخبر الشاة المسمومة

(١) أخرجه ابن إسحاق مرسلًا عن عروة بن رويم، ورواه ابن منده، والطبراني، انظر:

«الإصابة» (٣/٣٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٣٧١ - ٣٧٢).

ومؤامرة اليهود لقتله عليه الصلاة والسلام، وكما أخبره بخطة قريش لقتله في جوف داره فخرج من بيته مخفياً وجعل علياً مكانه.

ثانياً: رحمته ﷺ وقد تجلّت في موقفه من عمير وعفوه عنه مع أنه كان ينوي قتله ﷺ.

ثالثاً: خبرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وشدة فطنته؛ لأنه علّم من منظر عمير أنه يريد شراً، فأخذه إلى النبي ﷺ، وأطلعه على أمره.

رابعاً: ماذا يفعل الإحسان في الناس، وماذا يفعل العفو في قلوب البشر، إنه يغيّر القلوب ويزلزلها، ويجعلها ترجع إلى الحق وتعود إلى الصواب.

خامساً: ينبغي على من أساء أن يُحسِن، وأن لا ييأس من رحمة الله كما فعل عمير - رضي الله عنه - فإنه لما أسلم، وكان يؤذي المؤمنين عزم أن ينصر الإسلام، وأخذ في الدعوة إلى الله - عز وجل - حتى أسلم على يديه جُمّ غفير.

وقصة أخرى تبين عناية الله - عز وجل - بهذا الرسول الكريم، وأن الله - عز وجل - يحفظ رسوله من كل شرّ وكيد.

ذكر ابن هشام أن فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: «أفضالة»، قال: نعم، فضالة يا رسول الله: قال: «ماذا كنت تحدّث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلّقي الله شيء أحبّ إليّ منه<sup>(١)</sup>.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نمّ فالحوادث كلهنّ أمان

(١) ذكره ابن هشام معلقاً، انظر: «السيرة النبوية» (٤/٨٥).

جاءت امرأة اوس بن الصامت تشكو زوجها، دخلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو في بيت عائشة رضي الله عنها، فأخذت تخفض صوتها لثلاث سمع عائشة كلامها، ولكن الرحمن الذي على العرش استوى سمع القول، قالت عائشة: والله ما سمعت صوتها، ولا أدري ماذا قالت، وهي في طرف البيت بجانبه ولكن الله - عز وجل - سمع وعلم وأنزل في ذلك قرآناً ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾<sup>(١)</sup> [المجادلة: الآية ١]، الرحمن على العرش استوى يراك وأنت وراء الحيطان، وأنت بين الجدران، وأنت تُغلق الأبواب لتختلي بنفسك في معصيته تبارك وتعالى.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان  
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

أتى أحد الأدباء إلى الإمام أحمد، فقال له الإمام أحمد: مَنْ أنت؟ قال: أنا أديب أحفظ أشعار العرب، قال: أسمعني بعض الأبيات - الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، الذي إذا جلس في الغرفة وحده كفكف جسمه وتهيأ وانضبط في جلسته وخشع لله كأنه سوف يموت بعد لحظات، ولذلك قال له أحد أبنائه:

نراك إذا جلست مع الناس جلست مستريحاً منبسطاً، وإذا جلست وحدك  
كفكفت نفسك، قال: أما يقول الله: «أنا جليس مَنْ ذكرني» فهو معي يراني  
حيث كنت ..

قال الأديب للإمام أحمد: اسمع يا إمام:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تُخفي عليه يغيب

(١) انظر: القصة بلفظها في «سنن ابن ماجه» (٦٧/١) رقم (١٨٨)، وعند البخاري بعضها (١٦٧/٧) كتاب التوحيد.

فترك كتبه، ومحبّرتة، وقلمه، وقام وأغلق غرفته قال هذا الأديب: والله  
لقد سمعت بكاءه من وراء الباب وهو يرّد البيت:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ

فراقبوا الله، واستحيوا منه، واعلموا أنكم محشورون إليه تبارك وتعالى  
حُفَاةُ عُرَاةٍ غُرْلًا ليس بينكم وبينه حجاب ولا ترجمان، نسأل الله - عزّ وجلّ -  
الخشية في السرّ والعلن. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم  
ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التّوّاب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله، الحمد لله رب العالمين، وليّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وحقّة الله على الناس أجمعين، خيرة المتقين، وصفوة الأولياء الصادقين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

• أما بعد:

فقد سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>.

فالإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة.

أورد أهل العلم أن رجلاً خَلا في غابة بمعصية، وظن أنه لا يراه أحد، رأى الشجر قد غطاه، ونسي الله، ورأى الليل قد حماه وستره وآواه، ونسي الله، ثم قال في نفسه، وقد أقبل على المعصية، هنا لا يراني أحد، ولا يعلم بي أحد، فسمع هاتفاً يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: الآية ١٤].

مرَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأرضاه - براعي غنم في طريق المدينة، راعٍ يرعى الغنم، لكنه يحمل عقيدة الإيمان، راعٍ يرعى الضأن، لكنه يخاف

(١) أخرجه مسلم (٣٧/١) رقم (٨).

الرحمن، قال له عمر: بغني شاة من غنمك، قال: الغنم لسيدي وأنا مولى عنده، قال: إذا سألك عن الشاة، فقل: أكلها الذئب - يريد أن يختبر إيمانه - قال: لا إله إلا الله كيف أقول أكلها الذئب؟ أين الله؟! فجلس عمر يبكي ويقول: أين الله؟

فهل سأل كلُّ منا نفسه: أين الله؟ هل سأل المسؤول نفسه في الدائرة، وفي العمل، وفي المؤسسة، أين الله؟ فحاسب نفسه على الساعات، وعلى المعاملات.

ويأتي البائع فينسى ربّه الذي يعلم السرّ وأخفى، فيغشّ في بيعه، ويبخس في أخذه وعطائه، مُرابٍ، مدلس، مُزور، ظنّ أنه بعيد عن الله، ووالله ما ذهب عن قبضة الله، ومقصود رسالة الرسول ﷺ، أن تعلم الأمة ببارئها تبارك وتعالى، وأن تقود القلوب إلى فاطرها، وأن تُقيم العدل والحق والسلام في العالم، وإذا تذكّر الناس مولاهم، وتذكّروا أنه يراهم، وتذكّروا أنه يعلم سرّهم ونجواهم، أضلّح الله الحال، لكن غابت مُراقبة الله، وغابت خشية الله، فأكل الحرام والرّبا، ووجّد الرّزنا، وانتشر البخس والغش في البيع والشراء، وخان الموظف - إلا من رحم ربك - في وظيفته، وأهمل في عمله، ولم يُتقن الأستاذ مادّته. وتفلّت الطالب من مهامه ودراسته، ونظرت العيون إلى المُحرّمات، وكثّر الفساد، وضاع العباد، وقحطت البلاد، سدّنا ما بيننا وبين السماء بالمعاصي، ثم قلنا: يا ربّ يا ربّ، يا ربّ اسقنا، فما كان لدموعنا إجابة، وما كان لدموعنا أثر؛ لأن معاصينا تغدو وتروح؛ ولأن ذنوبنا تفوح، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرّوم: الآية ٤١].

• عباد الله:

صلّوا وسلّموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا  
وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ  
الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا  
مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## الظلم ظلمات

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: الآية ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: الآيات ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

• أيها الناس:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - وأرضاه - عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً

فلا تظالموا، يا عبادي كلِّكم ضالًّا إلا من هديته، فاستهدوني أهدِّكم، يا عبادي كلِّكم جائعٌ إلا من أطعته، فاستطعموني أطعنكم. يا عبادي كلِّكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني اكسُكم. يا عبادي إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبُلُّوا ضُرِّي فتضُرُّوني. ولن تبلفوا نفمي فتنفعونني. يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيطُ<sup>(١)</sup> إذا أُدخِلَ البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه». رواه مسلم<sup>(٢)</sup>، وأحمد<sup>(٣)</sup>، والترمذي<sup>(٤)</sup>، وابن ماجه<sup>(٥)</sup>، وهذا حديث شريف أشرف حديث لأهل الشام ودمشق<sup>(٦)</sup>. وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الدين، كان التابعون إذا حدَّثوا به جثوا على رُكَبهم من عِظمه.

وأكبر قضية في هذا الحديث؛ أن الله - عز وجل - حرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين الناس مُحَرَّماً.

(١) قال العلماء: هذا تقريب للأفهام، ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً، والمخيط: الإبرة، وضرب المثل بها؛ لأنها صقيلة، فلا يتعلق بها ماء إذا وُضِعَتْ فيه.

(٢) مسلم (٤/١٩٩٤، ١٩٩٥) رقم: (٢٥٧٧).

(٣) «المسند» (٥/١٦٠).

(٤) الترمذي (٤/٥٦٦، ٥٦٧) رقم: (٢٤٩٥).

(٥) ابن ماجه (٢/١٤٢٢) رقم: (٤٢٥٧).

(٦) أورد الإمام النووي هذا الحديث في آخر كتابه «الأذكار» بإسناده، ثم قال: رجال إسناده مني إلى أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كلهم دمشقيون!!

قال عز من قائل: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية ٤٦].

وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. حرّمه

سبحانه وتعالى على نفسه، فلا يظلم، ولا يهضم.

والظلم أن يزيد في سيئات من لم يُسئ، واليهضم أن يُنقص من حسنات

من أحسن.

قال عز من قائل: ﴿وَمَن يَمَلِّ مِن أَلْسِنَتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا

هَضْمًا﴾ [٧٦] [طه: الآية ١١٢]. والظلم من صفات العبيد، وقد حذرهم ربهم

تبارك وتعالى منه. فأظلم الظالمين هو العبد إذا أشرك بالله.

لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]. شق

ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول

الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿بَيْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

إِنَّكَ أَشْرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]»<sup>(١)</sup>.

ووصف الله العبد بأنه ظالم فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنَّا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٧٦]

[الأحزاب: الآية ٧٢].

فالعبد ظالم مع الله، وظالم مع نفسه، وظالم مع الناس.

أما مع الله، ففي الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى قال: «عجباً لك

يا ابن آدم، ما أنصفني! - أي: ما عدلت بيني وبينك - خلقتك وتعبد غيري،

ورزقتك وتشكر سواي، أتحبب إليك بالنعم، وأنا غني عنك، وتجنّض إلي

بالمعاصي وأنت فقير إلي، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد».

(١) أخرجه البخاري (٤/١٣٧)، ومسلم (١/١١٤) رقم: (١٢٤).

وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وأرضاه - أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: شتني ابن آدم وما ينبي له أن يشتني، ويكذبني وما ينبي له؛ أما شتُّهُ، فقلوه: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقلوه: ليس يعيدني كما بداني»<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله - عز وجل -: يؤذيني ابن آدم! يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»<sup>(٢)</sup>.

أما الظلم بين الناس، فهو معروف، وقد حذّر منه النبي ﷺ، أيما تحذير، وهى عنه أشد النهي، فقال ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعْ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ»<sup>(٤)</sup> الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا اليوم سيندمون حيث لا ينفع الندم، وسيصرخون قائلين: ﴿يَوَيْلَنَا مَا لَمْ نَكْتَبِ لَكَ بِهَذَا كِتَابًا وَلَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْسَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ قِنْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٣/٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧/٨)، ومسلم (١٧٦٢/٤) رقم: (٢٢٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩/٣) عن ابن عمر، وليس فيه «اتقوا الظلم»، ومسلم واللفظ له (٤/١٩٩٦) رقم: (٢٥٧٨) عن جابر، ورواه مسلم أيضاً بلفظ البخاري عن ابن عمر، رقم: (٢٥٧٩).

(٤) طَوْقَهُ: أي جعله طوقاً في عنقه.

(٥) أخرجه مسلم (١٢٣٠/٣) رقم: (١٦١٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٠٠/٣)، ومسلم (١٢٣٢/٣) رقم: (١٦١٢).

وتأتي امرأة، وهي أروى بنت أويس، فتدعي على سعيد بن زيد رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة - أنه اغتصب شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيد: أنا كنتُ آخذُ من أرضها شيئاً، بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ! قال مروان: وما سمعت من رسول الله ﷺ? قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ». فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا. فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فَعَمُ بَصَرَهَا، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حُفْرَةٍ فماتت<sup>(١)</sup>!!.

وفي رواية: فرأيتها عمياء تلمس الجُدْر، تقول: أصابتنِي دعوة سعيد بن زيد، فينما هي تمشي في الدار، مرّت على بئر في الدار، فوقعت فيها. فكانت قبرها<sup>(٢)</sup>!! ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: الآية ١٠٢].

قال أحد التابعين: إذا مررت بأرض قد خربت، وبأهلها قد تفرّقوا وبأنسٍ قد تشعب، وببهاء قد تبدّد، وبمال قد فني، وبصحة قد ذهبت، فاعلم أنها نتيجة الظلم.

ومن ذلك روى ابن كثير في «تاريخه»، أن البرامكة، الأسرة الشهيرة الخطيرة التي كانت تتولى الوزارة لهارون الرشيد في بغداد، بلغوا من الترف والرقي؛ أن أحدهم كان يصبغ قصره، من الداخل والخارج بماء الذهب والفضة، فكانت تلمع قصورهم مع الشمس، فضيّعوا الأموال، وسفكوا الدماء وبغوا، وطفغوا، فأخذهم الله أخذ عزيز مُقتدر.

(١) أخرجه البخاري (٧٤/٤)، ومسلم واللفظ له (١٢٣١/٣). رقم: (١٦١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٣١/٣) رقم: (١٦١٠).

والرسول عليه الصلاة والسلام كما صح عنه يقول: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»<sup>(١)</sup>، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: الآية ١٠٢]، فسَلَطَ اللهُ على هذه الأسرة أحبَّ الأحاب إلىهم، وأقرب الأقرباء إلى قلوبهم، وأصدق الأصدقاء، وهو هارون الرشيد الخليفة، فأخذهم في ليلة واحدة، فجَلَدَ كل واحد منهم ألف سوط، ثم قَطَعَ أيديهم وأرجلهم، وقتلهم شَرَّ قَتْلَةٍ، واستولى على أموالهم، وهدم قصورهم، وسجن نساءهم، فدخلوا على شيخ منهم وهو يُعَذَّبُ ويبكي تحت السِّياط، فقال له بعض العلماء: ما هذه المصيبة التي حَلَّتْ بكم؟ قال: دعوة مظلوم سَرَّتْ في الليل، نَمْنَا عنها، والله ليس عنها بنائم.

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا      فالظلم يرجع عِقَابُهُ إِلَى النَّدَمِ  
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ      بدعو عليك وعينُ الله لم تَنَمِ

ولذلك قال ﷺ: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ - عز وجل - : وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين»<sup>(٢)</sup>.

ولمَّا أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، كان آخر ما أوصاه به، قوله: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢١٤/٥)، ومسلم (١٩٩٧/٤) رقم: (٢٥٨٣). ومعنى يُملي للظالم: أي يمهّل، ويؤخّر، ويُطيل له في المدة. ولم يُفلته: أي لم يطلقه.

(٢) أخرجه الترمذي (٥٣٩/٥) رقم: (٣٥٩٨) عن أبي هريرة وقال: حديث حسن، وأخرجه بإسناد آخر (٥٨٠/٤) رقم: (٢٥٢٦) عن أبي هريرة أيضاً، وقال: هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي، وليس هو عندي بمتصل. وأخرجه ابن ماجه (٥٥٧/١) رقم: (١٧٥٢).

قال الحافظ في «أمالي الأذكار» فيما نقله عنه ابن علان في «شرح الأذكار» (٣٣٨/٤): هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦/٢)، ومسلم (٥٠/١) رقم: (١٩).

ولمّا أهين الإمام أحمد، إمام أهل السنة - ﷺ وأرضاه - كان الذي سعى في سجنه، وفي ظلمه، وفي جَلده، أحمد بن أبي دؤاد، أحد الوزراء المُقرَّبين من الخليفة المعتصم، فرفع الإمام أحمد يديه إلى الحيّ القيوم، ثم قال: اللهم إنه ظلمني فاحبسه في جسمه، وعذِّبه، وشرِّده أيّما شرِّد.

قال العلماء: فوالله ما مات، حتى أصابه الله بالفالج في نصفه، فنصف مُصاب بالفالج قد مات وبس من جسمه، ونصف حيّ.

دخلوا عليه وهو يخور كما يخور الثور، فقالوا: ما لك؟ قال: دعوة الإمام أحمد أصابتنني؛ أما نصفي الأيمن، فوالله لو وقع عليه ذُباب لكأن جبال الدنيا سقطت عليه، وأما النصف الآخر، فوالله لو قُرِضَ بالمقاريض ما أحسست ألماً. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] وهذه سنة الله في الأرض، فإن الله دمر الديار، وأهلك الأمم، وأفنى الشعوب لما ظلموا، سنة مُحكّمة وحِكْمَة بِالْعَمَّةِ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال الذهبي في ثبلائه: دخل أحد المشايخ من الصالحين، الأولياء، العباد، على أحد الطُغاة المُتَكَبِّرين، فنازعه في بعض الكلام، وأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، فقام إليه هذا الطاغية فضربه على وجهه. فقال: لطمتني! أسأل الله أن يقطع يدك، قال: اغف عني، قال: لا والله، حتى نحتكم عند الله. قال الذهبي: فأثّر أنه ما مرّ عليه أسبوع، إلا وقد استولِيَ على ما عنده، وأخذ قصره، وقطعت يده، وعُلقت أمام الناس!!

إن الظلم ظُلُمات يا عباد الله، إن الظلم مَحَطَّةٌ وَمَغْضَبَةٌ، إنه لعنة، ولذلك صح عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله من غير منار الأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٦٧) رقم: (١٩٧٨).

ومنازل الأرض هي علامات حدودها، التي تقسم في المزارع، وفي الأراضي، وفي الأملاك، فمن غيرهِ بِغَيْبَةِ شريكه، وعدم رضاه، فهو ملعون عند الله - عز وجل - وفي الأثر؛ أن الله إذا جمع الأولين والآخرين إلى يوم لا ريب فيه؛ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا، قد وقفوا في صعيد واحد، وتجرّدوا للحساب، تجلّى الله سبحانه وتعالى، تجلّى على عرشه، يحمله ثمانية، فنادى بصوت يسمعه مَنْ قَرَّبَ، كما يسمعه مَنْ بَعُدَ، فيقول عز من قائل: «أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الملك أين ملوك الأرض؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟»، فلا يُجيبه لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ. فيُجيب نفسه بنفسه تبارك وتعالى ويقول: «الله الواحد القهار»، ثم يقول: «إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فوعزتي وجلالي لا تنصرفون اليوم، ولأحد عند أحد مَظْلَمَةٌ». فتُنصّب الموازين، وتُرفَع الصُّحُف، ويحضر الملائكة، ويأتي الظلّمة، يعضّ كل ظالم على يده حتى يأكلها، فيقتصّ الله للمظلوم ممّن ظلمه، بحكمه العَدْل، وميزانه القسط، حتى يُؤتَى بالبهايم، فتُحسّر كالجبال، ما بين الإبل، والبقر، والغنم، والعجماوات، والطيور، فيتجلّى الله لها، فيقتصّ بعضها من بعض، حتى يقتصّ للشاة الجماء من ذات القرن، فإذا انتهى من الحكم بينها تبارك وتعالى، قال لها: «كوني تراباً»، فتكون تراباً، فيقول الكافر عندها: «يا ليتني كنت تراباً».

فالله الله يا عباد الله، فما جفّ القطر، وما نُزِعَت البركة، وما تباغضت القلوب، وما فسد الأولاد إلا من الظلم.

إن الظلم ظلمات في القلب، وفي القبر، وفي الحياة، وفي الآخرة.

إن الظلم لعنة، ومسخطة، فاتقوه يا عباد الله، أوصي نفسي وإياكم باتقاء الظلم؛ في المعاملات، في الأقوال، في الأخلاق، فإنكم سوف تُعرَضون على ربكم ليس بينكم وبينه حجاب ولا ترجمان. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

مَرَوْ وَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

والظلم يدخل في البيع والشراء، يجمع الله المماكسين الغشّة، ليوم لا رب فيه، فيصّف منهم الناس.

والظلم يدخل في ظلم الولد لوالديه، وهو العقوق، وقد حرّمه الله أشدّ تحريم، قال الله - عز وجل - : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: الآيات ٢٢، ٢٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»<sup>(١)</sup>.

والظلم يدخل كذلك على القضاة، وعلى المسؤولين كما صحّ أن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشيرة، إلا يؤتى يوم القيامة، مغلولة يده إلى عنقه؛ أطلقه الحق، أو أوبقه»<sup>(٢)</sup>.

سجن هارون الرشيد أبا العتاهية، فأرسل له من السجن رسالة يقول فيها:

أما والله إن الظلم شؤم      وما زال المُسيء هو الظلومُ  
إلى الديان يوم الحشرِ نمضي      وعند الله تجتمع الخُصومُ  
فبكى هارون الرشيد، حتى فحص برجله، وأمر بإرضائه، وأطلقه ولذلك يقول:

أيا رب إن الناس لا ينصفونني      وكيف ولو أنصفْتهم ظلموني  
سأمنع قلبي أن يحنّ إليهم      وأحجب عنهم ناظري وعيوني

(١) أخرجه مسلم (١٩٨١/٤) رقم: (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه الدارمي (٣١٣/٢) رقم: (٢٥١٥)، وأحمد (٤٣١/٢)، (٥/٢٦٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٣)، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» لليهقي، وصحّحه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٩٦).

ولكن الأسلم لمن ظلم؛ أن يتغفر الله، فما أصابه الظلم إلا بذنوبه، وأن يرجو الثواب والجزاء والأجر عند الله، وأن يتصدق بعرضه على الناس، كما فعل أبو ضمضم - صحابي جليل من أصحاب رسول الله ﷺ - كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي؛ فمن شتني، أو قذفني فهو في حل.

• عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، إمام المتقين، وحجة الله على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

• أما بعد:

ففي الحديث المتقدم يقول الله تبارك وتعالى: «يا عبادي إنكم تذبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم».

وهذا قد دلّ عليه الكتاب والسنة. قال عزّ من قائل: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: الآية ٥٣]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥]. ولذلك أثر عند كثير من أهل العلم؛ أن عابداً من بني إسرائيل عبّد الله أربعين سنة، ثم رجع على عقبه، وعصى الله أربعين سنة، فلما نظر إلى المرأة، وجد الشيب قد غطى لحيته ورأسه، فبكى وقال: يا ربي! أطعنتك أربعين سنة، وعصيتك أربعين سنة، فهل لي من توبة؟ فسمع هاتفاً يقول: أطعنتنا فقرّبناك، وعصيتنا فأمهلتناك، وإن رجعت إلينا قبلناك!!.

فإنه الله في العودة إلى الله دائماً وأبداً، فإننا جميعاً أهل ذنوب وخطايا،  
إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى، كما قال ﷺ: «كلُّ ابنِ آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطائينَ  
التَّوَابُونَ»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذبوا لذهب اللهُ بكم،  
ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون اللهُ فيغفر لهم»<sup>(٢)</sup>.

فليس هناك حلٌّ لهذه الورطة - ورطة الذنوب والخطايا - إلا بالتوبة  
النُّصوح، والاستغفار صباح مساء، وأن نذراً بالحسنة السيئة، فإن الله مدح قوماً  
فقال: ﴿وَيَذَرُوهُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: الآية ٢٢]. وقال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: الآية ١١٤].

قال: ابن عباس - رضيهما -: أضحوا تائبين، وامشوا تائبين،  
فإنكم في الذنب والخطيئة صباح مساء.

وصدق - رضاه - فإن عيوننا تُذنب، وقلوبنا تُذنب، وأذاننا،  
وأبصارنا، وأرجلنا، وأيدينا، ولا يغسلها إلا التوبة والاستغفار، ف: (توبوا إلى  
الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)، واستغفروا الله يغفر لكم، وقدموا من  
الحسنات ما يكفر عنكم السيئات، ومن فعل منكم في سابق العمر ذنباً، مهما  
بلغ عظمه، ولو كان كالجبال، فليعلم أن الله يغفر الذنوب جميعاً، وأن الله لا  
يتعاضمه شيء، وأن الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم أضلّ راحلته في الصحراء،  
ثم وجدها عليها طعامه وشرابه<sup>(٣)</sup>.

فيا فرحة التائبين، ويا قرة عيون المؤمنين، ويا سرور المستغفرين.

(١) أخرجه الترمذي (٥٦٩/٤) رقم: (٢٤٩٩) قال الترمذي: غريب. وابن ماجه (١٤٢٠/٢)  
رقم: (٤٢٥١)، وأحمد (١٩٨/٣)، والدارمي (٣٩٣/٢) رقم: (٢٧٢٧)، وهذا الحديث  
قواه ابن حجر في «بلوغ المرام»، وحسنه الألباني، كما في «المشكاة» (٧٢٤/٢)،  
و«صحيح الجامع» رقم: (٤٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٦/٤) رقم: (٢٧٤٩).

(٣) جزء من حديث، أخرجه مسلم (٢١٠٣/٤) رقم: (٢٧٤٤).

• عباد الله :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾  
[الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاغْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا  
وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ  
الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا  
مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

## أَيُّهَا الْعَاقُّ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَتُغَفَّرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النِّسَاءُ: آيَةُ ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب:

الآيَاتَانِ ٧٠، ٧١].

• أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ  
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في  
النار.

• أَيُّهَا النَّاسُ:

عنوان هذه الخطبة: «أَيُّهَا الْعَاقُّ».

والعقوق صورته كثيرة، وهو من أخطر ما ابتليت به هذه الأمة، ومن أبرز صور العقوق: عقوق الوالدين، عقوق الابن لأمه وأبيه، وقد نهى الله - عز وجل - عن عقوق الوالدين، ولو بأقل الألفاظ فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آفَى وَلَا نَهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝١٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝١٤﴾ [الإسراء: الآيتان ٢٣، ٢٤].

وقرن سبحانه شكر الوالدين بشكره، فقال: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٤].

وجعل الإحسان إليهما بعد الأمر بعبادته وحده لا شريك له فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣].

والإحسان إلى الوالدين هو وصية الله تبارك وتعالى لعباده كما قال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [النكبت: الآية ٨].

وقد شدّد النبي ﷺ على عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر، وقرنه بالشرك بالله - عز وجل - فعن أبي بكره قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين...» الحديث<sup>(١)</sup>.

ومع كل هذا الترغيب في طاعة الوالدين والإحسان إليهما وبزهما، والترهيب من عقوقهما وعصيانهما، نجد صوراً مأساوية يتجلى فيها العقوق بأبشع صورته، فالولد يتهم على والده، ويستهزئ به في المجالس، ويسخر منه أمام الناس، ويشتم أمه، وربما ضربها بيديه ورجليه، ولطالما كانت تمسح عنه الأذى بيمينها، وتسهر عليه إذا اشتكى، فلا تنام حتى ينام، ولا تستريح حتى يستريح.

(١) أخرجه البخاري (١٥٢/٣) كتاب الشهادات، ومسلم (٩١/١) رقم (٨٧).

ولقد فُجِعْنَا جميعاً، وفُجِعَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، ووضَعَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ من هذا الحَدِيثِ الرهيب، ومن هذه الجريمة الشَّنْعَاءِ، رجلٌ يُفْتَرَضُ أنه من المسلمين يتآمِرُ مع زوجته على قتل أمه، فتمسك زوجته أمه بيديها، ويأتي هذا المجرم بسكينٍ ويطعن أمه طعنة، إلا أنها لم تُمِتْ منها واستطاعت أن تخلص من امرأة ابنها، ولكن الابن المارد الخبيث أبى إلا أن يقتلها، فطاردها وأراد طعنها مرة أخرى، فأصكت السكين بكفها، فانتزع منها السكين بقوة فقطع أصابعها، ثم ألقى عليها باباً من الخشب، فأصكتها امرأته، فأخذ يطعننا طعناً مُتتالياً، ولم يكتفِ بذلك، بل أتى ببطارية سيارته وسكب عليها ماء البطارية ليتفتن في قتلها، وليستمع بمشاهدة أمه وهي غارقة في دمانها!!.

حقاً لقد فُجِعَ المسلمون بهذه الجريمة، التي نشرتها الصُّحُفُ وتكلمت عنها الإذاعات، والحمد لله فقد طُبِقَ عليهما حدُّ الله وحُكِمَ عليهما بالقتل تعزيراً، ونُقِدَ فيهما هذا الحكم العادل وذهبا إلى الله - عزَّ وجلَّ - يَحْمِلَانِ الخزي والعار والخسَّةَ، فلعتهم القلوب ولم تترحم عليهما الأليسة.

إلهذا الحدِّ وصلت بنا الحال؟ أين الله؟ أين كلامه، أين رسوله؟ أين شرعه؟ بل قل: أين الفِطْرَةَ التي فَطَرَ اللهُ عليها الإنسان، أن يُحِبَّ أمه ويُحِينَ إليها!!.

إن الإنسان مهما أحسنَ إلى أمه فلن يُؤْفِيها حقَّها، ولن يستطيع أن يعوضها عن تلك السنين التي أفتتها في خدمته وتريبته.

وإنِّي لأتخيَّلُ هذه القصة وقد اكتظَّ الحَرَمُ بالطائفتين من الحجاج والشمس مشتعلة، والجو ملتهب، والزحام خانق، والناس يطوفون حول الكعبة المُشْرِفة يسألون الله ويتضرعون إليه في مشهد من أعظم مشاهد العبودية.

ومن بين هؤلاء جميعاً حاجٌّ من اليمن، أتى يحمل أمه على كتفيه، تصبَّبَ عرقه، وتتابعَت أنفاسه، وخارت قواه، وكلُّ مَنَّهُ، وهو يطوف بها؛ لأنها مُقَدَّعة لا تستطيع الطواف.

راى أن من الير بأمه، ومن باب رد الجميل أن يحملها ويحج بها وهي على ظهره، لعله بذلك يكون قد أدى بعض الحق الذي عليه، ألم يكن في فترة من الفترات جنيناً بين أحشائها يأكل من لحمها وعظامها، ألم تتألم بسببه أثناء الحمل، ثم لما خرج من بطنها طفلاً صغيراً رضيعاً ضعيفاً، لا يملك من أمره شيئاً، ألم تسهر على راحته؟ ألم تُرضعه من جسدها؟ ثم ظلّ على تلك الحال أعواماً عديدة، يمرض فسهر عليه حتى يعافيه الله، ويجوع فلا ترتاح إلا بعد أن يشبع، ويظماً فلا تهدأ حتى يروى.

فتذكر هذا الرجل كلّ ذلك، وظنّ أنه يحمل أمه على ظهره، أنه بذلك قد كافأها، وردّ إليها حقوقها.

وفي أثناء طوافه بأمه مرّ بالصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنه وعن أبيه - وهو واقف عند المقام، فقال الرجل: السلام عليك يا ابن عمر... هذه والدتي أنا ابنها أترى أنني كافأتها بذلك؟ فقال ابن عمر: والذي نفسي بيده ولا بطلقة واحدة من طلق الحمل!!.

هذا التعب الذي تحمّله الرجل وهو يحمل أمه ويؤدّي بها مناسك الحج، وهذه المشقة، وهذا العرق والإعياء والمُعاناة، لا يفي بظفرة واحدة من ظفرات الأم في ساعة الحمل، فكيف بإحسانها كله إليك، وكيف بتاريخها الطويل معك ومع إخوتك وأخواتك.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: «أذهب فأتني بأبيك»، فنزل جبريل، عليه السلام، فقال: إن الله يُقرئك السلام، ويقول: إذا جاءك الشيخ فسَله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه!! فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟» فقال: سَله يا رسول الله هل أنفقه إلا على عمّاته أو خالاته، أو على نفسي؟ فقال النبي ﷺ: «إيه دعنا من هذا، أخبرنا عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك»، فقال الشيخ: والله يا رسول الله

ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي، فقال: «قل، وأنا أسمع»، قال: قلت:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعا  
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت  
كأنني أنا المطروقُ دونك بالذي  
تخافُ الزدى نفسي عليك وإنها  
فلما بلغت السنَّ والغاية التي  
جعلت جزائي غلظةً وفضاظةً  
فليتكَ إذا لم تزع حقَّ أبوتي  
تعل بما أجنبي عليك وتنهلُ  
لسقمك إلا ساهراً أتحمَلُ  
طُرفت به دوني فعيناي تهملُ  
لتعلم أن الموتَ وقت مؤجَّلُ  
إليها مدى ما فيك كنتُ أوْملُ  
كأنك أنت المُنعمُ المتفضلُ  
فعلت كما الجارُ المجاوزُ يفعلُ

قال: فحيثُ أخذ النبي ﷺ بتلايب ابنه وقال: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حبان: معناه أنه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعاملُ به الأجنبيين، وأمره بيزه والزفق به في القول والفعل معاً<sup>(٢)</sup>.

وحذر النبي ﷺ من إغصاب الأب وإسخاطه فقال عليه الصلاة والسلام:  
«رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو الشيخ في عوالي الحديث (١/٢٢/١)، والطبراني في «الصغير» ص (١٩٥) قال الطبراني: لا يروى عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر إلا بهذا الإسناد، تفرد به «عبيد بن خصة».

قال الألباني: ولم أجد من ترجمه، والمنكدر بن محمد بن المنكدر لئن الحديث كما في «التقريب».

قلت: وقول النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» صحيح أخرجه ابن ماجه رقم (٢٢٩١)، (٢٢٩٢)، وأبو داود (٣٥٣٠). انظر: «الإرواء» (٣/٣٢٤)، «صحيح الجامع» رقم (١٤٨٦)، و«الإحسان» رقم (٤١٠).

(٢) «الإحسان» (١٤٣/٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٤/٤) رقم (١٨٩٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» رقم (٤٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢). وصححه الذهبي في كتاب «الكبائر» ص (٤٢)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥١٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأحفظ وإن شئت فضيع»<sup>(١)</sup>.

فهذا حق الوالد على ولده، ولكن - ويا للأسف - فإن الذين يقومون بهذا الحق هم الأقلون، والذين يضيعونه هم الأكثرون، فما أكثر ما نسمع عن أناس قويت سواعدهم، واشتدت كواهلهم، فأول ما فعلوا أن تكبروا على أوامر الله تعالى وشرعه، فأعرضوا عن كتاب الله، وأعرضوا عن سنة رسوله ﷺ، لم يعرفوا طريقاً إلى المجد، ولا سبيلاً إلى طاعة من الطاعات، ثم بعد ذلك عقوا الوالدين في وقت ضعفهما، في وقت قد بلغا فيه أذل العمر، وهما في حاجة إلى العطف والحنان والرعاية من هؤلاء الأبناء.

فكم رأينا من شيخ يبكي بسبب ابنه، وكم رأينا من امرأة طاعنة في السن تدب على الأرض ديبياً تشكو ابنها وهي باكية مُنتحبة، ونحن نرفع تلك الشكاوى إلى مَنْ لا يغفل ولا ينام، نرفعها إلى الواحد الأحد، الذي لا تخفى عليه خافية، والذي لا تسقط عنده مظلمة، ولا تضيع لديه شكاية.

يقص علينا النبي ﷺ قصة ثلاثة من بني إسرائيل، خرجوا يتمشون فأخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فأنحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم - أي سد عليهم باب الغار فلا يستطيعون الخروج - فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحاً لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله أن يفرجها عنكم، فقال أحدهم - وهو موضع الشاهد من هذا الحديث :-

اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرخت عليهم<sup>(٢)</sup>، حلت، فبدأت بوالدي فقيتهما قبل بني، وأنه

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٥/٤) رقم (١٩٠٠)، وأحمد (١٩٦/٥)، وابن ماجه (٦٧٥/١) رقم

(٢٠٨٩) قال الترمذي: حديث صحيح. وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٩١٣).

(٢) أرحت عليهم: أي إذا عدت بالماشية إليهم من المرعى.

نأى بي ذات يوم الشَّجَرُ<sup>(١)</sup>، فلم آتِ حتى أسيئتُ، فوجدتهما قد ناما، فحلبتُ كما كنتُ أحلبُ، فجنثُ بالجلابِ، فقمْتُ عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصَّبِيَّةَ قبلهما، والصَّبِيَّةُ يتضاغون<sup>(٢)</sup> عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم<sup>(٣)</sup> حتى طلع الفجر، ثم دعا الله فقال: اللّهُمَّ إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاءَ وجهك، فافرج لنا منه فرجةً نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجةً فرأوا منها السماء<sup>(٤)</sup>، ثم دعا الثاني والثالث حتى انفرجت عنهم الصخرة، وخرجوا يمشون.

والشاهد من القصة أن الله استجاب لهذا الرجل ببرّه لوالديه ولعدم تفضيله أحداً من أبنائه وزوجته عليهما.

فكيف بنا اليوم نسمع ونشاهد مَنْ يُغْضِبُ أُمَّه لترضى زوجته، وَمَنْ يَقْطَعُ أُمَّه لِيَصِلَ زوجته، وَمَنْ يَحْرِمُ أُمَّه وَيُغْدِقُ على زوجته، إن هذا من أعظم الكبائر.

وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطِعُ رَجِمٍ»<sup>(٥)</sup>، فمَنْ قَطَعَ أباه وأمه حرّم الله عليه الجنة؛ لأنه خبيث الطَّبَعِ، سيء الخلق، مُنْكَرٌ للمجميل والمعروف.

وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّجِمُ فقالت: هذا مقام العائِذِ من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك»<sup>(٦)</sup>.

(١) أي بَعْدَ المرعى.

(٢) أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٣) دأبي ودأبهم: أي حالي وحالهم.

(٤) أخرجه البخاري (٥١/٣) كتاب الإجارة، ومسلم واللفظ له (٢٠٩٩/٤) رقم (٢٧٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢/٧) كتاب الأدب، ومسلم (١٩٨١/٤) رقم (٢٥٥٦).

(٦) أخرجه البخاري (٧٢/٧، ٧٣) كتاب الأدب، ومسلم (١٩٨١/٤) رقم (٢٥٥٤).

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقروا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قَوَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾» [محمّد: الآيتان ٢٢، ٢٣].

وإذا وصل الله عبده فيا فوزه ويا سعاده.

وإذا قطع الله عبده فيا حسرته ويا ندامته.

إذا وصلك الله - عزّ وجلّ - جعلك من أهل طاعته، وقرب إليك سبيل هدايته، ويسر لك أمرك، وجعل لك من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وأتتك الدنيا وهي راغمة.

وإذا قطعك الله - عزّ وجلّ - عسر عليك أمرك، وقرب إليك سبيل المعصية والغواية، وضيق عليك في الدنيا، فكلّما سلكت وادياً هلكت، وكلما التمست باباً أغلق دونك.

أما سمعت قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي آثَرِهِ<sup>(١)</sup> فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فصلة الرّحم من أسباب بسط الرّزق وسعته وكثرته، وكذلك من أسباب البركة في المال والعمر والأبناء والزوجة وغير ذلك.

• أيها الناس:

أهل البرّ في هذه الأمة لهم قصص عبّر التاريخ يضربون بها أروع الأمثلة في البرّ واحترام الوالدين ورحمتهما.

فهذا الإمام ابن سيرين بلغ من برّه بوالدته أن قال: والله ما ارتقيت سطح بيتٍ ووالدتي في البيت لثلا أرتفع عليها!!.

(١) يُنْسَأُ له في آثره: أي يؤخّر في بقية عمره.

(٢) أخرجه البخاري (٨/٣) كتاب البيوع، ومسلم (١٩٨٢/٤) رقم (٢٥٥٧).

كان يُقَدِّم لها الطعام فلا يبدأ حتى تبدأ هي، وكان لا يأكل من الإناء الذي كانت تأكل منه أمه، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن تقع عينها على شيء من الطعام فأخذه فأكون عاقاً.

وكان إذا جلس أمامها لا يمدّها بصره، بل كان يخفض من بصره أمامها وكأنه عبدٌ مملوك.

وإمام آخر، هو الإمام أحمد بن حنبل - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

جعل من نفسه - وهو إمام أهل السُّنَّة والجماعة - خادماً لوالدته، يغسل ثيابها، ويصنع طعامها، ويقوم على حاجتها؛ لأنه أخرج حديثاً أن معاوية بن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أردتُ الغزو وجئتُك أستشيرك.

فقال ﷺ: «هل لك أم؟»

قال: نعم. قال ﷺ: «الزمها فإن الجنة تحت رجليها»<sup>(١)</sup>.

فأبى حق لهذه الأم التي جعل النبي ﷺ الجنة تحت رجليها، وإذا كانت الجنة تحت رجليها فلن يستطيع أحد دخول الجنة إلا عن طريق أمه.

وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأحفظ وإن شئت ففضِّع»<sup>(٢)</sup>.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

\* \* \*

(١) أخرجه أحمد (٤٢٩/٣)، والنسائي (١١/٦) رقم (٣١٠٤)، وابن ماجه (٩٢٩/٢) رقم (٢٧٨١) ولفظه: «ويحك الزم رجلها فثم الجنة»، والحاكم (١٥١/٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: صحيح.

(٢) تقدّم تخريجه في نفس الخطبة.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسيّد الأولين والآخرين، وقُدوة الناس  
أجمعين، وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

### • أيها الناس:

إن صور العقوق كثيرة في هذه الأمة، وهي أمة عاشت الجمود والجحود  
في فترة من فترات طويلة، حمدت في الإبداع والابتكار وجمدت في مجال  
الاكتشاف والاختراع، فسبقتها أرذل الأمم وأحط الشعوب.

أمة عقت ربها فجحدت حقوقه في عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة  
غيره من الأصنام والأوثان والقبور والمبادئ والشعارات والانتماءات والآراء  
والأهواء.

وعقت رسولها ﷺ فلم تتبعه، ولم تهتد بهديّه، ولم تسير في طريقه، ولم  
تحكّمه في أمورها، بل حكمت الأفكار البشرية، والمبادئ الشيطانية، التي ما  
قامت إلا للقضاء على هذه الأمة، وسلخها عن دينها، حتى تصبح أمة بلا هويّة،  
ولا حضارة، ولا تاريخ، ولا مبادئ، فتكون بذلك كالقصعة التي يتداعى عليها  
الأكلة من كل جانب، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

وكان أيضاً عقوق الوالدين، الذي هو نتيجة طبيعية لتفكك الأسرة، التي  
بعدت كثيراً عن تعاليم الإسلام، فالأب لا يسأل عن أبنائه، ولا يتفقد صحتهم،

ولا يسأل عن صلاتهم، ولا عن صيامهم، وإنما جُلَّ اهتمامه بطعامهم وشرابهم وكسوتهم فهل هذه هي أمانة الأئمة، وهل هذا هو القيام بالمسؤولية؟

والأم أيضاً لا تهتمّ إلا بإعداد الطعام والشراب، فلا تقرأ في كتاب ربّها، ولا تعلم شيئاً عن أمور دينها، ولا تغرس في نفوس أبنائها القيم الإسلامية الراقية، التي تحفظهم من سُلالِ الإجرام والضُّياع، فكيف نتظر بعد ذلك أن تكون أَسْرنا متماسكة، أو أن تكون مجتمعاتنا سالحة، يحترم فيها الأبناء آباءهم وأُمّهاتهم، ويعرف الصغير للكبير حقّه فيجلبه ولا يتناول عليه، ويرحم الكبير الصغير فلا يقسو عليه ولا يهينه أو يعمل على إلغاء شخصيته

وقد عَقَّت هذه الأمة علمائها، وأهل الفضل فيها، وهُم الذين تُبْنَى عليهم الأمجاد، ويفضلهم تُصنَع البطولات، أين مكانة العلماء في بلاد المسلمين؟ بل أين مكاتهم في قلوب المسلمين؟

يجب على الأمة وهي في مرحلة الصحوة أو اليقظة، أن تضع هؤلاء الأختيار تاجاً على رأسها، وأن تجعلهم في مكان المسؤولية والصُّدرة، بدلاً من أن تجعلهم في مؤخرة الركب كما هو الحال، بينما نجد في المقدمة أساطين الفن، ونجوم التمثيل، وصَرَعى الكرة، مع أن هؤلاء لم يصنعوا حضارة، ولم يقدّموا مجداً، ولم يشاركوا في انتصار.

أين الابتكار والاختراع في واقع هذه الأمة؟

لماذا لا يُشجّع المُخترِعون والمُكتَشِفون والمُبدِعون، ويُقدّم لهم ما يحتاجونه من إمكانات، سوف تستخدم الأمة في يوم من الأيام؟ لماذا نغلق الأبواب في وجوه هؤلاء، بينما نجد الدول الغربية والشرقية تفتح لهم الأبواب، ونقدّم لهم كل ما يحتاجونه، ليستفيدوا من علمهم في مُخترَعات ومُكتَشَفات تُصدّر إلينا فيما بعد بمئات الملايين.

فكيف لا تتخلف الأمة إذن؟ وكيف لا تكون في ذيل الأمم؟ وكيف لا تكون تبيعة مقهورة ذليلة غارقة في بحار من الديون والقروض والهزيمة والعار.

## • عباد الله :

أين الكتاب والسنة في حياة المسلمين؟

أين تحكيم شرع الله في ديار فتحها محمد بن عبد الله ﷺ وأقام عليها دولة الإسلام؟

إن غالب شعوب الإسلام الآن تحكم بأنظمة علمانية لا تعرف رباً ولا رسولاً ولا كتاباً.

فكيف نرجو بعد ذلك النصر والتمكين، وقد غفلنا عن قوله تعالى: ﴿إِن نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [الثور: الآية ٥٥].

فهل نصرنا الله - عز وجل - في أنفسنا؟ هل أقمنا شرعه فيما بيننا؟ هل عبدناه حق عبادة؟

هل نصرنا رسولنا محمداً ﷺ باتباع سنته والاهتداء بهديه؟

لقد كذب أقوام ادَّعوا محبة الله - عز وجل - ورسوله ﷺ، ولم يحكموا شرعه، ولم يتبعوه عليه الصلاة والسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية ٣١].

ولقد نفى الله الإيمان عن أقوام أعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ، أو حكموه مع الكراهة وعدم التسليم، فقال - جل وعلا -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ٦٥].

## • أيتها الناس :

أما آن لكم أن تعودوا إلى ربكم وقد كشرت لكم الأمم عن أنيابها؟  
 أما آن لكم أن ترجعوا وأنتم ترون إخوانكم المسلمين يُذبحون في كل  
 مكان ويُقتلون في كل أرض، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون؟  
 أما آن لكم أن تستيقظوا من غفلتكم بعد أن رأيتم سيوف اليهود والنصارى  
 تعمل في المسلمين ذبحاً وتقتيلاً؟

يقول شوقي مُصَوِّراً هذه المحنة :

شعوبك في شرقِ البلادِ وغربها      كأصحابِ كهفٍ في عميقِ ثبات  
 بأيمانِهِم نورانِ ذِكْرٍ وسُنَّةٍ      وفي بالِهِم في حالِكِ الظُّلُماتِ

لماذا نسير في الطرق المظلمة الوعرة، التي لا يهتدي سالكها، بينما نترك  
 الطريق المُمهَّد المُضيء بأنوار التوحيد؟ لماذا نترك عَظَماءنا الذين حملوا راية  
 التوحيد، وفتحوا بنا مشارق الأرض ومغاربها، بينما نجعل النجوم والكواكب  
 أولئك المنهزمين اللاهين اللاعبين.

إذا تفاخر بالأهرام مُنَهَزِمٌ      فنحن أهرامنا سلمان أو عمرٌ

لقد أخطأت مناهج التعليم أيما خطأ حينما جعلت مساحة لأولئك العابثين  
 كالتي جعلتها لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، أو أبي بكر أو عمر، فهذا  
 من أشدَّ صور الجحود والعقوق لتاريخنا الإسلامي وحضارتنا المجيدة التي  
 أسسها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فكيف يفهم الجيل الجديد تاريخه، وكيف يتعرَّف على عَظَمائِهِ، وكيف  
 يعود إلى أمجاده؟

والعقوق صُورُهُ متعدِّدة، وأشكاله متباينة، فهنا عقوق في العلوم الشرعية،  
 وعقوق في التاريخ، وعقوق في التربية، وعقوق في الأدب والسلوك، وعقوق  
 في القِيَم والمبادئ، ولن تمضي هذه الأمة إلى الأمام إلا بالتخلُّص من هذه

الصور جميعاً، لتصبح حرّة في مبادئها وقيمها التي فتحت بها مشارق الأرض ومغاريها.

نسأل الله لنا ولكم هداية ورشداً، وتوفيقاً وتسديداً.

### • أيتها المسلمون:

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦)

[الأحزاب: الآية ٥٦].

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ صَلَاتِنَا وَسَلَامِنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَارَكَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَازْضَعْ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَطْهَارِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

## فهرس المراجع

- الإحسان: في تقرب صحیح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي. بتحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني محمد ناصر الدين.
- البداية والنهاية: ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي. ط: دار الریان للتراث، القاهرة.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير. ط: دار الحديث، القاهرة.
- تقرب التهذيب: العقلائي أحمد بن علي بن حجر. بتحقيق: محمد عوامة. ط: دار الرشيد، حلب.
- الجامع الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل. ط: المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ط: دار الكتاب العربي، بيروت.
- حياة الصحابة: الكاندهلوي محمد بن يوسف. ط: دار الریان للتراث، القاهرة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. ط: دار الكتب العلمية.
- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، بتحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني محمد ناصر الدين. ط: المكتب الإسلامي.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة: الألباني محمد ناصر الدين. ط: مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة. بتحقيق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة. تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الدارمي: الدارمي: أبو عبد الله بن عبد الرحمن. بتحقيق: فؤاد أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. ط: دار الرّيان للتراث، القاهرة.
- سنن أبي داود: السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.
- سنن ابن ماجه: القزويني محمد بن يزيد بن ماجه. بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- سنن النسائي: النسائي أحمد بن شعيب. بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة. ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- السيرة النبوية: ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهبي النحوي. بتحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك. ط: مكتبة المنار.
- شرح صحيح مسلم: النووي محي الدين بن شرف. ط: المطبعة المصرية بالأزهر.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني محمد ناصر الدين. ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح مسلم: النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار الحديث، القاهرة.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته: الألباني محمد ناصر الدين. ط: المكتب الإسلامي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: العسقلاني أحمد بن علي بن حجر. ط: دار الرّيان، القاهرة.
- القاموس المحيط: الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب. ط: مؤسسة الرسالة.
- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري. ط: دار صادر، بيروت.
- مجمع الزوائد: الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر. ط: مؤسسة المعارف، بيروت.

- المستدرك: الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل. ط: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- مشكاة المصابيح: التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب. بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
- موطأ الإمام مالك: الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- النهاية في غريب الحديث: الجزري مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. بتحقيق: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي. ط: أنصار السنة المحمدية، باكستان.

\* \* \*

obeikandi.com